الجمهورية التركية

جامعة وان يوزنجويل

معهد العلوم الاجتماعية

رسالة دكتوراه

المنهج القرآني للحياة الأسرية "دراسة مقاصدية"

علي رفيق سعيد

قسم العلوم الإسلامية الأساسية

شباط 2024

ALI RAFEQ SAEED

TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI

ŞUBAT 2024

T.C.
VAN YÜZÜNCÜ YIL ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ

DOKTORA TEZİ

AİLE HAYATINDA KUR'ÂN METODU "MAKASIDÎ BİR ARAŞTIRMA"

ALI RAFEQ SAEED

TEMEL İSLAM BİLİMLERİ
ANA BİLİM DAL

ŞUBAT 2024

T.C.
VAN YÜZÜNCÜ YIL ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI

AİLE HAYATINDA KUR'ÂN METODU
"MAKASIDÎ BİR ARAŞTIRMA"

DOKTORA TEZİ

HAZIRLAYAN
ALI RAFEQ SAEED

DANIŞMAN
PROF. DR. SELAHATTİN SÖNMEZSOY

VAN – 2024

الـجمـهوريـة الـتـركـيـة
جـامعـة وان- يـوزنجوييل
معهد العلوم الاجتماعية
قسم العلوم الإسلامية الأساسية

المنهج القرآني للحياة الأسرية "دراسة مقاصدية"

أطروحة دكتوراه

إعـــداد
علي رفيق سعيد

المشرف
أ. د. صلاح الدين سونمزسوي

وان- 2024

أطروحة دكتوراه
علي رفيق سعيد
جامعة وان يوزنجوييل
معهد العلوم الاجتماعية الأساسية
شباط – 2024

المنهج القرآني للحياة الأسرية "دراسة مقاصدية"

الملخص

تعتبر الأسرة المسلمة اللبنة الأولى والأساسية في بناء المجتمع الإسلامي، وعلى ضوء صلاحها وتماسكها يتقرر ويتحدد صلاح المجتمع، وبالتالي صلاح الأمة، لذلك كان التركز عليها كخلية أساسية للمجتمع أمراً ضرورياً، وحمايتها والحفاظ عليها أمراً واجباً، ولا غرابة في أن يهتم الإسلام ضمن تعاليمه الدينية بالأسرة منذ اللحظة الأولى، من خلال التأسيس والبناء السليم، ووضع الطرق والأساليب الوقائية، والطرق العلاجية لحل ما يمكن أن ينشأ من توترات داخل الأسرة قد تقود إلى خلافات هدّامة، ثم العمل على استمراريتها وعدم السماح بدخول الأمراض الاجتماعية إليها، والتي تساهم بشكل مباشر أو غير مباشر بتفككها، وانفراط عقدها الأسري، ولذلك جعل الإسلام من مقاصده وكلياته الخمس مبادئ أساسية للحفاظ على عرض وشرف الأسرة المسلمة، لهذا كان اختيارنا في هذه الدراسة للمنهج القرآني كمصدر رئيسي للتشريعات الإسلامية أمراً لابدَّ منه، لاستنباط التشريعات الاجتماعية ولا سيما ما يخصُّ الحياة الأسرية، لذلك جاءت هذه الدراسة المتواضعة هادفة لاستقراء النصوص القرآنية المتعلقة ببداية الحياة الأسرة ممتدة إلى نهايتها، وهنا تتركز دراستنا هذه على دراسة مقاصدية للآيات القرآنية، التي تختص بجانب من جوانب الأسرة، وذلك بتقسيم هذا الموضوع إلى ثلاثة مراحل رئيسة:

المرحلة الأولى: منهج القرآن الكريم ما قبل تكوين الأسرة؛ من اختيار أحد الزوجين للآخر وذكر المعايير المستحبة للاختيار.

المرحلة الثانية: منهج القرآن الكريم ما بعد التكوين وأثناء الحياة الطبيعية للأسرة.

المرحلة الثالثة: منهج القرآن الكريم وعلاجه للأسرة وقت انهيارها.

هذا مع التركيز البالغ على أبرز وأهم مقاصد وغايات القرآن الكريم في تكوين الأسرة، وحمايتها وحفظها من الانهيار.

جاءت الدراسة ممنهجة وفق تمهيد بينت فيه تعريف المنهج القرآن الكريم، وتعريف الحياة الأسرية ومقصدها، وذكرت معنى المقاصد ومعنى التفسير المقاصدي وأشارت الدراسة إلى أهم التفاسير المقاصدية كي نكون على بينة في هذه الدراسة.

وقد بينت خلال هذه الدراسة:

أن القرآن الكريم يُعد منهجاً متكاملاً لجميع الأمور الحياتية، ومن أهمها: حياة الأسرة التي تقوم عليها الحياة العامة وتستمر باستمرارها، وذلك بما احتواه القرآن من تشريعات وتوجيهات وإرشادات كاملة وشاملة للأسرة وتكوينها، منذ بداية هذا المشروع، وهو اختيار شريك الحياة، رسَّم القرآن الكريم هذه المرحلة ضمن مبادئه الدينية، وبيّن كيفية اختيار كل من الزوجين لبعضهما ضمن المعايير الدينية والأخلاقية الأساسية والمستحبة المذكورة في القرآن الكريم لهذه المرحلة، وبعدها تأتي المرحلة العملية لمشروع الزواج وهي حياة الأسرة اليومية، فالقرآن الكريم هنا ذكر وفصَّل كل شيء، وبيّن جميع الحقوق والواجبات المترتبة على الزوجين، كما بيّن حقوق الأبناء ما لهم وما عليهم كي تسير قافلة الحياة الأسرية بأمان واطمئنان، لتصل إلى محطتها النهائية.

ومعلوم لدينا أن الحياة الدنيا ليست حياة مثالية خالية من المشاكل والمتاعب والعقبات، وحياة الأسرة رغم تكوينها على أساس شرعي وإرشادات وقوانين اجتماعية إلا أن أمامها تحديات كبيرة لا تخلو عن المشاكل والعقبات الدنيوية، والتي هي من طبيعة الحياة ـ كما قال الله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾(الأنبياء،21/ 35)، فالأسرة بجميع أفرادها من الزوجين والأولاد قد تتعرض لعقبات وصعوبات في حياتهم الأسرية، سواء داخل حرم الأسرة أو خارجه في المجتمع، وتلك المشاكل لا بد من حلها وعلاجها، والقرآن الكريم كما هو معلوم لم يدع شيئاً إلا وذكره، أو أشار إليه، يقول تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾(القمر،53/54)، ولذلك ذكر القرآن الكريم تلك المشاكل والعقبات التي تتعرض الأسرة في حياتها الأسرية، سواء أكانت تلك المشاكل داخلية: كالفراغ العاطفي بين الزوجين والأولاد، والعنف الأسري بين الزوجين والأولاد، والظهار والإيلاء والقذف والملاعنة والنشوز بين الزوجين إلى أن يصل إلى الطلاق والانفصال، أو تكون خارجية في ميدان المجتمع: كتعدد الزوجات التي تتسبب أحيانا إذا لم تستوف الشروط إلى الفوضى والبلبلة في الأسرة والمجتمع.

ومن المشاكل الأسرية المجتمعية؛ الخيانة الزوجية التي تزداد مع الأسف يوماً بعد يوم لأسباب مؤلمة، ومن تلك المشاكل مشكلة عُنُوسة الفتيات وتأخرهن في الزواج نتيجة عدم

إقبال الشباب على الزواج لأسباب ذكرناها، ومنها مشكلة اصطدام الأسرة بالتكنولوجيا، التي أصبحت حاجة ضرورية وفي نفس الوقت بلاءً مؤلماً، وقد تسبب في كثير من المشاكل الصحية والنفسية والأخلاقية لأفراد الأسرة والمجتمع أيضاً، ولكن يُقَدِّم القرآن الكريم الحلول الوافية والكافية لكل تلك المشاكل التي ذكرناها آنفا، كون القرآن الكريم هو الكتاب الخالد لهذه الأمة، ودستورها الشامل، ومرشدها الصادق والأمين، وفي منتصف هذه الدراسة ذكرت بالتفصيل وضمن المساحة المتاحة أهم مقاصد القرآن الكريم وغاياته، التي كانت وراء تكوين مشروع الزواج، وبناء الأسرة، وإعمار الأرض وحفظ النسل البشري وصيانة المجتمع من الرذائل والفساد الأخلاقي والتعارف الاجتماعي، وتحقيق المؤانسة والمودة والرحمة بين الزوجين وأفراد الأسرة وما شابه ذلك، وفي هذا كفاية وشفاء للأمة الإسلامية عما جاءت به النظريات الوضعية، والتي تدعي أنها تهدف لحماية الأسرة وتكوينها، وهي في الواقع يعتريها الكثير من الخلل والنقصان ومن ورائها نية خبيثة لمحو الأسرة المسلمة وترويج الفساد وانهيار المجتمع.

الكلمات المفتاحية: التفسير، الأسرة، القرآن الكريم، المنهج، الزواج، المقاصد.

عدد الصفحات: VIII+278

المشرف: أ. د. صلاح الدين سونمزسوي

المحتويات

الملخص I
الاختصارات VI
المقدمة VII
التمهيد 1

1. التعريف بمفردات البحث وما يتعلق بها 5
1.1. تعريف المنهج 5
2.1. تعريف الحياة الأسرية وأنواع الأسرة 7
3.1. تاريخ الأسرة ونشأتها ووظائفها 11
4.1. تعريف المقاصد 16
5.1. نبذة عن مراحل التفسير، ونشأة التفسير المقاصدي 19
2. المنهج القرآني للحياة الأسرية 33
1.2. مكانة الأسرة وأهميتها في الإسلام 33
2.2. أهمية المنهج القرآني في الحياة الأسرية 37
3.2. المنهج القرآني للحياة الأسرية 41
1.3.2. المنهج القرآني للحياة الأسرية ما قبل التكوين: 42
2.3.2. المنهج القرآني للحياة الأسرية أثناء التكوين 60
4.2. المقاصد القرآنية من المنهج القرآني للحياة الأسرية 87
1.4.2. تحقيق الخلافة في الأرض وعمارتها 88
2.4.2. حفظ النسل 89
3.4.2. حفظ النسب 92
4.4.2. تكوين الشخصية 94
5.4.2. تحقيق عبادة الله تعالى وربط الحياة الأسرية الدنيوية بالأخروية .. 95
6.4.2. إشباع الغريزة الجنسية وحفظ المجتمع من الفساد الجنسي 96
7.4.2. التعارف الاجتماعي 99
8.4.2. تحقيق المؤانسة والمودة والرحمة 100

9.4.2. الزواج سبيل للغنى 106
10.4.2. مقصد التراحم وتجلياته في الأسرة 109
11.4.2. تحقيق القوامة للرجال 113
3. المشكلات الأسرية وحلولها في منهج القرآن الكريم 117
1.3. مشكلات بين الزوجين وحلولها 118
1.1.3. الفراغ العاطفي 119
2.1.3. المساواة بين الرجل والمرأة 121
3.1.3.عدم الكفاءة بين الزوجين 127
4.1.3. الغيرة بين الزوجين 133
5.1.3. القذف واللعان..... 138
6.1.3. الظهار 142
7.1.3. الإيلاء 145
8.1.3. النشوز والشقاق بين الزوجين ومنهج القرآن في علاجهما 148
9.1.3. الطلاق 163
2.3. مشكلات بين الوالدين والأبناء 173
1.2.3. الفراغ العاطفي 173
2.2.3. الفجوة الفكرية بين الآباء والأبناء..... 178
3.2.3. إيداع الوالدين في أحد بيوت الرعاية 180
3.3. مشكلات مجتمعية أسرية وحلولها 187
1.3.3. العنوسة 188
2.3.3. تعدد الزوجات 197
3.3.3. الخيانة الزوجية 207
4.3.3. العنف الأسري 214
5.3.3. غلاء الصداق 230
6.3.3. تدخل الأهل في الحياة الزوجية 233
7.3.3. الأسرة ومأزق التكنولوجيا 241
4.الخاتمة 261
المصادر والمراجع 261

الاختصارات

بدون ت	بدون تاريخ
ت	المتوفى
تح	التحقيق
ط	الطبعة
م	الميلاد
هـ	الهجري
(د. ت)	دون تاريخ الطباعة

الرموز

﴿﴾	مخصص للآيات
""	مخصص للأقوال، والمتون، والأحاديث
()	مخصص لتاريخ الوفاة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين وبعد.

أحمد الله مولانا عزوجل الذي جعل الزواج آية عظيمة من آياته العليا، وذكرها في قرآنه العظيم، وشعيرة من شعائر دينه القويم، ونعمة من أعظم نعمه على عباده ولك الشكر يا رحيم، وقد خلق الله تعالى لنا أزواجا من أنفسنا لنسكن إليها ونأنس بها، وجعل بيننا مودة ورحمة يقول مولانا الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾(النحل،72/16)، وقال جل شأنه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إليها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الروم،21/30) وعلى سنة الزواج ومكرمته مضى الأنبياء والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾(الرعد،38/13)، وأكد النبي ﷺ على أهمية الزواج وحث عليه وأمر به وقال: (وَتَزَوَّجُوا، فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ) فالحمد لله على نعمة الإسلام وعلى ما فيه من عظيم الأحكام، وله الثناء على ما أولانا كرما؛ من طهارة جعلها للزوجية مبدأً وعفة تبعث فينا طمأنينة وسكناً وحكمة فاضت هدايةً ورَشداً.

اكتسبت العلاقات الأسرية أهمية كبيرة في الإسلام، نظراً لأن الأسرة أصغر وحدة في بناء المجتمع، وعلى كاهلها تقع مسؤولية إنشاء ورعاية وتربية الأجيال، رجال الغد وبناة المستقبل، وقد كان للتشريع الإسلامي شرف السبق في مجال تنظيم الأسرة ووضع الحلول لمشكلاتها.

فالأسرة بما يخيم على علاقة الزوجين فيها من سكن وتفاهم، وبما يحكم علاقة الأصول والفروع من ودٍّ وتراحم، وبما تقدمه للحياة من ثمرات صالحة خَيِّرَة هي المسؤولة عن صلاح الأمة، وقدرتها على حمل رسالتها الحقة إلى الإنسانية جمعاء، ونظراً لهذه الاعتبارات، فقد أولى الإسلام الأسرة جلَّ اهتمامه ليدل على ذلك النصيب الوافر الذي حظيت به أحكام الأسرة وتعاليمها من آيات الذكر الحكيم.

ومن معلوم أن الأسرة المسلمة تعيش في واقعنا المعاصر تحديات كبيرة، ومشاكل معقدة، وأزمات صعبة، نتيجة ما تتعرض له من مخاطر متعددة متمثلة في الحياة الطويلة، والانفتاح على العالم الخارجي وتأثيراتهما السلبية، مما جعل الأسرة مهددة في كيانها،

ومبتعدة عن دورها الحضاري والتربوي في صناعة أمجاد الأمة، ومستقبلها من خلال إعداد الأجيال الصاعدة، ولأن القرآن الكريم هو دستور الأمة ومنهجها الصحيح والاسترشاد هو طريق الصواب؛ وهو علاج لكل ما يعترينا في حياتنا من مشاكل، وذلك من خلال تشريعاته الشاملة والمتكاملة.

وأخيرا أحمد الله تعالى على توفيقه وتيسيره لي، وأشكره على تسهيله لي الصعوبات حتى أتممت هذه الرسالة، وأتوجه بالشكر والتقدير والامتنان إلى كلِّ من ساعدني ومدَّ لي يد العون بجهده ووقته، وأفادني بتوجيهاته ونصائحه القيمة البناءة على إنجاز هذا البحث المتواضع بهذا الشكل، كما أتقدم بالشكر الجزيل للأساتذة الأجلاء في جامعة وان يوزنجوبيل، قسم العلوم الإسلامية الأساسية على ما قدموه لنا من جهد كبير بمسيرتنا العلمية في هذه الجامعة العريقة المحبوبة، وأخص منهم أستاذي الفاضل، ومشرفي العزيز صلاح الدين سونمزصوي، فقد بذل من أجلنا قسطاً كبيراً من وقته وجهده، فكان نعم المعين لنا، سائلين المولى عز وجل أن يبارك في عمره، وأن يمتعه بالصحة والعافية الدائمتين. وكما أشكر الأستاذين الكريمين في لجنة المناقشة الأستاذ الفاضل جميل كوجوك، والأستاذ محمود دوندار، الذين لم يبخلا أبدا بتوجيهاتهما وإرشاداتهما القيمة لإكمال المسيرة، وبفضل الله تعالى وجهدهم المشكور نحن قد وصلنا إلى نهاية الطريق في هذا البحث،

نسأل الله المولى عزوجل لهما ولنا التوفيق والسداد في الدارين، ونرجو الباري جل شأنه أن يجعل هذا البحث المتواضع في ميزان حسناتنا جميعا. وصلى الله وسلم وبارك على المبعوث رحمة للعالمين.

الباحث

علي رفيق سعيد

2024/02/19

التمهيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد الهادي إلى ما فيه الخير في الدّارين، المثل الأعلى والقدوة العظمى للحياة الأسريّة الناجحة وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

إن القرآن الكريم نزل بمقاصد أصلية، ومقاصد عامة وخاصة كلية وجزئية من أجل الفرد والجماعة، وكان من بين هذه المقاصد التي هدف إليها القرآن الكريم: تكوين الأسرة الصالحة، بوصفها الأساس المتين للمجتمع الصالح، والأساس الأمين لحضارة الأمة، فبينت آيات القرآن الكريم أحكام الأسرة، بضبط نظامها، وأمرت بما فيه صلاحها، ونهت عما فيه فسادها.

والقرآن الكريم معجزة خالدة، ومنهج قويم نجده قد أولى اهتماماً خاصاً للأسرة التي تشكل القلب النابض للمجتمع، فالأمة الناهضة تعتنى بأسرها عناية فائقة تحميها من كل أدران الحياة وتحافظ على بقاء روابطها سليمة معافاة.

وإنّ المتتبع لآيات القرآن الكريم التي تتحدث عن الأسرة يلمس فيها نهجاً ربانياً يرعاها، من قبل نشأتها إلى ما بعد انفكاك رابطتها، وذلك يتمثل في المقاصد العظمى التي سعى القرآن إلى تحقيقها ودعا إلى رعايتها، ومن مكانة الأسرة العظيمة في المجتمع وعناية القرآن الكريم بها، جاءت هذه الرسالة والتي هي بعنوان" المنهج القرآني للحياة الأسرية "دراسة مقاصدية".

أسباب اختيار الموضوع:

هناك عدَّة أسباب دعتني لاختيار موضوع البحث هذا، وأهمها ما يلي:

1) إبراز موضوع: "المنهج القرآني للحياة الأسرية دراسة مقاصدية"

2) عجز بعض الأسر عن احتواء مشاكلهم الأسرية، وعدم القدرة على حلها مما يؤدِّي إلى انفكاك عُرى الرابطة الأسرية بصورة سلبية تؤثر على الفرد والمجتمع.

3) بيان أن هذا الموضوع لم يتم بحثه من قبل كدراسة تفسيرية مقاصدية.

4) حماية الأسرة المسلمة من العولمة، وذلك في ظل ظهور مسميات عديدة للأسرة تخالف المفهوم القرآني لها، وتتعارض مع الغاية الأساسية من تكوينها.

5) غياب المقاصد القرآنية الأسرية عن العديد من أبناء المجتمع المسلم.

6) إثراء المكتبة الإسلامية بدراسة تفسيرية مقاصدية تتناول المنهج القرآني للحياة الأسرية على وجه الخصوص.

أهداف الدراسة:

1) إبراز المفهوم الحقيقي للأسرة كما رسمه القرآن الكريم.

2) بيان مقاصد القرآن الكريم من تكوين الأسرة السليمة المتماسكة.

3) إيضاح المنهج القرآني القويم للحياة الأسرية.

4) بيان مقاصد القرآن الكريم في الحفاظ على الأسرة وديمومة بقائها.

5) بيان المنهج القرآني الوقائي والعلاجي لحل مشاكل الأسرة التي قد تعرض لها.

6) دراسة الآيات التي تتحدث عن الأسرة دراسة تفسيرية مقاصدية.

7) الوقوف على أقوال المفسرين في الآيات التي تتعلق بالأسرة وخصوصاً التفسير المقاصدي.

8) إزالة الغشاوة التي أصابت بعض الأسر المسلمة، التي حادت عن المقصد الأسمى من تكوينها والعودة بها إلى محاضن الشريعة.

9) بيان الدور العظيم للأسرة المسلمة وأثرها في نهضة الأمة وبناء المجتمع المسلم.

10) توظيف هذا الموضوع في الإصلاح الأسري وإبراز دور القرآن الكريم فيه.

11) فتح آفاق جديدة لطلبة العلم الشرعي، لتناول التفسير المقاصدي المتعلق بأحكام الأسرة.

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذه الدراسة من كونها دراسة بكر لا يوجد دراسة قاربت هذا العنوان من الزاوية التي قاربتها هذه الدراسة، وذلك من خلال اطلاعي على نمط التفسير المقاصدي للحياة الأسرية

ومنهجها، كما تنبع أهميتها من كونها تبحث في معالم الأسرة المسلمة، التي تعد اللبنة الأولى للمجتمع، والذي بصلاحها يكون صلاح المجتمع وبفسادها يكون فساده.

منهج البحث وطبيعة عملي فيه:

اتبعت في بحثي هذا المنهج الاستقرائي متكئاً على المنهج التحليلي الذي يقوم على استقراء الآيات التي تتحدث عن الحياة الأسرية، ومن ثم بيان المنهج القرآني في حمايتها، وتفسيرها تفسيراً مقاصدياً، إذ قمت بما يلي:

- إعادة الآيات إلى سورها، والأحاديث إلى مصادرها، والمقتبسات إلى قائليها.

الدراسات السابقة:

1) التفسير المقاصدي للقرآن الكريم "في ظلال القرآن "أنموذجاً" ورقة بحثية مقدمة إلى جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – الجزائر – مصطفى عاشور أبو زيد، 2013م.

والفرق بين هذه الدراسة ودراستي أن هذه الدراسة تحدثت عن التفسير المقاصدي في تفسير الظلال بشكل خاص، أما دراستي فتتعلق بالتفسير المقاصدي المتعلق بالأسرة.

2) المنهج القرآني في حماية الأسرة المسلمة، دراسة موضوعية، إعداد ربا راكان الضمور، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة 2011م.

3) منهج القرآن في تربية الأسرة المسلمة، صالح علي إدريس، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، 2015م.

4) معالم الأسرة المسلمة في القرآن الكريم دراسة موضوعية، شيرين زهير أبو عبدو، جامعة غزة الإسلامية، 2010م.

وتختلف دراستي عن هذه الدراسات السابقة بكونها اختصت بدراسة الآيات القرآنية التي تتحدث عن الأسرة دراسة تفسيرية مقاصدية وفق المنهج القرآني لذلك.

صعوبات الدراسة:

من أهم الصعوبات التي واجهتني في كتابة هذه الرسالة: هي صعوبة الحصول على المصادر، التي تختص أو تتكلم عن التفسير المقاصدي لجميع الآيات التي تخص منهج الحياة

الأسرية.

مشكلة الدراسة:

تتضمن مشكلة الدراسة ما يلي:

السؤال الأول: ما المنهج القرآني الذي بنيت عليه الأسرة المسلمة؟.

السؤال الثاني: ما أثر التفسير المقاصدي في حماية الأسرة المسلمة؟.

السؤال الثالث: ما مدى نجاعة المنهج القرآني في حلّ المشكلات الأسرية مقارنة بالنظم الحديثة.

خطة البحث:

قد احتضن هذا البحث وأسس بناءه على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول؛ حوى التمهيد أسباب اختيار الموضوع وأهميته وأهدافه، والدراسات السابقة التي كتبت فيه وخطة البحث، والمنهج الذي سارت عليه الدراسة.

1. التعريف بمفردات البحث وما يتعلق بها

قبل الشروع بموضوع الدراسة من الضروري أن نلقي الضوء على أهم التعاريف للكلمات المتعلقة بعنوان البحث، والتي عليها أقيمت هذه الدراسة من أجل التَّعرُّف أكثر على مفهومها ومحتواها، فمثلا معرفة كلمة "المنهج ومصطلح" الحياة الأسرية "وكلمة "المقاصد" فتوضيح هذه الكلمات والمصطلحات ومعرفتها ضرورية من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية، مع توضيح مفهوم "التفسير المقاصدي "وذكر لمحة لأبرز التفاسير المقاصدية.

1.1. تعريف المنهج

في هذا المبحث نحاول توضيح كلمة "المنهج" من الناحية اللغوية لدى أهل اللغة، ومن الناحية الاصطلاحية لدى المفسرين وعلماء الإسلام، وما المقصود بالمنهج القرآني تحديداً؟

أولاً: المنهج لغة:

لدى الرجوع إلى المعاجم اللغوية، وجدت أن كلمة "منهج "مأخوذة من الفعل الثلاثي "نهج" ويدور معناه حول "الطريق الواضح البين"، وقد ورد في لسان العرب: "طريق نهج بيّنٍ واضح"، والجمع نهجات ونهج ونهوج، ونهج الطريق وضحه والمنهاج كالمنهج.[1]

وعندما نعود إلى القرآن الكريم، فإنّنا لا نجد ورود كلمة "منهج" إلاّ مرة واحدةً وفي موضع واحد؛ وهو في سورة المائدة عند قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة، 48/5). وفي معجم مقاييس اللغة: "النهج الطريق ونهج لي الأمر: أوضحه".[2]

وفي حديث طويل عن عبد الله بن سلام ﷺ، أنّه قال: "وإذا جواد منهجٌ عن يميني"[3] أي طرق واضحة بينة مستقيمة".[4]

وفى حديث عم النبي العباس –ﷺ– : " لم يمت رسول الله– ﷺ– حتى ترككم عن حجة بينة وطريق ناهجة".[5] أي: واضحة بينة.

---

[1] ابن منظور، مُحَّد بن مكرم بن على، *لسان العرب*، ط: الثالثة، دار صادر بيروت، 383/2.

[2] ابن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني، *معجم مقاييس اللغة*، تح: عبد السلام مُحَّد هارون، ط: الاولى، دار الفكر، بيروت، 1979م، 361/5.

[3] ابن حبان، مُحَّد بن حبان بن أحمد البستي، *صحيح ابن حبان*، ط: الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414هـ، تح: شعيب الأرناؤوط، 123/16، باب: (ذكر شهادة المصطفى بالإستمساك بالعروة الوثقى)، الرقم 7166.

[4] النووي، أبو زكريا، محيي الدين يحيى، *المنهاج شرح صحيح مسلم*، ط: الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1392م، 44/16.

ولم تخرج معظم كتب اللغة عن المعنى الذي ورد في كلمة منهج، وهو ما ذهب اليه أكثرهم بأن المنهج هو: الطريق الواضح البيِّن.[6]

ثانيا: المنهج اصطلاحا:

يقصد بالمنهج من الناحية الاصطلاحية أنَّه: فنُّ التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار والأشكال العديدة، إما لأجل الكشف عن الحقيقة التي نحن بها جاهلون؛ أو لأجل البرهنة عليها للآخرين، والتي نحن بها عارفون. من هنا فالمنهج نوعان، أحدهما: للكشف عن الحقيقة، ويسمى التحليل أو منهج الحل، وثانيهما: التركيب أو منهج التأليف.[7]

والبيضاوي (ت: 685هـ) وأبو السعود (ت: 982هـ) عن معنى المنهج قالا: هو الطريق الواضح في الدين.[8]

وأما ابن الجوزي البغدادي (ت:597هـ)، فقد ذكر كلاماً منسوبا للأنباري (ت: 577هـ) وقارنه به بين الشرعة والمنهج وهو: أن الشرعة: هي الطريق الذي ربَّما كان واضحا وربَّما كان غير واضح، أما المنهاج: فهو الطريق الذي لا يكون إلا واضحاً.[9]

وفسرها ابن حجر العسقلاني (ت:777هـ) في كتابه: فتح الباري على قول عبدالله ابن عباس-رضي الله عنه- : شرعةً ومنهاجاً سبيلاً وسنَّةً، قال: المنهاج هو الطريق الواضح.[10]

ولو تتبعنا المعنى الاصطلاحي لوجدنا؛ أنَّ مصطلح المنهج يوافق المعنى اللغوي، فكلاهما بمعنى الطريق أو المنهج الواضح، ففي اللغة تأتي بصورة عامة لهذا المعنى، أما في الاصطلاح فإنَّها تأتي بالمعنى نفسه لكن بصورة خاصة.

---

[5] الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، *مصنف عبدالرزاق*، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: الثانية، 1403هـ، 428/5.

[6] صالح على ادريس، *منهج القرآن في تربية الأسرة المسلمة*، رسالة ماجستير، جامعة السودان للعلوم والتكنلوجيا، سنة 2015، ص37.

[7] عبد الرحمن بدوي، *منهاج البحث العلمي*، ط: الثالثة، وكالة المطبوعات، الكويت 1997م، ص 41.

[8] البيضاوي، أبو الخير عبدالله بن عمر بن محمَّد الشافعي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، تح: محمَّد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ، 129/2؛ أبو السعود، محمَّد بن محمد بن مصطفي العمادي الحنفي، *إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم*، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الرابعة، 1994م، 3 /45.

[9] ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمَّد الجوزي، *زاد المسير في علم التفسير*، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الأولى، 1422هـ، 1/ 555.

[10] العسقلاني، أبو الفضل، أحمد بن علي بن حجر، *فتح الباري شرح صحيح البخاري*، تح: ابن حجر العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، 1379 هـ، 48/1.

أما ما هو المقصود تحديداً بكلمة "المنهج" فهو: الطرق والأساليب التي سلكها القرآن في بيان وتوضيح مشروعية الزواج، ومن خلاله بناءُ الأسرة الرصينة والمُحْكَمة، وإبراز فلسفتها ومقاصدها، وأهدافها النبيلة وحمايتها مما ينقضها.[11]

وبناءً على كل ما تقدم نستطيع أن نقول بأن المنهج القرآني هو: القانون أو الدستور الإلهي الذي نظّم شؤون الكون كله ولا سيّما الذي نحن بصدده الآن هو تنظيم شؤون الأسرة وحمايتها من التفكيك.

2.1. تعريف الحياة الأسرية وأنواع الأسرة

من المعلوم أن جملة "الحياة الأسرية" جملة إضافية، مكونة من كلمتين: هما الحياة والأسرة، أضيفت الحياة إلى الأسرة، لذلك من الضروري أن نُعَرِّفَ كل واحدة منها على حدة، كي نعلم معنى كل واحدة منهما مستقلة عن الأخرى، ثم نُعَرِّفها كجملة إضافية أو مستقلة وهي المقصود في هذه الدراسة، وبعد التعريف لهذا المصطلح للمزيد من المعلومات نلقي الضوء على تاريخ الحياة الأسرية وبداية نشأتها.

1.2.1. تعريف الحياة

لغة: الحَياةُ: مفردة، جمعها: حَيَوات، وحيَّ يحيا ويَحَيُّ فهو حيٌّ، وللجميع حَيُّوا بالتشديد، ولغة أخرى حيَّ وللجميع حَيُوا بالتخفيف، وهي نقيض الموت، بمعنى النمو والبقاء، كُتِبَتْ في القرآن الكريم بالواو "الحيوة" ليعلم أَن الواو بعد الياء في حَدِّ الجمع.[12]

ووردت في القرآن الكريم مائة وسبعاً وسبعين مرة بجميع مشتقاتها من مصدر وماض ومضارع واسم فاعل ومفرد وجمع.[13]

اصطلاحا: الحياة: مكونة من ثلاثة مراحل هي: الحياة الدنيا، والحياة البرزخية "بين الدنيا والآخرة" والحياة الآخرة الأبدية، إما في الجنة وإما في السعير نسأل الله العافية، والذي نقصد بها ههنا، هي: الحياة الأولى "الدنيا": وهي ذلك الحيز المكاني والزماني منذ أن خلق الله الكون وحتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهي بالنسبة لجنس الإنسان تمتد منذ أن خلق الله أبا البشر

---

[11] الرحيلي، حمود بن أحمد بن فرج، منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 2004م، 34/1.

[12] ابن منظور، *لسان العرب*، 211/14.

[13] جزولي، أحزمي سامعون جزولي، *الحياة في القرآن الكريم*، دراسة موضوعية، دار طويق، 1997م، 27/1.

آدم عليه السلام وإلى قيام الساعة، أما بالنسبة لأفراد البشر فهي: لا تعد تلك الفترة الزمنية التي تبدأ من لحظة الميلاد إلى لحظة الموت، والمقصود بها من حيث الزمن: هو الزمن الذي تحدث فيه الابتلاءات، أما من حيث المكان فهو كوكب الأرض التي نحيا عليها.[14]

والذي نعني بها هنا تحديداً وعليها مدار هذه الدراسة كلها، هي حياة الإنسان الأسرية، والتي تبدأ هذه الحياة من عقد الزواج الشرعي بين الجنسين الرجل والمرأة وما يتولد من بينهما من أولاد الذكور والإناث، وتدوم هذه الحياة إلى فراق الطرفين الزوج والزوجة بأحد الأجلين الطلاق أو الموت.

2.2.1. تعريف الأسرة

لغة: ذُكرت الأسرة في كتب اللغة بأنها مشتقة من الأسر، وهو القيد الذي يقيَّد به الشخص الأسير، ويقال: أسَرَ يأسِرُ أسْراً، أي قيَّده وجعله أسيراً، ولذلك سمي المأخوذ أسيراً لأنه يُشَدُّ بالقيد، وأسرة الرجل رهطه، لأنه بهم يتحصن ويتقوى، فهي أهل بيت الرجل وعشيرته، وهم أقارب الرجل من قبل أبيه، وعلاقة القيد للأسير بالأسرة فكما أنه يوثق الأسير ويصبح ملازماً لوثاقه، فكذلك الذي ينتمي إلى الأسرة فهو مقيد وأسير بعاداتها، وإلا أخرج منها.[15]

وذلك أن مادة "أسر" تعطي معنى القوة والشدة، فالأسر هو: شدة الخلق كما قال الله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ (الإنسان، 28/76). قال الطبري(ت:310هـ) عن معنى الأسر: ﴿وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ أي شددنا خلقهم.[16]

وقال القرطبي(ت: 671هـ) في معنى الأسر: أي شددنا خلقهم، الأسر بمعنى: الخلق، وهذا أيضاً رأي ابن عباس ومجاهد وقتادة ومقاتل لكلمة الأسر.[17]

فهناك رابط متين وواضح بين المعنى اللغوي وحقيقة الأسرة، وهو خلق التماسك والمودة والعلاقة الحميمة بين الزوجين في داخل حقل الأسرة.

---

[14] محمد أحمد سيد أحمد، محمد إسماعيل السيد أحمد وآخرون، الإشراف: صالح بن عبد الله بن حميد المكي، *نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم*، دار الوسيلة، جدة، د: ت، 29/1.

[15] ابن منظور، *لسان العرب* 82/2؛ ابن فارس، *معجم المقاييس*، 107/1.

[16] الطبري، محمد بن جرير الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*، تح: محمد الشاكر، مؤسسة الرسالة 2000م، 117/24.

[17] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، *الجامع لأحكام القرآن*، تح: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، 2003م، 151/19.

اصطلاحا: لفظ الأسرة لم ترد في القرآن الكريم، ولكن ورد في السنة النبوية في قوله-ﷺ-: "ثم زنى رجل في أسرة من الناس".[18]

وفي تعريفها الاصطلاحي اختلف العلماء فيها، وهذا بسبب اختلاف الثقافات والمرجعيات لديهم، ووجهات نظرهم للأسرة.

ومن هذه التعريفات ما يلي:

1-تعريف مهدي محمد القصاص، وهو خبير اجتماعي، يقول: "إنها جماعة اجتماعية بيولوجية نظامية تتكون من رجل وامرأة، تقوم بينهما رابطة زواجية مقررة وأبنائهما".[19]

2-وُيعرِّف الأسرةَ العالم الاجتماعي الوحيشي أحمد بيري، بقوله: "هي مجموعة من الأفراد يربطهم رباط الزواج والدم أو التبني و السكن في منزل واحد، ويتفاعلون ويصلون ببعضهم البعض من خلال أدوارهم الاجتماعية كزوج وزوجة، وأب وأم، ابن وابنه، أخ وأخت، ويبنون ويحافظون على ثقافة عامة بينهم".[20]

3- وقد عرفها من الفلاسفة أفلاطون(ت347 ق.م) بقوله: "إنَّ الأسرة في عامة الشعب تقوم على وحدانية الزوج والزوجة، والتعاقد المشروع، ويباح لديهم الطلاق في حدود ضيقةٍ حفاظاً على الكيان الأسري، كما يجب تحديد النسل، وفي حاجة الدولة ومواردها".[21]

4- ومن تعريفات العلماء المتأخرين للشريعة الإسلامية حول مفهوم الأسرة نجد عطية صقر(ت:1427هـ)، قد عرَّفها بقوله: أنَّ الأسرة هي الجماعة التي ارتبط ركناها بالنكاح الشرعي، والتزمت بالواجبات والحقوق بين طرفيها، وما نتج عنهما من نسل، وما اتصل بها من الأقارب".[22]

---

[18] السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث، *سنن أبي داود*، تح: مُحَّد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، باب: في رجم اليهوديين، الرقم(4450)، 499/6.

[19] القصاص، مهدي مُحَّد، *علم الاجتماع العائلي*، كلية الآداب، جامعة منصورة، 2008، ص18.

[20] الوحيشي، أحمد بيري، *الأسرة والزواج*، منشورات الجامعة المفتوحة، طرابلس الجماهيرية العظمى، 1889 م، ص57.

[21] طلبة البحوث والدراسات، *استراتيجيات في تربية الأسرة المسلمة*، الإشراف: توفيق الواعي، دار الخلدونية، الجزائر، ص17.

[22] عطية صقر، *موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام*، مكتبة وهبة، القاهرة 2006م، 38/1.

5- وعرّفها الزحيلي(ت1436هـ)، بأنها: "الجماعة المعتبرة نواة المجتمع، والتي تنشأ برابطة زوجية بين رجل وامرأة، ثم يتفرع عنها الأولاد، وتظل ذات صلة وثيقة بأصول الزوجين من أجداد وجدات، وبالحواشي من إخوة وأخوات، وبالقرابة القريبة من الأحفاد والأسباط والأعمام والعمات والأخوال والخالات".[23]

وهذا التعريف في غاية الدقة؛ إذ بيّن أنها الجزء الجوهري في تكوين المجتمع، وبيّن كيفية نشأتها وهي الرابطة الزوجية بين الرجل والمرأة، التي تتم بعقد الزواج وحدَّد الأركان الأساسية لها، التي هي الزوج والزوجة والأولاد، ووسع دائرتها مع إضافة أصول الزوجين من أجداد وجدات، والحواشي والأقارب.[24]

والأسرة تطلق في عرف عامة الناس على كل جماعة بينها رابطة من نوع معين، فعلى سبيل المثال يقال: أسرة الفن أو الفنانين، وأسرة المعلمين، وأسرة الأطباء وهكذا.[25]

لكن حديثَنا في هذه الدراسة عن الأسرة الشرعية، ويقصد بها في نظام الإسلام: هي تلك الأحكام والمبادئ التي تتناول الأسرة بالتنظيم بدءاً من تكوينها مروراً بقيامها وانتهاءاً بفراقها اختياراً أو قهراً، إذاً فلا توجد الأسرة في الإسلام ولا قيمة لها بغير وسيلة الزواج الشرعي بين الجنسين. [26]

وخلاصة القول في مفهوم الأسرة في الإسلام: هي الوحدة الصغرى في المجتمع، وهي مؤسسة اجتماعية مكونة من رجل وامرأة يربطهما رباط مقدس معترف به دينياً واجتماعياً، وقد يكون لهما أولاد، وقد تتضمن بعض الأقارب مثل الأجداد والجدات، حيث تكون العلاقة مباشرة، وهي قائمة بالعديد من الوظائف البيولوجية والتعليمية والتربوية والاقتصادية، وأنها من الناحية اللغوية والشرعية وعلم الاجتماع الأسري بمعناها ومفهومها متقاربة مع بعضها في مضمونها ولوازمها.

---

[23] الزحيلي، *وهبة، الأسرة المسلمة في العالم المعاصر، دارالفكر، دمشق، 2000م*، ص 20.

[24] ميرزا علي، بي بي آسية، *مقصد حفظ الأسرة ووسائله*، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، د، ت، ص34.

[25] عطية صقر، *موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام*، 38/1.

[26] علي بن عوالي، *ضمانات حماية الأسرة بين الفقه وقانون الأسرة الجزائري*، دراسة مقارنة، أطروحة، سنة 2018، جامعة وهران، جمهورية الجزائرية، ص30.

3.2.1. أنواع الأسرة

يمكن توزيع الأسرة إلى ثلاثة أنواع: صغرى ووسطى وكبرى.

أما الصغرى: فمكونة من الركنين الأساسين في كل أسرة وهما: الزوجان.

والوسطى: مكونة من الأساسين الزوجين والفروع وهم الأبناء والبنات، ويصبح الأساسيان – الزوج والزوجة – أصلاً أعني الأب والأم بالنسبة للفروع، وهذا هو موضوع دراستنا هنا بإذن الله تعالى وعونه.

أما الكبرى: فدائرتها أوسع: وتشمل المجتمع والأمة المسلمة، فالأسرة الصغيرة تولد وت نشأ الأسرة الكبيرة، التي ترجع إلى ذكر وأنثى هما آدم وحواء عليهما السلام، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات، 13/48)، وحواء ترجع إلى آدم عليه السلام وهو أصل البشرية كما قال رسول الله ﷺ: "الناس بنو آدم، وآدم من تراب".[27]

إذاً أصل البشرية هو آدم عليه السلام ومنه حواء ثم منهما البشرية ثم تكوين الأسرة ثم المجتمع بأكمله.

3.1. تاريخ الأسرة ونشأتها ووظائفها

لقد كانت الأسرة وما زالت تعد ميدان بحث واهتمام الكثير من المتخصصين في مختلف مجالات العلوم الإنسان نظراً لأهميتها، لذلك عكفوا على دراستها كل منهم حسب اختصاصه. ومن هذا المنظور فإن الأسرة تحتل مكانة اجتماعية وتربوية باعتبارها جماعة أولية تشكل منطلقا للحياة الاجتماعية، وتعد فضاء يتلقي فيه أفرادها مبادئ وأصول العلاقات الإنسانية والتنشئة الاجتماعية، وعلى الرغم من التحديات الكبيرة أمام الأسرة إلا أنها لا تزال تقع على عاتقها الوظائف الأساسية لأفرادها والمجتمع بأسره، وهنا نلقي الضوء على لمحة من تاريخها ونشأتها وأهم وظائفها.

---

[27] البيهقي، *أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي*، شعب *الإيمان*، تح: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض 2003م، باب: ما ينبغي للمرأة المسلم أن يحفظ لسانه، الرقم (4764)، 125/7.

1.3.1. تاريخ الأسرة ونشأتها

هناك رأيان في أصل تأسيس الأسرة وتكوينها: الأول: رأي أهل الدين، والثاني رأي معتقد أهل الطبيعة.

أولا: من الناحية الدينية وهي معتقد أهل الأديان السماوية الثلاثة؛ اليهود والنصارى والمسلمين، أن سكان سطح الأرض ولاسيما من نوع الإنسان بغض النظر عن معتقداتهم وهوياتهم كلهم تعد من أسرة سيدنا آدم عليه السلام، فأول أسرة ظهرت على كوكب الأرض من جنس البشر هي أسرة نبي الله آدم عليه السلام، وكان تكوين هذه الأسرة ونشأتها من البداية في الجنة كما قال الله عز وجل ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ...﴾ (البقرة 35/2) وهي مكونة من زوج وزوجة فقط هما: آدم وحواء عليهما السلام، وخلقا بإرادة الله تعالى وأمره، فمن البداية خلق الله تعالى آدم من تراب بلا أب ولا أم، ثم خلق منه زوجه حواء ليسكن ويؤنس إليها، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إليها...﴾ (الأعراف، 189/7)، وليس هناك دليل على أن التقاء آدم بحواء في الجنة وأنتجا ذرية، بل الدليل على أنهما كانا في الجنة بلا ذرية وهبطا كلاهما إلى الأرض بأمر من الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ...﴾ (طه، 123/20) قال ابن كثير(ت:1373هـ) في تفسير هذه الآية: الخطاب لآدم وحواء وابليس بالهبوط من الجنة إلى الأرض، فلهذا قال الله تعالى اهبطا أي انت يا آدم وزوجك إلى الأرض بسبب مخالفة الله تعالى وجميعاً أي: أنتما مع إبليس الذي هو سبب إغوائكما، والتي تؤيد هذا الرأي آية أخرى في القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى في مخالفة سيدنا آدم وزوجه حواء لأمر الله تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ...﴾ (طه، 121/20)، وردت كلمة "فأكلا" بالمثنى وهذا لا يدل إلا على الاثنين، المقصود بهما سيدنا آدم وزوجته حواء، ففي كل الأحوال وحسب الأدلة أن ذريتهما أنتجت في الدنيا بعد الهبوط وتكاثر البشر وازداد عدد الأسر حيناً بعد حين.[28]

---

[28] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، *تفسير القرآن العظيم*، تح سامي بن مُحَمَّد سلامة، دار طيبة، الرياض، 1999م، 322/5؛ عطية صقر، *موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام* 49/1 ؛ شيرين زهير أبو عبدو، *معالم الأسرة المسلمة في القرآن الكريم*، رسالة ماجستير، جامعة الإسلامية، بغزة، كلية أصول الدين، قسم التفسير، سنة 2010، ص6.

وهنا يتبين أن أسرة سيدنا آدم تعتبر أول أسرة في التاريخ، وكل الأسر قديماً وحديثاً ولاحقاً ترجع إلى الأسرة الأم والأصل وهي أسرة آدم عليه السلام، ثم تكاثر الخلق جيلاً بعد جيل وازدادت عدد الأسر في الأرض.

ثانيا: نظرة أهل الطبيعية لأصل الأسرة وفيها رأيان، الأول: لدى علماء الطبيعة الذين يعتقدون بأن أصل الوجود هو الطبيعة وليس له الخالق الموجد كأمثال: "تشارلز روبرت داروين"(ت:1302هـ) وأتباعه، وهم يقولون بتسلسل الأنواع والتطور والترقي، بأن أصل الأسرة كان هو الإباحة العامة والفوضى الجنسي بين الرجل والمرأة بلا اعتبار لأي قيم؛ من الأخلاق والأدب والعفة، بأن الذكور كيفما ومتى شاء يتصل بأي أنثى بلا قيود وحدود، فالدافع الجنسي بين الجنسين هو الأصل لتكوين الأسرة.[29]

والثاني: بأن أصل الأسرة كان دافعها اقتصادي أو ضعف المرأة لدى رغباتها المادية، فهم يرون أن المرأة ضعيفة وهي بحاجة إلى من يساعدها ويلبي حاجتها مادياً ومعنوياً، وما هو بمثابة هذه التلبية هو الجنس المقابل لها وهو الرجل، وكان الرابط بينهما الشهوة، وعن هذا الطريق نشأة الأسرة، ومن أصحاب هذا الرأي والفكرة (أنطوان فرانسوا بريفو) (ت 1763).[30]

وكلا الرأيين مردودين، ولا شك أنَّ كلا الرأيين باطلين ولا أصل لهما لا عقلياً ولا منطقياً، وهما افتراء على البشرية.

2.3.1. وظائف الأسرة

وعلى الرغم من التغيرات والتأثيرات التي جرت على مهام الأسرة ووظيفتها أمام الأبناء والأجيال، وإيجاد بديل لها، كتأسيس بعض المنظمات ومؤسسات التعليم والتربية والتنمية والتهيئة للأجيال، ويحسب أن تلك المؤسسات بديلة الأسرة للمجتمع، لكن شتان بينهما، ولاتزال الأسرة تقع على عاتقها الوظائف الأساسية لأفرادها وللمجتمع، ومن أهم تلك الوظائف التي لابد للأسرة أن تقوم بها هي:

أولا: الوظيفة البيولوجية:

وهي الوظيفة الأولى والمقصد الأسمى من الزواج، ويقع على عاتق الأسرة مهمة الإنجاب، والمحافظة على النسل واستمراريته بشكل صحيح وسليم ضمن قدراتها وإمكانياتها، ولا يكون هذا

---

[29] عطية صقر، *موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام* 50/1.

[30] عطية صقر، *موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام* 50/1.

الا عن طريق الزواج الشرعي للحفاظ على النوع، وتقديم جيل سليم وبعيد عن الأمراض والمشاكل الوراثية، مع توفير الرعاية الجسدية والصحية والمسكن والغذاء، ففي القرآن الكريم بيَّن الله سبحانه وتعالى هذه المهمة الأسرية وذكرها بشكل جلي وجعلها من جملة نعمه ومنته على الإنسان، حيث يقول الله عزَّ وجل: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ (النحل، 72/16).

فالشعور بنعمة الأولاد لا تكون إلا عن طريق الزواج، ولا يشعر الإنسان بهذه النعمة تماماً، ولا يكون مرفوع الرأس إلا عن هذا الطريق الحق العفيف، فلولا الزواج والأسرة لم تخلق الرحمة والمودة والتوقير والاحترام بين الآباء والأولاد.

فالأولاد والأحفاد حينما يوقرّون الآباء والأمهات ويشفقون عليهم، كل هذا بسبب الزواج والرابط الأسري.[31] ويقول أبو حامد الغزالي(ت:505هـ)، عن المهام الأسرية ووظيفتها: "والمقصود إبقاء النسل وأن لا يخلو العالم عن جنس الأنس."[32]

ثانيا: الوظيفة النفسية:

الزواج الشرعي هو من أهم وأقوى الوسائل التي تهيء الراحة والطمأنينة لدى الإنسان، فلا يستطيع الإنسان أن ينال هذه الراحة والطمأنينة خارج دائرة الزواج، لأنها هي حقيقة لا ريب فيها، وشيء قطعي مذكور في القرآن الكريم، لقد بين الله تعالى تلك الحقيقة في أكثر من آية، فمنها قوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ (النحل 80/16)، وأيضا قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إليها﴾ (الروم، 21/30)، فهنا تأتي وظيفة الأسرة ومهمتها وهي توفير الإحساس بالأمان والراحة النفسية والاستقرار لدى أفراد العائلة كلهم بالعدالة والتوازن، وإبعادهم عن جو القلق والخوف والتهميش والإهمال أو الاهتمام بالبعض دون الآخرين، أو زيادة الحنان وتلبية حاجات البعض دون الآخرين أو على حسابهم، لأن أفراد الأسرة اذا أحسوا بهذا الفراغ النفسي من الإهمال والإبعاد لدى أصحابها، يلجؤون إلى بديل أو

---

[31] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000م ص444؛ طنطاوي، محمَّد سيد طنطاوي، *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، 198/8.

[32] الغزالي، أبو حامد محمَّد بن محمَّد، *احياء علوم الدين*، دار المعرفة، بيروت، 24/2؛ زريفة، رشا بسام إبراهيم، *عوامل استقرار الأسرة في الإسلام*، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية نابلس، فلسطين، سنة، 2010، ص 32.

مكان آخر لتحصيل ما لم ينالوه، وهذا سبب لتفريق الأسرة وتشتيتها وضياع الأولاد وكثرة المشاكل، ومنها سرعان ما يتسرب إلى المجتمع والأمة، وحينها لا تبقى قيمة للأسرة.[33]

ففي الآية السابقة بين الله تعالى بكامل الوضوح أن المقصد من الزواج وتكوين الأسرة الشرعية هو: السكن والمودة والراحة النفسية لجميع أفراد الأسرة لا للزوج والزوجة فحسب، بل لكامل الأسرة؛ لأن الأسرة مكونة من الأصول والفروع وكل واحد منهما مكمل الآخر.

ثالثا: الوظيفة التربوية الأخلاقية والاجتماعية

الأسرة هي الملاذ الأول والعامل الأهم التي ينتمي إليها أبناء الأسرة ويفتخرون بها، وهي شعور أساسي لا يستغني عنه أي إنسان، وهي المدرسة الأولى والمؤثرة والراسخة في نفوس الأولاد، فكل الأخلاق بغض النظر بحسنها وقبحها، وطبيعة التعامل لدى أفرادها مع كلِّ من حولهم تنبع من هذا النبع، وهي الموجه الأول لأبنائها إلى طرق الحياة القويمة، وسلوك طريق الأخلاق، ومسار التعامل مع من حولهم من الناس، فلهذا ينبغي أن تكون الأسرة موطن سكن وهدوء وراحة لأفرادها عملاً بقوله تعالى ﴿لِتَسْكُنُوا إليها﴾ (الروم، 21/30) وأصحابها ولاسيما كلا الأبوين، فعليهما أن يكونوا حذرين من سلوكهم وتوجيهاتهم لأبنائهم وأفراد الأسرة، لأنهم مرآة لهم، فعليهم أن يوجِّهوا الأبناء نحو الخير والصلاح، وأن يخلِّقوهم بأخلاق فاضلة، ويعلموهم حسن المعاملة مع المجتمع، لأنهم في النتيجة: هم الفخر أو الخجل والعار الذي سينعكس عليهم، ليصبح الأولاد نسخة عنهم. لقد أكد علماء النفس أن الولد أو أي فرد من أفراد الأسرة مقلد لكثير من سلوكيات الأبوين بالفطرة والطبع بلا تكلف، لأنه فرع منهما ومتأثر بهما بلا شك، لأن الطفل كورقة بيضاء أول ما يكتب عليه يبقى آثاره عليها، فإن كان سلوكهما وسيرتهما حسنة من الناحية الأخلاقية والتربية والاجتماعية فلا شك أن الولد يندفع نحو الخير، وإلا فسوف يندفع نحو الشر، إن مثلا صالحاً يغني عن ألف نصيحة.[34]

ولو التفتنا إلى الآية مراراً وتكراراً لا نرتوي من ماء بركاتها ولا ننتهي من فهم عجائبها، وكل الفخر للإنسان المسلم أن يكون دائماً على مائدة القرآن ويلتزم بدستور الحياة، ليرسم حياته

---

[33] عطية صقر، *موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام* 47/1؛ أبو عجيلة، المبروك المدنيني، *وظائف الأسرة والتدخل المهني للخدمة الاجتماعية*، بحث في كلية الآداب جامعة طرابلس، في مجلة كليات التربية، العدد2، يوليو 2021م، ص 9؛ زريفة، رشا بسام إبراهيم، *عوامل استقرار الأسرة* ص34.

[34] القرشي، باقر شريف، *نظام الأسرة في الإسلام*، دراسة مقارنة، دار الأضواء، بيروت 1988م، ص133.

بهدى القرآن، لو تمعنا من زاوية أخرى لهذه الآية الكريمة ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إليها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً..﴾ (الروم، 21/30) لرأينا شعاع أنوارها لنا، وتلقننا درسا آخراً، يرشدنا إلى شاطئ الأمان، والراحة والفوز العظيم، اللام هنا (لتسكنوا..): للعلة يعني علة الزواج ومقصد الزواج السكن والهدوء والراحة لجميع أفراد الأسرة، ومتى وصلت الأسرة إلى الراحة والسكينة يصل المجتمع إلى تلك النعمة، لأن الأسرة مؤثرة تأثيراً مباشراً على المجتمع خيرا أو شراً ولا ينفصل أحد عن الأخر، لأنه في النهاية المجتمع أسرة كبيرة، ومكون من أسر صغيرة، فعندما تنمو المودة والرحمة والأخلاق والسلوك الحسن في البيت لدى أصحابها وبالأخص بين الوالدين، سيصبح البيت سكنا آمنا لأفرادها، لا ينفر أحد منه، ولا يلجأ إلى ملاذ آخر، وهذا السكن والهدوء في النهاية يتجاوز ويتسرب إلى المجتمع والأمة جميعا.[35]

فصلاح الأولاد مرتبط بصلاح الآباء والأمهات وسلوكياتهم، وبمدى صحة تلقين أولادهم دروس الأخلاق والتعامل الاجتماعي السليم، وكما تدين تدان، وصلاح المجتمع بلا شك مرتبط بصلاح الأسرة وطرق توجيهاتها سلباً وإيجاباً، لأن المجتمع أو الأمة أسرة كبيرة لا تخلو عن أسر صغيرة مؤثرة فيها.

4.1. تعريف المقاصد

إنَّ مقاصد آيات الزواج أو الأسرة في القرآن الكريم، هي من أهم ما نلقي عليه الضوء في هذه الدراسة، ولذلك اقتضى الموضوع منذ البداية أن نتعرف على معنى المقاصد من حيث اللغة والاصطلاح لكي نكون على بينة من معانيها في دراستنا.

1.4.1. تعريف المقاصد لغة

المقاصد على وزن مفاعل، وهي جمع مَقْصِد، والمَقْصِد مصدر ميميٌّ، ويرجع أصل هذه الكلمة إلى مادة "ق ص د" وترجع إليها جميع اشتقاقات هذه الكلمة.

يقول ابن فارس(ت:395هـ)، صاحب معجم مقاييس اللغة: القاف والصاد والدال أصول ثلاثة يدل أحدها على إتيان الشيء وأمِّه، والآخر على اكتناز في الشيء، فأصلها: قصدته قصداً ومقصداً، ومن الباب أقصده السهم: أي إذا أصابه السهم، فقُتِل مكانه.[36]

---

[35] محمَّد السيد ماضي، *موسوعة هدايات القرآن*، مكتبة التقوى، سنة 2021م، 118/7؛ زريفة، رشا بسام إبراهيم، *عوامل استقرار الأسرة*، ص 36؛ عطية صقر، *موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام*، 46/1؛ أبو عجيلة، المبروك المدنيني، *وظائف الأسرة والتدخل المهني للخدمة الاجتماعية*، ص 10.

[36] ابن فارس، *معجم مقاييس اللغة*، 95/5.

وفي اللغة وردت كلمة القصد ومشتقاتها بعدة معان مختلفة لكنها متقاربة، ومنها ستة ذكرت في القرآن الكريم كما هي:

أولاً: كلمة "مقتصدة" في قوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾ (المائدة، 66/5)، بمعنى فرقة عادلة متوسطة بين الإفراط والتفريط.[37]

ثانياً: كلمة "قاصِد" في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ﴾ (التوبة، 42/9) وهذه بمعنى التوسط بين القريب والبعيد.[38]

ومنه قولهم: "بيننا وبين الماء ليلة قاصدة هينة السير لا تعب فيها ولا بطء".[39]

ثالثا: كلمة "قَصْد" في قوله تعالى ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ (النحل،9/16)، هنا بمعنى مستقيم، كأنه يقصد الوجه الذي يؤمُّه الطريق.[40] ويقال: طريق قاصد أي سهل مستقيم.[41]

رابعا: كلمة "واقصد" في قوله تعالى ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ (لقمان،19/31) بمعنى أمشي مشياً متوسطاً، لا بطيئاً مثبطا ولا سريعاً مفرطاً.[42] ومنه ورد في الحديث عن جابر بن سمرة ﷺ قال: كنت أصلي مع النبي ﷺ "فكانت صلاته قصداً و خطبته قصداً".[43] أي متوسطاً.

خامسا: كلمة "مقتصد" في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ (لقمان،32/31)، بمعنى: الطريق المستقيم لا يعدل عنه.[44]

سادسا: أيضا كلمة "مقتصد" نفس الكلمة التي وردت في سورة لقمان، وردت في سورة فاطر لقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾(فاطر،32/35)، هنا أيضا بمعنى التوسط في الأعمال بفعل الواجبات وبعض المكروهات، ويترك المحرمات وبعض المستحبات.[45]

---

[37] الآلوسي، محمود الآلوسي أبو الفضل، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 185/6.

[38] الآلوسي، *روح المعاني* 106/10.

[39] ابن منظور، *لسان العرب*، 353/3؛ الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، *تاج العروس من جواهر القاموس*، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، القاهرة، 43/9.

[40] الآلوسي، *روح المعاني* 103/14.

[41] ابن منظور، *لسان العرب*، 353/3؛ الزبيدي، *تاج العروس من جواهر القاموس*، 36/9.

[42] ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم* 339/6.

[43] مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، *الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم*، دار الجيل بيروت، الرقم 866، 591/2.

[44] الآلوسي *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، 106/21.

[45] ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم* 546/6.

في جميع ما ورد في القرآن الكريم من مشتقات كلمة "قصد" نأخذ منها من حيث اللغة معنيان وهما: القرب والوسطية.

2.4.1. تعريف المقاصد اصطلاحا

يعرف مصطلح المقاصد بما يضاف إليه من مصادر، ففي الغالب يضاف إلى الشريعة وهي الأكثر نسبة بإضافته إلى القرآن الكريم، على الرغم من كون مقاصد القرآن أعم وأشمل من مقاصد الشريعة، فمقاصد القرآن هي الأصل ومقاصد الشريعة، هي فرع وتابع للقرآن الكريم، والعلماء القدامى لم يعرفوا مقاصد القرآن، وإنما اكتفوا بالإشارة إلى ما تحققه الأوامر من جلب المنافع، والنواهي؛ من دفع المفاسد، وهذا الأمر متعلق بآيات الأحكام والتشريع في القرآن الكريم دون غيرها من الآيات.

ولكن من التعريفات الاصطلاحية المناسبة للمقاصد، والتي تشمل مقاصد القرآن الكريم ومقاصد الشريعة أيضاً، –ولا ريب أن الشريعة مستنبطة من القرآن الكريم وتابعة له، وغايتها ترجع إلى غاية القرآن العظيم، ولكن بينهما العام والخاص، فمقاصد القرآن أعم من مقاصد الشريعة– هي كالآتي:

- قال العز بن عبد السلام (ت: 660هـ) في تعريف مقاصد القرآن: مقاصد القرآن هو الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها.[46]

هذا التعريف إشارة إلى المقاصد العامة في الإسلام وهي جلب المنافع ودرء المفاسد، وهو قريب من تعريفات كثير لعلماء المقاصد والشريعة.

- وقال عزالدين بن سعيد بن كشنيط الجزائري في تعريف مقاصد القرآن: هي المعاني الغائية التي اتجهت إرادة الله إلى تحقيقها من إنزاله القرآن على المكلفين في الدارين.[47]

وهذا التعريف أيضا ليس جامعاً ومانعاً لمقاصد القرآن، لأنه مقيد بقيد "الغائية" وهذا حصر لبعض مجالات القرآن الكريم.

---

[46] عزالدين بن عبدالعزيز بن عبدالسلام، *قواعد الأحكام في مصالح الأنام*، تح: محمود بن التلاميد الشنقيطي، دار المعارف بيروت، 7/1.

[47] الجزائري، عزالدين بن سعيد الكشنيط الجزائري، *أمهات مقاصد القرآن*، دار مجدلاوي، عمان 2011، ص 59.

- وعرَّف عبدالكريم حامدي مقاصد القرآن بقوله: "مقاصد القرآن هي الغايات التي أنزل القرآن لأجلها تحقيقاً لمصالح العباد".[48]

- وعرف وصفي عاشور أبو زيد مقاصد القرآن بقوله: "هي لون من ألوان التفسير، يبحث في كشف المعاني والغايات التي يدور حولها القرآن الكريم جزئياً أو كلياً، مع بيان كيفية الإفادة منها في تحقيق مصالح الناس".[49]

ولعل هذين التعريفين الأخيرين هما الأقرب إلى بيان معرفة كلمة مقاصد القرآن بأن المراد من مقاصد القرآن الكريم هو: الكشف عن مراد الله تعالى في القرآن العزيز وآياته ومواضيعه ومنها: موضوع دراستنا وهي "الأسرة" ففي هذه الدراسة بإذن الله تعالى نتجه هذا الاتجاه قدر الإمكان، وهو بيان منهج القرآن الكريم للحياة الأسرية، وإظهار غاية الله تعالى ومراده في هذا المنهج المذكور من آيات القرآن الكريم مستنداً على التفاسير المعتبرة وفهم العلماء أكثر وضوحاً لبلاغة القرآن وبراعته وعظيم منهجه.

5.1. نبذة عن مراحل التفسير، ونشأة التفسير المقاصدي، وأبرز التفاسير التي اعتنت بهذا النوع من التفسير وأنواعه وأهميته ومقوماته

1.5.1. مراحل التفسير

لقد مرَّ التفسير بمراحل كثيرة حتى وصل إلى الصورة التي هي عليها الآن؛ من الموسوعات والتصانيف والاتجاهات التفسيرية، ومن أهم وأبرز تلك المراحل هي المراحل الثلاثة الآتية:

المرحلة الأولى: التفسير في عهد الرسول ﷺ وأصحابه الكرام ﷺ:

تسمى هذه المرحلة مرحلة التفسير بالمأثور، ومن المعلوم أن الرسول -ﷺ- فهم القرآن جملة وتفصيلاً بوحي من الله سبحانه وتعالى، ودلت على هذا الآية الكريمة ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (القيامة، 75/17- 18- 19)، والرسول

---

[48] عبدالكريم حامدي، *مقاصد القرآن من تشريع الأحكام*، دار ابن حزم، 2008، ص29.

[49] أبو زيد، وصفي عاشور، *التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم*، بحث مقدم في مؤتمر فهم القرآن بين النص والواقع، الجزائر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، كلية أصول الدين، سنة 2013م، ص7.

ﷺ مكلف بتفسير القرآن، وتفسير ما يشكل فهمه على الصحابة كما قال الله عزَّ وجل ﴿... وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل، 16 /44).

والصحابة ﷺ كانوا متفاوتين في الفهم لكن بسليقتهم العربية ولهجتهم الفصيحة، كانوا يفهمون القرآن من حيث الجملة، أما من حيث التفصيل وما خفي عليهم من دقائق القرآن ومعاني الآيات فلا بد لهم من الرجوع إلى مَن أُنزل عليه القرآن وكلف بالبيان وهو الرسول ﷺ، ثم أصبحوا أصحاب آراء مستقلة في تفسير القرآن كما أصبحوا مدرسة لمن بعدهم من التابعين وبالأخص الخلفاء الأربعة وهم: أبوبكر وعمر وعثمان وعلي ثم عبدالله بن عباس وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبي بن كعب ﷺ.[50]

المرحلة الثانية: التفسير في عهد التابعين:

بعد عصر الرسول ﷺ والصحابة ﷺ في القرن الأول- الذي يعتبر في التاريخ من خير القرون- يأتي القرن الثاني لعصر التابعين الذين أخذوا التفسير، وما خفي عليهم من فهم القرآن من أعلام الصحابة، الذين ذاع صيتهم وشهرتهم بالفهم الواعي للقرآن وتفسيره، لأنهم صاحبوا الرسول ﷺ وعاشوا معه في زمن التنزيل وأسبابه وكيفية بيان الرسول لهم ما أُشكل عليهم من القرآن، وما لم يصل إلى علمهم من التابعين شيء من تفسير الرسول ﷺ أو الصحابة ﷺ كانوا يجتهدون بما فتح الله عليهم من فهم لآيات القرآن الكريم، وهم أيضا لم يفسروا القرآن كله وإنما فسروا ما أُشكل عنهم وخفي مقصده على معاصريهم، ثم تزايد هذا الغموض بشكل تدريجي، كلما بعد الناس عن زمن الرسول ﷺ، فازداد الناس حاجة إلى تفسير القرآن أكثر، ومن أشهر المفسرين من التابعين الذين تتلمذوا على يد أشهر المفسرين من الصحابة وهم: أصحاب ابن عباس ﷺ كمجاهد (ت: 104هـ)، وعطاء بن أبى رباح (ت: 114هـ)، وعكرمة مولى ابن عباس (ت:105هـ)، وطاووس ابن كيسان (ت:106هـ)، وسعيد بن جبير(ت:95هـ)ﷺ وأمثالهم، ومن أصحاب ابن مسعود ﷺ زيد بن أسلم (ت:136هـ)، الذى أخذ عنه الإمام مالك(ت:179هـ) التفسير، وأخذ عنه أيضاً ابنه عبد الرحمن، وعبد الله بن وهب ﷺ (ت:197هـ).[51]

---

[50] الذهبي، محمد حسين الذهبي، *التفسير والمفسرون*، مكتبة وهبة، القاهرة، 1/29،28.

[51] الذهبي، *التفسير والمفسرون* 1/ 77،76؛ الحراني، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، *مجموع الفتاوى*، تح: أنور الباز، دار الوفا، الشارقة، 2005، 13/347.

المرحلة الثالثة: مرحلة التدوين:

بدأت من حيث الزمن أواخر العصر الأموي وبداية العصر العباسي، وفي هذه المرحلة دوِّن التفسير لكن ليس بصورة مستقلة وكاملة لجميع سور وآيات القرآن من البداية إلى النهاية، بل قام جمع من كبار تابعي التابعين، ومنهم: يزيد بن هارون السلمي (ت: 117 هـ) وشعبة بن الحجاج (ت: 160هـ) وسفيان بن عيينة (ت: 198هـ) وغيرهم بجمع الأحاديث وتدوينها، ومن ضمن تدوين الأحاديث وأبوابه أيضاً بوَّبوا للتفسير باباً مستقلاً أسموه "باب التفسير" حيث ذكروا فيه ما روي عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين ﷺ من تفسير بعض الآيات، واستمرت هذه المرحلة، وأخذت هذا المسار حتى أواخر القرن الثاني وبداية القرن الثالث، ثم نهج بعد ذلك ثلة من العلماء منهجاً آخر وهو تدوين التفسير بشكل مستقل وأخرجوه من بطون كتب الأحاديث وانفصل عن الحديث، وكتبوا التفسير وفق ترتيب آياته وسوره ـ حسب ترتيب المصحف ـ وأصبح علماً مستقلاً قائماً بذاته، وأنجز ذلك طائفة من العلماء منهم ابن ماجة صاحب السنن (ت:273هـ) وابن جرير الطبري (ت:310هـ) وأبو بكر بن المنذر النيسابوري (ت:318 هـ) وغيرهم من أئمة التفسير، وكانت تلك المرحلة كلها مروية بالإسناد إلى رسول الله ﷺ وإلى الصحابة والتابعين ﷺ.[52]

تمَّ توجيه الاهتمام في القرون الثلاثة الأولى إلى القرآن الكريم من قبل كبار المسلمين من الصحابة والتابعين وتابعيهم بالحفظ والفهم والتدوين والعمل به وهو الأهم والأولى، لقد كانت حياتهم تسير وفقًا لما أقرَّه القرآن، وطبقوا تعاليمه، حسب ما فهموها.

2.5.1. التفسير المقاصدي ونشأته

التفسير المقاصدي:

هو الغاية الأسمى والأعلى والمطلوبة في القرآن الكريم كله، ولعل أنسب وأدق تعريف للتفسير المقاصدي كما ذكرناه سابقاً هو تعريف وصفي عاشور أبو زيد في كتابه حيث يقول: "هو نوع من أنواع التفسير للقرآن الكريم، لكن الشيء الذي يميز هذا النوع هو أنه يلقي الضوء ويركز أكثر على كشف الغايات والحكم التي أنزل القرآن لأجلها ويدور حولها القرآن الكريم كلياً أو جزئياً، مع بيان طريقة الوصول إلى الإفادة منها لتحقيق مصالح الناس".[53]

---

[52] القطان، مناع القطان، *مباحث في علوم القرآن*، مكتبة المعارف، 2000م، ص 8؛ الزرقاني، محمد عبد العظيم الزرقاني، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 31/1؛ الذهبي، *التفسير والمفسرون* 105/1،104.

[53] وصفي عاشور، *التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم*، ص8.

والتفسير المقاصدي للقرآن الكريم من حيث النشأة، فإن جذوره عميقة وتاريخه يرجع إلى خير القرون قرن خير البشر ﷺ، لأن هذا المسلك من تفسير القرآن وإبراز حقائق ومضامن السور والآيات القرآنية، من أسمى غايات نزول هذا الكلام الإلهي على أشرف البشر لخير الأمم، لأن أعظم مقاصد القرآن هو العمل به وأن نجعله إماماً ودستوراً للحياة، ولا يكون هذا إلا بعد الفهم الصحيح للقرآن الكريم ومعرفة مقاصده، وهذا النوع من تفسير القرآن الكريم هو الذي يحيلنا اليه القرآن الكريم نفسه في آياته الشريفة، حيث قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القرآن أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾(محمد،47 /24)، وقال عز وجل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القرآن وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء،82/4)، وقال الباري عزوجل: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(ص،29/38)، وبيان الرسول ﷺ لبعض الآيات وما فسَّره الصحابة أيضاً كانت على هذا المنوال، وفي عصر التدوين والكتابة اهتم العلماء بالمقاصد في مؤلفاتهم، وكان لنشأة علم الفقه وأصوله دور رفيع في نشأة المقاصد وإيضاح فكرتها من حيث أن علماء الأصول تناولوا مقاصد الشريعة باعتبارها جزء مهم من مقاصد القرآن، مثل إمام الحرمين الجويني (ت:478 هـ) في كتابه "البرهان في أصول الفقه" محمد الغزالي (ت: 505هـ) في كتابه "المستصفى في علم أصول الفقه" وفي كتابه "جواهر القرآن" رتب عنواناً بحصر مقاصد القرآن ونفائسه"، كما أشار العز بن عبد السلام (ت:660هـ) في كتابه "قواعد الأحكام في مصالح الأنام" بمقاصد القرآن حيث قال: ومعظم مقاصد القرآن الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها...".[54]

أما أهل التفسير فقد ذكروا غايات القرآن ومقاصد آياته و سوره بصورة عامة في تفاسيرهم بين الفينة والأخرى، فعبروا عنها بألفاظ مختلفة، واستعمل بعضهم كلمة المقاصد بشكل محدد في كتبهم، فعلى سبيل المثال مجد الدين الفيروز آبادي (ت:817 هـ) في كتابه "الدرّ النظيم، المرشد إلى مقاصد القرآن الكريم" وكذلك برهان الدين البقاعي (ت:885هـ)، في كتابه "مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور" وقال في مطلع كتابه "الحمد لله الذي أعلم سور الكتاب بما دلّ على مقاصدها أولو الألباب، ودلَّ بمقاصدها على تناسب جميع أجزائها من الطلاب..".[55]

---

[54] عبدالسلام، أبو محمَّد عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الملقب بسلطان العلماء، *قواعد الأحكام في مصالح الأنام*، تح: محمود بن التلاميذ الشنقيطي، دار المعارف بيروت، 7/1.

[55] البقاعي، ابراهيم بن عمر البقاعي، *مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور*، تح: عبدالسميع محمَّد أحمد حسين، مكتبة المعارف، الرياض، 97/1.

وقال أيضا: "فإن كل سورة لها مقصد واحد يدار عليه أولها وآخرها، ويستدل عليه فيها، فترتب المقدمات الدالة عليه على أتقن وجه، وأبدع نهج، وإذا كان فيها شيء يحتاج إلى دليل استدل عليه".[56]

فكل سورة في القرآن الكريم حتى أقصرها وإن كانت آياتها تتفرع وتتنوع وتتضمن موضوعات وأحكام متعددة، لكن في النهاية هي ترجع إلى المقصد العام في القرآن الكريم، فكأن القرآن الكريم كله جزء أو كلمة واحدة، لهذا فإن الله عزوجل تحدى المعارضين المعاندين أن يأتوا مثل القرآن ولو بسورة واحدة من حيث البلاغة والفصاحة.

3.5.1. التفاسير التي اعتنت بالتفسير المقاصدي

كما ذكرناه آنفا من حيث الأصل والتاريخ فإن هذا النمط من التفسير يعود إلى زمن النبي ﷺ والصحابة ثم التابعين ﷺ ومن جاء بعدهم من المفسرين، فذكر العلماء قرناً بعد قرن مقاصد القرآن بشكل جزئي في مؤلفاتهم من أصول الفقه وعلوم القرآن والتفسير إلى أن وصل إلى نوع من الاستقلال، ويمكن أن نقول: ظهر هذا النوع من التفسير وبرز واهتم به أكثر على أيدي بعض المفسرين المتأخرين في تفاسيرهم، ومن أبرز تلك التفاسير هي:

أولا: تفسير المنار

مؤلفه محمد رشيد رضا ولد سنة 1865 ميلادي وتوفي سنة1935، الكاتب الشهير والداعية المؤثر والمُفسِّر والمُحدِّث والأديب البارع، صاحب مجلة (المنار) أحد رجال الإصلاح والذي لازم محمد عبدة (ت: 1323هـ)، رشيد رضا صاحب تفسيرٍ لكن لم يكمله المسمى بـ "تفسير المنار".[57]

ذكر في هذا التفسير المقاصد العامة والأساسية التي يدعو القرآن إليها، وعنونها قائلا:

"مقاصد القرآن في ترقية نوع الإنسان وما فيه من تكرار"، والتفت في تفسيره إلى مقاصد القرآن وألقى الضوء عليها بحيث تتضح المقاصد في تفسيره، وقسَّمها إلى عشرة مقاصد رئيسة هي:

المقصد الأول: مقاصد الإصلاح الديني الذي يبنى على ثلاثة أركان أساسية، هي:

---

[56] البقاعي، مصاعد النظر *للإشراف على مقاصد السور*، 149/1.

[57] الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمَّد الزركلي، *الأعلام*، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، 126/6.

أولا: الإيمان بالله تعالى وبربوبيته وألوهيته، ثانيا: الإيمان بالبعث يوم القيامة والحساب والجزاء والثواب، ثالثا: العمل الصالح الذي يرتفع بالإنسان ويتقرب به إلى الله تعالى وينال به الثواب بالجنة والحفظ من النار.

المقصد الثاني من المقاصد الأساسية للقرآن: توضيح ما جهل به الإنس والجن من أمر النبوة والرسالة، ووظائف الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

المقصد الثالث: بيان حقيقة الإسلام بأنه دين الفطرة السليمة ودين إيقاظ العقل المفكر والمدبر، وتشجيع الناس على العلم والحكمة، والأخلاق السامية من الضمير والوجدان، وحرية الدِّين للبشرية جمعاء.

المقصد الرابع: ومن أسمى غايات القرآن الدفاع المصالح، وتحقيق الإصلاح الاجتماعي، والإنساني والسياسي، والذي يمكن له أن يتحقق بالوسائل التالية: وحدة الأمة، وحدة الجنس البشري، وحدة الدين، وحدة التشريع بالمساواة في العدل، وحدة الأخوة الروحية، وحدة الجنسية السياسية، وحدة القضاء، وحدة اللغة.

المقصد الخامس: القيام بالواجبات الدينية من العبادات، والامتناع عن المحظورات، من حيث كون غاياته وصول الإنسان إلى سعادة الدارين بتزكية الأنفس وصالح الأعمال ومكارم الأخلاق، وغاياته بيان حقيقة العبادات؛ بأنها تؤخذ من الكتاب والسنة، وتحقيق التآلف والتعاون الأخوي بين الناس، وتطهير القلوب فيما بينهم من الحسد والغش والخيانة والكيد والغيبة، وغاياته في بيان يسر الدين ورفع الحرج على الأمة.

المقصد السادس: توضيح سياسة الدولة من المنظور الإسلامي، من حيث أصوله وقوانينه وما تجري عليه السياسة، وأمور إدارة الدولة والحكم بين الناس وفقاً للشريعة الإسلامية كي لا تضيع العدالة ويتحقق العدل.

المقصد السابع: ومن مقاصد القرآن الكريم، إرشاد الناس إلى أمور الكسب الحلال من والأموال، وكيف تتحصلون عليها، وكيف تصرفونها.

المقصد الثامن: الجانب العسكري، وما يخصُّ الحرب، وكيف تديرونها إن وقعت، وكيف وتدفعون من خلالها الشر وأهله، وتجعلونها وسيلة لتعزيز السلام بين والمسلمين، وترسيخ مبادئ الإسلام، وكسر شوكة الأعداء وتحقيق السلام والأمن للبشرية جمعاء.

المقصد التاسع: تأمين جميع الحقوق الدينية والدنيوية للنساء وحفظها، وتوعية الرجال بما عليهم من واجبات تجاه النساء.

المقصد العاشر: تحرير العبيد، معلوم أن وقت نزول القرآن كانت البشرية مقسمة على قسمين: العبيد والأسياد، فالقرآن مهّد الطريق لتحرير الناس وإنقاذ البشرية من العبودية لغير الله سبحانه، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وتحرير الرقبة وجعلها عبادة وقرباً من الله تعالى، وتحريض المسلمين لتحرير الرقبة بالثواب العظيم يوم لقائه.[58]

ثانيا: النبأ العظيم و مدخل إلى القرآن الكريم:

مؤلفهما هو: محمد بن عبد الله دراز ولد سنة 1894 وتوفي سنة 1958 الميلادي، وهو مفسر فقيه، مصري أزهري، كان من هيئة كبار العلماء بالأزهر، وله مؤلفات قيمة منها: "النبأ العظيم" و"مدخل إلى القرآن الكريم".[59]

فالعلامة عبدالله درّاز له تلميحات وإشارات قيمة في كتبه حول المقاصد، فمثلا ذكر في كتابه "مدخل إلى القرآن الكريم": أن القرآن الكريم يدور حول ثلاثة مقاصد أساسية وهي: الحق أو العنصر الديني، الخير أو العنصر الأخلاقي، والجمال أو العنصر الأدبي، وفي كتابه: "النبأ العظيم" فهو تفسير موضوعي ومقاصدي لسورة البقرة، بيّن فيه المحاور الأساسية في تلك السورة وذكر مقاصدها وغاياتها التي ترمي إلى تحقيقها.[60]

والكتاب له ميزة خاصة في بيان مقاصد القرآن، وكشف درره، وأثناء القراءة يشعر القارئ بإخلاص الكاتب في كتابته، وتوفيقه من الله سبحانه وتعالى.

ثالثا: في ظلال القرآن:

مؤلفه هو: سيد قطب بن إبراهيم: مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية "موشا" في أسيوط سنة (1906م) وفي أواخر عمره اعتقل وظلَّ في السجن إلى أن صدر الأمر بإعدامه، فأعدم سنة (1967م) وله مؤلفات ومنشورات عديدة، ومن أبرزها تفسيره القيم "في ظلال القرآن".[61]

ففي هذا التفسير أبدع سيد قطب وتفنَّن فيه، ففي بداية كل سورة كان يُنقِّش لنا جمالية السورة، ويلفت أنظار القارئ إلى الخوض في السورة، وذكر المقاصد الأساسية فيها فمثلا: يقول

---

[58] رشيد رضا، محمّد رشيد بن علي رضا، *تفسير المنار*، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1990، 170/11.

[59] الزركلي، *الأعلام*، 246/6.

[60] وصفي عاشور، *التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم*، ص*15*.

[61] الزركلي، *الأعلام*، 147/3.

في صدر كل سورة: هذه السورة مقصدها الأساسي التوحيد، وهذه غايتها التوعية، وهذه الأخلاقيات، وتلك مقاصدها عن الآداب الاجتماعية، وتلك عن العبادات وهكذا.[62]

فهذا التفسير من أعمال سيد قطب في مجال القرآن الكريم، وابداء جماليات وكماليات كلام الله عزّوجل، ففي كل مجال من مجالات التفسير القرآني يفيدك بهذا التفسير.

رابعا: التحرير والتنوير:

مؤلفه هو: محمد الطاهر بن عاشور رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس.

ولد سنة (1879م) ووفاته سنة (1973م)، وعين عام(1932م) شيخاً للإسلام مالكياً، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، له مصنفات مطبوعة، من أشهرها "مقاصد الشريعة الإسلامية "و "أصول النظام الاجتماعي في الإسلام" و "التحرير والتنوير "في تفسير القرآن.[63]

فابن عاشور ذكر مقاصد القرآن بجلاء في تفسيره "التحرير والتنوير "حيث قال: إن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن لإصلاح الناس كافة رحمة لهم. يقول الله عزّ وجل ﴿وأنزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ (ابراهيم، 89/14) فالمقصد الأسمى منه إصلاح أحوال الناس الاجتماعية والفردية، ثم يفصلها في ثمانية مقاصد أساسية في القرآن الكريم وعنون لها بـ"المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لبيانها".

المقصد الأول: إصلاح الاعتقاد وهذا أعظم سبب لإصلاح الخلق.

المقصد الثاني: تهذيب أخلاق الفرد والمجتمع.

المقصد الثالث: التشريع الذي يتضمن الأحكام الخاصة والعامة.

المقصد الرابع: سياسة الأمة، ومقصدها في تنظيم أحوال الأمة.

المقصد الخامس: القصص وأخبار الأمة السالفة للدروس والعبر.

المقصد السادس: التعليم والحكمة والتدبر لترقية العيش وتقدم الأمة الإسلامية.

المقصد السابع: المواعظ والإنذارات، أو بمعنى آخر الوعد والوعيد.

المقصد الثامن: إعجاز القرآن الكريم ليكون برهاناً على صدق القرآن والرسالة والرسولﷺ.[64]

---

[62] وصفي عاشور، *التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم*، ص15.

[63] الزركلي، *الأعلام*، 174/6.

[64] ابن عاشور، *محمد الطاهر بن عاشور*، *التحرير والتنوير*، دار سحنون، تونس، 1997 م، 39/1.

4.5.1. أنواع التفسير المقاصدي

في التعريف السابق لوصفي عاشور: بأن القرآن الكريم يدور حول مقاصد كلية أو جزئية، بمعنى أن التفسير المقاصدي نوعان.

النوع الأول: التفسير المقاصدي الكلي أو العام:

وهو بيان الغايات والأهداف العامة، التي تجدها مبثوثة في القرآن الكريم طولاً وعرضاً، يقول عبدالكريم حامدي في تعريف مقاصد القرآن الكريم:

"هي تلك الأهداف العليا المحصلة من مجموع أحكام القرآن الكريم، والغايات التي أنزل القرآن لأجلها لتحقيق مصالح الناس"، [65] فالآيات التي تتحدث عن هذه المقاصد العامة كثيرة منها على سبيل المثال:

1. مقصد التوحيد وعبادة الله الواحد الأحد:

ففي قوله تعالى ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (1) أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (2) وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (3) إِلى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(هود، 11/1- 2- 3- 4).

2. مقصد الهداية للعباد:

قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (16)﴾ (المائدة،5/ 15- 16).

3. مقصد التزكية والأخلاق:

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(ال عمران،164/3).

4. مقصد السعادة والطمأنينة:

قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ القرآن مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (الإسراء،82/17).

5. مقصد اقامة الحق والعدالة:

---

[65] عبدالكريم حامدي، *مقاصد القرآن من تشريع الأحكام*، ص 29.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد، 57 /25).[66]

النوع الثاني: التفسير المقاصدي الجزئي أو الخاص:

هذا النوع من التفسير المقاصدي في القرآن الكريم كثير، لكنه ليس منثوراً في جميع القرآن الكريم، سوره وآياته، وإنما له نطاق محدد وزاوية معينة حسب فهم الشريعة، وهو أن القرآن الكريم في بعض آياته وسوره ركَّز وألقى الضوء على زاوية أو مجال من مجالات الحياة البشرية الدينية والدنيوية، وألمح غايتها ومقاصدها بتمعن وتدبر، بل وأحياناً كشف الستر عنها وذكرها بشكل واضح في مجالات العقيدة، والعبادات والمعاملات والأخلاق والتزكية والحدود والعقوبات، ومجال التعامل مع الزوج والأسرة ومن حولك من الأقارب والناس جميعاً، ومجال السياسة والتربية وغير ذلك.

فلو أخذنا عيّنة من هذه المجالات، وتأملنا فيها، لتبيَّن لنا حقاً أن القرآن الكريم بآياته وسوره، له مقاصد وأهداف لمصلحة البلاد والعباد بحيث يجعل الحكيم أمامه حيرانا.

فموضوع رسالتنا هذه مقاصد الحياة الأسرية في القرآن الكريم، لذلك كان من الأفضل أن نختار هذا المجال في القرآن ونلتفت إليه ونعرضه بتلخيص مقاصده التي هي الميثاق الغليظ والرباط المتين والسكينة والمودة بين الزوجين، وجميع أفراد الأسرة كما أشار القرآن الكريم في بعض آياته كما هي:

1- القرآن الكريم عدّ الزواج آية من آيات الله سبحانه وتعالى بمعنى أنه يجب فيه التأمل والتدبر قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إليها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم،21/30).

2- مشروع الزواج سكينة وطمأنينة للزوجين، فكل واحد منهم سكن للآخر كما قال الله تعالى: ﴿... وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إليها﴾(الأعراف،189/7).

3- المودة والرحمة بين الرجل والمرأة بسبب الزواج، قال الله عز وجل: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم، 21/30)، وغايتها استدامة الزواج وحفظ الأسرة من النقض.

---

[66] أبوزيد، وصفي عاشور، *نحو تفسير مقاصدي للقرآن الكريم*، مفكرون الدولية للنشر والطباعة، 2018، ص 22؛ وصفي عاشور، *التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم*، ص6.

4- بسبب مشروع الزواج يكون الزوج لباساً لزوجته والزوجة لباساً له كما في قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ (البقرة،187/2) واللباس: حصن حصين أي بمعنى حصن العفة والشهامة والعزة والكرامة والأخلاق والطهارة لهما.

5- إنَّ من أهمِّ غايات الزواج النمو والبركة، ولكن كيف يكون ذلك!؟ القرآن شبه الزوجة بالحرث حيث يقول ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ (البقرة،223/2)، فكما تكون الأرض فيها النمو والرزق، وعليها حياة الإنسان، فكذلك المرأة فيها البركة والنمو وهي سبب أساسي لعمران الأرض وكثرة ذرية آدم، وفيها حكمٌ شرعي لمفهوم المخالفة للآية بأن إتيان المرأة لا يجوز الا في المكان الذي هو الحرث، وفيه النمو وسبب لازدياد النسل البشر.

6. ومن مقاصد الزواج الذي هو ركن الأسرة الميثاق الغليظ، تقول الآية: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾(النساء،21/4). وقد سمى الله عز وجل عقد الزواج بالميثاق وليس الميثاق فقط بل الميثاق الغليظ، ولا يوجد في الإسلام عقد بين الشخصين يسمى بالميثاق الغليظ الا عقد الزواج، وقد سماه الله عزَّ وجل بنفسه وليس هذا إلا لأهمية الزواج، فكلمة الميثاق فيها القوة والربط والتشابك فهيهات هيهات عن التفكك والتحلل.[67]

5.5.1. أهمية التفسير المقاصدي

عندما نعرف أسباب الأقدار يطمئن القلب وترتاح النفوس، ونفهم القضية أكثر، وكذلك أيضا التفسير المقاصدي للآيات نفهمها ونتلذذ بمعانيها أكثر، والتفسير المقاصدي للآيات يتحفنا تلك اللذات ومنها اللذة الروحية وانتعاشها وهي:

أولا: معرفة مقاصد الآيات والتأمل فيها وسيلة جاذبية إلى تقوية الإيمان بالله عزّوجل، والفهم والتدبر أكثر من حكمة الباري عزوجل، فيما أراد وفيما يريد، وطريق قصير إلى فهم الصحيح من الشريعة، وضوء لامع لتنوير القلب وانشراحه.

يقول المناوي (ت: 1031 هـ) عن حال الذي ظهرت له المقاصد: الذي يعبد الله تعالى بتنفيذ ما أمر به والاجتناب عما نهي عنه بعد كشف الستر له وانجلاء الغايات، فهي العبادة

---

[67] وصفي عاشور، *نحو تفسير مقاصدي للقرآن الكريم*، ص 12-22.

المحضة الخالصة لله تعالى، وينشرح لها الصدر أكثر، ويعبد الله تعالى بقناعة وإيمان وتقوى، لأنه كالذي يرى بأم عينيه.[68]

ثانيا: معرفة مقاصد الآيات القرآنية من الطرق الصحيحة، ووسيلة قوية لفهم الرسالة القرآنية بلا إفراط ولا تفريط، وإنما هي التي أنزل القرآن لأجلها، قال الله تعالى: ﴿...القرآن هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ (البقرة،185/2).

ثالثا: معرفة المقاصد: وهي التي تعين القارئ على الفهم السليم للآيات وتدبرها وتأملها، وتذهب به إلى عالم الروحانيات كما أشار بها سبحانه وتعالى في هذه الآية: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا القرآن عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر، 21/59) الجبل مع صلابته وعدم عقله لا يتحمل كلام الله سبحانه وتعالى لو أنزل عليه، فكيف بالإنسان الضعيف العاقل اذا تدبر فيه وعقل مقاصده!!.

رابعا: معرفة مقاصد القرآن الكريم: وهو طريقٌ مُوصِلٌ إلى معرفة مقاصد السنة وفهمها، لأن السنة شارحة وموضحة للقرآن الكريم ومفصّلة ومبينة له.[69]

خامسا: مقاصد القرآن الكريم هي المعيار المهم للمفسرين في تفسيراتهم ومناهجهم التفسيرية، فبها يحفظ نفسه أكثر من الزلل والخلل، ويصون تفسيره من الزيادة والحشو والمعنى البعيد عن جوهر القرآن، وما لا يليق بماهية كلام الله تعالى، يقول رشيد رضا(ت: 1354هـ) معاتباً لمن خلط بين الصحيح والفاسد في تفسيره قائلا: "وما ورد في كثير من التفاسير بالمأثور ساتر للقرآن ومعانيه، ويذهب ذهن قارئه بعيداً عن المقاصد العالية والمطمئنة للقلب، وزُوِّدَ بالروايات الضعيفة والموضوعة سنداً، فنحن أكثر حاجة إلى تفسير يوضح لنا مقاصد الحقيقية، ويلقي الضوء على ما تتوجه إليه هداية القرآن وما نزل القرآن لأجله".[70]

إذاً التفسير المقاصدي غايته فهم المعاني القرآنية للسور والآيات القرآنية، وهذا الاتجاه من التفسير لآيات القرآن الكريم يقوي إيمان الإنسان بالله عزّ وجل وكتابه، ويجعل الإنسان أكثر تمسكاً بالقرآن الكريم، وأن يعيش حياته بتعاليم القرآن الكريم ومقاصده.

---

[68] المناوي، زين الدين محمّد المدعو بعبد الرؤوف، *فيض القدير شرح الجامع الصغير*، المكتبة التجارية الكبرى، 43/2.

[69] المصري، أحمد محمّد علي، *التفسير المقاصدي للقرآن الكريم (خلق الإنسان نموذجا)*، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، ص، 1693.

[70] رشيد رضا، محمّد رشيد بن علي رضا، *تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)*، الهيئة للكتاب، القاهرة 1990م، 10/1.

6.5.1. مقومات التفسير المقاصدي

من أراد أن يفسر القرآن الكريم بأي نوع من أنواع التفاسير، فعليه التمسك بزمام بعض الشروط والدعائم الشرعية، كي يكون تفسيره صواباً للقرآن الكريم، وبعيداً عن الزلات والخطأ والهفوات، والتفسير المقاصدي هو: كأي مدرسة من المدارس التفسيرية الأخرى التي تمتلك مقومات التفسير، فعلى المفسر الالتزام بها، ومن أهم تلك المقومات ما يلي:

أولا: اتقان فهم اللغة العربية:

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف،2/12)، وكذلك السنة النبوية المبينة للقرآن والشريعة الغراء التي مصدرها القرآن والسنة بلسان عربي مبين، إذاً فلا بد لفهم القرآن الكريم والسنة النبوية من تعلم اللغة العربية واتقان فهمها بجميع ألفاظها ودلالاتها واشتقاقاتها، ولما كانت معرفة اللغة العربية شرطاً أساسياً لمعرفة حقائق القرآن وفهم مقاصده، انطلق العلماء على ذلك من أنَّ تعلم اللغة العربية وإتقانها شرطا لا محالة فيه لتفسير القرآن الكريم وبيان مقاصدها وغاياتها.[71]

والشافعي(ت: 204هـ)، رحمه الله ذكر هذه الأهمية في كتابه "الرسالة" قائلا: "إن القرآن الكريم نزل بلغة العرب دون غيرها، ولا يعرف حقائق القرآن ولا يفهم مقاصده أحد جهل سعة هذه اللغة وكثرة دلالاتها وجماع معانيها".[72]

ثانيا: العمل بالقرآن والتدبر فيه:

لا شك أن العمل بالقرآن الكريم هو من أهم وأولى مقاصد القرآن، والسبيل الذي يصل الإنسان من خلاله إلى الآفاق القرآنية، والإنسان اذا عمل بالقرآن يُعَلِّمُهُ مالم يعلم، ويُنَوِّر له طريق العلم والعرفان وتأتيه الموهبة إلهيه والفيض من رحمته، وتظهر له غايات القرآن ومقاصده، وقال عز وجل:

﴿... وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾(البقرة،282/2) وكما قال عمر بن العزيز (ت:101هـ) عن هذه الحقيقة: "إنَّما قصَّر بِنا عن علمٍ ما جَهِلْنا تقصيرُنا في العملِ بما عَلِمْنا، ولَو عَمِلنا بِبَعضِ ما عَلمْنا لأَورَثْنا عِلْما لا تقوم به أبدانُنا "[73]

---

[71] السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين، *الإتقان في علوم القرآن*، تح: محمد أبو الفضل، الهيئة العامة، 467/2؛ علي المصري، التفسير المقاصدي للقرآن الكريم (خلق الإنسان نموذجا) ص 1696؛ وصفي عاشور، التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم ص18.

[72] الشافعي، محمد بن إدريس الشافعي، *الرسالة*، تح: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، ص، 50.

[73] القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن* (364/13).

ومن المقومات المهمة للتفسير المقاصدي مع العمل ب القرآن الكريم، والتي يجب توفرها في المفسر هي التدبر في القرآن والعيش معه، فبدون التدبر كيف نفهم القرآن!؟ وقال عز وجل مبيناً غاية نزول القرآن ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ص،29/8).

وقال الشاطبي (ت:790هـ) عن معنى التدبر وأهله ونتائجه وما يميزه عن الفهم السطحي للقرآن الكريم حيث يقول: "التدبر في القرآن الكريم للملتفتين إلى مقاصد القرآن وغاياته، ويعاتب الذين أعرضوا عن مقاصد القرآن يقول عنهم أنهم لم يتدبروا القرآن".[74]

إن الله سبحانه وتعالى: يريد من الإنسان أن يفهم القرآن فهماً حقيقياً، وأن تتجلى له الكنوز القرآنية وأنواره، كي يتلذذ بالعبادة أكثر ويتقرب إلى الله تعالى بالطريقة الفضلى، ولا يكون هذا إلا عن طريق التدبر، ولذا من لم يتدبر في القرآن فكأنما لم يفهم من القرآن البتة، وقلبه مقفول لا يدخل فيه القرآن كما قال الله عزّ وجل معاتبا الإنسان حينما لا يتدبر القرآن: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القرآن أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾(محمد،24/47).

وعندما سئل حسن البنا (ت:1368هـ)عن أفضل طرق التفسير وأقرب السبل إلى الفهم الصحيح للقرآن الكريم، أجاب قائلا: "قلبك، فلاشك قلبك من أفضل التفاسير للقرآن، وأقرب الطرق لفهم كتاب الله عزّ وجل، وينصح السائل أكثر حيث يقول:

لو يقرأ القارئ بتدبر وخشوع، وأن يجمع شوارد أفكاره وقت التلاوة، ويستعين بالسيرة النبوية الشريفة فسيرى في ذلك أكبر العون على الفهم الحقيقي والصحيح، وسيلقى أوضح الانفتاح أمام فهم كتاب الله تعالى وظهور مقاصد القرآن له".[75]

والقرآن الكريم مفتاح كل شيء، ومنور كلِّ درب، ولاسيما حينما تدبر الإنسان فيه، وفهم ثم عمل به، فذاك الوقت يعيش الإنسان طبقا للقرآن، ويموت بحسن الختام، ويبعث مرافقاً مع القرآن، لأن القرآن يرفع أقواماً إذا تمسكوا به وأقبلوا اليه، ويضع آخرين إذا هجروه وتركوه..

---

[74] الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن مُحَمَّد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، *الموافقات* (209/4)، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، القاهرة، 1997م.

[75] وصفي عاشور، *نحو تفسير مقاصدي للقرآن الكريم* ص67.

2. المنهج القرآني للحياة الأسرية

القرآن الكريم منهج متكامل لجميع زوايا الحياة الإنسانية، ومنها؛ الحياة الأسرة التي لا تقوم الحضارات ولا تدوم ولا تستمر البشرية إلا بها، فلهذا اهتم القرآن الكريم بها اهتماما بالغا ووضع لها منهجا متكاملا من لدن تأسيسها الى نهايتها، وفيه أهم القواعد والأصول والأسس التي تَهُمُّ بناء الأسرة المستقرة، وأبرز القرآن الكريم أهم المقاصد والغايات التي من أجلها تأسس الأسرة، وهنا قدر الإمكان نلقي الضوء على أهمية مكانة الأسرة في الإسلام مقارنة بغيره، ونحاول توضيح أهم تلك المناهج والسبل التي ينبغي أن يسير عليها مسيرة الحياة الأسرية، وبيان أهم المقاصد المنهج القرآني للحياة الأسرية والوقوف على ما استنبطه العلماء من قوانين و شروط و ضوابط في هذا المجال.

1.2. مكانة الأسرة وأهميتها في الإسلام

انطلاقاً من هذه القاعدة"إنما تعرف الأشياء بأضدادها"[76] تظهر مكانة الأسرة والاهتمام بها في الإسلام أكثر حينما نلتفت إلى الحضارات السابقة قبل الإسلام، والحضارات المعاصرة الغربية، كيف كان وضع الأسرة لديهم، وكيف تعاملوا معها، وما شعورهم ومواقفهم تجاهها وتجاه أفرادها؟.

1.1.2. الأسرة ما قبل الإسلام

كانت الأسرة قبل الإسلام تقوم على ظلم النساء والفتيات، وكنَّ آنذاك مهانات ومظلومات، فمثلا: إذا مات الرجل وترك زوجته فلولده من غيرها أن يتزوجها ويتحكم بها أو يمنعها من الزواج، فالرجال فقط هم من يرثون، ولكن ليس للنساء أو الأطفال الحق في الميراث، كذلك فإنَّ النظر إلى النساء كان في العرف الاجتماعي عاراً ومخزياً سواء أكانت أمًا أو بنتًا أو أختًا، لأنها حسب ظنهم تجلب العار لأسرتها، لذلك فإن الرجال يئدون بناتهم وهن رضيعات، كما يقص لنا

---

[76] أبو سعيد، عبدالرحمن بن مُحَمَّد، *الغنية في أصول الدين*، تح: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، 1987م، ص 170.

القرآن الكريم هذه الحالة المؤسفة المؤلمة: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾(النحل، 16/58-59)، يقول الآلوسي في تفسيره روح المعاني: "وكان بعضهم يغرقها، وبعضهم يذبحها إلى غير ذلك ".[77]

وردت في كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام قصة مؤلمة لرجل في الجاهلية يحكي لرسول الله ﷺ قصة بنته آنذاك قائلا: "يا رسول اللهﷺ، والذي بعثك بالحق ما أجد حلاوة الإسلام منذ أسلمت، وقد كانت لي في الجاهلي بنت وأمرت امرأتي أن تزينها وأخرجتَها، فلما انتهيت إلى وادٍ بعيد القعر ألقيتها، فقالت: يا أبي قتلتني! فكلما ذكرت قولها لم ينفعن شيء، فقال الرسول ﷺ: "ما في الجاهلية فقد هدمه الإسلام، وما في الإسلام يهدمه الاستغفار"[78]

2.1.2. الأسرة في الغرب المعاصر

تعتبر الأسرة في المجتمع الغربي من الأسر المفككة اجتماعياً نتيجة انعدام الروابط الاجتماعية والأسرية داخل تلك الأسر والمجتمعات، وغلبة النزعة الاستقلالية الفردية لدى المجتمع الغربي، مما انعكس سلباً على طبيعة العلاقة داخل الأسرة، حيث أسست عشرات المنظمات هنا وهناك لتعمل ليلا ونهاراً ويخططون لهدم الأسرة ومحوها من خلال تشجيع الشباب على الشذوذ الجنسي، والزواج المثلي، والتسهيل عليهم، وصرفهم عن الزواج الشرعي الذي شرعته الأديان السماوية، ففي الغرب لا يمكن للوالدين الحكم على أطفالهم، سواء فكرياً أو معنوياً أو اخلاقياً، فللابن أن يذهب أينما يشاء ومتى شاء أو يفعل ما يشاء ما لم يضر الدولة والأمن العام بنظرهم، وللفتاة أن تجلس مع من تريد وأن تمارس حريتها الشخصية مع من تشاء باسم الحرية والحقوق الشخصية، واذا كان الحال هكذا فكيف تكون النتيجة؟ لا ريب أن النتيجة هي أسرة مفككة، وأطفال ولدوا خارج رباط الزوجية، لا أولياء لهم ولا آباء يعترفون بهم، وتكثر تجارة البغاء بالنساء والولدان، يقول بعض الحكماء: إذا كنت تريد معرفة الحقيقة عن هؤلاء الناس، اذهب إلى السجون والمستشفيات ودور رعاية المسنين وكبار السن، لأن الأبناء لا يرون آبائهم إلا في العطل والمناسبات.[79]

---

[77] الآلوسي، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني* 408/7.

[78] علي، جواد، *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، دار الساقي، بيروت، ط: الرابعة 2001م، 92/9.

[79] عبدالحي القاسم عبد المؤمن عمر وآخرون، بحث بعنوان *دعائم السلام الاجتماعي في الأسرة المسلمة*، كلية الشريعة والقانون – جامعة المهدي –السودان سنة 2018، ص9؛ كاميليا حلمي محمد، *المواثيق الدولية وأثرها في هدم الأسرة*، أطروحة الدكتوراه، سنة =

وبعد سرد هذه المعلومات المختصرة المفيدة حول ظروف الأسرة قبل الإسلام وفي غير الإسلام في عالم العولمة، آن الأوان أن نلقي الضوء بالاختصار على مكانة الأسرة وكيفية اهتمام الإسلام بها.

3.1.2. الأسرة في الإسلام

عندما جاء الإسلام حرص على بناء الأسرة واستقرارها وحمايتها من الأذى والضياع، وهناك العديد من النصوص الثابتة القطعية الإلهية المتعلقة بالأسرة المسلمة، وهي من النعم التي أعطاها الله للإنسان أن يكون له أسرة تلازمها المودة والطمأنينة والسكينة والراحة في الحياة.

ومن هذه النصوص الإلهية التي نزلت بشأن الأسرة:

أولا: قوله تعالى ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ (البقرة،178/2) يقول القرطبي: "أصل اللباس في الثياب، ثم سمي امتزاج كل من الزوجين بصاحبه لباساً؛ لانضمام الجسدين وامتزاجهما وتلازمهما تشبيها بالثوب في الستر، فكل واحد منهما ستر لصاحبه من الدناءة والذنوب، فالعلاقة بين الزوجين هي علاقة امتزاج والتصاق".[80]

ثانيا: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إليها﴾ (الأعراف،189/7).

خلق الله تعالى آدم ثم زوجته حواء بقصد الألفة والسكن إليها، يقول ابن كثير: "فلا ألفة بين روحين أعظم مما بين الزوجين، ولهذا ذكر تعالى أن الساحر ربما توصل بكيده إلى التفرقة بين المرء وزوجه".[81]

ثالثا: قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إلى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (المجادلة/1) ورد في تفسير ابن كثير عن ابن أبي حاتم عن الأعمش، عن تميم بن سلمة، عن عروة، عن عائشة، أنها قالت: تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفى علي بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ، وتقول: يا رسول الله، أَكَلَ شبابي، ونَثَرت له بطني، حتى إذا كَبُرَت سِنِّي، وانقطع ولدي، ظَاهَر مِنِّي، اللهم إني أشكو إليك. قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ

2018، جامعة طرابلس –، ص630.

[80] أبو عبدالله، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن* 309/2.

[81] ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*،525/3.

قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾(المجادلة، 1/58).[82] فشرع الله حكم الظهار، وأنزل هذه الآية انتصاراً لهذه المرأة، وحماية للأسرة من التفكك والانهيار بسبب التقاليد والعادات الجاهلية، منح الإسلام كل فرد من أفراد الأسرة دوراً مهماً في حياته ولاسيما النساء، فأكرم المرأة كأم وبنت وأخت وزوجة.

أكرم الإسلام المرأة أماً: فعن عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال: ثم أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أبوك. [83]

وأكرم المرأة بنتاً وأختاً: فعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺقال: "من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو ابنتان أو أختان، فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن دخل الجنة". صححه ابن حبان.[84]

هذا الثواب نتيجة إكرام المرأة، وتشجيع للناس على تربية بناتهم ورعايتهن وحفظهن على عكس ما كانت الجاهلية عليه من وأد بناتهم وقتلهن وإغراقهن للتخلص من عارهن كما يظنون.

وأكرم المرأة زوجةً: فقد أكرمها الإسلام، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول اللهﷺ: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي".[85]

أعطى الإسلام المرأة جميع حقوقها الشرعية كالميراث وغيره من التجارة والولاية والاستئذان في تزويجها، وجعلهن شقيقات الرجال كما قال عليه الصلاة والسلام: "النساء شقائق الرجال".[86] أي: أنهن أمثال الرجال ونظرائهم فيما شرع الله تعالى.

---

[82] ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، 34/8.

[83] البخاري، أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل، *الجامع المسند الصحيح*، تح: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، 1422هـ، باب: من أحق الناس بحسن الصحبة، الرقم: 5971، 2/8؛ مسلم بن الحجاج، *صحيح مسلم*، باب: برالوالدين وأنهما أحق به، الرقم:6664، 1974/4.

[84] ابن حبان، مُحَمَّد بن حبان بن أحمد البُستي، *صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان*، تح: علي بن بلبان وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، باب: صلة الرحم وقطعها،الرقم: 446، 190/2.

[85] الترمذي، أبو عيسى مُحَمَّد بن عيسى، *الجامع الكبير*، تح: أحمد مُحَمَّد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت، باب: في فضل أزواج النبي، الرقم: 3895، 709/5.

[86] أبو داود، *سنن أبي داود، باب:* يجد الرجل البلة في منامه، الرقم236، 61/1.

4.1.2. مظاهر المكانة الاجتماعية للأسرة واهتمام الإسلام بها

أولا: الزواج: شرع الله تعالى الزواج سبيلاً وحيداً وشريفاً لتكوين الأسرة وصيانتها، وبقاء هيمنتها في المجتمع، وجعل كل علاقة لتكوين الأسرة خارج الزواج آثمة وغير شرعية ولا قيمة لها.

ثانيا: حسن الاختيار الزوج والزوجة: هما نواة الأسرة، ومن أجل بناء أسرة صالحة عفيفة وبعيدة عن الخلاف والفرقة، يدعو الإسلام الرجال والنساء على حد سواء إلى اتباع الأسس الصالحة لدى اختيار شريك الحياة، كما أوصانا رسول الله ﷺ بهذه الطريقة قائلا: "تنكح المرأة لأربع: لمالها وجمالها وحسبها ونسبها فاظفر بذات الدين تربت يداك".[87]

إنَّ المعيار الصحيح والناجح لتكوين الأسرة السليمة هو الدين والأخلاق، وهما عاملان رئيسان في تكوين الأسرة السعيدة.

ثالثا: تربية أفراد الأسرة: إنَّ الطريق السليم لتكوين الأسرة السعيدة هو الطريق الشرعي الذي أقرَّه الإسلام، ضمن المنظومة الدينية والأخلاقية، وذلك من خلال حسن اختيار كلٍّ من الزوجين للآخر، كي ينتجا أبناءً يكونوا عماد المجتمع، وجيله المتجدد، **وقد أشار الله تعالى إلى ذلك** بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا قُوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة...﴾ (التحريم،6/66). وقاية الأهل- أفراد الأسرة- أمر إلهي من المهلكات التي تسبب دخول الأسرة والمجتمع إلى خراب الحياة ونار الآخرة.[88]

بعد هذه المقارنة المتواضعة السريعة بين الأسرة في الإسلام، وبين الأسرة في الجاهلية، وبين الأسرة في الغرب، نلاحظ درجة الشرف التي تحصل عليها المرأة باعتبارها حجر الزاوية في الأسرة، ودرجة المسؤولية التي تتحملها الأسرة باعتبارها حجر الزاوية في المجتمع.

2.2. أهمية المنهج القرآني في الحياة الأسرية

اهتمَّ القرآن الكريم اهتماماً كبيراً بجميع نواحي الحياة، كما اهتم بجميع العبادات من خلال عناوينها العريضة وتفصيلاتها، ولو عدنا إلى جانب الأسرة في القرآن الكريم لرأينا أنها مذكورة فيه جملة وتفصيلاً منذ تكوينها إلى تفريقها بأحد الأجلين الطلاق أو الموت، وهذا يدل على

---

[87] البخاري، *الجامع الصحيح*، باب: الأكفاء في الدين، الرقم4802، 1958/5؛ مسلم بن الحجاج، *صحيح مسلم*، باب: استحباب نكاح ذات الدين، الرقم:1466، 1086/2.

[88] عبدالحي القاسم عبد المؤمن عمر وآخرون، *دعائم السلام الاجتماعي في الأسرة المسلمة*، ص:11.

اهتمام القرآن الكريم بهذه اللبنة الأساسية للحياة البشرية، ووضع لها منهجاً متيناً وافياً، إذ تبرز أهمية هذا المنهج القرآني للحياة الأسرية من خلال عدة أمور:

1.2.2. تفصيل أحكام الأسرة

جاء تفصيل أحكام الأسرة في الآيات القرآنية الحكيمة شافياً ووافياً، حيث لم تترك الآيات القرآنية أمراً من الأمور الأسرية إلا وذكرتها سواء قبل التكوين أو ما بعد الانفصال، وحتى ذكر ما بعد الانفصال من الميراث والوصايا وغير ذلك من الحقوق الزوجية والأسرية.

يحث القرآن الكريم الإنسان منذ البداية على الزواج، ويدله إلى طريقة السكنى في حياته بالآية الشريفة: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إليها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم،21/30)، ثم ينتقل إلى موضوع الخطبة، وتقارب الطرفين بالآية الشريفة في قصة موسى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا...﴾ (القصص،25/28)، ثم ذكر القرآن الكريم بعد تكوين الأسرة؛ حياة الأسرة وأسماها الأهل في الآية الكريمة من قصة موسى عليه السلام بعد زواجه من تلك الفتاة ﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ (طه،10/20)، ثم ذكر القرآن الكريم مرحلة من مراحل الحياة الأسرية، وبيَّن أن الحياة الأسرية ليس فيها الحب والمودة فقط، بل تواجهها المشاكل والصعوبات وذكرها القرآن الكريم أيضاً: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ (النساء،34/4)، وبعد ذلك ذكر القرآن الكريم مرحلة الانفصال، قائلا: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا...﴾ (البقرة،231/2)، وذكر القرآن الكريم في كثير من الآيات أيضاً ما بعد مرحلة نقض الأسرة من الحقوق والواجبات كالميراث والوصية وما شاكلها.[89]

[89] الضمور، ربا راكان أحمد، *المنهج القرآني في حماية الأسرة* (دراسة موضوعية)، رسالة ماجستير – جامعة مؤتة 2011، ص 19؛ عطية صقر، موسوعة الأسرة، 48/1.

2.2.2. صلاحية القرآن الكريم لكل زمان ومكان

يعتبر القرآن الكريم بكل ما فيه من الأحكام والمناهج والإرشادات خالداً وصالحاً لكلِّ زمانٍ ومكان، لأنه كلام الله الحق الأزلي الأبدي وهو العالم بالغيب والمدبر لكل شيء والحكيم والبصير بكل أحوال البشر من السابق واللاحق، والدليل قوله الباري عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر،9/15)، عن معنى كلمة (الذكر) يقول الشعراوي(ت:1418هـ): هو بمعنى الكتاب الذي يحمل منهج كل شيء في الحياة البشرية.[90]

ويقول الحسن البصري (ت: 110هـ): حفظ الذكر يعني إبقاء شريعته إلى يوم القيامة، ومن الجدير بالذكر أن الأسرة ومنهجها من أهم مواضيع القرآن الكريم، ولو لم يكن هذا المنهج صالحاً لكل زمان ومكان لتخبط المسلمون في حيرة القوانين البشرية التي لا تصلح للحياة رغم تعديلها وتغيرها على الاستمرار والدوام.[91]

3.2.2. منهج وقائي

إن منهج القرآن الكريم في جميع مجالات الحياة البشرية منهج وقائي للبشر من الذنوب والزلات والهفوات، ومن بين تلك المناهج؛ منهجه للأسرة المسلمة والبشرية جمعاء، إذ تمثل هذا الأمر بجملة من الأحكام، فمثلاً: القرآن الكريم حينما يرشد الرجل والمرأة ويأمرهما بغضِّ البصر كي لا يميل أحدهما إلى الآخر بطريقة غير شرعية، ولا ينزلق إلى الفاحشة حيث يقول لهما سوياً: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (النور،30/24) وللنساء أيضا: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا...﴾ (النور،31/24) هذا أمر ومنهج وقائي للبشر ولا سيما لأفراد الأسرة كي تدوم المودة والألفة بينهما، ولا يميل القلب إلى الآخر.

أو حينما يأمر الله عزوجل نساء النبي ﷺ بعدم الظهور للرجال الغرباء وبقائهن في البيوت، يقول تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (32) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

---

[90] الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، *تفسير الشعراوي*، تح: أحمد عمر هاشم، مؤسسة أخبار اليوم، 652/12.

[91] أبو حيان، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، *البحر المحيط*، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت 1420 هـ، 468/6.

تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب،32/33– 33) في هاتين الآيتين بيَّن الله عزوجل حكمة أمره وإرشاده لنساء النبي ﷺ لكي لا يميل لهن مَن في قلبه مرض الشهوة، ويريد الله تعالى تطهير أهل بيت النبي ﷺ من رجس الشبهات وسوء ظنِّ الناس بهن، ونساء النبي ﷺ لا شك أنهن أمهات المؤمنين، والأم تعتبر مدرسة ومربية، وأسوة لبناتها وأفراد أسرتها، ومن هذا المنطلق يجب على نساء المؤمنين جميعاً أن يقتدين بنساء النبي ﷺ وهن بمثابة الأمهات لهن، يقول الشعراوي: إنه منهج متكامل يضمن سلامة المجتمع، يريد الله القدير مجتمعاً تتألق فيه القيم النبيلة، مجتمعاً خالياً من الكراهية والبغضاء، ولو طبق البشر هذا المنهج لارتاح الجميع، إنه صمام الأمان الذي يحمينا من الجرائم الشنيعة.[92]

4.2.2. ايجاد الحلول لمشاكل الأسرة

تأتي أهمية المنهج القرآني الكريم للحياة بصورة عامة وللأسرة بشكل خاصٍ، في وضع الحلول والمخارج لأية مشكلة تواجه الأسرة والمجتمع، حتى لا يترك الإنسان وحده في تيه الحياة ومجاهيلها، لأن الإنسان كما قال الله عزوجل عنه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ (البلد،4/90)، أي: "لقد خلقنا الإنسان في مشقة وعناء"[93]إذاً فسوف يواجه الإنسان المشاكل والمتاعب مهما كان متحفظاً وفطناً.

والقرآن الكريم قدَّم رؤية شاملة كاملة للتعامل مع جميع مراحل الخلافات الزوجية، حتى يعيش الأزواج حياة مليئة بالحب والأُنس، وانفرد منهج القرآن الكريم بأسلوب خاص غير مسبوق لحل المشاكل الأسرية، وحمايتها من الانهيار والتفكك، فعلى سبيل المثال من يتأمل في سورة النساء سيجد أنها وضعت خطوات لحل أي نزاع بين جميع الأزواج.

يقول الله عزّوجل ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (النساء،35/4) لقد تميزت الآية بخطوات أولية هامة تخصُّ الأسرة، يجب التمسك بها، لا يمكن الاستغناء عنها لحل المشاكل بين الزوجين، حينما يقول الله عزّ وجل﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا..﴾ أي إذا علمتم أو أحسستم

---

[92]الشعراوي، محمَّد متولي الشعراوي، *تفسير الشعراوي* (612/16)؛ الضمور، ربا راكان أحمد، *المنهج القرآني في حماية الأسرة* (دراسة موضوعية) ص (13).

[93]الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن* 433/24؛ أبو سعود، محمَّد بن محمَّد العمادي أبو السعود، *إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم*، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 161/9.

ببوادر الخلاف فابعثوا. ثم جاء مباشرة (بفاء) التعقيب أي دون تأخير بادروا بحلها قبل فوات الأوان.

ثم نصح القرآن الكريم الحكمين بأن يكون هدفهما ونيتهما خالصا لله تعالى﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا﴾ لكي يكونا موفقين ﴿يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ في حسم المشكلة بين الزوجين.

وفي الفصل الأخير لهذه الدراسة نلقي الضوء على أهم المشاكل التي تواجه الأسرة مع ذكر الحلول لها مستعيناً بما يعلمنا القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، ومن المؤسف أنَّ البعض تناسى التشريع والسنة، واستبدلها بأساليب أخرى ممَّا زاد في تعقيد المشكلة.

5.2.2. استغراق مساحة واسعة لأمور تهم الأسرة في القرآن الكريم

نظَّم منهج القرآني الحياة الأسرية، حيث استغرق مساحة كبيرة من القرآن للمواضيع التي تهم الأسرة، إذ بلغ عدد السور التي تناولت مواضيع تهم الأسرة تسعاً وثلاثين سورة، ومن بينها سورة النور، وهي من أكثر السور التي تهتم بقضايا الأسرة المسلمة، يقول القرطبي(ت:671هـ) عنها: "المقصود بهذه السورة ذكر أحكام العفاف والستر"[94]، ويقول سيد قطب (ت: 1386هـ) "هي الآداب النفسية والعائلية والجماعية والأخلاق التي تنير الروح وتنير الحياة، إنها نور في الروح والقلب وشفافية الضمير، كل ذلك من النور العظيم"[95].

يمكن أن نقول أن القرآن الكريم في جميع سوره وآياته يهب ما يحتاج اليه البشر من الرشد والهداية لجميع الفئات والمجتمعات والأسر.

3.2. المنهج القرآني للحياة الأسرية

القرآن الكريم ألقى الضوء على منهج متكامل منتظم للحياة الأسرية قبل تكوينها كي تكون أساسها متينا ومحكما ولا تنهز بكل ريح تهبها، وكذلك أثناء التكوين لم يتركها القرآن الكريم في حيرة الحياة وهوى النفس، وإنما جعل لها ضوابط محكمة ومعايير سليمة، تضمن للمتمسكين بها تكوين أسرة متماسكة البنيان، بحيث تكون صامدة أمام أفكار وموجات الحياة العاتية، وهذا لغاية أهمية الأسرة وصيانتها في الحياة البشرية، وفي هذا المبحث نذكر أهم منهج القرآن الكريم للحياة الأسرة قبل التكوين وأثناء نية تأسيسها، وما بعد التكوين أثناء الحياة الطبيعية.

---

[94] القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 158/12.

[95] سيد قطب، *في ظلال القرآن*، دار الشروق، القاهرة، 248/4.

1.3.2.المنهج القرآني للحياة الأسرية ما قبل التكوين:

عندما كانت الأسرة في غاية الأهمية وعليها بقاء البشرية على مسار الفطرة، وقد سماها القرآن الكريم ميثاقاً غليظاً ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إلى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾(النساء،21/4) اهتم القرآن الكريم اهتماماً كبيراً بالأسرة، ووضع لها منهجاً منظماً، ومحكماً في جميع محطات الحياة، خاصة ما قبل التأسيس وأثناء التأسيس وما بعد التأسيس، لكي تسير الأسرة في مسارها الصحيح، وتبقى كما أرادها الله سبحانه وتعالى خدمة للبشرية، ولكي يتولد منها مجتمعاً سليماً من الأمراض الجسدية والمعنوية، فقبل تأسيس الأسرة ينبغي أن نكون حذرين من كيفية تأسيسها وأن نتمسك بهذه المناهج القرآنية الآتية:

أولا: التنشئة الصالحة والتأهيل لقيام رابط الزوجية:

بما أن الأسرة هي: جوهر الأمة وأساسها، وهي النواة الأولى لبناء المجتمع، فإن صلح أفرادها صلح المجتمع، وان فسدوا فسد المجتمع، فالإسلام يهتم بها بشدة، ومنهج القرآن منهج وقائي يحمي جوهرها، ويجعلها متماسكة ومتجانسة، وثابتة في الإيمان ومحكمة في البناء، وذلك لا يكون إلا من خلال زوجين صالحين يختاران بعضهما البعض وفقًا لدينهما، وبهما تبدأ الأسرة المسلمة الصالحة التي ترضي ربها بممارسة حقوقها وأداء واجباتها، ولا يكونان إلا إذا كانا قد نشأ نشأة صالحة.

وهذه بعض الآيات القرآنية المنهجية الإرشادية لنا في هذا الموضوع.

1–قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا...﴾(طه،132/20)، هذه الآية الكريمة فيها أمر إرشادي لتقديم جيل صالح للمجتمع، وتنشئة صالحة للزواج والأسرة، يقول الشعراوي: "هنا يعطينا الحق تبارك وتعالى منهجاً لإصلاح المجتمع وضمان انسجامه"، ويقول أيضا: "﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بالصلاة﴾ لتستقيم الوحدة الأولى في بناء الكون، فإذا ما صلُحَتْ الوحدة الأولى في بناء الكون، فأمَر كل واحد أهله بالصلاة، واستقام الكون كله وصَلُح حال الجميع".[96]

الأسرة مجموعة من الأفراد الذين هم نواة المجتمع، فإذا صلح هؤلاء صلح المجتمع، ولهذا أمرنا الله تعليم أبنائنا على الالتزام بأركان الإسلام، والعمل بها من صلاة وزكاة وصوم وغيرها من الأركان، يقول تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾(العنكبوت:

[96] الشعراوي، *تفسير الشعراوي*، 9458/15.

45/29)، ويقول النابلسي: "لحكمة جعل الله سبحانه وتعالى أساس نظام المجتمع الأسرة"[97] يعنى الأسرة ركن ركين للمجتمع وأساسه، فإذا كانت الأسرة صالحة وسليمة فالمجتمع يكون على مسارها، وإذا فسدت فسد المجتمع كله، ولتنشئة أسرة صالحة وسليمة، للوصول إلى مجتمع صالح وسليم لابد من تربية سليمة للأفراد.

2- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾(الفرقان:25/ 74).هذه الآية من صفات عباد الرحمن الذين ذكرهم الله تعالى، فالعبودية من أشرف المراتب والألقاب التي منحها الله سبحانه وتعالى لعباده، فمن حظي بهذه الصفة، فقد أوتى خيرا كثيرا، كما يقول وهبة الزحيلي(ت:1436هـ): "وأنه خصّ اسم العبودية بالمشتغلين بالعبادة، مما يدل على أن هذه الصفة من أشرف صفات المخلوقات، فمن أطاع الله وعبده وشغل سمعه وبصره وقلبه ولسانه بما أمره، فهو الذي يستحق اسم العبودية".[98] فهذه الفئة المباركة نشأت على عبادة الله، ودعت الله تعالى أن يهبهم ذرية يمشون على خطاها ومنهجها، يقول الشعراوي: "فعباد الرحمن دعوا الله تعالى أن يهبهم أزواجاً وأولاداً ملتزمين بمنهج القرآن، لا يحيدون عنه، وقدم الأزواج على الأولاد لأن الأولاد لا تكون إلا بعد الزواج".[99]

ويقول سيد قطب(ت: 1386هـ) مبيناً منهج القرآن في ذلك بقوله: "بل يرجون أن تعقبهم ذرية تسير على نهجهم، وأن تكون لهم أزواجاً من نوعهم: "ثم يقول: بعد ذلك بأن هذا الطلب والطموع والدعاء من قبل عباد الرحمن هو شيء فطري "وهذا هو الشعور الفطري الإيماني العميق: شعور الرغبة في مضاعفة السالكين في الدرب إلى الله، وفي أولهم الذرية والأزواج".[100]

فالمرأة الصالحة والأولاد الصالحين هم خير أعطيات الدنيا ومتعها، كما يقول الرسول ﷺ عن المرأة الصالحة: "الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة"[101]، وعن الأولاد الصالحين،

---

[97] النابلسي، محمّد راتب النابلسي، *تفسير النابلسي*، مؤسسة الفرسان، 2017، 395/7.

[98] الزحيلي، وهبة بن مصطفي الزحيلي، *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*، دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة الثانية، 1418 هـ، 104/19.

[99] الشعراوي، التفسير الشعراوي، 249/17.

[100] سيد قطب، *في ظلال القرآن*، 334/5.

[101] مسلم، *صحيح مسلم*، باب: خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، الرقم: 3716، 178/4.

فقد عدهم النبيﷺ أحد أنواع الصدقات الجارية قائلا: "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: إما صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له".[102]

يعلمنا القرآن الكريم أن نكون دائماً ملتزمين بالعبادة لكي نرتقي إلى الدرجات العليا، وأن نكون متعقلين في اختيار الزوجات لإنجاب أولاد يسيرون بطاعة الرحمن.

3- إن سورة لقمان قد تضمنت آياتها عدة أمور منهجية، وهي ذخيرة وفيرة لتربية الأبناء وتنشئتهم تنشأة صالحة، ترشدهم إلى منهج سليم لإصلاح المجتمع فرداً فرداً، هذا المنهج يبدأ بالأهم من الأولويات وهي العقيدة والإيمان بوحدة الوجود، وهذا هو الاهتمام بإصلاح الذات أولا، ثم الآخرين ممن حوله من الأسرة ثم الأبعد وهكذا، فوصايا لقمان[103] قاعدة جامعة من فضائل الدين والآخرة ومكارم الأخلاق في الدنيا، وتشمل تسعة أوامر، وثلاثة نواهي، وسبع علل أو أسباب كالآتية:

أما الأوامر: فهي الأمر ببرّ الوالدين، والشكر لله وللوالدين، ومصاحبة الوالدين في الدنيا بالمعروف، واتباع سبيل الأنبياء والصالحين، وإقامة الصلاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والاعتدال في المشي، وإخفاض الصوت.

وأما النواهي: فهي النهي عن الشرك، والنهي عن تصعير الخد، والإعراض عمن تكلم تكبراً"، والنهي عن المشي مرحاً، و"اختيالاً وتبختراً".

والتعليلات أو الأسباب هي:

1- ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه، ومن كفر فإن الله غني حميد.

2- إن الشرك لظلم عظيم.

3- إلي المصير، إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون.

4- إن الله لطيف خبير.

5- إن ذلك من عزم الأمور.

---

[102] مسلم، *صحيح مسلم*، باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد الموت، الرقم: 4310، 73/5.

[103] أما لقمان الحكيم فكان عبدا حبشيا لرجل من بني إسرائيل، وكان في زمن داود، واسم أبيه ثاران، و اختلف في نبوته فزعم الأكثرون وهو الأقرب الى الصواب أنه لم يكن نبيا، بل رجل وهبه الله تعالى الحكمة أي الإصابة في القول والفعل. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمّد بن حبيب، *أعلام النبوة*، تح: محمّد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت 1987، ص54؛ النابلسي، *تفسير النابلسي*، 414/9.

6- إن الله لا يحب كل مختال فخور.

7- إن أنكر الأصوات لصوت الحمير.

وهذه النداءات والوصايا النفيسة، بصورة مجملة تتكون وتتدرج تحت أربعة أسس وهي مطالب الله عز وجل لعباده:

الأساس الأول: العقيدة

وهي أساس ومبدأ كل عبادة، وبها ينجو الإنسان، وتكون عباداته صحيحة إذا كانت مبنية على عقيدة صحيحة.

أوصى لقمان ابنه وحذَّره من الظلم العظيم، وهو الشرك، الذي يعد من الذنب الأعظم، الذي يدمر الإنسان، ويدمر حياتة الدنيا والآخرة، ويكون من الخاسرين الخائبين، قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(لقمان،13/31).

الأساس الثاني: العبادة

أمر لقمان ابنه بالعبادة، وأن يُعَوِّدَ نفسه عليها، لكي يترجم الابن ايمانه عملاً تحقيقا للعبودية، كما أمر الرسول ﷺ ربَّ الأسرة أن يوجه أولاده نحو الصلاة و يعمل على ترغيبهم فيها وتحبيبها لديهم"(مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين...)"[104] لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر كما يقول القرآن الكريم، ومن تعوَّد منذ الصغر على الصلاة واختلط بها روحياً وجسدياً، فهذه الصلاة تبعده عن المنكرات، ومن تربى على هذه الخطى فهو إنسان صالح المنشأ وصحيح التربية، ونافع لنفسه وللمجتمع.

الأساس الثالث: الأخلاق والأدب

لم تقتصر مواعظ لقمان ووصاياه لابنه على ما يخص علاقة الابن مع ربه، بل شملت أيضاً ما يرتبط بعلاقته مع من حوله داخل الأسرة وخارجها من المجتمع، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (18) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (19)﴾(لقمان،31/ 18-19).

ويعتبر تحسين الأخلاق وتهذيبها من أهم وأولى الأمور التي حضَّ القرآن الكريم عليها، ومقاصد البعثة النبوية الشريفة، وإنما بعث النبي ﷺ ليتمم مكارم الأخلاق، وعلى هذا ربَّى أصحابه وعلَّمهم قولاً وعملاً؛ حسن الخلق، وكيفية التعامل مع محيطهم.

---

[104] أبو داود السجستاني، *سنن أبي داود، باب:* متى يؤمر الغلام بالصلاة، الرقم: 495، 195/1.

الأساس الرابع: الدعوة

بعد أن ثبت لقمان العقيدة ورسَّخها في شخصية ابنه، وعلَّمه أمور دينه من الأوامر والنواهي، ليكون مصلحاً، هيأه لدعوة الآخرين، ودعوة مَن حوله من الأسرة والمجتمع في قوله تعالى: ﴿يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾(لقمان،17/31)، فلن تستطيع أن تدعو غيرك وتصلحه إلا بعد أن أصلحت نفسك.[105]

تشكل وصايا لقمان الحكيم لابنه منهجاً واضحاً، وصالحاً لكل زمان ومكان، وهي في غاية الأهمية لتربية الأجيال وتنشئتها تنشئة صالحة، فبها تحفظ الفطرة السليمة، والأسرة الكريمة من الانهيار والتشتت، حيث تنشأ الأجيال القادرة على: تأسيس الأمة، وحفظ الأسرة وصونها مما يضرها، وبناء المجتمع في كافة المجالات.

ثانيا: الدعوة القرآنية للعفة.

كلمة العفة من: "ع ف ف"كما وردت في المعاجم بمعنى: الطهارة والإبعاد عن الحرام، يقال: عفَّ الرجل عفاً وعفافاً وعفافةً بفتحهن، وعِفة بالكسر وهو يعف، فهو عفٌّ، وعفيف: أي: كف عن الحرام.[106]

وقد عرَّفها الجرجاني: (ت:816هـ) بقوله: "هي هيئة للقوة الشهوية متوسطة بين الفجور، الذي هو إفراط هذه القوة والخمود، الذي هو تفريطها، فالعفيف من يباشر الأمور على وفق الشرع والمروءة ".[107]

والقرآن الكريم هو دستور الحياة والمنهج القويم لكل مراحل الحياة، الذي يوجه الإنسان إلى الطريق القويم، وقد احتوى القرآن الكريم على جميع جوانب الحياة الأسرية، ورسم زواياها، فقبل تكوين الأسرة يرشد القرآن الكريم الإنسان إلى حفظ كرامته وعفته وضبط شهوته الجنسية، ففي القرآن الكريم تجد آيات صريحة وغير صريحة تهتم بعفة الإنسان، وتأمر الإنسان أن يعف إلى حين تكوين الأسرة، لأن غريزة الشهوة إذا لم يسيطر عليها الإنسان تهلكه وتفضحه، ومما لا

---

[105] سيد قطب، في *ظلال القرآن*، 2782/5؛ الشعراوي، *تفسير الشعراوي*، 9458/15؛ النابلسي، *تفسير النابلسي*، 424/9؛ وهبة الزحيلي، *التفسير المنير* 156/21؛ مريم عبدالله محمد الحاج، *الإشارات التربوية في سورة لقمان*، دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، جامعة المدينة العالمية، كلية العلوم الإسلامية، قسم القرآن الكريم وعلومه، 2015م، ص 40.

[106] الزبيدي، *تاج العروس من جواهر القاموس*، 172/24.

[107] الجرجاني، علي بن محمد بن علي، *التعريفات*، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي – بيروت1405هـ، ص195.

شك فيه أن الإسلام دين متكامل لا يفرض على الإنسان العفة إلا وقد يسر لها الأسباب، وجعلها للأفراد ميسورة، ومن الآيات القرآنية في هذه المسألة قوله تعالى:

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ...﴾ (النور،24/ 33)، وهذه آية صريحة تدعو إلى العفة، في تفسير هذه الآية قال المفسرون: بأن الأمر بالعفة "وليستعفف" وحفظ النفس من الوقوع في الخطأ والخطيئة، فعلى المؤمن التعفف، وفي الآية لمن يستعفف وعد كريم من الله تعالى بالتفضل بالغنى فلا تيأسوا ولا تقلقوا، وخير دليل قرآني على ذلك قصة سيدنا يوسف –عليه السلام– ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبوابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (يوسف،23/12) بعدما اختار سيدنا يوسف –عليه السلام– العفة على الشهوة الشيطانية واستعان بالله تعالى وفضل العزة على الذلة، فعوض الله تعالى له بالجاه والرفعة والمال، إلى يوم القيامة هذا الموقف الإيماني الجريء تضرب به الأمثال وأصبح سيدنا يوسف إماماً لأهل العفة، يفتخر به كل مؤمن وعلى كل شاب مؤمن أن يقتدي به ويسير على دربه.[108]

ثانيا: قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور،30/24– 31)، هذه الآية المباركة أمر من الله تعالى للمؤمنين بالعفة لكنها ليست صريحة بصيغة العفة، بل يأمرهم بغض أبصارهم عن بعض المبصرات، وهي التي حرمها الله تعالى، أما في موضوع الفرج لم تستعمل كلمة "من" كما استعملها في موضوع البصر، لأن الفرج ليس له حالات مشروعة في موضوع الزنى، بل ان الزنى كله محرم.[109]

---

[108] الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*، 166/19؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 52/6؛ الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ، 237/3؛ البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، *معالم التنزيل*، تح: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة، الرياض، 1997، 40/6؛ الزحيلي، وهبة بن مصطفي، *تفسير الوسيط*، دار الفكر – دمشق،1422هـ، 1749/2.

[109] النابلسي، *تفسير النابلسي*، 85/8.

ويقول الشنقيطي (ت 1393هـ): إذا قيل لماذا دخلت في غض البصر دون حفظ الفرج؟ نقول: دلالة على أن أمر النظر أوسع، وكفاك فرقاً أن أبيح النظر إلا ما استثني منه، وحظر الجماع إلا ما استثني منه.[110]

ويقول الماوردي(ت450هـ) عن قوله تعالى ﴿ويحفظو فروجهم﴾ لأجل التعفف، والعفاف يكون عن الحرام دون المباح.[111]

إن سورة النور تحدثت منذ البداية عن موضوع الزنا والقذف والمحصنات، وحذرتْ من تتبع خطوات الشيطان التي تسري إلى هذه الجريمة، وهذا منهج يضمن سلامة المجتمع، فالله تعالى يريد مجتمعاً تسود فيه القيم النبيلة، مجتمع خال من الحسد والبغضاء، فلو أننا طبَّقنا المنهج الذي ارتضاه الله لنا لارتاح الجميع في ظله، ومن بين جميع الجوارح حذرنا الله تعالى من آفة البصر، لأن أفتن شيء يصيب الإنسان من الناحية الجنسية هي حاسَّة البصر، لذلك أمر الله تعالى بغَضِّ البصر لِيسدَّ منافذ فساد الأعراض، ومَنْع أسباب تلوث النسل، ويكون الإنسان طاهراً في مجتمع طاهر نظيف وشريف، وإن أحكام الشرع لا تتعلق بالخواطر القلبية، إنما بالأعمال التي يترتب عليها فعل ما، فعلى سبيل المثال:

لو مررتَ بحديقة فرأيتَ فيها زهرة جميلة، فأعجبت بها وتفتحت لها أساريرك، فكل هذا مباح لا حرجَ فيه، فإنْ تجاوز الأمر ذلك، فمددتَ إليها يدك لتقطفها، هنا يتدخل الشرع ويقول لك: لا تفعل هذا لأنَّه ليس من حقك

هذه قاعدة عامة في جميع الأعمال لا يستثني منها إلا في مسألة نظر الرجل إلى المرأة، فلا نقول لك انظر كما تحب وتشتهي، ثم يقول الله تعالى مبيناً سبب المنع والأمر بغض الأبصار عما يحرم ﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾(النور،30/24) أي هذا المنع أطهر وأنفس لكم وأسلم لراحتكم، ﴿ إِنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾(النور،30/24) فهو الله سبحانه وتعالى خالق هذه النفس البشرية، وواضع مسألة الشهوة والغريزة الجنسية، والتي هي من أقوى الغرائز ليربط بها بين الرجل والمرأة، وليحقق بها عملية النسل وبقاء الخلف في الأرض، ولو لم تربط هذه العلاقة بالشهوة الملّحة لترك الكثيرين مشروعية الزواج وفساد النسل والذرية. [112]

---

[110] الشنقيطي، محمَّد الأمين بن محمَّد المختار، *أضواء البيان في إيضاح القرآن ب القرآن*، دار الفكر للطباعة، بيروت – 1995، 507/5.

[111] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمَّد بن حبيب، *النكت والعيون*، تح: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت ، 89/4.

[112] الشعراوي، *تفسير الشعراوي*، 10248/16.

وفي شأن النساء زاد الله تعالى مسألة زينة النساء على غض البصر عما يحرم، وهي – أي الزينة– مفاتن النساء الجسدية أو الحلي الذي يستعملنه للزينة كالقلادة والقرط والخلخال وما شاكلها، ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا...﴾، ثم يأمرهم بضرب الخمار على جيوبهن قائلا: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ يقول الشعراوي(ت:1418هـ): "وتأمل دقة التعبير القرآني في قوله تعالى ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ﴾ الضرب هو: الوَقْع بشدة، فليس المراد أن تضع المرأة الطرحة على رأسها وتتركها هكذا للهواء، إنما عليها أنْ تُحكِمها على رأسها وصدرها وتربطها بإحكام.[113]

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ قال الشوكاني: (ت 1250 هـ): "وسماع هذه الزينة أشد تحريكاً للشهوة من إبدائها". [114] فكل ذلك يعتبر من دعوة القرآن إلى العفة وترغيب الزواج، والزجر عن المحرمات من النظر عما يحرم، والتبرج، والأمر بستر النساء و زينتهن، وعدم اختلاط الرجال بالنساء ليس إلا حفظا للعفة وصون المجتمع عن الفساد الأخلاقي والجنسي، فيسد جميع أبواب ملاقات الرجال بالنساء إلا باباً واحداً وهو من أشرف الأبواب وأطهرها وأسلمها وهو باب الزواج وتكوين الأسرة الشرعية، لبقاء الذرية الطيبة على الأرض.

ثالثا: المعايير القرآنية لإنشاء رابطة الزوجية وذكر"قصة موسى عليه السلام أنموذجاً".

رغَّب القرآن الكريم في الزواج وحث الناس عليه، لذلك لم يترك الأمر على هواه، وإنما جعل له ضوابط محكمة ومعايير سليمة، تضمن للراغبين فيه– إن تمسكوا بها– تكوين أسرة متماسكة البنيان، بحيث تكون صامدة أمام أفكار وموجات الحياة العاتية، وأفراد تلك الأسرة بإمكانهم أن يقدموا للحياة كل جديد ومفيد، فمن الأسس والمبادئ المهمة التي وضعها القرآن الكريم لإنشاء أسرة متماسكة، حسن اختيار كل من الزوجين للآخر، فحسن الاختيار من أهم عوامل الأستقرار الأسرة، فمشروع الزواج مشروع اجتماعي في غاية الأهمية.

دعت الآيات القرآنية الكريمة الرجال والنساء إلى حسن الاختيار، لتقديم ذرية طيبة للمجتمع، وحسن الاختيار مبني على أسس ومعايير لابد من الأخذ بها لبناء أسرة عامرة بالإيمان والمحبة، ومبنية على المودة والرحمة والهدوء والراحة بين أفرادها فمن أهم تلك المعايير وأولاها هي:

---

[113] الشعراوي، *تفسير الشعراوي*، 10256/16.

[114] الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير *الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير*، تح: مكتب التحقيق العلمي في دار ابن كثير في بيروت، دار ابن كثير، بيروت، 34/4.

1- الإسلام: يعد معيار الإسلام من أهم المعايير في اختيار شريك الحياة، لأنه من القاعدة الأساسية لبناء الأسرة الناجحة القوية ذات الأركان المتينة، والغاية من هذا الأساس هو تحقيق العبودية لله وحده والإصلاح وعمارة الأرض بالخير والسلام، ولهذا حرَّم الإسلام الزواج مع المشرك ومع الملحد من باب أولى، لأنهما يدعوان إلى عبادة غير الله تعالى وعدم الاعتراف بوجود الله تعالى، فالمسلم لا يجتمع مع المشرك والملحد، لذلك لايجمعهم ما يؤدي إلى الاستقرار والاستمرار، وليس بينهم أي نقاط مشتركة لا في العقيدة ولا في التفكير، فطرف يدعو إلى الإيمان والانقياد لله تعالى والعمل لدار الآخرة، والآخر يدعو إلى الكفر والوثنية والإلحاد.

والآية القرآنية بيَّنت هذه القضية: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إلى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إلى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾(البقرة،221/2).

يقول الشعراوي(ت:1418هـ): وهذا المعيار-الإسلام-هو اللبنة الأولى في بناء الأسرة والمجتمع، ماذا سيحدث إذا لم تكن الأم مؤمنة؟ سوف تقوم بتربية المولود بطريقة تتناسب مع عقيدتها، ولا تأتي مهمتك أنت كأب ومعلم إلا بعد فترة طويلة. فتكون قد غرست بذور عقيدتها في المولود. فإياك أن تكون الزوجة مشركة والزوج مؤمناً؛ لأن هذا سيخل بالنظام الأسري، لأنَّ عمل الأم عمل تربوي، وتربية المولود حسب عقيدتها وعاداتها سيؤثر سلباً على النظام الأسري، فيقضي الطفل سنته الأولى في حضن أمه.[115]

وبعد ما نهى الله عزوجل الرجال أن ينكحوا المشركات، ويتابع الحق فيقول: ﴿وَلاَ تُنْكِحُواْ المشركين حتى يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُم﴾(البقرة،221/2). إن المقاييس واحدة في اختيار شريك الحياة، إنها الرغبة في بناء الحياة الأسرية السليمة، وغاية كل شيء هي التي تحدد قيمته، وليست الوسيلة فهي التي تحدد قيمة الشيء، حيث تسير في طريق خطر لكن غايته خير، وقد تسير في سبيل مفروش بالورود والرياحين وغايته شر، ولذلك يقول الله تعالى:

[115] الشعراوي، *تفسير الشعراوي*، 957/2.

﴿أولئك يَدْعُونَ إلى النار والله يدعوا إلى الجنة والمغفرة بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾(البقرة،221/2)..[116]

وقوله ﷺ أيضا محذراً من سوء الاختيار ورفض حسن الاختيار وبيان آثاره السيئة، فكما يجب اختيار امرأة لها عقيدة سليمة أيضا يجب اختيار رجل صالح ذو خلق ودين: "إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ ". [117]

لأن اختيار هذا المعيار للزواج لا ينتج عنه ظلم وجور وتجاوز لحقوق الآخر إلا بنسب ضئيلة، فالكل ملتزم بما عليه أمام الآخر خوفاً من الله تعالى؛ لأنه ملتزم بالأخلاق، قال رجل للحسن البصري(ت: 110هـ): «قد خطب ابنتي جماعة فممن أزوجها ؟ قال: ممن يتقي الله فإن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها».[118]

2- الصلاح:

حذَّر القرآن الكريم المسلمين من فتنة الشهوة، ونهاهم عما يقود إلى الذنب العظيم القبيح وهو الزنى، فبعدها مباشرة يعطي البديل، ويرشد الناس ويدلهم الطريق الوحيد الذي يبعدهم عن طريق الانحراف، يقول العلامة عبدالكريم المدرس بياري(ت: 1425هـ-2005م): "أتى الله سبحانه وتعالى بكلامه الوافي شفاء لداء عضال يبتلى به الناس ويقعون به مواقع السوء، وذلك الشفاء هو الزواج المشروع الذي يوجب الأنس والراحة للنفس، والنسل المطيع لجانب القدس المانع من الوقوع في مهالك الشهوات".[119]

وما نهي الله تعالى عن شيء ضار في الإسلام إلا وقابله بشيء نافع، فقد نهى الله تعالى عما لا يحل، مما يؤدي إلى الفاحشة من إرسال البصر والتلوث بالمنكر، ثم أعقبه بيان طريق

---

[116] الشعراوي، *تفسير الشعراوي*، 961/2.

[117] الترمذي، *الجامع الكبير*، باب: ماجاء من ترضون دينه وخلقه، الرقم: (1084)، 386/3؛ ابن ماجة، أبو عبد الله مُحَمَّد بن يزيد القزويني، *سنن ابن ماجة*، تح: محمود خليل، مكتبة أبي المعاطي، باب: الأكفاء، 1967، 140/3؛ الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الشامي، *المعجم الأوسط*، تح: طارق بن عوض الله بن مُحَمَّد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة، د،ت، باب: من اسمه أحمد، الرقم:(446)، 141/1.

[118] القاسمي، مُحَمَّد جمال الدين بن مُحَمَّد سعيد بن قاسم الحلاق، *موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين*، تح: مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م، ص105.

[119] المدرس، عبدالكريم مُحَمَّد، *مواهب الرحمن في تفسير القرآن*، دارالحرية للطباعة –بغداد1988م، 75/6.

الحل وهو الزواج المؤدي للعفة والصون، وبقاء النوع الإنساني، وحفظ الأنساب، ودوام الألفة والمحبة، وبناء الأسرة القويمة، لذا رغب الشرع الحنيف بالزواج والاستعفاف.[120]

يقول الله تبارك وتعالى عن معيار الصلاح لمشروع الزواج: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور،32/24). فموضع الشاهد ووجه الاستشهاد في الآية وهو كلمة "الصالحين"حيث اختلف المفسرون حول معنى كلمة "الصالحين"هل هي بمعنى صلاح الدين والخلق أم بمعنى الأهلية أي: أن كلاً من الزوجين مؤهل لخدمة الآخر والتعايش وتربية الذرية وإدارة الحياة.

قال جمع من المفسرين حول كلمة "الصالحين "في الآية هي بمعنى: الإيمان والدين والخلق، كابن عباس ﷺ(ت:86هـ) ومقاتل بن سليمان(ت:150هـ) والطبري(ت:310هـ) وجارالله الزمخشري (ت:538هـ) وابن الجوزي البغدادي (ت:597هـ) والرازي (ت:605) والقرطبي (ت:671هـ) ومحمد شيراز البيضاوي (ت685هـ) وأبوالبركات النسفي(ت:710هـ) وأبو حيان الأندلسي (ت:745هـ) وجلال الدين المحلي (ت:864هـ) والشوكاني (ت:1250هـ) ومحمود الآلوسي (ت:1270هـ) ومحمد بن عاشور (ت:1393هـ)، ومحمد علي الصابوني (ت:1443هـ).[121]

وقال غيرهم من المفسرين عن معنى كلمة "الصالحين"هي: بمعنى أن يكون مؤهلًا للنكاح وقادراً على إدارة الأسرة.

---

[120] الزحيلي، *التفسير الوسيط*، 2/ 1748؛ النابلسي، *تفسير النابلسي*، 102/8.

[121] الفيرزآبادي، *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى1992، ص371؛ الأزدي، مقاتل بن سليمان بن بشير، *تفسير مقاتل بن سليمان*، تح: احمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى 2003 م، 417/2؛ الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*، 166/19؛ الزمخشري، *الكشاف*، 233/3؛ ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، 36/6؛ الرازي، فخر الدين مُحَمَّد بن عمر التميمي، *التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب*، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى 2000م، 186/23؛ القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 240/12؛ البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 185/4؛ النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*، تح: مروان مُحَمَّد الشعار، دار النفائس ـ بيروت 2005م، 119/3؛ أبو حيان الأندلسي، *البحر المحيط*، 38/8؛ الجلالين، جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، دار الحديث – القاهرة، ط: الأولى، ص 462؛ الشوكاني، مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد الشوكاني، *فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير*، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط: الأولى، 33/4؛ الآلوسي، *روح المعاني*، 342/9؛ ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 173/18، الصابوني، مُحَمَّد علي، *صفوة التفاسير*، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة1997م، 308/2.

لكن بإمكاننا الجمع بين الأقوال: ونقول إن الكلمة تحمل كلا الأمرين، صلاح في الدين وصلاح الخلق الرفيع، وهذا هو الملائم والمناسب لجوامع الكلم وبلاغة القرآن الكريم، لأن كلتا الحالتين أو المعنيين مقصودين في الإسلام. ويعد الإيمان معياراً للصلاح، وأهم شئ للحياة الأسرية كما قال سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ"ما أعطى العبد بعد الإيمان بالله خيراً من امرأة صالحة"[122] وللمرأة كذلك الشيء نفسه، ويقول النابلسي في معنى "الصالحين"جمعاً بين الأمرين: "الذين يصلحون للنكاح من حيث صلاح الدين والقدرة الجسدية والمالية ومن حيث النضج الاجتماعي".[123]

3-المعايير المستحبة في قصة الزواج القرآنية"زواج موسى عليه السلام"

قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام وامرأتان: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (23) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا، فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (25) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (26) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (27)﴾ (القصص،28/ 25-27).

هذه الآيات الكريمة تقص لنا قصة عن نموذج العفاف والحياء والتربية الربانية السليمة، ونموذج الأسرة العامرة بالإيمان والخوف من الله تعالى للرجال والنساء، ولو اكتفيت بهذه القصة كنموذج للتربية ولحياة أسرية صحيحة لكانت وافية وكافية، وهذه الآيات الكريمة فيها ما لا يعد من الأحكام والآداب والأخلاق في جوانب عديدة، ولكن الذي يخصنا فيها، وما ينبغي أن نلقي الضوء عليه هو جانب حسن الاختيار لشريك الحياة من قبل الطرفين، والذي نستخلص فيها من معايير الزواج معيارين من أهم معايير الزواج للمرأة والرجل وهما:

---

[122] الغزالي، *إحياء علوم الدين*، 31/2.

[123] النابلسي، *تفسير النابلسي*، 106/8؛ ربا راكان احمد، *المنهج القرآني في حماية الأسرة*، ص45؛ الرجوب، نايف محمود، *أحكام الخطبة في الإسلام*، دار الثقافة، ط: الأولى2008، ص80.

أ- المرأة صاحبة الحياء:

الحياء: هو الشيء الذي يزين المرأة، وأجمل ما فيها هو الحياء والحشمة، فمن لوازمها الحياء، وحينما تفقد المرأة حياءها تفقد أنوثتها، في هذه القصة ذكر الله تعالى بمثابة الفخر والمدح حياء المرأة، وعبَّر عن حيائها بأجمل وأوجز وأبلغ الكلام هو قوله عزوجل: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾(القصص،25/28) كانت مشيتها على الحياء والحشمة، فمجيئها ومشيتها "على استحياء"تمشي مشي الحرائر، متخمرة بخمارها، ساترة وجهها بثوبها، ليست جريئة على الرجال، قال أبو الليث السمرقندي(ت:373هـ): "على حياء لأنها كانت مقنعة ولم تكن متبرجة ويقال "على استحياء "يعني على حياء واضعة يدها على وجهها وقال عمر بن الخطابﷺ "على استحياء "يعني مستترة بكمِّ درعها أو قميصها"[124]، وقال في تفسير السلمي: "إتمام إيمانها وشرف عنصرها وكريم نسبها أتته على استحياء"[125] وهذا هو السبب والدافع الذي جعل موسى عليه السلام يوافق على زواجها، ويجعلها شريكة حياته ورفيقة دربه، ووافق على الشروط بلا تردد.

وبعد ما أتت اليه الفتاة مخبرة عن أبيها مستحية في مجيئها ومشيتها "﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي[126] يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾"وانتهى الأمر، فهنا أوجزت الكلام لا زيادة فيه، ولا يحتمل جواباً آخراً ولا نقاشاً، لأنه كلام لا يحتاج إلى الاستفسار ولا الاستبيان، ولو قالت إن أبي يدعوك لقد بلغت دعوة أبيها، لكنها حينئذ تفتح باب المجاملة والأخذ والرد، لأنَّ من حق سيدنا موسىعليه السلام أن يسأل لماذا أبوك يطلبني؟ فهنا يبدأ السؤال والجواب، والأخذ والرد،

---

[124] السمرقندي، أبو الليث نصر بن مُحَّد بن إبراهيم، *بحر العلوم في التفسير*، تح: محمود مطرنجي، دار الفكر – بيروت، 604/2؛ الرازي، أبو مُحَّد عبد الرحمن بن أبي حاتم، *تفسير ابن أبي حاتم*، تح: أسعد مُحَّد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا، 2964/9؛ الخازن، علاء الدين علي بن مُحَّد بن إبراهيم البغدادي، *تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل*، دار الفكر – 1979م، 170/5؛ الشربيني، شمس الدين مُحَّد بن أحمد، *السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير*، دار الكتب العلمية . بيروت، 94/3؛ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، *الدر المنثور في التفسير بالمأثور*، تح: مركز هجر للبحوث، دار هجر – مص2003م، 449/11؛ الزحيلي، *تفسير المنير*، 84/20؛ مركز الدراسات والعلوم القرآنية، *موسوعة التفسير المأثور*، دار ابن حزم –بيروت – 2019م، 85/17.

[125] السلمي، أبو عبد الرحمن مُحَّد بن الحسين بن موسى الأزدي، *تفسير السلمي وهو حقائق التفسير*، تح: سيد عمران، دار الكتب العلمية، بيروت 2001، 104/2.

[126] وقد اختلف المفسرون في هذا الرجل مَنْ هو؟ فأشهر الأقوال هو أنه نبي الله شعيب الذي أرسل الى أهل مدين، وقال حسن البصري هو رجل ممن آمن بشعيب. ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، 228/6؛ السمعاني، أبو المظفر منصور بن مُحَّد بن عبد الجبار، *تفسير القرآن العظيم*، تح: ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن – الرياض، 1997، 132/4.

وأيضا في بداية هذه القصة لما رآهما سيدنا موسى عليه السلام بعيدتان عن الرجال بأغنامهما، وكان سيدنا موسى في أعلى مرتبة الشهامة والمروءة والرجولة، وهو في هذه الحالة رغم الهروب والخوف والتعب والعطش والجوع، فثقل وكبر عليه أن تقف امرأتان تذودان أغنامهما، تنتظران أن يرحل الرجال وتسقيا أغنامهما، فهنا قال لهما﴿ ما خطبكما﴾؟ فلاحِظْ هنا حياء المرأة الصالحة الشريفة وعفتها ﴿قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء﴾ بمعنى ليس من أخلاقنا مخالطة الرجال ومزاحمتهم بل ننتظر بعيداً حتى ينتهوا، ثم دفعتا الشبهة عن نفسيهما بلا توقف واعطاء الفرصة لسيدنا موسى وفتح باب السؤال والجواب، فبينتا سبب خروجهما من البيت ورعاء الغنم قالتا: ﴿ وأبونا شيخ كبير﴾ وهذا هو السبب والعلة لخروجنا فنحن مضطرات للخروج، وليس لنا سوى والدنا وهو شيخ كبير في السن، فلم تعطيا الفرصة لسيدنا موسى للسؤال عن سبب خروجهما. وهذا هو الدافع الثاني لسيدنا موسى عليه السلام، حيث سرعان ما قَبِل الزواج من تلك الفتاة الحيية وقبل الشروط على ذلك.[127]

وهكذا فالقرآن الكريم من خلال آياته الكريمة يرشدنا إلى الاهتمام باختيار الزوجة الصالحة التقية الحيية للحياة؛ لأنها مدرسة للأجيال إذا هيئت بشكل جيد.

ب- **القوة والأمانة في الرجل:** قوله تعالى على لسان تلك الفتاة: ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾(القصص،26/28) فالقوة والأمانة صفتان محمودتان في الرجل وبهما تتبين شهامته وطهارة منبته وحسن تربيته، وصلاحيته أن يتولى جميع مهام الحياة، ويأخذ بزمام أمورها الصعبة، وها هو ذا شأن المرأة صاحبة الفطرة السليمة النقية قوية الشخصية، يا أبت استأجر هذا الرجل الغريب ليكفينا تعب الرعي، ومشقة العمل خارج البيت، كان أهلا لكل خير، ومحلا لثقة الناس به على أموالهم وأعراضهم، والمرأة الباقية على الفطرة السليمة، هي "تريد أن تكون امرأة تأوي إلى بيت؛ امرأة عفيفة مستورة لا تحتك بالرجال الغرباء في المرعى والمسقى، والمرأة العفيفة الروح، النظيفة القلب، السليمة الفطرة، لا تستريح لمزاحمة الرجال، ولا للتبذل الناشئ عن هذه المزاحمة.

من هنا فقد ألقينا الضوء على ما يهمنا في هذه الدراسة من معايير حسن الاختيار، لبناء الأسرة السليمة الصالحة لكن لم تنته بعد فيض رحمانها وبركات دروسها، لو نتفكر ونتمعن فيها

---

[127] الشعراوي، *تفسير الشعراوي*، 10905/10؛ النابلسي، *تفسير النابلسي*، 35/9.

وندلي بدلونا لطالعتنا عشرات الدروس، ويدلنا إلى أحسن وأسلم طرق الحياة بصورة عامة والحياة الزوجية خاصة، وهنا نشير ببعض ما يهمنا أن نتمسك به في حياتنا الدنيا فمنها:

1. الاستعانة بالله والفرج بعد الشدة:

بعد ما رعى سيدنا موسى الغنم للفتاتين ورجع إلى الظل متواضعا، ودعا ربه متذللاً خاشعاً خاضعاً ﴿رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾(القصص،24/28)، إني فقير ومحتاج إلى أي خير ينزل منك علي سواء أكان هذا الخير طعاماً أم غيره.[128]

وكان في ظلمات وضيق الهروب والغربة والجوع والعطش والبعد عن الوطن والأقارب، ونعومة عيشه في بلاط فرعون، فاستعان بالله تعالى وطلب منه العون والمدد والفرج، "ونسمع من خلال التعبير رفرفة هذا القلب والتجائه إلى الحمى الآمن، والركن الأمين، والظل الظليل، نسمع المناجاة القريبة والهمس الموحي، والانعطاف الرقيق، والاتصال العميق: ﴿رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير﴾(القصص،24/28)، وما نكاد نستغرق مع موسى عليه السلام في مشهد المناجاة حتى يعجل السياق بمشهد الفرج، معقباً في التعبير بالفاء،- التعقيب بالفاء في اللغة العربية للفور والمباشرة دون التراخي- كأنما السماء تسارع فتستجيب للقلب الضارع الغريب، ولم يكَدْ موسى عليه السلام ينتهي من مناجاته لربه حتى جاءه الفرج بعد الضيق والفرح بعد الشدة، والقوة بعد الضعف، وتسهيل تكوين الأسرة والأهل، والعون بعد الغربة والوحدة: ﴿فجاءته إحداهما تمشي على استحياء. قالت: إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾ "إنها دعوة الكبير استجابة من السماء لدعوة موسى الفقير، دعوة للإيواء والكرامة والجزاء على الإحسان.[129]

2. عرض ولي الأمر بنته أو أخته على الصالحين:

وفي القصة السالفة القرآنية عرض الرجل الصالح[130] ابنته على نبي الله تعالى موسى عليه السلام لما أعجبت بنته بقوته وأمانته: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ

---

[128] طنطاوي، *التفسير الوسيط*، 395/10.

[129] سيد قطب، *في ظلال القرآن*، 419/5؛ طنطاوي، *التفسير الوسيط*، 395/10.

[130] ذكرناه أن هذا الرجل مختلف فيه هل هو نبي الله شعيب أم غيره، ولا داعي لتكراره هنا.

تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (القصص،27/28).

فهنا دليل على جواز هذه المسألة، وهي عرض ولي الأمر ابنته أو اخته أو أي امرأة تحت رعايته على الصالحين لبناء الأسرة على أساس الإيمان والصلاح والأهلية.

وممن طبق هذه المسألة عمليا من السلف الصالح ومن خير الرجال في خير القرون سيدنا عمر ﷺ، لقد عرض بنته – حفصة– على أبي بكر وعثمان عنهما "أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * حيث شَهِدَ بَدْرًا، وتُوُفِّيَ بفي الْمَدِينَةِ قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ. قَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لَا أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ. فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَصَمَتَ أبو بَكْرٍ، فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ، فَلَقِيَنِي أبو بَكْرٍ فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ. قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِ أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ إِلَّا أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَوْ تَرَكَهَا لَقَبِلْتُهَا".[131]

وقال القرطبي(ت:310هـ): "وهذه سنة قائمة، عرض صالح مدين ابنته على صالح بني إسرائيل "[132]وأيضا ممن سار على هذا الدرب لتابعي الجليل سعيد بن مسيب(ت:94هـ) لقد عرض بنته على أحد طلابه لما رأى فيه الخير والصلاح.[133]

---

[131] البخاري، *الجامع الصحيح*، باب: عرض الأنسان بنته أو أخته على أهل الخير، الرقم: 4005، 83/5.

[132] القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 271/13.

[133] وقال أبو وداعة: كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أياماً، فلما جئته قال أين كنت قلت توفيت أهلي فاشتغلت بها، فقال هلا أخبرتنا فشهدناها قال ثم أردت أن أقوم فقال هلا أحدثت امرأة غيرها فقلت يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة فقال إن أنا فعلت تفعل قلت نعم، ثم حمد الله تعالى وصلى على النبي ﷺوزوجني على درهمين أو قال على ثلاثة، قال فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح، فصرت إلى منزلي، وجعلت أتفكر ممن آخذ وأستدين، وصليت المغرب، وكنت صائماً، فقدمت عشاي لأفطر، وكان خبزاً وزيتاً، وإذا بالباب يقرع، فقلت من هذا قال سعيد، ففكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب، فإنه لم ير منذ أربعين سنة إلا ما بين بيته والمسجد، فقمت وخرجت، وإذا بسعيد بن المسيب، فظننت أنه قد بدا له، فقلت يا أبا محمد، هلا أرسلت إلى فآتيك قال لا، أنت أحق أن تؤتى، قلت فما تأمرني قال رأيتك رجلاً عزباً قد تزوجت فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك، فإذا هي قائمة خلفه في طوله ثم دفعها في الباب ورد الباب، فسقطت المرأة من الحياء، =

هذه المسألة شرعية تماما وتلائم الشهامة والمروءة لاريب فيها؛ لأن الذين مارسوا هذه القضية هم من خير رجال هذه الأمة، أما بعض الظروف والأزمان تأتي على الناس لا تقبلها، أو من تعرض عليه بنتك أو اختك فهو يفكر فيها كأنك تريد التخلص من هذه المرأة، بل ترجع هذه الحالات إلى مستوى العقلية وسوء الظن لهؤلاء الناس، ولذا من الأفضل أن لا يعرض الانسان بنته أو اخته على كل الناس، إلا على من فيه الصلاح والإنصاف والمروء والشهامة، كأمثال الذين على خطى سيدنا موسى وسيدنا أبو بكر وعثمان، ومن تربى على يد أهل الصلاح كأمثال تلميذ سعيد بن مسيب(ت:94هـ).

3. عرض المرأة نفسها على رجل صالح:

وكما يجوز عرض ولي الأمر بنته أو اخته على أهل الصلاح للزواج ويجوز أيضا عرض المرأة نفسها على أهل الصلاح للزواج، وهذه مسألة أيضا شرعية لا حرج فيها، ففي القصة السالفة استدلال غير مباشر لهذا الموضوع، وهو قول الله تعالى على لسان إحدى البنتين: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (القصص،26/28)، فهذا تلميح لوالدها وطلب منه أن يزوجها لهذا الرجل القوي الأمين، ففهم الوالد طلب وقصد ابنته، فقال: مباشرة لموسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ...﴾ (القصص،27/28)، قال طنطاوي(ت:1420هـ): "وفي هذه الآيات ما فيها من الإشارة إلى رغبة المرأة الصالحة، في الرجل الصالح، وإلى أنه من شأن الآباء العقلاء أن يعملوا على تحقيق هذه الرغبة."[134] وبوب البخاري لهذه المسألة بعنوان (باب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح) و النسائي أيضا في سننه بعنوان: (عرض المرأة نفسها على من ترضى) واستدلا بما روي "عن ثابت البناني، قال: كنت عند أنس وعنده ابنة له قال أنس: جاءت امرأة إلى رسول الله -ﷺ-، عرضت عليه نفسها، قالت يا رسول الله ألك بي حاجة ؟ فقالت بنت أنس

فاستوثقت من الباب، ثم صعدت إلى السطح، فناديت الجيران، فجاءوني وقالوا ما شأنك فقلت زوجني سعيد بن المسيب إلوم ابنته وقد جاء بها على غفلة، وها هي في الدار، فنزلوا إليها، وبلغ أمي فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها ثلاثة أيام، فأقمت ثلاثاً ثم دخلت بها، فإذا هي من أجمل الناس وأحفظهم لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ وأعرفهم بحق الزوج؛ قال فمكث شهراً لا يأتيني ولا آتيه، ثم أتيته بعد شهر وهو في حلقته، فسلمت عليه، فرد علي ولم يكلمني حتى انفض من في المسجد، فلما لم يبق غيري، قال ما حال ذلك الإنسان قلت هو على ما يحب الصديق ويكره العدو، قال إن رابك شيء فالعصا، فانصرفت إلى منزلي. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، تح: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، 376/2؛ الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*، دار الكتاب العربي – بيروت، 168/2.

[134] طنطاوي، *التفسير الوسيط*، 397/10.

ما أقل حياءك واسوأتاه واسوأتاه قال: هي خير منك رغبت في النبي -ﷺ- فعرضت عليه نفسها".[135]

وفي الموسوعة الفقهية الكويتية يقول: "يجوز عرض المرأة نفسها على الرجل وتعريفه رغبتها فيه، لصلاحه وفضله أو لعلمه وشرفه أو لخصلة من خصال الدين، ولا غضاضة عليها في ذلك، بل ذلك يدل على فضلها".[136]

4. هذه القصة ردٌّ بليغ لدعاة الحُبِّ قبل الزواج:

هذه القصة القرآنية تُعَلِّم الرجال والنساء دروس الحياء والعفة والشهامة والمروءة، وتعلمنا أنه لا يجوز قطعاً ممارسة الحب والغرام بين الرجال والنساء والفتى والفتيات قبل الزواج سواء في نيتهما الزواج أم لا، لو نلاحظ تصرفات تلك الفتاة التي أعجبتها شهامة وقوة وأمانة موسى عليه السلام، وتمنت أن تكون زوجة له مع ذلك لم تسمح لنفسها أن تفسح مجالاً للأخذ والرَّدِّ مع موسى عليه السلام، وما سمحت أن يدخل الشيطان بينهما لإغوائهما، لما سألهما موسى ﴿ما خطبكما؟﴾ ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأبونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ انتهى الأمر، ما تكلمتا مع موسى بكلام لين وما جاملتاه، ولما رجعت أحدهما مرسلة من قبل أبيها إلى موسى عليه السلام، فأتت إليه بهيئة الحشمة والحياء ﴿تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾، بلا سلام ومقدمة وفتح باب الأخذ والرد مباشرة: ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾.

وكل هذه التصرفات والأحداث التي يقصها علينا الباري عزّوجل وسجلها في القرآن الكريم درس بليغ للناس أجمعين، بأن لا تجوز مجاملة النساء مع الرجال والكلام الزائد والحب والغرام، ويقول الله تعالى لزوجات النبي ﷺ ومنهن إلى نساء الأمة، لا يجوز أبدا حينما تتكلمن مع الرجال الأجانب لضرورة وحاجة أن تخضعن وتليّن قولكن، لماذا؟ فبين الله تعالى السبب مباشرة لكي لا يقع في قلب الرجال شيء: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (الأحزاب،33/ 32).

---

[135] البخاري، *الجامع الصحيح*، باب: (باب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح)، الرقم:4828، 1967/5؛ النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، المجتبى من السنن(سنن النسائي)، تح: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب 1986م، باب: (باب عرض المرأة نفسها على من ترضى)، الرقم: 3249، 78/6، واللفظ للبخاري.

[136] الموسوعة الفقهية الكويتية، الصادر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، 50/30.

وهذا إذا أظهر الحب والعشق مع محبوبه ومعشوقه واتبع آثار الحب والعشق، أما إذا كان غير ذلك فهو له حكم آخر، ويقول في ذلك ابن القيم(ت:751هـ): "إذا حصل العشق بسبب غير محظور لم يلم عليه صاحبه، كمن كان يعشق امرأته أو جاريته ثم فارقها وبقي عشقها غير مفارق له فهذا لا يلام على ذلك، وكذلك إذا نظر نظرة فجأة ثم صرف بصره وقد تمكن العشق من قلبه بغير اختياره على أن عليه مدافعته وصرفه".[137]

2.3.2. المنهج القرآني للحياة الأسرية أثناء التكوين

في أثناء ممارسة الحياة الزوجية يتعرض كل من الزوجين أمام الآخر إلى الواجبات والحقوق، كما قال الله تعالى ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾(البقرة،228/2)، فعليهما أداء الواجبات الشرعية التي فرض الله تعالى عليهما، وفي المقابل لهما حقوق ينبغي أن يلتزما به أمام بعضهما.

على النحو الذي سنبينه فيما يلي:

أولا: المنهج القرآني في رعاية حقوق الزوجين وأثر أدائها على استقرار الأسرة.

أ- حقوق الزوجين:

يعتبر الزواج دائمًا رابطًة شرعية مقدسة بين الرجل والمرأة، والمقصد منه تكوين أسرة تقوم على المودة والرحمة وتنشئة سليمة للأجيال القادمة، وإذا كانت العقود تنطوي بشكل عام على حقوق والتزامات متقابلة للطرفين، فإن عقد الزواج بدوره يلزم الطرفين بمجموعة من الحقوق والواجبات التي لا تستمد وجودها إلا من العقد الموقع بين الطرفين، وتجد دعمها في طبيعة العلاقات الإنسانية وما تفرضه الشريعة الإسلامية وقانون الأسرة في هذا الصدد، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إليها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الروم،21/30).

يجب أن يكون لدى أي مؤسسة نظاما لحقوق وواجبات الأفراد الذين ينتمون إليها، وإذا التزم هؤلاء الأفراد بما لهم وما عليهم، فإن سفينة هذه المؤسسة ستسير بأمان وستحقق أكبر نجاح لها في مجالها الداخلي والخارجي.

---

[137] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، *روضة المحبين ونزهة المشتاقين*، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ص147.

والأسرة مؤسسة اجتماعية مؤثرة ومتأثرة بمحيطها، وقد اهتم القرآن الكريم بهذه المؤسسة المباركة اهتماما بالغاً لأهميتها وتأثيرها في المجتمع، ولكي تستمر هذه السفينة وتصل إلى شاطيء الأمان والاستقرار، يجب صياغة دستور يكفل لكلّ فرد فيه ما له من حقوق وما عليه من واجبات ومسؤوليات.

فلكل من الزوجين ما له وما عليه، وقيامهما بما عليهما مفتاح الطمأنينة والسكينة لحياتهما، وسبب لمداومة حسن العشرة بينهما، وستصبح الأسرة متماسكة ومترابطة.

عندما يهتم الإسلام بقضية الإنسان وحقوقه لا يفرق بين الرجل والمرأة لأنهما متساويان في الحقوق والواجبات، فهما كجناحي الطائر في الحياة الدنيا لا يستغني أحدهما عن الآخر، ولا يتحقق مقصد وجود الإنسانية وخلافة الأرض إلا بهما، وقد بين الله تعالى هذا التساوي والتماثل في الحقوق والواجبات بقوله عزّ وجل: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(البقرة،228/2).

هذه الآية: قاعدة كلية محكمة ومقررة بأن المرأة مساوية للرجل في الحقوق والواجبات، إلا بأمر واحد عبر عنه سبحانه وتعالى بقوله ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾(البقرة،228/2).[138]

وذلك لكون الحقوق بينهما متبادلة، فما من خدمة تقدمها المرأة للرجل إلا وللرجل خدمة يقابلها بها، إذاً لم يكن يماثله في هيئته وشكله، فهو في جنسه وفائدته، وهذا التماثل في الحقوق والواجبات أساسه التماثل في الذات والشعور والإحساس والعقل، إذ ليس من العدل أن يتحكم أحد الصنفين بالآخر ويجعله عبداً ويستخدمه عبداً لمصالحه.[139]

وهنا نلقي الضوء على ذكر أهم وأبرز حقوقهما المذكورة في القرآن الكريم، وواجباتهما تجاه الآخر.

حقوق الزوج على زوجته:

ومن أهم الحقوق المذكورة في القرآن الكريم للزوج على زوجته هما:

1-**حق الطاعة:** ومن أهم وأولى حقوق الزوج على زوجته في الحياة الأسرية؛ الطاعة وامتثال أوامره في حدود الشرع، فبما أن الأسرة اللبنة الأولى للمجتمع وأساسه، ومنها ينطلق

---

[138] رشيد رضا، *تفسير المنار*، 297/2؛ زريفة، رشا بسام إبراهيم، *عوامل استقرار الأسرة*، ص 80؛ الضمور، ربا راكان احمد، *المنهج القرآني في حماية الأسرة*، ص192؛ الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، *دراسات في علوم القرآن الكريم*، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ط:12، سنة الطبع1424هـ، ص308.

[139] علي بن عوإلى، *ضمانات حماية الأسرة بين الفقه وقانون الأسرة الجزائري*، ص236.

المجتمع لابد لقائد يقودها ومنظم ينظمها، ويوجد من يوحد شمل الأسرة ويحفظها من التفرقة، والزوج على العموم أولى من الزوجة لإلجام زمام الأسرة، لأن الزوجة عادة على كاهلها ثقل تربية الأجيال وإدارة البيت، أما شؤون الحياة الأخرى فمعالجتها صعبة بالنسبة لها، والقرآن الكريم ذكر هذه المسألة ويرشد المرأة إطاعة زوجها لكي لا تتشتت الأسرة، يقول الله عزّ وجل: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ (النساء،34/4)، في هذه الآية منح الله تعالى القوامة للرجال على النساء، قال اسماعيل حقي(ت:1027هـ) في تفسيره عن معنى القوامة: "قائمون بالأمر بالمصالح والنهى عن الفضائح قيام الولاة على الرعية مسلطون على تأديبهن، وسبب إعطاء القوامة أمران وهبى وكسبى، فأما السبب الوهبي قوله تعالى: ﴿بما فضل الله بعضهم على بعض﴾ والسبب الثاني: كسبي وهو قوله عز وجل ﴿وبما أنفقوا من أموالهم﴾ أى وبسبب إنفاقهم من أموالهم ".[140]

والقوامة تلزمها الطاعة، فبدون الطاعة لا تتحقق القوامة، ففي نهاية الآية ذاتها ذكر الله سبحانه وتعالى إطاعة النساء للرجال إذ لا معنى لحق القوامة بدون حق الطاعة ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾.(النساء،34/4).

في هذه الآية ربط الله تعالى القوامة والطاعة بمعنى أنهما متلازمان لبعضهما، والزوجة لا تكون مطيعة لزوجها إلا إذا كانت صالحة، ذكرها الله سبحانه وتعالى هذا القيد في الآية السالفة نفسها قائلا ﴿فَالصَّالِحاتُ قانِتاتٌ﴾ (النساء،34/4). يقول الرازي(ت:605هـ) في تفسيره "واعلم أن المرأة لا تكون صالحة إلا إذا كانت مطيعة لزوجها، لأن اللّه تعالى قال: ﴿فَالصَّالِحاتُ قانِتاتٌ﴾ والألف واللام في الجمع يفيد الاستغراق، فهذا يقتضي أن كل امرأة تكون صالحة، فهي لا بد وأن تكون قانتة مطيعة، فلفظ القنوت يفيد الطاعة، وهو عام في طاعة اللّه وطاعة الأزواج".[141]

إذاً الطاعة واجبة على الزوجة، ولا تتصدر إلا من امرأة صالحة، ومن الضروري ذكر أن هذه ليست بالمعنى المطلق للطاعة، بل عليها طاعة زوجها إذا تحققت ثلاثة شروط وهي:

أولا: أن تكون الطاعة في الأمور الشرعية، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

---

[140] حقي، اسماعيل حقي بن مصطفي الأستنبولي الحنفي، *تفسير روح البيان*، دار الفكر بيروت، 458/2.

[141] الرازي، *مفاتيح الغيب*، 71/10.

ثانيا: أن يكون الزوج قائما بما وجب عليه من الحقوق لزوجه، فإن لم يقم بها ولم يف بما عليه لها حينها فلا تلزمها طاعته.

ثالثا: أن يكون الأمر الصادر لها في شأن من شؤون الأسرة، فلو كان في شان من شؤونها الخاصة كتصرف في بعض مالها فلا يجب عليها طاعته[142].

2-**حق القرار في البيت:** القرار في البيت حق للزوج على الزوجة، بدليل قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى...﴾ (الأحزاب،33/33)، لكن من الضروري أن لا نستعجل من فهم الآية لكي لا نقع في فخ الأعداء، المرأة ليست أسيرة تحت يد الرجال، وليست منبوذة، ولا مهانة، المرأة كائنة عظيمة، ومخلوقة رفيعة الشأن في الإسلام، وعلى كاهلها أمانة عظيمة، والأمانة لا تسلم لمن لا يقوم بحفظها، وإنَّما تستودع الودائع لأهلها، والمرأة نصف المجتمع وتلد وتربي النصف الأخر، فعليها تربية الأجيال، وهي مدرسة الحياة ومربية الأنبياء والأولياء على مدى العصور، قوله تعالى﴿وقرن في بيوتكن﴾ ليس بمعنى حبسها في البيت مهانة، ولا بمعنى تحريم الطلعات عليها إطلاقاً، والأصل في المرأة أنها مستقرة في بيتها، فبيتها مملكتها وبيتها، هو عرشها ودولتها ومدرستها، فعلى يديها تتخرج الأجيال، كما أن الأصل في الطبيب أنه في عيادته، والأصل في الحاكم محكمته، والأصل في الأساتذة مدرستهم، إذا الأمر ببقائهن في بيوتهن ليس احتقاراً لهن، لكن الأمر بهن لعظم مهمتهن وهي تربية وتنشئة الأمة، وتنظيم الأسرة، المرأة تتحمل في وقت واحد تربية الأولاد وتعبهن وتنظيف البيت وإسعاد الزوج فهذه كلها فضل لها وتظهر قوتها وفخامتها وتبرز صمودها، ولايتحمل الرجال ما تتحمله النساء ولو لساعة، فهذا قدر وفضل يحسب للنساء.

ولو قيل هذه الآية خاصة بنساء النبي ﷺ وليست عامة لنساء المؤمنين، ودليل الخصوصية الآية التي سبقتها وهي قوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ﴾ (الأحزاب،32/33)، فنقول في الجواب: هناك قاعدة أصولية معبرة (من باب أولى)، فمثلا لو نهانا الله تعالى عن أن نقول "أفٍّ"لأمهاتنا وآبائنا كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ..﴾ (الإسراء،23/17)، فالضرب والشتم من باب أولى، فهل يمكن أن نقول أن الله سبحانه وتعالى نهانا عن التأفف لكن لم ينهان الله عن الضرب والشتم! فهذا قول ناتج عن جهل بالشرع تماما، فكذلك إذا أعطى الله تعالى

---

[142] زريفة، رشا بسام إبراهيم، *عوامل استقرار الأسرة* ص97؛ القرشي، باقر شريف، *نظام الأسرة في الإسلام*، ص 69؛ شيرين زهير أبو عبدو، *معالم الأسرة المسلمة في القرآن الكريم*، ص42.

القرار في البيت لإمرأة في أعلى مستوى الإيمان والأخلاق والشهامة والعفة والتقوى، فلعامة النساء من باب أولى.

والآية ليست بمعنى أن المرأة لا يجوز لها الخروج أبدا، ولايجوز لها الخروج للضرورة- وهي تقدر بقدرها- والحاجة والوظيفة، كما قال الله تعالى عن ابنتي شعيب عليه السلام: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ (القصص،23/28)، لكن الخروج يجب في حدود الشرع لكي لا يفتتن الناس بهن، ولا يتبرجن كأمر الجاهلية: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾(الأحزاب،33/33)، وحدود الشرع مبين في القرآن الكريم أيضا بقوله: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ...﴾ (النور،31/24)، هذه الضوابط والتعليمات لا شك أنها في حالة خروجهن للضرورة والحاجة، وفي مقابلهن على الرجال غض الأبصار عنهن وعدم إحراجهن: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾(النور،30/24).وهذه الأوامر والتعليمات للرجال أيضا في حالة خروج النساء من بيوتهن واختلاطهن بالرجال.[143]

حقوق الزوجة على زوجها:

استنباطاً من قوله تعالى ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾(البقرة،228/2) أن للمرأة حقوقا على زوجها كما له عليها حقوق، يقول رشيد رضا(ت: 1354هـ) عن هذه الآية: "هذه كلمة جليلة جداً جمعت على إيجازها ما لا يؤدى بالتفصيل إلا في سفر كبير، فهي قاعدة كلية ناطقة بأن المرأة مساوية للرجل في جميع الحقوق..."[144] لأن المرأة مكملة للرجل ومؤنسة له، ولكي تدوم الحياة بينهما هنيئة ومليئة بالمودة والمحبة وبعيدة عن التفكك الأسري والفشل، فإن الله سبحانه وتعالى جعل حقوقاً للمرأة، وعلى الرجل الالتزام بها، وحقوق المرأة أكثر ذكراً في القرآن الكريم مقارنة بحقوق الرجل، ومن الحقوق المذكورة في القرآن الكريم للمرأة هي:

1. الصداق:

تعريفه:

لغة: هذه الكلمة أصلها مكونة من الصاد والدال والقاف، وهذا الأصل يدل على قوة في

---

[143] النابلسي، *تفسير النابلسي*، 63،64/10؛ القرشي، باقر شريف، *نظام الأسرة في الإسلام*، ص70؛ شيرين زهير أبو عبدو، *معالم الأسرة المسلمة في القرآن الكريم*، ص44؛ سيد قطب، *في ظلال القرآن*، 2859/5.

[144] رشيد رضا، *تفسير المنار*، 297/2.

الشيء سواء أكان ذلك الشيء قولاً أو فعلاً، وقد أصدق المرأة حين تزوجها أي جعل لها صدقاً، ومن ذلك الصِّدق خلاف الكذب، وسمي بذلك لقوته في نفسه، وصداق المرأة سمي بذلك لقوة وجوبه بالأدلة القرآنية، وهذه اللفظة بذاتها واردة في القرآن الكريم.[145]

واصطلاحاً: هو المال الذي تستحقه الزوجة على زوجها بالعقد عليها أو بالدخول بها حقيقة، وله أسماء كثيرة جمعها بعضهم في قوله:

صداق ومهر ونحلة وفريضة حِباء وأجر ثم عُقر علائق.[146]

وفي القرآن الكريم ورد بعدة أسماء مترادفة وهي:

أ- وردت بلفظ صدقات جمع صداق ولفظ نحلة في قوله تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ (النساء،3/4).

ب- ورد بلفظة فريضة في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(البقرة،237/2).

ت- وسمي أجراً لقوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء،24/4).

ث- وسمي طولاً في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(النساء،25/4).

---

[145] ابن فارس، *معجم مقاييس اللغة*، 339/3؛ ابن منظور، *لسان العرب*، 193/10.

[146] الزحيلي، وهبة الزحيلي، *الفقه الإسلامي وأدلته*، دار الفكر، دمشق، 237/9؛ الأشقر، عمر سليمان، *أحكام الزواج في ضوء الكتاب والسنة*، دار النفائس، الأردن1997م، ص 257؛ الغروي، محمد بن عمر، *حقوق المرأة في الزواج*، دار الاعتصام،، ص 53؛ مرسي، أكرم رضا، *قواعد تكوين البيت المسلم، أسس البناء وسبل التحصين*، دار النشر والتوزيع الإسلامية، 2004م، ص315.

ج- وسمي قنطاراً قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾(النساء،20/4).

وفي السنة النبوية وردت بأسماء أخرى ككلمة المهر والعلائق:

أ- عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: "أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فإن دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها".[147]

ب- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْكِحُوا الْأَيَامَى"، ثَلَاثًا ، قِيلَ: مَا الْعَلَائِقُ بَيْنَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ ، قَالَ: «مَا تَرَاضَى عَلَيْهِ الْأَهْلُونَ ، وَلَوْ قَضِيبٌ مِنْ أَرَاكٍ»، [148] وفي رواية أخرى قال رسول الله ﷺ: "أَدُّوا الْعَلَائِقَ»، فَقَالُوا: وَمَا الْعَلَائِقُ؟ قَالَ: «مَا تَرَاضَى بِهِ الْأَهْلُونَ»".[149]

حكمه:

الصداق واجب على الزوج لزوجته بالأدلة القرآنية المذكورة والسنة النبوية وإجماع العلماء.

فالأدلة القرآنية ذكرناها، لا داعي لتكرارها هنا، أما السنة النبوية الشريفة في ذلك غير ما ذكرنا من الحديثين السابقين ورد في صحيح البخاري: "أن امرأة عرضت نفسها على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له رجل: يا رسول الله زوجنيها، فقال: ما عندك قال ما عندي شيء قال اذهب فالتمس ولو خاتماً من حديد، فذهب ثم رجع فقال: لا والله ما وجدت شيئاً، ولا خاتماً من حديد ولكن هذا إزاري ولها نصفه- قال سهل وما له رداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما تصنع بإزارك إن لبسته لم يكن عليها منه شيء وإن لبسته لم يكن عليك منه شيء، فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فدعاه، أو دعي له فقال: ماذا معك من القرآن، فقال معي سورة كذا، وسورة كذا لسور يعددها فقال النبي صلى الله عليه وسلم

---

[147] الترمذي، *الجامع الكبير*، الرقم(1102)، 399/3؛ الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب، *المعجم الكبير*، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة 1994م، الرقم:(11494)، 202/11.

[148] الدار قطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد، *سنن الدار قطني*، تح: شعيب الارنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت – 1994م،باب: المهر، الرقم:(3600)، 357/4.

[149] البيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي، *معرفة السنن والآثار*، تح: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي، باكستان) وآخرون، ط: الأولى1991م، باب: ما يجوز أن يكون مهرا، الرقم:(14242)، 213/10.

أملكناكها بما معك من القرآن".[150]

والإجماع:

أجمع المسلمون قاطبة على مشروعية الصداق ووجوبه في كل عقد النكاح.[151]

شروط الصداق:

ومن شروط الصداق في الزواج أن يكون طاهراً، ومنتفعاً به، ومقدوراً على تسليمه إياها، ومعلوماً في الصفة والكيفية.[152]

حكمة الصداق:

فرض الله تعالى الصداق للزوجة على الزوج، وليس لأحد اسقاطه، وتبرز فيه عدة حكم ومقاصد فمنها:

- إبراز مكانة عقد الزواج وقوته.
- إعزاز للزوجة وإكرام لها.
- حسن النية في بناء حياة زوجية سعيدة معها.
- دليل على قصد المعاشرة بالمعروف.[153]

2. السكن

تكوين السكن من أولى ضروريات الحياة ولا سيما للأسرة، وهو من حق الزوجة على الزوج أن يهييء لها قدر الإمكان ما يناسبها، الزوجة مشرفة على بيتها، وأذواقها بيتها، فلاحظ حينما قال الله تعالى في حق امرأة مطلقة مراعاتا لذوقها: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾(الطلاق،1/65)، لماذا نسب البيت إلى الزوجة!؟ مع العلم أن البيت ملك للزوج وليس للزوجة، نسب إليها تشريفا لها ومراعاتا لذوقها، فمن حقها أن يكون لها بيتا كي تحقق فيه ذاتها، فالمسكن مملكتها ومكان تحقيق أمنياتها، ولهذا تكوين السكن من حقها على زوجها، ويقول ابن قدامة: "ويجب للزوجة مسكن بدليل قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ

---

[150] البخاري، *الجامع الصحيح*، باب: عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح، الرقم:(5121)، 17/7.

[151] الزحيلي، *الفقه الإسلامي وأدلته*، 238/9.

[152] علي بن عوإلى، *ضمانات حماية الأسرة بين الفقه وقانون الأسرة الجزائري*، ص245.

[153] خياط، نواف بن صالح، *التوجيهات التربوية لأحكام النكاح في الإسلام*، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، ط: الأولى 2012م، ص142؛ المطيري، فيحان سإلى، *اتحاف الخلاف بحقوق الزوجين في الإسلام*، دار العاصمة –الرياض، ص121؛ الحفناوي، *الموسوعة الفقهية الميسرة للزواج*، مكتبة الإيمان، المنصورة –، ص 312.

وُجْدِكُمْ﴾ (الطلاق،6/65)، هذه الآية وان كانت تتكلم عن سكنى المطلقة، وليست دليلاً صريحاً للزوجة الباقية تحت ولاية الرجل، لكن تحلل هذه المسألة بقوله: فإذا وجبت السكنى للمطلقة فللتي في صلب النكاح أولى قال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء،19/4)، ومن المعروف أن يسكنها في مسكن، ولأنها لا تستغني عن المسكن للاستتار عن العيون وفي التصرف والاستمتاع وحفظ المتاع، وصفة المسكن ينبغي أن يكون على قدر يسرهما وعسرهما لقول الله تعالى: ﴿من وجدكم﴾(الطلاق،6/65) وفي معنى ذلك يقول ابن عباس(ت:68هـ)، ومجاهد(ت:104هـ): "يعني سعتكم"، [154] ويقول البغوي(ت:516هـ): "يعني: سعتكم وطاقتكم، يعني: إن كان موسرًا يوسع عليها في المسكن والنفقة، وإن كان فقيرًا فعلى قدر الطاقة"[155] تأسيس المسكن واجب شرعيٌّ، أما صفته وهيئته فهذا يتوقف على قدر وإمكانية الزوج، كما قال العلماء في تفسير الآية، وهناك آية أخرى مباشرة بعد الآية التي ذكرناها آنفا تدعم هذه المسألة من تأسيس المسكن والنفقة وغير ذلك مما هو واجباللأزواج أمام زوجاتهم في الحياة الأسرية على قدر الإمكان وهي قوله تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾(الطلاق،7/65).

3. العدل عند التعدد:

أساس الشريعة الإسلامية ومطلب الإسلام العدل والإحسان في كل شيء ومع كل شيء، والعدل مطلوب مع كل أفراد الأسرة وحتى مع الزوجة الواحدة، لكنه مطلوب أكثر عند تعدد الزوجات، وهذه العدالة صريحة في الآية القرآنية حيث يقول الله عزّوجل: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾(النساء،3/4)، التعدد جائز ومباح شرعاً وليس بواجب، لكن هذا المباح إذا تحقق سيتبعه واجب وهو العدل، إذاً العدل واجب وهو نتيجة التعدد المباح، والعدل المطلوب من الزوج تجاه زوجاته هو العدل الظاهري فقط من المبيت والمسكن والنفقة وإظهار المحبة، أما ميوله القلبي لإحداهن هذا لا يلام عليه وغير مطلوب منه أن لا يقع، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾(النساء،129/4) يقول البغوي(ت:516هـ): "لن تقدروا أن تُسووا بين النساء في الحب

---

[154] ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، 152/8؛ ابن عطية، أبو محمّد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، تح: عبد السلام عبد الشافي محمّد، دار الكتب العلمية – بيروت،1422هـ، 180/4؛ ابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، *المغني في فقه أحمد بن حنبل الشيباني*، دار الفكر – بيروت، ط: 1405هـ، 233/2.

[155] البغوي، *معالم التنزيل*، 153/8.

وميل القلب وَلَوْ حَرَصْتُمْ على العدل ".[156] والرسول ﷺ مع أنه أعدل الخلق وأشرف الورى وخير الناس لزوجاته وأقرب العباد إلى رب العباد لكن لم يستطيع تحقيق عدله القلبي مع زوجاته ويدعو الله تعالى عدم مؤاخذته على ذلك قائلا: "اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك "[157]

وحذر النبي ﷺ من الذي لم يعدل مع زوجاته بعقوبة فضيحة تناله يوم القيامة أمام الخلائق قائلا: "من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائلاً "[158] المطلوب والتحذير في مسألة العدل كله ظاهري أما القلبي لا ملام عليه إذا لم يظهره.

4. وقايتها مما يفسد دينها ودنياها:

من حق الزوجة على زوجها حفظ دينها وسلوكها، وأن يعلمها أمور دينها من فقه النساء واللباس الشرعي، وكيفية معاملتها مع الأقارب والأجانب، وما عليها تجاه أولادها وأهل زوجها، وكل ذلك وغيره مستنبطة من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا...﴾(التحريم،6/66).

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند هذه الآية: "علِّموا أهليكم خيراً "[159]

وقال القشيري(ت:465هـ): "أظهروا من أنفسكم العبادات ليتعلّموا منكم، ويعتادوا كعادتكم. "[160]

فكما يهتم الأزواج بصحة وسلامة زوجاتهم الجسدية مخافة من الضرر المادي والتعب الحياة؛ لأنه هو سيدفع الثمن، أيضاً ينبغي أن يهتموا من باب أولى بسلامة وصحة دينهن وأمور شريعتهن، وإلا فهو خائن لهذه الأمانة ولشريكة حياته وأنسة دربه.

---

[156] البغوي، معالم التنزيل، 295/2.

[157] البيهقي، *السنن الكبرى*، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، ط: الأولى 1344هـ،باب: ماجاء في قوله تعالى: ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم﴾ الرقم: (14841)، 298/7.

[158] أبو داود، *سنن أبي داود*، باب: (القسم بين النساء)، الرقم:(2136)، 208/2.

[159] ابن حجر، *فتح الباري*، 659/8.

[160] القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، *لطائف الإشارات*، تح: إبراهيم البسيوني، الهيئة العامة للكتاب، ط: الثالثة، 607/3.

الحقوق المشتركة:

فيما سبق تحدثنا عن حقوق كل من الزوجين على الآخر على حدة، وفيما يلي نذكر أهم وأولى الحقوق المشتركة بين الزوجين بغية دوام الأسرة على مسارها الصحيح شريطة قيام كل من الطرفين بما هو عليه، والتي رتبها الشارع لصحة عقد الزواج، يقول الله عزّوجل: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة،228/2) الآية الكريمة نصت على أن الحقوق بين الزوجين متبادلة ومشتركة، فكل حق لأحد الطرفين يقابله واجب عليه لطرف الثاني، وهذه الحقوق نتيجة آثار هذا العقد المبارك، وهذه الحقوق المشتركة تتمثل هنا فيما يلي:

1. حسن المعاشرة

حسن المعاشرة معاملة تعادل الحياةَ كلَّها، وهي تجعل الحياة الأسرية مليئة بالحنان والودِّ، وتحفظها من القساوة والعداوة، بما أن زمام الأسرة عادة بيد الرجل فيوجه الله تعالى رسالة لكي تبنى عليها مبنى الأسرة وهي قوله عزّوجل: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء،19/4).يقول رشيد رضا(ت: 1354هـ) في هذه الآية: "وفي المعاشرة معنى المشاركة والمساواة، أي عاشروهن بالمعروف وليعاشرنكم كذلك".[161]

وحسن المعاشرة بين الزوجين يشمل صوراً منها:

أ- على كل من الزوجين أن يتغاضى عن أخطاء الآخر، خاصة ما يحدث بمحض إرادته، وأن يلتمس العذر والتبرير لتلك الهفوات والزلات، وأن يعتذر الطرف المخالف للآخر، وهذا لا يتحقق إلا بإظهار المحبة وحسن النية للطرف المقابل.

ب-أن يشكر كل من الزوجين الآخر على ما قدم لشريكه، وينظر إلى تعبه بعين التقدير والاحترام وإن لم يعجبه ما قدمه له، فمثلا؛ الزوج يشكر زوجته ويظهر الفرح لها على تعبها في خدمته وخدمة البيت من التنظيف وتحضير الطعام ويدعو لها سرّاً وعلناً، والزوجة لزوجها أيضاً على تعبه خارج البيت وأن تستقبله فرحة وسرور حين رجوعه إلى البيت، ومن الأفضل تبادل الهدية لزيادة المحبة والمودة بينهما.

ت-على كل من الزوجين أن يحترم أهل وأقارب الآخر لا سيما وقت الضيافة والزيارة، ويظهر الفرح والسرور لهم وإن كان أو كانت في حالة نفسية خاصة.

ث-مراعات الحالات النفسية: ينبغي على الزوجين أن يراعي كل منهما شعور الطرف

---

[161] رشيد رضا، *تفسير المنار*، 374/4.

الآخر، بحيث لا يمكن لأحدهما إظهار الفرح وقت حزن الطرف الآخر، وإظهار الحزن وقت فرح الآخر، ومجمل القول على كل منهما إسعاد الآخر ومراعات حالاته الخاصة.[162]

ج-الاهتمام بنظافة الجسد والتزين لبعضهما البعض، كي تجذب كل واحد منهما قلب الآخر اليه، ، كما قال ابن عباس ﷺ "إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي لقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾(البقرة،228/2)."[163]

فإن الزوجة تكره من زوجها شعثه وعدم اهتمامه بذاته ونظافته، ويجعلها تعافه وتكرهه، وأحياناً عدم الاهتمام بنظافة الجسد والتزين يتسبب في هجرة سكن البيت وظهور خمول العلاقة الزوجية واستمرارية المشاكل والتباعد بين الزوجين حتى يصل إلى التفرقة والطلاق، وقد دخل على أمير المؤمنين عمر بن الخطابﷺ زوج أشعث أغبر ومعه امرأة وهي تقول: لا أنا ولا هذا يا أمير المؤمنين، فعرف كراهية المرأة لزوجها، فأرسل الزوج ليستحم، ويأخذ من شعر رأسه، ويقلم أظافره، فلما حضر أمره أن يتقدم من زوجته فاستغربته، ونفرت منه، ثم عرفته، فقبلت به، ورجعت عن دعواها، فقال عمر: "وهكذا فاصنعوا لهن، فوالله إنهن ليحببن أن تتزينوا لهن، كما تحبون أن يتزين لكم".[164]

2. حق الاستمتاع

الغريزة الجنسية التي خلقها الله تعالى في الرجل والمرأة كما هي سبب عمارة الأرض وازدياد من يرث عليها- إن كانت ممارستها بطريقة نظيفة شرعية- هي أيضاً سبب لإفساد الأرض وكثرة الأمراض الفتاكة وتشويه المجتمع البشري إن كانت ممارستها بطريقة خبيثة غير مأذونة شرعاً، الإشباع الجنسي بين الزوجين ليس لذة جسدية قصيرة الأمد تنتهي بالإنزال، وإنما هو متعة نفسية طويلة الأمد، حيث يجعل كلا الزوجين يشعران بالسعادة، وسكون كل منهما للآخر، واطمئنانه له، وفي العلاقة الزوجية أثر كبير في استمرارية الحياة الزوجية واستقرارها ومداومة المودة والمحبة بين الزوجين، لأنها حق مشترك بين الطرفين سوياً، وقد اعتنى الإسلام بالتوافق

---

[162] عقلة، محمد، *نظام الأسرة في الإسلام*، مكتبة الرسالة الحديثة – الأردن، ص14؛ خياط، نواف بن صالح، *التوجيهات التربوية لأحكام النكاح في الإسلام*، ص 187.

[163] النيساوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، *التَّفْسِيرُ البَسِيْط*، تح: أصله رسالة دكتوراه بجامعة محمد بن سعود، الناشر:جامعة محمد بن سعود الإسلامية1430هـ، 220/4.

[164] أبو الحسن بن محمد الفقيه، *كيف تمتلك قلب زوجتك*، دار ابن خزيمة، الرياض، د،ت، ص21؛ التجاني، محمد بن أحمد، *تحفة العروس ومتعة النفوس*، تح: جليل المطية، رياض الريس للكتب والنشر1992، ص129.

الجنسي بين الزوجين، فجعل إشباع كل منهما لحاجته الجنسية مع الآخر من الطيبات التي أحلها الله تعالى لهما بقوله الكريم: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾(المؤمنون،5/23- 6)، ووصف القرآن الكريم هذه العلاقة الجنسية المشتركة والتوافقية الزوجية بأبلغ الوصف وأروع التشبيه قائلا: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ (البقرة،187/2) الشاهد في الآية هو: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ يقول سيد طنطاوي(ت:1420هـ): "وفي هذا التعبير القرآني ما فيه من اللطافة والأدب وسمو التصوير لما بين الرجل وزوجه من شدة الاتصال والمودة واستتار كل واحد منهما بصاحبه. "[165]

القرآن الكريم معجز في اختيار كلماته ودقيق جداً في معانيها فهنا شبه الزوجين باللباس بعضهما لبعض: "﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ يعني كاللباس لكم في إباحة المباشرة وملابسة كل واحد منهما لصاحبه، يحتمل أن يراد باللباس الستر، لأن اللباس: هو ما يستره، وقد سمى الله تعالى الليل لباساً لأنه يستر كل شيء يشتمل عليه بظلامه، فالمراد بالآية أن كل واحد منهما يستر صاحبه عن التخطي إلى ما يهتكه، ويكون كل واحد منهما متعففا بالآخر مستترا به. "[166]

واختار القرآن الكريم كلمة اللباس وهي في غاية الأعجوبة: "لما توحى به تلك الكلمة من شدة الاحتياج، كاحتياج المرء للباس، يكون مصدر راحة، وعنوان زينة معا".[167]

إذاً كما يحمي اللباس الجسد من قرِّ البرد وحرِّ الشمس ويخفي أمراض وعاهات الجسد، كذلك يحمي كل من الزوجين صاحبه من الفسق والفساد والعار والفواحش.

إذاً الشهوة والاستمتاع الجنسي حق مشترك بين الطرفين على حد سواء، فلا مزية لأحدهما على الآخر، فعلى كل منهما عفاف صاحبه، فإذا كان لها زوج صالح يلبي رغبتها فهو حصنها أيضاً من أن تنظر إلى غيره، ولو أهمل زوجته، وغاب عن البيت مدة طويلة، ولم يُسمعها كلمةً طيبةً لطيفة، ولم يثن على ما حباها الله به من خصال، ومن جمال؛ ربما أصغت السمع إلى من يثني على جمالها، أو من يثني على أخلاقها، وعندئذ تميل إلى غيره، فالزوج مسؤول عن

---

[165] طنطاوي، *تفسير الوسيط*، 395/1.

[166] الكيا الهراسي، علي بن محمد، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، *أحكام القرآن*، تح: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، دار الكتب العلمية، بيروت 1405هـ، 71/1.

[167] البدوي، أحمد أحمد عبد الله البيلي، *من بلاغة القرآن*، نهضه، القاهرة 2005م، ص 165.

انصراف زوجته إلى غيره، والزوجة كذلك مسؤولة عن انصراف زوجها إلى غيرها.[168]

وقد أشار علماء النفس إلى أهمية ملاعبة الزوجة، ومداعبتها قبل وبعد العملية الجنسية، حتى تشبع حاجتها، فهي في حاجة إلى الملاعبة والقبلات والكلام العاطفي الذي يمتعها نفسياً أكثر من العملية الجنسية، حيث تهيئها هذه الأمور للتجاوب معه، وفي تجاوبها وتفاعلها معه يتحقق الاستمتاع الكامل بينهما.[169]

3. الميراث

ومن الحقوق المشتركة بين الزوجين التوارث، وهذا الحق يثبت لهما شرعاً بعد العقد الشرعي مباشرة المستوفي أركانه وشروطه، إذا لم يوجد مانع من موانع الميراث وإن لم يدخل الزوج بزوجته، ودليل التوارث بينهما قوله عزّوجل: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾(النساء،12/4).

ب- أثر أداء الحقوق في استقرار الأسرة:

الزواج في الشريعة رباط قوي وعهد ثابت يهدف إلى إدامة ونشر جو من الإحسان بين الزوجين، "إذا تأسست الأسرة، وقامت على أسسها السليمة وجب على كل من الزوجين المحافظة عليها، ووجب على المجتمع أيضاً أن يساهم في هذه المحافظة.

فلا ينبغي للزوجين أن يستسلما لعوامل النفور، ودواعي الفرقة، وأن يصبر كل منهما على صاحبه؛ لتستمر هذه المؤسسة المباركة، وقد قال أحد الحكماء على الرجل أن يفتح عينيه واسعتين قبل الزواج ثم عليه أن يغمضهما نصف إغماضه بعد الزواج".[170]

ولا تتحقق المودة والرحمة بين الزوجين إلا إذا التزم كل واحد منهما بما عليه من الواجبات تجاه الآخر، فلو أدى كل من الزوجين ما هو مطلوب منهما، فسيكونان سعداء في حياتهما

---

[168] النابلسي، *تفسير النابلسي*، 655/1؛ مرسي، كمال ابراهيم، العلاقات الزوجية والصحة النفسية في الإسلام وعلم النفس، دار القلم، الكويت 1996م، ط: الثانية، ص118، 119.

[169] مرسي، كمال ابراهيم، *العلاقات الزوجية والصحة النفسية في الإسلام وعلم النفس*، ص120.

[170] القرضاوي، يوسف عبدالله، *الأسرة كما يريدها الإسلام*، مكتبة وهبة –القاهرة 2005م، ص27.

الزوجية، ولن يشكو أي منهما من الآخر.

لا شك أن الخلاف والمشاكل إذا استمرت في الأسرة تتسبب في انهيار الأسرة، ومنها إلى انحلال المجتمع بأسره.

إن الله سبحانه وتعالى شرع تلك الحقوق في الأسرة بين الزوجين لكي يعيش الزوجان والأسرة كلها في حضن الأمن والمودة والحياة المستقرة.

ولأداء هذه الحقوق الزوجية من قبل الزوجين أثر بالغ على استقرار الأسرة وإدامة الودِّ والرحمة والتفاهم بين الطرفين. [171]

فعلى الزوج أن يؤدي ما عليه من الحقوق لزوجته من إعطاء المهر والنفقة تجهيز السكن اللائق لها وممارسة حسن المعاشرة وتحقيق العدل عند التعدد معهن، ووقايتها مما يفسد دينها ودنياها.

وأيضا على الزوجة أن تقوم بأداء ما عليها لزوجها من الطاعة في غير المعصية، وان تقرَّ في البيت وتحفظ ماله وعرضه.

إذا قاما بواجبهما أمام الله سبحانه وتعالى وأمام شريكه؛ لاشك أن الأسرة تستقر وإذا استقرت الأسرة يستقر المجتمع، وإذا –لا سمح الله– فسدت الأسرة فسد المجتمع كله.

ثانيا: المنهج القرآني في رعاية حقوق الأبناء:

الأبناء ثمرة الفؤاد، وفلذة الكبد، والأبوان عليهم يعقد الأمل، بل الأمة بأسرها أيضا، لتحقيق الآمال عن طريقهم، وهم من أساسيات الأسرة والمجتمع أيضاً.

والله سبحانه وتعالى من فوق سبع سموات تدخل في شؤون الأسرة كي لا تضيع الأولاد ويبقون في حضن والديهم وأسرتهم، وينشؤون في جو صحي، فلما ظاهر أوس بن الصامت زوجته خولة بنت خويلت أتت النبيﷺ قالت: "أشكو إلى الله تعالى فاقتي وشدة حالي وإن لي صبية صغار إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إلي جاعوا، وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتقول: اللهم إني أشكو إليك اللهم فأنزل على لسان نبيك وما برحت حتى نزل القرآن فيها،

[171] رشا بسام ابراهيم، *عوامل استقرار الأسرة في الإسلام*، ص93؛ الحفناوي، محمّد ابراهيم، الموسوعة الفقهية الميسرة الزواج، مكتبة الإيمان، المنصورة، د،ت، ص 279.

فقالﷺ: «يا خولة أبشري قالت: خيراً؟ فقرأﷺ عليها[172]: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إلى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾(المجادلة،1/58).

الأولاد هم قرة أعين الأبوين وهذا وصف في غاية الأهمية فقد ذكره القرآن الكريم: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾(الفرقان،74/25).

ولأهمية الأولاد للأسرة وللمجتمع وضع لهم القرآن الكريم حقوقاً منذ لحظة التفكير بإنشاء الأسرة إلى ما بعدة الولادة، ومن تلك الحقوق ما يلي:

1. حقهم وقت إنشاء الأسرة:

ومن أولى حقوق الأولاد وأهمه في تلك الوقت هو أن يحسن كل من الزوجين اختيار الطرف المقابل، وأن يكون على أساس الإيمان والصلاح والخلق الحسن، وهذا ينعكس تماماً على الأولاد ومستقبلهم، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إلى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إلى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾(البقرة،221/2)، يقول الشعراوي(ت:1418هـ) عن أهمية هذا القانون القرآني الذي ارتبط بإنشاء الأسرة وكيفية تأثيره على مستقبل الأولاد سلباً وإيجاباً قائلاً: "وهذه أول لبنة في بناء الأسرة وبناء المجتمع "[173]، ويقول في موضع آخر عن ذلك أيضا: "إن الإسلام يعطي التربية الإيمانية للابن حتى قبل الحمل، فيأمر الأب أن يختار الأم ذات الدين لتكون وعاء صالحاً، ويأمر الأم أن تختار الرجل المتدين ليكون أباً صالحاً، إذن فالإسلام يخدم الصبي قبل أن يولد باختيار الأب الصالح والأم الصالحة"، [174] وسماه سيد قطب(ت: 1386هـ) هذا الاختيار الحسن دستور الأسرة وتنظيم القاعدة الركينة قائلا: "نحن في هذا الدرس مع جانب من دستور الأسرة، جانب من التنظيم للقاعدة الركينة التي تقوم عليها الجماعة المسلمة، ويقوم عليها المجتمع الإسلامي، هذه القاعدة التي أحاطها الإسلام برعاية ملحوظة، واستغرق تنظيمها وحمايتها وتطهيرها من فوضى الجاهلية جهداً كبيراً "[175]

---

[172] الآلوسي، *روح المعاني*، 198/14؛ النابلسي، *تفسير النابلسي*، 7/13.

[173] الشعراوي، *تفسير الشعراوي*، 957/2.

[174] الشعراوي، تفسير الشعراوي، 4893/8

[175] سيد قطب، *في ظلال القرآن*، 234/1.

فالمجتمع الصالح ينشأ من الأسرة الصالحة كما قال الله عزوجل: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾(الأعراف،58/7). والأسرة الصالحة تتكون من الذرية الصالحة والذرية الصالحة تنشأ من الأبوين الصالحين.

2. حقوقهم بعد الولادة:

كما ضمن القرآن الكريم حقوق الأولاد قبل إنشاء الأسرة وولادتها فضمن لهم أيضاً حقوقاً لما بعد الولادة لكي يتم المقصد والمغزى من إنجابهم، ومن أهم هذه الحقوق هي:

أ- **الرضاعة:**

الرضاعة الطبيعية حق شرعي لكل طفل من حين الولادة إلى اكتمال حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وهذا ما قطع به القرآن الكريم بقوله: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ...﴾ (البقرة،233/2). وأم الولد أحق برضاعة ولدها لأنها أحنُّ وأرقُّ من غيرها له كما قال القرطبي(ت: 671هـ) في تفسيره: "هن أحق برضاع أولادهن من الأجنبيات؛ لأنهن أحنى وأرق، وانتزاع الولد الصغير إضرار به وبها، وهذا يدل على أن الولد وإن فطم فالأم أحق بحضانته لفضل حنوها وشفقتها".[176]

ومن العجب في هذه الآية، أن هذه الرضاعة تكون في حالة انشقاق الزوجين ووقوع الطلاق، والذي يلفت الأنظار هو أن الطفل إذا كان محفوظ الحقوق في حالة الطلاق ولم يسمح الشرع بضياع حقه حتى في تلك الحالة الحرجة، فكيف في حالة استقرار الأسرة وبقاء أمه تحت نكاح أبيه؟!، ومن شدة الحفاظ على حق الرضاعة أوجب القرآن على الوالد ان يستأجر مرضعة له إذا كانت الأم مريضة أو معذورة: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة،233/2). وقد أثبتت الدراسات الحديثة: "أن للرضاعة أثر كبير في تربية المولود وأخلاقياته، فالمرأة السيئة الخلق الكثيرة الانفعال تؤثر في المولود، وقد اشترط كثير من علماء المسلمين اختيار المرضع للطفل لأن اللبن يعدي، كما رأوا أن تكون المرضع صالحة تأكل من الحلال لأن طباع الطفل تتأثر باللبن".[177]

---

[176] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 160/3.

[177] محجوب، عباس، *التربية الإسلامية ومراحل النمو*، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد 52، ص117.

ب- النفقة:

ومن الحقوق المحفوظة للطفل حق النفقة وهي على عاتق الوالد خاصة، يجب عليه أن يوفر لهم ما يحتاجونه من ملبس ومشرب ومأكل يناسبهم وعلى قدر إمكانه وسعته، وهذا أيضا ورد في القرآن الكريم دفاعا عن حق الأولاد: ﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا﴾ (الطلاق،7/65)، يقول ابن كثير(ت:1373هـ) في تفسير هذه الآية: "لينفق على المولود والده، أو وليه، بحسب قدرته ".[178]

ت- العدل:

ومن حقوق الأولاد على الآباء العدل بينهم، وهذا مطلب قرآني وضروري تحقيقه، إذ يتحقق به الصلاح والبر والأنسة بين الأولاد والآباء ومداومة المحبة بينهم، وإهماله يتسبب إلى التفرقة والعداوة والبغضاء بين الأولاد، واشعال نار الغوغاء في الأسرة وزوال استقرارها، وخير دليل ونموذج واقعي على ذلك قصة يوسف عليه السلام وإخوته لما رأوا من اهتمام أبيهم يعقوب عليه السلام بيوسف أكثر منهم، وهذه قصة واقعية قرآنية حصلت قبلنا كي نتعظ بها ونربي أولادنا على ما يرسم القرآن لنا ويخطط للأسرة المسلمة حفاظا على سلامتها واستقرارها ودوام المودة والألفة بين الأولاد والآباء، قال الله تعالى عنهم لنا: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (يوسف،8/12)، وهذه الحالة تسببت إلى نتيجة مؤلمة وهي: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾(يوسف،9/12). والرسول ﷺ يعلم أصحابه أن يعدلوا بين أولادهم ويغضب على جورهم، ورد في الصحيحين عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: أَتَى بِي أَبِي إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غُلَامًا، فَقَالَ: «أَكُلَّ بَنِيكَ نَحَلْتَ؟" قَالَ: لَا، قَالَ: «فَارْدُدْهُ»، وفي رواية مسلم قال: "اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم".[179]

ث- التربية والآداب:

ومن أهم حقوق الأولاد على الآباء والأمهات معا التربية السليمة والآداب العالية والتهيئة الناجحة للبيئة الاجتماعية والأمة جميعاً، فالأمة السليمة تنشأ من الأسرة السليمة، والأسرة

---

[178] ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، 153/8.

[179] البخاري، *الجامع الصحيح*، باب: الهبة للولد، الرقم: لحديث(2586) 157/3؛ مسلم، *صحيح مسلم*، باب: كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة، الرقم: الحديث(1623)، 1242/3.

السليمة تنشأ من الأفراد الصالحين، وتبرز هذه المهمة وقت التفكير بإنشاء الأسرة بأن على كلا الطرفين حسن اختيار شريك الحياة لأن ذلك ينعكس تماماً على تربية الأولاد، يقول الله عزوجل في سورة التحريم مرشداً للمؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾(التحريم،6/66)، في هذه الآية المباركة يأمر الله تعالى المؤمنين بوقاية أنفسهم أولا ثم أهليهم من النار كيف؟ بمعنى أن يربوا ويعودوا أنفسهم على الصلاح ثم أهليهم على ذلك كي يمشوا مشية صحيحة. ويمارسون ما يقربهم من الجنة ويبعدهم عن النار، ولا شك أن الأولاد قسم من أهم أجزاء الأهل الذي يتكون من الزوجة والأولاد والحواشي من الإخوة والأخوات، فعلى الآباء والأمهات أن يصوغوا أولادهم صياغة متكاملة للفرد والمجتمع وفقا لمنهج الله تعالى، لأن الأولاد ورقة بيضاء كيفما تريد اكتب عليه، وكما يقول الرسول -ﷺ-: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه".[180]، كل ولد يولد على فطرة سليمة إلهية، ثم يأتي دور الأبوان إلى كيفية تهيئنهم وإعدادهم للمجتمع، وفي ذلك قال أبو العلاء المعري(ت:449هـ):

ويَنشأُ ناشِئُ الفتيانِ، مِنّا ..... على ما كانَ عَوّدَهُ أبوه

وما دانَ الفتى بحِجًا، ولكنْ .....يُعَلّمُهُ التّدَيّنَ أقرَبُوه.[181]

ولأهمية هذه الوظيفة كان من عادة السلف الصالح قديماً أن يتخذوا لأولادهم المربين المتخصصين في مجال التربية والأدب.

ومما يجذب انتباهنا تشريع دقيق وآداب حساسة وتربية لا يخطر على البال لأولادنا في أوقات، وهي من أخص خصوصيات الإنسان وهي آداب الاستئذان في قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ: مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ، وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ، وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشاءِ. ثَلاثُ عَوْراتٍ لَكُمْ. لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُناحٌ بَعْدَهُنَّ. طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلى بَعْضٍ. كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (النور،58/24)، هذا النظام الدقيق للبيت المسلم والأسرة الإنسانية دليل على عظمة هذا الدين ودقة نظامه وأحكامه التي شرعت لتنظيم بيت المسلم وتربية الأجيال

---

[180] البخاري، *الجامع الصحيح*، باب: اذا أسلم الصبي فمات..، الرقم: (1358)، 94/2.

[181] أبو العلاء، احمد بن عبدالله المعري، *اللزوميات*، تح: أمين عبدالعزيز الخانجي، مكتبة الهلال، بيروت ومكتبة الخانجي –القاهرة، ص 1458.

على الحياء والحشمة وتوقير الكبير، هذه الآية تضع قانوناً لحياة الأسرة وتأديب الأولاد هو: استئذان خدم البيت والأولاد من الزوجين في ثلاث أوقات تنكشف فيها العورات عادة أو يخفف الثياب وهي ما قبل الفجر ووقت الظهيرة وبعد صلاة العشاء، هذا ترتيب لنظام البيت وحفظه من الفوضى واللامبالات، لأن الإسلام دين نظامي كامل فيه الآداب لشتى مجالات الحيات من الحرب إلى السلم ومن الصغير إلى الكبير ومن الأسرة إلى الأمة وهلم جرا، [182]ومن جانب آخر لو نظرنا إلى سورة لقمان فهي مدرسة تربوية الهية كبيرة هي فضلا عن الزام الأبوان بأداء حقوق الأولاد اهتمت بتربية الأولاد، وحث على تنشئتهم في بيئة مملوءة بالأدب والاحترام، فسورة لقمان تسمى بسورة التربية، وهنا نفهم مقصد السورة من اسمها، الذي يدل على تربية الأبناء، هذه السورة تحمل في طياتها أساليب رائعة لتربيتهم على منهج الله سبحانه وتعالى، تربية كافية وشاملة لكل ما يحتاجه الأبناء في دنياهم وأخراهم، وهذه التربية تشمل المحاور التالية:

* وحدانية الله تعالى.
* بر الوالدين.
* أهمية العبادة والإيجابية.
* فهم الدنيا وحقيقتها.
* الذوق والأدب.
* التخطيط للحياة.

حقاً هذه السورة ينبغي أن تدرس في مدارسنا، وأن يقرأها أبناؤنا ويعوها لينشئوا على التوجيهات التي ربى عليها لقمان الحكيم ابنه، وليس هذا فحسب، بل يجب على الآباء أن يتعلموها قبل أبنائهم، لينهلوا من هذه المدرسة القرآنية العظيمة.

ج- الدعاء لهم:

ومن الحقوق المذكورة في القرآن الكريم للأولاد على آبائهم وأمهاتهم الدعاء لهم لا عليهم، الدعاء لهم بالصلاح والهداية، اقتداءً بأشرف أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، فهذا خليل الرحمن ابراهيم عليه السلام يدعو الله تعالى لأبنه أكثر من مرة قائلا: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾(ابراهيم،35/14)، وفي الدعاء الثاني قال: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ

[182] سيد قطب، *في ظلال القرآن*، 2532/4؛ النابلسي، *تفسيرالنابلسي*، 181/8.

الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾(ابراهيم،40/14)، وفي الدعاء الثالث يقول: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(البقرة،128/2)، ونبي الله زكريا عليه السلام مع شغفه لذرية لا يطلبها فحسب بل يسأل الله تعالى ويطلب ذرية طيبة أي صالحة ونافعة للخلق: ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾(آل عمران،38/3)، ومن صفات المحمودة التي اتصفت بها عباد الرحمن طلب من الله تعالى بأن يهبهم ذرية صالحة، إذ يقول الله تعالى في وصفهم ومدحهم: ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين﴾ (الفرقان،74/25)، يقول ابن كثير(ت:1373هـ): "الذين يسألون الله أن يخرج من أصلابهم وذرياتهم من يطيعه ويعبده وحده لا شريك له.

قال ابن عباس(ت:68هـ) يعنون من يعمل بالطاعة، فتقر به أعينهم في الدنيا والآخرة.

وقال عكرمة(ت:105هـ): لم يريدوا بذلك صباحةً ولا جمالاً ولكن أرادوا أن يكونوا مطيعين.

وقال الحسن البصري(ت: 110هـ)- وسئل عن هذه الآية- فقال: أن يري الله العبد المسلم من زوجته، ومن أخيه، ومن حميمه طاعة الله. لا والله ما شيء أقر لعين المسلم من أن يرى ولدا، أو ولد ولد، أو أخا، أو حميما مطيعا لله عز وجل".[183]

ولو نلاحظ أن أدعية الأنبياء لا تقتصر على طلب الذرية فحسب، بل تتضمن طلب ذرية صالحة وطيبة بغض النظر عن الكم والكيف كدعاء ابراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾(الصافات،100/37)، ودوعاء زكريا عليه السلام﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾(آل عمران،38/3)، لأن الإنسان الصالح والطيب هو: الإنسان النافع والمثمر للأسرة والمجتمع، فهو يترك بصمة أثر الإصلاح والنفع، فالأنسان النافع كالغيث أينما وقع نفع.

فدعاء الوالدين مستجاب عندالله تعالى بدليل قول النبي ﷺ: "ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ، لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ "[184]

ولذا حذر النبي ﷺ الآباء والأمهات من الدعاء على أولادهم كما ورد في صحيح مسلم: "لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ".[185]

---

[183] ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، 132/6.

[184] ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، مسند أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة 2001م، الرقم:(7510) 479/12.

[185] مسلم، *صحيح مسلم*، باب: حديث جابر الطويل، الرقم الحديث(3009)، 2304/4.

وليس هذا التحذير إلاَّ خوفا من القبول ويكونوا من النادمين بعد فوات الأوان.

ثالثا: المنهج القرآني في رعاية حقوق الوالدين:

الوالدان هما أساس الأسرة وبركة البيت وسبب إنشاء الأسرة، وبما أنهما ركنان أساسيان لبناء الأسرة واستقرارها، فلهما حقوق على أفراد الأسرة وأهل البيت يجب أدائها في كل ظرف من ظروف الحياة، وحقوق الوالدين والإحسان اليهما ميثاق من المواثيق التي أخذها الله تعالى من بني إسرائيل ومن بعدهم حيث يقول عزّ وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (البقرة،83/2)

واقترن الله سبحانه وتعالى عبادته ووحدانية بالإحسان إليهما وهذا أكبر برهان على عظمة حقوق الوالدين ومنزلة الإحسان اليهما عند الله سبحانه وتعالى إذ يقول الله عزّ وجل: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (النساء،36/4)، وحقوق الوالدين لم تنحصر في مجال واحد ونوع معين، بل تتنوع في القرآن الكريم إلى عدة أنواع ذكرها القرآن الكريم في عدة سور بشتى الصور وهي كالآتي:

1. البر بالوالدين والإحسان اليهما:

الإحسان إلى الوالدين ميثاق ولأهميته أخذه الله تعالى من بني اسرائيل، وقرنه بوحدانيته وعبوديته مباشرة، ومقابل الإحسان للوالدين وردت في القرآن الكريم كلمة البر لهما أيضا، ومن الضروري أن نعرف الفرق بين مصطلحي البر والإحسان، ومن خلال معرفة الفرق بينهما نفهم حقيقة المصطلحين، وتتجلى لنا روعة القرآن الكريم وبراعته، فكلا المصطلحين وردا في القرآن الكريم، ولا شك أن القرآن الكريم دقيق وبليغ في كلماته لا يمكن أن نقول هاتان الكلمتان مرادفتان تحمل كل منهما معنى الآخر.

الفرق بينهما دقيق جداً، لو نلاحظ أن كلمة الإحسان وردت خمس مرات في سياق الأمر من الله تعالى لعامة البشر في هذه الآيات التالية.

أ- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾(البقرة،83/2).

ب- قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾(النساء،36/4).

ت- قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾(الأنعام،151/6).

ث- قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾(الإسراء،23/17).

ج- قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا...﴾(الأحقاف،15/46).

وكلمة البر وردت مرتان في سياق الخبر، مرة وردت في حق الوالدين على لسان نبي الله يحيى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾(مريم،14/19).

ووردت مرة بحق الوالدة فقط على لسان رسول الله عيسى المسيح عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ (مريم،32/19).

فهنا يتبين الفرق بينهما، أن الإحسان وردت في سياق الأمر، إذ هي أمر وفرض من الله تعالى في حق الوالدين على عامة البشر ولاسيما أهل الإيمان، أما البر لم ترد في سياق الأمر وليست في سياق الخطاب لعامة الناس، بل وردت في سياق الخبر، وهو خبر نبيين من أنبياء الله تعالى في حق والديهما، إذاً الإحسان بمعنى: الفرض والواجب حاله كحال الصلوات الخمس وصيام رمضان، أما البر تأتي بمعنى: الفضيلة والسنة، حاله كحال الصلوات المسنونة مثل الرواتب الصلوات الفرائض، وصيام يوم الإثنين والخميس، وهي مرتبة بعد الإحسان وفوقه.[186]

وهناك حديث نبوي ﷺ يوضح هذه المسألة أكثر حينما يسأل رجل عن فضائل الأعمال لا الواجبات في حديث ابن مسعود رضي الله عنه: أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل؟ قال: «الصلاة لوقتها، وبر الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله».[187]

هذا الرجل سأل النبي ﷺ ما هو الأفضل من الأعمال أي بعد الواجبات، فأجاب النبي ﷺ الصلاة لوقتها، ولم يقل في وقتها؛ لأن لوقتها بمعنى في أول الوقت وهذا هو الفضيلة، ثم قال بر الوالدين ولم يقل الإحسان إليهما؛ لأن الإحسان هذا أمر واجب حتمي لا مجال فيه، أما البر شيء زائد على الواجب وهو من فضائل الأعمال، فلهذا أنبياء الله تعالى دائما يقومون بالأفضل والأحسن لأنهم قدوة الناس وأسوتهم، فهنا يتبين الفرق بينهما في القرآن الكريم، الإحسان: أقل الواجب وجميع الناس مأمورين به، والبر فضيلة ليس الناس مأمورين به، لا يقوم به أحد إلا من يقتدي بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ويستن بسنتهم.

---

[186] ربا راكان أحمد، *المنهج القرآني في حماية الأسرة*، ص170؛ الصعيدي، عبدالحكيم عبداللطيف، *الأسرة المسلمة أسس ومبادئ*، دار المصرية اللبنانية ، *ط:* الأولى 1993، ص132.

[187] البخاري، *الجامع* الصحيح، باب: وسمى النبي ﷺ الصلاة عملا.. الرقم(7534)، 156/9.

صور الإحسان:

ذكر الله تعالى صوراً من ألوان الإحسان في الآية التي أمر فيها بالإحسان قائلا: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾(الإسراء،23/17- 24).

وصور الإحسان في الآية منها قوليه: كالقول الحسن واللين معهما ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾، ومراعاة الحالة النفسية للوالدين: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ والدعاء لهما ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾، ومنها فعلية: كالتلطف والتواضع والشفقة بهما: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾(الإسراء،24/17) ومن صور الإحسان الفعلية؛ النفقة عليهما في حال فقرهما واحتياجهما للنفقة واجب على الأولاد ذكرها الله تعالى في آية أخرى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ﴾(البقرة،215/2).

يقول سيد قطب(ت: 1386هـ): بهذه العبارات الندية، والصور الموحية، يستجيش القرآن الكريم وجدان البر والرحمة في قلوب الأبناء، والآباء بالفطرة الإلهية صحوا بصحتهم وقوتهم وعمرهم لتربية وتنشئة أبنائهم وهو لا يحتاجون إلى التوصية والتذكرة، ولما بلغوا إلى أرذل العمر أولاهم هم يحتاجون إلى التذكرة يحتاجون إلى استجاشة وجدانهم بقوة ليذكروا واجب الجيل الذي أنفق رحيقه كله حتى أدركه الجفاف! وهنا يجيء الأمر بالإحسان إلى الوالدين.[188]

2- التذلل لهما:

العزة أمر لازم ومطلوب للمؤمنين يقول الله عزّ وجل: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون،8/63)، ولم يسمح الله سبحانه وتعالى بالتذلل لأحد بعده إلا للوالدين وهذا شرف ومقام خاص لم يعطه الله سبحانه وتعالى لسواهما، يقول الله عزّوجل: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء،24/17). والذلة هنا ليست بالمعنى الذي يذهب إليه الذهن مباشرة، يقول الشعراوي في معنى الذلة: "الذلَّة هنا ذِلَّة تواضع ورحمة بالوالدين"[189]

والرازي (ت:605هـ) ذهب إلى أنها بمعنى: "المبالغة في التواضع"والقفال عبر عنها بوجهين: الأول: أن الطائر إذا أراد ضم فرخه إليه للتربية خفض له جناحه، ولهذا السبب صار

---

[188] سيد قطب، *في ظلال القرآن*، 2221/4.

[189] الشعراوي، *تفسير الشعراوي*، 8466/14.

خفض الجناح كناية عن حسن التربية، فكأنه قال للولد: اكفل والديك بأن تضمهما إلى نفسك كما فعلا ذلك بك حال صغرك.

والثاني: أن الطائر إذا أراد الطيران والارتفاع نشر جناحيه وإذا أراد ترك الطيران وترك الارتفاع خفض جناحه، فصار خفض الجناح كناية عن فعل التواضع من هذا الوجه.[190]

ولهذا التذلل لذة لا تعادلها لذة المال والجاه والدنيا كلها، فهنيئا لمن شعر بها، لأنها لذة روحية إيمانية استجوابية لأمر الله تعالى، ومن لبى دعوة الله تعالى ينال ما يستحقه من الله تعالى.

3. الشكر لهما:

كما أن الله تعالى قرن الإحسان إلى الوالدين بعبادته وعدم الإشراك به في القرآن الكريم هنا أيضا قرن الشكر للوالدين بشكره حيث يقول الله عزّوجل: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ وَفِصالُهُ فِي عامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾(لقمان،14/31)، بما أن الشكر مقترن بالنعمة والفضل فلهذا كان لزاماً أن يحس العبد بالمسؤولية أمام الله تعالى وهو الموجد الوحيد لحياته وأمام والديه الذَين كانا سبب وجوده، وليؤدي العبد شكر النعم التي عليه يذكر الله تعالى نعمه على عباده من الإيجاد والحياة عن طريق السبب الرئيس لوجود الإنسان وهما الوالدان: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ﴾ وهي التي حملته مشقة على مشقة، وبعد هذه التذكرة والتمهيد يأمر الله تعالى عباده بأداء الشكر لله تعالى أولا، ثم للوالدين هذا فضلاً عن الإحسان إليهما والتذلل لهما: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾(الإسراء،24/17) قال سعيد بن جبير(ت:95هـ): "اخضع لوالديك كما يخضع العبد للسيد الفظ الغليظ"، [191] واجتناب التأفف أمامهما والابتعاد عن أدنى الأذية لهما ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾(الإسراء،23/17) كي تستمر النعمة عليهم، ولا يتحقق الشكر بالقول فقط بل ينبغي أن يكون بطاعة لله تعالى وعبادته، وطاعة وعبادته الوالدين بالإحسان إليهما كما يقول القشيري(ت:465هـ): "ولما حصل الإجماع على أن شكر الوالدين بدوام طاعتهما، وألا يكتفى فيه بمجرد النطق بالثناء عليهما علماً أنّ شكر الحقّ لا يكفى فيه مجرّد القول ما لم تكن فيه موافقه العقل وذلك بالتزام الطاعة، واستعمال النعمة في وجه الطاعة دون صرفها في الزّلّة، فشكر الحقّ بالتعظيم والتكبير، وشكر الوالدين بالإنفاق والتوفير".[192]

---

[190] الرازي، *مفاتيح الغيب*، 326/20.

[191] القنوجي، أبو الطيب مُحَمَّد صديق خان، *فتح البيان في مقاصد القرآن*، المكتبة العصريَّة، صَيدَا، بَيروت 1992م، 377/7.

[192] القشيري، *لطائف الإشارات*، 131/3.

وشكر الوالدين يكون بالدعاء لهما وهو من أهون الحق لهما على أولادهما كما يقول سفيان ابن عيينه(ت: 198هـ): "من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله، ومن دعا لوالديه في أدبار الصلوات الخمس فقد شكر للوالدين".[193]

والشكر عبادة كسائر العبادات لأنه متعلق بذات الله تعالى، وله ضوابط وشروط وقواعد لو اختلت منها واحدة لضرت بتلك العبادة، وهذه القواعد والضوابط بينها ابن القيم(ت:751هـ) حيث يقول: "الشكر مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وأن لا يستعملها فيما يكره فهذه الخمس: هي أساس الشكر وبناؤه عليها فمتى عدمت منها واحدة اختل من قواعد الشكر قاعدة ".[194]

4. الدعاء لهما:

ومن الأمور التي رسمها القرآن الكريم في حق الوالدين على أولادهما حال حياتهما وبعد مماتهما هو الدعاء لهما، بما أن الدعاء من فضائل العبادات وليس بين الداع والباري عزّ وجل وساطة وهو قريب من أهل الدعاء ووعد الإجابة قائلا عزّوجل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(البقرة،186/2)، أحب الله تعالى أن للوالدين حظاً في دعاء أولادهما فأمرالله تعالى الأولاد بالدعاء وطلب الرحمة لوالديهم، وهذا شرف كبير للوالدين وعلامة علو حقهما على أولادهما يقول الله عزّ وجل: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾(الإسراء،24/17). في هذه الآية الكريمة مع الأمر بالدعاء للوالدين أن الله تعالى يذكر الإنسان حال صغره وضعفه كي لايتكبر ويترحم على والديه: "إنك لَا تملك أن تصنع لهما ما صنعاه وأنت صغير، فقد حدبا عليك في محبة يريدان بقاءك وأنت لَا تملك هذا فتملك ما يقبله الله منك، وهو الكريم اللطيف الخبير، وهو الدعاء لهما بالرحمة مخلصاً طيب النفس راضياً لعشرتهما مهما تكن حالهما من ضعف".[195]

فالطفولة الضعيفة يرعاها الوالدين، وهما اليوم في مثلها من الضعف والحاجة إلى الرعاية والحنان، وهو التوجه إلى الله أن يرحمهما فرحمة الله أوسع، ورعاية الله أشمل، وجناب الله أرحب، وهو أقدر على جزائهما بما بذلا من دمهما وقلبهما مما لا يقدر على جزائه الأبناء.[196]

---

[193] القنوجي، أبو الطيب محمّد صديق خان، *فتح البيان في مقاصد القرآن*، 285/10.

[194] ابن القيم، أبو عبد الله محمّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين*، تح: محمّد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1973، 244/2.

[195] أبو زهرة، حمد بن أحمد بن مصطفي، *زهرة التفاسير*، دار الفكر العربي، 4363/8.

[196] سيد قطب، *في ظلال القرآن*، 2222/4.

وهناك عند قوله تعالى: ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾(الإسراء،24/17) لفتة دقيقة للإمام الشعراوي(ت:1418هـ) في توسعة دائرة وجوه البر والإحسان، وذكرٌ لأهل الفضل فضلهم حيث يقول: "و ﴿رَبَّيَانِي﴾ هذه الكلمة أدخلت كل مُربٍّ للإنسان في هذا الحكم، وإنْ لم يكُنْ من الوالدين، لأن الولد قد يُربّيه غير والديه لأيّ ظرف من الظروف، والحكم يدور مع العلة وجوداً وعَدماً، فإنْ ربّاك غير والديك فلهما ما للوالدين من البرِّ والإحسان وحُسْن المعاملة والدعاء، وهذه بشرى لمن رَبَّى غير ولده، ولاسيما إنْ كان المربَّى يتيماً، أو في حكم اليتيم".[197]

5. اختلاف الدين لا يمنع الإحسان اليهما:

الإحسان والبر مع الوالدين لا يتعلقان بمعتقداتهما ولا بكيفية تعاملهما مع أولادهما، بل يجب على الأولاد أن يحسنوا معهما بشكل كامل، سواء أكانا محسنين أم مسيئين، مسلمين أو مشركين، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(العنكبوت،8/29). في هذه الآية المباركة، أمر الله تعالى الإنسان بغض النظر عن معتقداتهم، و أن يحسنوا لولديهم، فبعد الأمر بالإحسان يرشدنا الله تعالى إلى أن لا نضيع هذا الواجب تجاه والدينا وإن كانوا مصرين على أن نشرك بالله تعالى؛وهو أعظم الذنوب والكبائر على الإطلاق، علينا عدم إطاعتهم لكن مع ذلك لا يجوز أن نسيئ إليهم.

يقول الرازي(ت:605هـ) في هذه المسألة: "اتفق أكثر العلماء على أنه يجب تعظيم الوالدين وإن كانا كافرين"ويستدل الرازي بأدلة قرآنية وهي:

أولا: قوله تعالى في هذه الآية ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾(الإسراء،23/17) غير مقيد بكونهما مؤمنين أم لا، ولأنه ثبت في أصول الفقه أن الحكم المرتب على الوصف مشعر بعلية الوصف فدلت هذه الآية على أن الأمر بتعظيم الوالدين لمحض كونهما والدين وذلك يقتضي العموم.

ثانيا: الاستدلال بقوله تعالى ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ (الإسراء23) و قوله تعالى ﴿فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا﴾ (الإسراء،23/17) وهذا نهاية المبالغة في المنع من إيذائهما ثم قوله تعالى في آخر الآية ﴿وَقُل رَّبّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ (الإسراء،24/17) فصرَّح ببيان السبب في وجوب هذا التعظيم.

---

[197] الشعراوي، *تفسير الشعراوي*، 8467/14.

ثالثا: إن الله تعالى حكى عن إبراهيم عليه السلام أنه كيف تلطف في دعوة أبيه من الكفر إلى الإيمان في قوله لأبِيهِ ﴿ياأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يَبْصِرُ وَلاَ يُغْنِى عَنكَ شَيْئاً﴾ (مريم،42/19) ثم إن أباه كان يؤذيه ويذكر الجواب الغليظ وهو عليه السلام كان يتحمل ذلك وإذا ثبت ذلك في حق إبراهيم عليه السلام ثبت مثله في حق هذه الأمة لقوله تعالى ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾(النحل،123/16).[198]

والقرآن الكريم بعد ما أوصى الإنسان أن يحسن مع الوالدين وجعله من أعظم أساليب القرب إلى الله تعالى وأحب الطاعات اليه بعد التوحيد وقرن بينهما﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾(الإسراء،23/17)، وذكر جملة من حقوق الوالدين على أولادهم كما ذكرناها سابقاً، ثم ذكر عاقبة البارّ بهما والعاقّ لهما وبيَّن مصيرهما، وذكر ما أعد لهما من الثواب والعقاب نتيجة اختيارهما لأحد الطريقين، يقول الله عزّوجل: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (15) أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (16) وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (17) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾(الأحقاف،15/46– 18).

كي يتعظ الإنسان ويتشجع إلى ما يحبه الله تعالى ويرضيه ويختار الطريق الذي يوصله إلى النعيم والثواب، ويتجنب الطريق والعمل الذي يهوي به إلى العقاب، ولكي لا يتوهم الإنسان أن الإحسان إلى الوالدين والنهي عن إيذائهما مجرد أمر إلهي ودنيوي مقابل تعب ومشقة الوالدين فحسب، بحيث يظن أن لاعقاب لعاق الوالدين ولا ثواب للمحسن إليهما

4.2. المقاصد القرآنية من المنهج القرآني للحياة الأسرية

مشروع الزواج نعمة من نعم الله تعالى للبشرية، منَّ به على عباده، وآية من آياته الدالة على كمال قدرته ورحمته للخلق ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إليها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم،21/30)، وفي نهاية الآية يقول الله

[198] الرازي، *مفاتيح الغيب*، 151/3.

عزّوجل ﴿لعلكم تتفكرون﴾ أي تتفكرون في كنهه وأسراره وغاياته وأهدافه، القرآن الكريم وضع لبناء هذا المشروع المبارك منهجاً قوياً سليماً يوصل المجتمع إلى ساحل السعادة والهدوء والصلاح، ووراء هذا المنهج القويم مقاصد إلهية من خلالها تنكشف أسرار الزواج وتبرز غاياته، ومن أهم هذه المقاصد والأسرار الخفية في الزواج هي المطالب الآتية:

1.4.2. تحقيق الخلافة في الأرض وعمارتها

إن من أهم مقاصد الزواج استمرارية الخلافة وإعمار كوكب الأرض، وهذا لايكون إلا من خلال الأسرة المنظمة التي هي أول لبنة من لبنات بناء المجتمع.

وتحقيق الخلافة مذكور في الآية القرآنية التي فيها بيان لإعلان ما أرادالله تعالى أمام ملائكته

حيث يقول الله عزّوجل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة،30/2).

ويقول سيد قطب(ت: 1386هـ) تعليقاً وتفسيراً للآية: "فهي المشيئة العليا تريد أن تسلم لهذا الكائن الجديد في الوجود زمام هذه الأرض وتطلق فيها يده، وتكل إليه إبراز مشيئة الخالق في الإبداع والتكوين والتحليل والتركيب، وكشف ما في هذه الأرض من قوى وطاقات، وكنوز وخامات وتسخير هذا كله بإذن الله في المهمة الضخمة التي وكلها الله إليه، وإذن فهي منزلة عظيمة منزلة هذا الإنسان في نظام الوجود على هذه الأرض الفسيحة، وهو التكريم الذي شاءه له خالقه الكريم، لقد خفيت على الملائكة حكمة المشيئة العليا في بناء هذه الأرض وعمارتها وفي تنمية الحياة وتنويعها وفي تحقيق إرادة الله على يد خليفة الله في أرضه".[199]

والخلافة بدأت من سيدنا آدم عليه السلام ثم زوجته ثم أبناؤه، فبداية الأسرة بدأت من زوجين ثم بثَّ منهما رجالاً ونساءً، وهذا ما وضحته الآية الكريمة التي تقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء﴾(النساء،1/4).

فمسألة الخلافة أكَّدها سبحانه وتعالى في آيات كثيرة في القرآن الكريم حيث يقول جل

---

[199] سيد قطب، *في ظلال القرآن*، 56/1.

شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(الحجرات،13/49).

لقد خلق الله تعالى الخلق وهم خليفته وجعلهم قبائل وشعوب للتعارف والتآلف لا للتحارب والتحاقد، والميزان الذي يوزن به الأفضلية والأكرمية عندالله تعالى هو التقوى لا النسب والحسب ولا يجوز التفاخر بهما على الآخرين.

﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾(هود،61/11).

عمارة الأرض مقصد من مقاصد الخلق للإنسان وغاية من غايات الزواج وبناء الأسرة، وإبراز خليفة الله تعالى على الأرض.

2.4.2. حفظ النسل

ومن إحدى المقاصد الرئيسة للزواج المحافظة على النسل وبقائه على صورته النظيفة السليمة في الأرض، فخلق الله تعالى الخلق لعبادته﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(الذاريات،56/51) وليكون له الخليفة في الأرض﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(البقرة،30/2)، ولابد لهذا الخلق إستمرار النسل، والنسل لايكون إلا عن طريق الزواج، وأمرالله تعالى بالنكاح قائلا: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ (النساء،3/4).

وقال تعالى أيضا: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ (النور،32/24).

يقول الشاطبي(ت:790هـ): "وَالنِّكَاحُ لَا يَخْفَى مَا فيه مما هو مقصود للشارع؛ من تكثير النسل، وإبقاء النوع الإنسان ".[200]

الإنسان بفطرته يحب النسل والذرية وهي مطلب جبل عليه الإنسان، "ففي جبلة الإنسان وحب الامتداد واستمرار الأثر من عقبه، والنفرة من الانفراد وانقطاع النسل والذرية".[201]

وعلى أثر هذه الفطرة الإنسانية دعا الأنبياء أن يهبهم الله ويرزقهم نعمة الذرية، ويجنبهم انقطاعها، وها هو إبراهيم عليه السلام دعا ربه قائلا: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الصافات،100/37)، وسيدنا زكريا عليه السلام قائلاً: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (الأنبياء،89/21).

---

[200] الشاطبي، *الموافقات*، 211/1.

[201] محمد عقلة، *نظام الأسرة في الإسلام*، ص17.

ويحث الله سبحانه وتعالى الخلق على النكاح بغية استمرار النسل ودوامه حيث يقول الله عزّوجل: ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (البقرة،187/2)، أي: جامعوهن ﴿وابتغوا﴾أي اطْلُبُوا مَا قضى الله لكم من ولد صَالح.[202]

ويقول الله تعالى أيضا: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾(البقرة،223/2)، يقول الرازي(ت:605هـ): "حرث لكم أي: مزرع ومنبت للولد ".[203] ويقول القرطبي(ت: 671هـ): "الحكمة في خلق الأزواج بث النسل ".[204]

الزواج بين الرجل والمرأة هو الطريق الوحيد السليم الطاهر الشرعي المأذون بين الطرفين، لإيجاد النسل الشريف وبقاء الإنسان، وعلى هذا الأساس لقد حرم الله تعالى جميع الطرق الأخرى لقضاء الشهوة من الزنا والشذوذ الجنسي، ففي حرمة الزنا قال عزّوجل: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾(الإسراء،32/17)، وفي قبيحة الشذوذ الجنسي في قوم لوط عليه السلام وهم يمارسون هذه القبيحة القذرة قال جل شأنه: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (28) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾(العنكبوت،28/29- 29)."يعني: تقضون الشهوة بالرجال مع قطع السبيل المعتاد مع النساء المشتمل على المصلحة التي هي بقاء النوع ".[205] يقول الغزالي(ت:505هـ): "لو اجتمع الناس على الاكتفاء بالذكور في قضاء الشهوات لانقطع النسل".[206]

ولقد أكد النبيﷺ المقصد الأصلي من النكاح الذي هو بقاء النسل ويحث أمته على التناكح حتى يتكاثر عدد أمته وينجبوا جيلاً مسلماً يباهي بهم يوم القيامة حيث يقول: "تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم".[207]

وان الله سبحانه وتعالى في الوقت الذي حثَّ فيه الإنسان على التناكح وتكثير النسل، وعدَّه نعمة من نعمه على البشر يقول الله عزّوجل: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ

---

[202]الفيروزآبادي، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ص26.

[203]الرازي، مفاتيح الغيب، 421/6.

[204]القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 94/3.

[205]الرازي، مفاتيح الغيب، 50/25.

[206]الغزالى، احياء علوم الدين، 20/4.

[207]أبو داود، سنن أبي داود، باب: تزويج الأبكار، الرقم: (2050)، 395/3.

أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾(النحل،72/16).

ومما ينبغي أن نقف عليه متأملين أن مطلب النسل ليس المقصود منه العدد والكم وإنما مقصده الأهم هو أحسنه وأفضله وأصلحه، وخير دليل على ذلك طلب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع شغفهم للذرية والنسل لم يطلبوا لمجرد الذرية فحسب بل قيدوا بها الصلاح والطيب ليكون لهم الامتداد والسبب في انتشار الدعوة كما هو واضح في دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الصافات،100/37)، وسيدنا زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾(آل عمران،38/3).

لأن الإسلام لا يهتم بالعدد ولا بالنوع من الذكر أو الأنثى كما يهتم غاية الإهتمام بالكيف، وعباد الرحمن الذين توجهوا إلى الله سبحانه وتعالى بدعواتهم طلبوا من الله تعالى أن يرزقهم ما تقرّ به أعينهم وتسرّ به نفوسهم: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾(الفرقان،74/25) وهذا لا يكون إلا النسل الصالح والطيب، الذي يرجى خيره ويؤمن شره، ووجوده يكون منبع الخير والسعادة للأسرة ثم للمجتمع والأمة جميعاً، ويكون امتداداً لعمل والديه بعد موتهما قال رسول الله ﷺ "إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ ".[208]

الإسلام لايريد نسلاً كثير العدد يملأ الأرض جهلاً وفشلاً وضعفاً ومرضاً، بل يريد ذرية ذات علم وفقه، وتكون منتجة أكثر مما تكون مستهلكة، ويريد نسلا صالحاً في عمله وعقله وجسمه وروحه وخلقه، لا أن يكون غثاءً كغثاء السيل لا وزن ولا قيمة له كما قال رسول الله ﷺ "يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها"فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: "بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن". فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت".[209]

إذا كان الإسلام طالبا من الأمة أن تتناكحوا ويزيدوا عدد النسل السليم والذرية الصالحة الطيبة، وهذا لا يكون إلا عن وسيلة طيبة نظيفة كما ضرب الله تعالى مثلا: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ (الأعراف،58/7)، فأسلم الطرق وأشرفها

---

[208] مسلم بن الحجاج النيسأبوري، *صحيح مسلم*، باب: ما يلحق الأنسان من الثواب بعد الموت، الرقم: (1631)، 1255/3.

[209] أبو داود، سنن أبي داود، باب: في تداعي الأمم على الإسلام، الرقم:(4297)، 354/6؛ عتيق الدقيلان، عدنان بن محمّد، *مقاصد الزواج في الإسلام واستشارات زوجية*، دار ابن جوزي، الرياض، ط: الأولى 1431هـ، ص15.

طريق الأسرة المسلمة المتماسكة القوية المنتظمة، تحفظ هيبتها ونظافتها وتربي جيلا خلوقا مرفوع الرأس وذو أهلية ليكون خليفة الله تعالى على الأرض.

3.4.2. حفظ النسب

ومن مقاصد الزواج حفظ النسب وسلامة السلالة البشرية، لقد دعا الإسلام إلى حفظ النسب، وحرص على أن ينسب كل إنسان إلى أبيه ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾(الأحزاب،5/33)، لكي يعتز كل فرد بنسبه الشرعي، وهذا لا يتوفر إلا عن طريق النكاح، لأنه حاجةَ فطريّةٌ بالأساس، وجُبلَ عليها الإنسانُ منذ البداية، وهذا المفهوم ذكره شاه وليّ الله الدّهلوي: "اعْلَم أَن النّسَب أحد الْأُمُور الَّتِي جبل على محافظتها الْبشر، فَلَنْ ترى إنْسَانا فِي إقليم من الأقاليم الصَّالِحَة لنشء النَّاس إِلَّا وَهُوَ يحب أَن ينْسب إلى أَبِيه وجده، وَيكرهُ أَن يقْدَح فِي نسبته إِلَيْهِمَا، اللَّهُمَّ إِلَّا لعَارض من دناءة النّسَب أَو غَرَض من دفع ضرّ أَو جلب نفع وَنَحْو ذَلِك، وَيجب أَيْضا أَن يكون لَهُ أَوْلَاد ينسبون إِلَيْهِ ويقومون بعده مقَامه، فَرُبمَا اجتهدوا اشد الِاجْتِهَاد، وبذلوا طاقاتهم فِي طلب الْوَلَد، فَمَا اتّفق طوائف النَّاس على هَذِه الْخصْلَة إِلَّا لِمَعْنى فِي جبلتهم، ومبنى شرائع الله على إبْقَاء هَذِه الْمَقَاصِد الَّتِي تجْرِي مجري الجبلة، وتجري فِيهَا المناقشة والمشاحنة والاستيفاء لكل ذِي حق حَقه مِنْهَا وَالنَّهْي عَن التظالم فِيهَا، فَلذَلِك وَجب أَن يبْحَث الشَّارِع عَن النّسَب".[210]

وفي القرآن الكريم سدَّ الله تعالى بعض الطرق ومنع بعض الحالات الاجتماعية ونقض بعض من العرف الوارد قبل الإسلام حفظاً للنسب وسداً للذريعة المؤدية إلى إفساد النسب وإفشاء الفوضى الأسرية والاجتماعية منها:

1- رمي المحصنات: وهو من الطرق التي يهدد من خلالها شأن الأسرة وحفظ النسب ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(النور،4/24)، وهو نسبة تهمة الزنا إلى نساء شريفات عفيفات أو نفي نسب ولد المحصنة عن أبيه؛ لأنه إن كان من غير أبيه كان من زنى، وهذا القذف هو الذي أوجب الله تعالى فيه ثلاثة أحكام:

الأول: جلد القاذف ثمانين جلدة.

---

[210] الشاه ولي الله الدهلوي، أحمد بن عبد الرحيم بن الشهيد وجيه الدين، *حجة الله البالغة*، تح: السيد سابق، دار الجيل، بيروت – 2005م، 222/2.

والثاني: عدم قبول شهادته.

والثالث: الحكم عليه بالفسق.[211]

فلو ترك المجال لكل من شاء أن يقذف بريئة أو بريئاً بتلك التهمة الشنيعة ثم ينطلق آمنا! فتصبح الأعراض شائعة، والسمعة ملوثة، وإذا كان كل فرد فيها متهم أو مهدد بالاتهام، وكل زوج فيها شاك في زوجته، وكل رجل فيها شاك في أصله ونسبه، وكل بيت فيها مهدد بالانهيار والتفكك.[212]

2-الزنا: ومن الطرق الفاسدة والمدمرة للأسرة والمجتمع بأسره، والسم الزعاف للنسب والحسب، وهدم أحصنة الأسرة هي فاحشة الزنا، أوجب الله تعالى حفظ النسب وكرامة الأسرة وصيانة المجتمع، ولكن هذا النظام المنتظم الذي جعله الله سبحانه وتعالى عماداً لتقوم عليه الحياة الأسرية، وجعله حصناً حصيناً للمجتمع، الذي سرعان ما ينهار من أساسه إذا ما دَبَّ الشكُّ إلى قلب الوالد في نسبة هذا الولد إليه، فتتحوّل الحياة إلى جحيم لا يُطَاق، وصراع داخلي مرير من الصعب مواجهته؛ لذلك حذرنا الله تبارك وتعالى من هذه الجريمة النكْراء قائلا: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾(الإسراء،32/17). وحرمة هذه الفاحشة وعدم التقرب إليها لحفظ الأنساب واطمئنان كل والد إلى نسبة أولاده إليه، ويرحم بهم ويحنو عليهم.[213]

3- التبني: هي عادة كانت موجودة قبل الإسلام، كان الرجل في الجاهلية وأول الإسلام يتبنى ولد غيره وينسبه إلى نفسه والناس ينادون الولد باسم ابن متبنيه، والرسول ﷺ في البداية لم يخرج عن هذه العادة الجارية آنذاك[214] لأن هذه العادة في البداية كانت شيئاً جائزاً عرفاً وشرعاً حتى أنزل الله تعالى آية: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (4) ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ

---

[211] الشنقيطي، *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*، 428/5.

[212] سيد قطب، *في ظلال القرآن*، 2490/4.

[213] الشعراوي، *تفسير الشعراوي*، 8498/14.

[214] روي عن أنس ابن مالك وغيره "كان زيد بن حارثة مسبيا من الشأم، سبته خيل من تهامة، فابتاعه حكيم بن حزام بن خويلد، فوهبه لعمته خديجة فوهبته خديجة للنبي ﷺ فأعتقه وتبناه، فأقام عنده مدة، ثم جاء عمه وأبوه يرغبان في فدائه، فقال لهما النبي ﷺ وذلك قبل البعث (خيراه فإن اختاركما فهو لكما دون فداء). فاختار الرق مع رسول الله ﷺ على حريته وقومه، فقال محمّد رسول الله ﷺ عند ذلك (يا معشر قريش اشهدوا أنه ابني يرثني وأرثه) وكان يطوف على حلق قريش يشهدهم على ذلك، فرضي ذلك عمه وأبوه وانصرفا". القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 118/14.

لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (الأحزاب،4/33-5). هذه العادة صارت منسوخة وأبطلها الإسلام وحرمها فتركها الرسول ﷺ وتخلى عن ابنه المتبنى ولم يدع بعد باسم ابن محمدﷺ، وقد ذكر القرطبي(ت:671هـ) إجماع أهل التفسير[215] على أن هذه الآية﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ رَحِيمًا﴾ (الأحزاب،4/33) نزلت في زيد بن حارثة كان يدعى بزيد بن محمد حتى نزلت آية مبطلة لهذه العادة﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾،(الأحزاب،5/33) إثباتاً للنسب بالتبني، فمجرد دعوى موهومة لا تحقق ما يتطلبه الشرع، فإبطال هذه العادة للمحافظة على الأنساب وإبقائه كما أراده الله تعالى وهو أن لا يوجد طريق لإثبات النسب سوى طريق الزواج بين الرجل والمرأة، بحيث يصبح الرجل أبا والمرأة أما وما يتولد منهما يصير ولداً لهما وينسب إليهما ويدعى باسم الرجل الذي هو زوج المرأة التي ولدته، ولهذا حرص الإسلام على حفظ النسب ويحث على الزواج وهو السبيل الفريد لحفظ النسب وبقائه.[216]

4.4.2. تكوين الشخصية

تكوين الشخصية مقصد سامي من مقاصد الزواج في الإسلام، فمن مكونات شخصية الإنسان دينياً ومعنوياً هي مشروع الزواج، فهو مما ينبغي أن يفتخر به الإنسان ويعتزبه، لأنه سنة الله تعالى للخلق وسنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فنصف الإيمان ودين الإنسان يتحصل عن طريق الزواج، كما قال رسول الله ﷺ: "من رزقه الله امرأة صالحة، فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله في الشطر الثاني"[217] الإنسان المتزوج يحس بالمسؤولية في الحياة كونها مسؤولية الأسرة، ويرى أن له في المجتمع بصمة وأثراً، وعلى عاتقه تربية جيل قادم للأمة لهذا يُنظَر إليه في المجتمع بعين التقدير والاحترام، يقول الله تعالى دفاعاً عن النبيﷺ وبياناً لكمال

---

[215] القرطبي، *الجامع لأحكام الآيات*، 118/14.

[216] عبدالدائم القاضي، محمد بن عبدالله، *دور الأسرة المسلمة في تربية أولادها على حفظ الضروريات من مقاصد الشريعة*، رسالة ماجستير – جامعة أم القرى كلية التربية – مكة المكرمة 1424هـ، ص 275.

[217] أبو عبدالله الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه، *المستدرك على الصحيحين*، تح: مصطفي عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت1990م، كتاب: النكاح، الرقم: 2681، 175/2.

شخصية الرسول والأنبياء قبله ومفخرتهم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾(الرعد،38/13). "ولقد أرسلنا رسلا مثلك من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية مثل أولادك وأزواجك، فلا تقدح في نبوتهم، أزواجُهم، وأولادُهم فكيف تقدح في نبوتك مع أنك أفضل منهم".[218] ويقول الرسول ﷺ اعتزازا به: "والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"[219] فكما أن الزنا والفاحشة عار وخزي ولا يليق بالإنسان الذي أكرمه الله تعالى وفضله على كثير من خلقه وعليه اذا مارسها اللوم والعقاب، فكذلك أن الزواج يجب أن يكون مفخرة الإنسان ويثاب الإنسان عليه كما قال الرسول ﷺ: "وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلاَلِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ".[220]

5.4.2. تحقيق عبادة الله تعالى وربط الحياة الأسرية الدنيوية بالأخروية

الزواج وسيلة شرعية وغاية نبيلة وعبادة إلهية لأنه مأمور به عند الله سبحانه وتعالى، لو ننظر إلى أي جانب من جوانبه لنرى تحقق العبادة فيه، وفي مشروعية الزواج علاقة إيمانية قوية بين الأطراف الثلاثة الرئيسة فيها وهي الزوج والزوجة والأولاد، فالزواج مبني على الإيمان والرحمة والحنان والإيثار، وهو رابط بين الحياتين الدنيا والآخرة، وهذه الحقيقة تنبع وتشع في الآية القرآنية الكريمة ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾(الفرقان،74/25)، هذه دعوة وأمنية زمرة مباركة تسمى بمصطلح القرآني عباد الرحمن الذين يسألون المولى عزّوجل أن يحقق لهم ما يتمنون من نعيم الدنيا والآخرة وملذاتهما عن طريق مشروعية الزواج فدعوا ربهم، وسألوه أن يهب لهم من أزواجهم وقرباتهم ما تقر به أعينهم في الدنيا والآخرة.[221]

---

[218] علوان، نعمة الله بن محمود النخجواني، *الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية*، دار ركابي للنشر، الغورية، 1999م، 397/1.

[219] البخاري، *الجامع الصحيح*، باب: الترغيب في النكاح، الرقم: 5063، 2/7.

[220] مسلم بن الحجاج، *صحيح مسلم*، باب: بيان ان اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، الرقم: 2292، 82/3.

[221] الماتريدي، أبو منصور مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن محمود، *تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)*، تح: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م، 46/8.

ومعنى قرة أعين هي كما بينها أبو حيان(ت745هـ): "كناية عن السرور والفرح، وهي مأخوذة من القر وهو البرد. يقال: دمع السرور بارد، ودمع الحزن سخن، ويقال: أقر الله عينك، وأسخن الله عين العدو ".[222] ويفسرها القشيري(ت:465هـ) بقوله: "من كان لطاعة ربه معانقاً، ولمخالفة أمره مفارقا. "[223]

وهذا الطلب والدعوة مقصد شريف، ومن أسمى مقاصد الزواج الذي يريده الله تعالى من عباده، خلال هذا المشروع المبارك؛وهو اصلاح الزوجين وأهل الأسرة ومنها إلى إصلاح العباد والبلاد، كما قال ابن عباس: "من يعمل لك بالطاعة فتقرّ بهم أعيننا في الدنيا والآخرة".[224]

وهذه الغاية شعور فطري ينبع من عمق الإيمان، شعور الرغبة في ازدياد السالكين الدرب إلى الله سبحان وتعالى، وفي أولهم الأزواج والذرية، فهم أقرب الناس تبعة وهم أول أمانة يُسأل عنها الرجال، والرغبة كذلك في أن يشعر المؤمن أنه أسوة للخير والنفع، يأتم به الراغبون في الله تعالى، وليس في هذا من أثرة ولا استعلاء، فالركب كله في الطريق إلى الله سبحانه وتعالى، [225] فالأسرة حضن البشرية في الدنيا ومنبت الناس لدار الآخرة، وسبيل لتحقيق عبادة الله تعالى، فصلاحهم في الدنيا ضمان لفوزهم في الآخرة.

6.4.2. إشباع الغريزة الجنسية وحفظ المجتمع من الفساد الجنسي

لقد أكرم الله سبحانه وتعالى الإنسان ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾(الإسراء،70/17)، وفضَّله على كثير من خلقه ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾(الإسراء،70/17)، وميَّزه عن سائر الحيوانات بالعقل والنطق، وكل هذا يتطلب من الإنسان أن يتعامل مع غريزته التي خلقها الله تعالى فيه بما تتناسب مع مكانته، وعلى الإنسان أن يختار أنظف الطرق وأسلم الكيفية لممارسة هذه الغريزة، التي جعلها الله سبيلاً لكثرة النسل وازدياد عباده، [226] ولقد حرم الله تعالى السفاح والفاحشة وجميع الطرق التي لا تليق بمكانة الإنسان لممارسة هذه الغريزة، ولو لم يكن تشريع الزواج لما أدت الغريزة دورها في استمرار بقاء البشرية بالطريقة المشروعة المقبولة دينا

---

[222] أبو حيان، *البحر المحيط*، 133/8.

[223] القشيري، *لطائف الإشارات*، 652/2.

[224] الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*، 318/19.

[225] سيد قطب، في ظلال القرآن، 2581/5.

[226] عتيق الدقيلان، عدنان بن محمّد، *مقاصد الزواج في الإسلام واستشارات زوجية*، ص23.

وفطرة، ولولا تحريم الزنا لما سلمت الأسرة ولما نشأت على أساس المودة والحنان بما تطلبه الشرع الإلهي: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إليها فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (189) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتعالى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(الأعراف،189/7- 190). التغشي أو الغشيان كناية عن الجماع.[227]

الزواج سبيل شرعي ونظيف لإشباع الغريزة الجنسية واستمتاع كل من الزوجين للآخر بصورة ترضي الله ورسوله ﷺ، وهذا من أسمى مقاصد الزواج، فكما أن الزنا والسفاح وإشباع الغريزة بطريقة غير مرضية عنها شرعاً، حرام وعليها عقاب ويأثم من يمارسها كذلك الزواج وإشباع الغريزة بشكل مرضي عنه طريق لاكتساب الأجر والثواب عندالله تعالى وهذا ما بشر به النبي ﷺ بقوله: "وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلاَلِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ ".[228]

وهذا المشروع العظيم له أثر بالغ في صيانة البصر وحفظ العورة هذا ما أخبرنا به رسول الله ﷺ: "مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ..."[229]

وفخرالدين الرازي(ت:605هـ) عند تفسير الآية التي تنكر عمل قوم لوط، الذين مارسوا الجنس وقاموا بإشباع الغريزة الجنسية بأشنع وأقبح الطرق التي تنفر منها الطباع السليمة وتقززها الفطرة الطاهرة وهي ممارسة الشذوذ الجنسي، فهناك يحلل الرازي(ت:605هـ) هذه القضية بقوله: "لما سمَّ ذلك الفعل بالفاحشة؟ فنقول الفاحشة هو القبيح الظاهر قبحه، ثم إن الشهوة والغضب صفتا قبح لولا مصلحة ما كان يخلقهما الله في الإنسان، فمصلحة الشهوة الفرجية هي بقاء النوع بتوليد الشخص، وهذه المصلحة لا تحصل إلا بوجود الولد وبقائه بعد الأب، فإنه لو وجد ومات قبل الأب كان يفنى النوع بفناء القرن الأول، لكن الزنا قضاء شهوة ولا يفضي إلى بقاء النوع، لأننا بيَّنا أن البناء بالوجود وبقاء الولد بعد، لكن الزنا وإن كان يفضي إلى وجود الولد ولكن لا يفضي إلى بقائه، لأن المياه إذا اشتبهت لا يعرف الوالد ولده فلا يقوم بتربيته والإنفاق عليه فيضيع ويهلك، فلا يحصل مصلحة البقاء، فإذن الزنا شهوة قبيحة خالية

---

[227] القنوجي، *فتح البيان في مقاصد القرآن*، 97/5.

[228] مسلم بن الحجاج، *صحيح مسلم*،باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، الرقم: 2292، 82/3.

[229] البخاري، *الجامع الصحيح*، باب: بيان قول النبي ﷺ من استطاع منكم الباءة.. الرقم: (5066)، 3/7.

من المصلحة التي لأجلها خلقت، فهو قبيح ظاهر قبحه حيث لا تستره المصلحة فهو فاحشة، وإذا كان الزنا فاحشة مع أنه يفضي إلى وجود الولد ولكن لا يفضي إلى بقائه، فاللواطة – شذوذ جنسي– التي لا تفضي إلى وجوده أولى بأن تكون فاحشة."[230]

والإسلام يريد أن يسلم الإنسان من الانحراف والوقوع في الفاحشة والرذيلة والشذوذ الجنسي، الذي يروج بها ذوو الطباع الخبيثة والنفوس الدنيئة، ويدعمونها بكل ما لديهم مادياً ومعنوياً، ويبذلون أقصى جهدهم لتفشي هذا الداء العضال في المجتمع البشري، وهذه الجريمة كما قال القرضاوي(1443هـ) عنها: "تجد لها اليوم من يدعو إليها بكل وسائل الدعوة، ويروج لها بين الناس، وأصبح لها صوت مسموع، ولواء مرفوع، وجمعيات رسمية، ومحامون عنها في الحكومات والبرلمانات، ولهم صحف وإذاعات وقنوات تلفزيونية، وأصبحوا ينادون علناً بتكوين الأسرة ذات الجنس الواحد: من رجلين أو امرأتين، يتزوج الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة!! ويعقد هذا الزواج رسمياً، ويوثق في الجهات الحكومية، وقد يباركه بعض القساوسة الحداثيين المتطورين، وقد اعترفت به بعض الحكومات الغربية، التي تتملق هؤلاء الشذاذ، الذين يؤثرون في إنجاح الرؤساء وإسقاطهم"[231] ولذلك فمشروع الزواج هو السبيل الوحيد السليم لإشباع الغريزة الجنسية وتكوين الأسرة التي هي الحضن الآمن والسكن المطلوب للإنسان، فكم من زوج أو زوجة كان سبباً لاستقرار الأسرة والمجتمع، الزواج يسلم المجتمع والفرد من التفسخ الاجتماعيي، ولا يغفل على كل ذي لب أن الغريزة المغروسة في البشر، إذا أشبعت بما يرضي الله تعالى وبما يقبل ولا ينفر منه الطبع السليم وهو الزواج الشرعي بين الرجل والمرأة تتكون الأسرة المباركة المشبعة بالحنان والاحترام والأدب والرأفة، ويتحلى المجتمع وكل فرد بأسمى الآداب وأرقى الأخلاق وأحسن التعامل مع البعض، ويكون المجتمع أيضاً محفوظاً وسليماً من الأمراض الفتاكة والمعدية، المنتشرة بشكل مخيف بين الأبناء والبنات في المجتمعات غير الملتزمة بالحلال والحرام والبعيدة عن الفطرة السليمة نتيجة انتشار الزنا والفواحش والشذوذ الجنسي، ومن هذه الأمراض المدمرة: مرض "الزهري"وداء "السيلان"ومرض نقص المناعة "الإيدز"وغيرها من الأمراض التي تقضي على النسل وتوهن الجسم وتفتك الصحة.[232]

---

[230] الرازي، *مفاتيح الغيب*، 49/25.

[231] القرضاوي، *الأسرة كما يريدها الإسلام*، ص 34.

[232] عتيق الدقيلان، عدنان بن محمّد، *مقاصد الزواج في الإسلام واستشارات زوجية*، ص27؛ خياط، نواف بن صالح، *التوجيهات التربوية لأحكام النكاح في الإسلام*، ص 43.

7.4.2. التعارف الاجتماعي

ومن أجمل مقاصد مشروع الزواج هو التعارف والتقارب فيما بين الناس، فبه تمتد الحياة عن طريق الأسر من الأصهار والقرابات العائلية، مما له الأثر البالغ في الترابط والتعاون.

شاء الله سبحانه وتعالى أن يخلق الإنسان مدني الطبع، يحب الاختلاط والجماعة ويكره الوحدة والتباعد والعزلة، وخلق الله تعالى الناس على نمط القبائل والشعوب لا للتفاخر والطبقات بل غاية الأسمى في ذلك كما بينه الباري عزّ وجل في آية القرآنية حيث قال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(الحجرات،13/49) التفاضل عند الله تعالى ليس بالحسب والنسب بل بميزان التقوى والعمل الصالح كائناً من كان، كما قال زين العابدين(ت: 95هـ) بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ للأصمعي(ت:216هـ): "هيهات هيهات يا أصمعيّ إن الله خلق الجنة لمن أطاعه، ولو كان عبدا حبشياً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان حراً قرشيا".[233]

ومن ثمرات الزواج ولوازمه: المصاهرة والتقارب بين الأسرتين، إحدى الرابطتين الطبيعيتين الأساسيتين بين الناس، وأشار بهما القرآن الكريم في الآية: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾(الفرقان،54/25).يقول الماوردي(ت450هـ): "والنسب لا يخلو من أبوة وبنوة وأخوة لأولئك وبنوة لتلك الأخوة.

وأما الصهر فهو: اسم لما بين المرء وبين قرابة زوجه وأقاربه من العلاقة، ويسمى أيضا مصاهرة لأنه يكون من جهتين، وهو آصرة اعتبارية تقوم بالإضافة إلى ما تضاف إليه، فصهر الرجل قرابة امرأته، وصهر المرأة قرابة زوجها، ولذلك يقال: صاهر فلان فلانا إذا تزوج من قرابته ولو قرابة بعيدة كقرابة القبيلة، وهذا لا يخلو عنه البشر المتزوج وغير المتزوج، وكان ذلك أصل النظام الاجتماع البشري لتكوين القبائل والشعوب وتعاونهم مما جاء بهذه الحضارة الراقية مع العصور والأقطار ".[234]

فمشروع الزواج من أهم أسباب التقارب بين العائلات والأسر والتعارف فيما بين القبائل والعشائر والقوميات، وكان بعض زواج النبي ﷺ من هذا القبيل ولهذا الغرض كما يتجلى هذا المقصد من قصة أم المؤمنين السيدة جويرية بنت الحارث في غزوة بني المصطلق، امرأة من

---

[233] أبو الفتح، شهاب الدين محمّد بن أحمد الأبشيهي، *المستطرف في كل فن مستطرف*، عالم الكتب – بيروت1419هـ، ص141.

[234] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 55/19-56؛ عتيق الدقيلان، عدنان بن محمّد، *مقاصد الزواج في الإسلام واستشارات زوجية*، ص39.

الكفر إلى الإيمان ومن عدم الشهرة إلى أن صارت زوجة خير خلق الله وأصبحت أم المؤمنين إلى يوم القيامة.

قال الصلابي: "لقد كان زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من جويرية بنت الحارث له أبعاده، وتحققت تلك الأبعاد بإسلام قومها، فقد كان الزواج منها من أهدافه الطمع في إسلام قومها، وبذلك يكثر سواد المسلمين، ويعز الإسلام، وهذه مصلحة إسلامية بعيدة، يسر الله هذا الزواج وباركه، وحقق الأمل البعيد المنشود من ورائه، فأسلمت القبيلة كلها بإسلام جويرية وإسلام أبيها الحارث، فقد عاد هذا الزواج على المسلمين بالبركة والقوة، والدعم المادي والأدبي معًا للإسلام والمسلمين، وأصبحت جويرية بنت الحارث زوجة لسيد المرسلين، وأمًّا للمؤمنين، فكانت رضي الله عنها عالمة بما تسمع، وعاملة بما تعلم، فقيهة عابدة، تقية ورعة، نقية الفؤاد، مضيئة العقل، مشرقة الروح، تحب الله ورسوله، وتحب الخير للمسلمين".[235]

ثم قالت عنها السيدة عائشة رضي الله عنها: فلا نعلم امرأة كانت أكثر بركة على قومها من جويرية.[236]

8.4.2. تحقيق المؤانسة والمودة والرحمة

من أفضل وأسمى مقاصد مشروع الزواج هو تلك الأنسة والمودة والرحمة التي ينبغي أن تتحقق وتتلألأ فيه، فبنى الله تعالى مشروع الزواج بين الرجل والمرأة على ثلاثة أركان: السكن والمودة والرحمة، وهي أصول الحياة الزوجية التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم بياناً لشرافة الزواج بين الجنسين حيث قال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إليها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الروم،21/30)، هذه الآية "فيها عظة وتذكير بنظام الناس العام وهو نظام الازدواج وكينونة العائلة وأساس التناسل، وهو نظام عجيب جعله الله مرتكزاً في الجبلة لا يشذ عنه إلا الشذاذ".[237] في بداية الآية يقول الله عزّوجل ﴿ومن آياته﴾ بمعنى أن الزواج آية من آيات الله تعالى كما أنَّ خلقك آية، وأن الشمس والقمر آيتان، والليل والنهار والسماء والأرض وما في الكون كله آيات كذلك الزواج آية.

---

[235] الصَّلاَّبي ، عَلي مُحَمَّد مُحَمَّد ، *السِّيرَةُ النَّبوية، عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث*، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – 2008م، ص573،574.

[236] غلوش، أحمد أحمد ، *السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني*، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع2004م، ص131.

[237] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 71/21.

وفي الآية الكريمة يلفت الله تعالى انتباهنا إلى أربع مسألة فيها لمشروع الزواج:

أولا: قول الله عزّ وجل: ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾(الروم،21/30)يقول الشعراوي(ت:1418هـ) في معنى ذلك: "فلم يشأ سبحانه أنْ يحدث التكاثر مثلاً بين الإنسان وبقرة، لا إنما إنسان مع إنسان، يختلف معه فقط في النوع، هذا ذكر وهذه أنثى، والاختلاف في النوع اختلاف تكامل، لا اختلاف تعاند وتصادم، فالمرأة للرقة والليونة والحنان، والرجل للقوة والخشونة، فهي تفرح بقوته ورجولته، وهو يفرح بنعومتها وأنوثتها، فيحدث التكامل الذي أراده الله وقصده للتكاثر في بني الإنسان".[238]

ثانيا: قوله عزّ وجل: ﴿لِتَسْكُنُوا إليها﴾(الروم،21/30) كلمة السكن وردت في القرآن الكريم في عدة آيات كلها تدور حول معان متقاربة جداً:

كالقرار والهدوء والأمن فمثلا في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(الأنعام،13/6)، بمعنى: استقرَّ[239] وقوله تعالى: ﴿وَقُلْنا يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾(البقرة،35/2) بمعنى: اتخاذ المسكن أي المبيت[240] وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الفتح،4/48) بمعنى الطمأنينة[241] وكل هذه المعاني من المبيت والهدوء والأمن وزوال الخوف مقصودة بذاتها في الأسرة وبين الزوجين: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إليها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الروم،21/30)، وتحديداً في هذه الفقرة المباركة﴿لِتَسْكُنُوا إليها﴾ لفتة عظيمة هي: أن الله تعالى قال "لتسكنوا إليها"ولم يقل: لتسكنوا فيها أو عندها، لأن كلمة: فيها وعندها للظرف المكاني بمعنى: السكن الجسمي وهذا غير مطلوب في السكن الذي أراده الله تعالى في الزواج، بل قال الله عزّوجل لتسكنوا إليها بمعنى السكن المعنوي لا الجسماني؛ أي لتتآلفوا مع البعض، فإنَّ المُجانسةَ من دَوَاعي التَّضامِّ والتَعارفِ كما أنَّ المخالفةَ من أسبابِ التفرُّقِ والتَّنافرِ، "ليطمئن إليها ويميل ولا ينفر، لأن الجنس إلى الجنس أميل وبه آنس، وإذا كانت بعضاً منه كان السكون والمحبة أبلغ، كما يسكن الإنسان إلى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه، فالأصل في الحياة الزوجية هو السكن والاطمئنان والأنس والاستقرار وهذه نظرة الإسلام إلى تلك الحياة".[242]

---

[238] الشعراوي، *تفسير الشعراوي*، 11356/18.

[239] الفيروز آبادي، *تنوير المقباس في تفسير ابن عباس*، ص106.

[240] الآلوسي، *روح المعاني*، 234/1.

[241] جلال الدين المحلي والسيوطي، *تفسير الجلالين*، ص679.

[242] الرازي، *مفاتيح الغيب*، 91/25؛ أبو سعود، *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*، 56/7؛ الطنطاوي، *تفسير الوسيط*، =

يقول الشعراوي(ت:1418هـ): "هذه هي العلة الأصيلة في الزواج، أي: يسكن الزوجان أحدهما للآخر، والسكن لا يكون إلا عن حركة، كذلك فالرجل طوال يومه في حركة العمل والسعي على المعاش يكدح ويتعب، فيريد آخر النهار أن يسكن إلى مَنْ يريحه ويواسيه، فلا يجد غير زوجته عندها السَّكَن والحنان والعطف والرقة، وفي هذا السكَن يرتاح ويستعيد نشاطه للعمل في غد".[243]

شاء الله سبحانه وتعالى أن يخلق في جنس كل من المرأة والرجل نقصاً وافتقاراً لا يتم إلا بالجنس الآخر، ولو أن الرجل افتقر إلى جنس آخر غير المرأة وفي المرأة كذلك لما استمرت الحياة، بل الحياة تهدم وتفسد، إذاً افتقار الرجل إلى المرأة والمرأة إلى الرجل قدر إلهي ورحمة ربانية شاءها كي يتساكنوا إلى بعضهم البعض، ولا يسكن بالرجل والمرأة إلا إذا تزوجا، [244] فالرجل والمرأة وإن كانا نفساً واحدة في طبيعة تكوينهما، واختلاف وظيفتهما بين الذكر والأنثى، إلا أن هذا الاختلاف ليسكن الزوج إلى زوجته ويستريح إليها، وهذه هي نظرة الإسلام لحقيقة الإنسان، ووظيفة الزوجية هي تكوينه، وهي نظرة كاملة وصادقة جاء بها هذا الدين الحنيف منذ أن طلعت شمسه، يوم أن كانت الديانات المحرفة تعد المرأة أصل البلاء البشري، وتعتبرها عاراً وعيباً ولعنة وفخاً للإغواء، تحذر منها تحذيراً شديداً، ويوم أن كانت الوثنيات– ولا تزال– تعتبرها مرتبة ثانية بعد الرجل وينظر إليها نظرة السوء، والأصل في التقاء الزوجين هو السكن والأنس والاستقرار والاطمئنان، ليظلل السكون والأمن جو الحضن الذي تُربَّى وتنمو فيه الأجيال، وينتج فيه المحصول الإنساني الثمين، ويؤهل فيه الجيل الناشئ لحمل تراث التمدن البشري والإضافة إليه.[245]

ويقول القرضاوي(ت:143هـ): "ومن روائع اللغة العربية – وهي لغة القرآن– أن تعبر عن كل من الشريكين في هذه الحياة المشتركة بكلمة (زوج) فالرجل زوج والمرأة زوج، وكلمة زوج تعني: اثنين، فكأن كل واحد منهما يتضمن الآخر ويستبطنه، ويعبر عنه، فهو في الظاهر فرد وفي الحقيقة زوج".[246]

452/5 ؛ المدرس، عبدالكريم محمّد بيارقيي، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، دار الحرية للطباعة –بغداد –العراق 1987م، عني بنشره محمّد علي القرداغي، 68/4؛ النابلسي، *تفسير النابلسي*، 319/9

[243] الشعراوي، *تفسير الشعراوي*، 11360/18.

[244] محمّد السيد ماضي، *موسوعة هدايات القرآن*، 118/7.

[245] سيد قطب، *في ظلال القرآن*، 1412/3.

[246] القرضاوي، *الأسرة كما يريدها الإسلام*، ص12.

والنابلسي في تفسيره يلفت انتباهنا إلى شيء مهم للغاية وإلى حل لكثير من المشكل الزوجية في موضوع السكن والاستقرار بين الزوجين حيث يقول: "فلو أن الإنسان قرأ هذه الآية وحدها﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إليها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الروم،21/30)، وعاتب زوجته قائلا: أن لا أرتاح ولا أسكن إليها ولا أستقر معها، ففي جوابه يقال: إن هذه الآية لها آية ثانية تتمتها في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (النور،30/24)، لأن القرآن الكريم جملة من الأحكام، والأوامر والنواهي، بعضه يفسر ويكمل بعضه، أحياناً لا يمكنك أن تأخذ آية بمعزل عن بقية الآيات، أمرك الله عزّ وجل أن تغمض عينيك أمام النساء المحرمات، فإذا طبقت ذلك ترى حقيقة ذلك فعلا، يكافؤك الله عزّ وجل عن غض بصرك بإلقاء محبة زوجتك في قلبك، ويذيقك طعم الاستقرار والاطمئنان والسكنى إليها، فهذه الآية من لوازمها الآية الثانية.[247]

ولتحقيق المزيد من مقصد السكن والألفة، لقد حرم الله تعالى نكاح القرابات من الفروع والأصول، وجمع المرأة مع أختها أو خالتها أو عمتها: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾(النساء،23/4)، ورسول اللهﷺ نهى عن جمع المرأة مع خالتها أو عمتها، قال أبو هريرةﷺ نهى رسول اللهﷺ: "عَنْ أَرْبَعِ نِسْوَةٍ، أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَهُنَّ: الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا، وَالْمَرْأَةِ وَخَالَتِهَا "[248] لأن الزواج معهن، والجمع بينهن تنفر منه الفطرة السليمة ويتسبب إلى النفرة والعداوة وزوال الرحم بينهن، وهذا ينافي السكينة والطمأنينة، فحكمة تحريم الزواج والجمع بينهن لإنتفاء مقصد السكينة والألفة، والإسلام مع التضامن والتقارب وجعل الزواج وسيلة لذلك، ولا يريد أن يكون الزواج وسيلة للتباعد والتباغض، لذلك حرَّم هذا النوع من الزواج.

ثالثا: قوله عزّوجل: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾(الروم21/30) ذكر الله تعالى مصطلح المودة فما هي؟ إنها أثر من آثار الحب الذي يكون بين الزوجين فإذا كان الحب موجوداً ممارساً بينهما فتولد المودة، الإنسان حينما يشعر بها بينه وبين أهله، فليعلم أنها من خلق الله تعالى وفضله على هذه الأسرة، لأنها لا تجلبها الأموال ولا الجمال ولا القوام ولا أي شيء من

---

[247] النابلسي، *تفسير النابلسي*، 320/9.

[248] مسلم، *صحيح مسلم*،باب: تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها، الرقم:(1408)، 1028/2.

متاع الدنيا، فلولا أنك منعم بهذه النعمة التي سببها بعد فضل الله تعالى الدين والخلق، فلن تستطيع أن تحصلها ولو أنفقت الدنيا كلها.

إن الله خلق بين الزوجين المودة والمحبة بحيث لا تجدهما أبدا قبل الزواج بين هذين الجنسين، فالزوجان قبل عقد الزواج كانا متجاهلين فيصبحان بعد التزاوج متحابين، وأن جعل بينهما رحمة فهما قبل التزاوج لا عاطفة بينهما فيصبحان بعد التزاوج متحابين متراحمين كرحمة الأبوة والأمومة، إن الفتاة قبل زواجها كل وفائها واعتزازها وولاءها لوالدها، فاذا تزوجت انتقل حبها وولائها بين عشية و ضحاها لزوجها، ومحمد راتب النابلسي يروي قصة واقعية على هذا التقلب السريع بين الزوج والزوجة يقول: أعرف رجلا في دولة عربية دلَّ على فتاة للزواج، فخطبها له أهله، وذهب إلى بيتها فرآها، فأعجب بها، وفي اليوم الثاني عقد عليها، وفي اليوم الثالث سافر الرجل إلى بلد لإكمال بعض أعمال له هناك، والذي يلفت الأنظار أن الفتاة ذهبت إلى المطار لتوديع خطيبها الذي لم يمض على عقدهما إلا يومان، وكانت تبكي لوداعه بكاءً، يقول النابلسي فقلت في نفسي: هذه المودة التي حصلت من خلق الله، وليس هذا إلا سر من أسرار الله تعالى في خلقه.[249]

أشار رشيد رضا(ت: 1354هـ) إلى وقفة تدبرية عن حقيقة المودة قائلاً: إنها ليست خاصا بالزوجين فقط، بل تتجاوز إلى أهلهما وعشيرتهما، ولذلك لم يقل الله عزّ وجل ﴿لتسكنوا إليها وتودوهما﴾(الروم21/30) بل إنما قال عزّ وجل: ﴿وجعل بينكم مودة﴾(الروم21/30) خطاب السكنى لهما وخطاب المودة للجميع، بسبب زواجهما تحصل المودة والاتصال بين أهلهما، وما زال الإنسان يعدون المصاهرة من أسباب العصبية بين البيوت والعشائر والقبائل، بل نرى السلاطين والرؤساء والملوك عبر التاريخ حاولوا المناصرة والتوادّ مع البعض بين دولهم عن طريق المصاهرة أو تخفيف العداوة والنفرة فيما بينهم، وهذه المودة والسلامة من بين أقارب الزوجين تتجاوز وتصل إلى تقارب العشائر والدول وإلى الأمة الإسلامية جميعاً، [250] وهذه الوقفة تذكرنا بموقف الرسولﷺ مع بني المصطلق[251] لما تزوج جويرية فأسلمت القبيلة كلها بإسلام جويرية وإسلام أبيها الحارث، وحصلت المودة بين الأمة الإسلامية وغير الإسلامية، وتذكرنا أيضا بوصية النبي ﷺ "إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا،

---

[249] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 71/21؛ النابلسي *تفسير النابلسي*، 320/9.

[250] رشيد رضا، *الحياة الزوجية*، مكتبة الذهبي –الكويت 2011، ص78.

[251] أشرنا الى قصة السيدة جورية في ص 101.

فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا"، [252] المقصود بها فتح مصر ويوصي الرسولﷺ من سيفتحها أن يتعامل مع أهل مصر بالخير والسلامة لأن بينهم وبين الرسولﷺ المصاهرة بسبب السيدة مارية القبطية كانت مصرية أهديت إلى رسول الله ﷺ وولد منها ابنهﷺ ابراهيم.

ومن معنى المودة أن يحب كل من الزوجين من يحب الآخر من أهله وعشيرته وأصدقائه، فيُسرُّ لسرورهم ويحزن لحزنهم ويتمنى لهم كل الخير، ويقوم بأداء حقوقهم كما جرى من العرف بين أمثالهم في ذلك من الزيارة وإجابة الدعوات ومشاركة أحزانهم وأفراحهم.

ويقول رشيد رضا(ت: 1354هـ): ومن أسباب دوام بقاء المحبة والمودة بين الزوجين الملاعبة والمداعبة، ومن الأزواج من يرى أن مفاكهة الزوجة والملاعبة معها مما يذهب مهابته ووقاره، وينسى أن ترك أمثال هذه الملاعبة والملاطفة مع زوجته يذهب بسكونها إليه وأنسها به وحبها له، فإن أعظم الرجال قدراً من الأنبياء والعلماء والحكماء والملوك والأمراء الذين كانوا يرضون نسائهم في البيوت، ولا يتخون ذلك من إجلالهم ومهابتهم شيئا، [253] وكان من عادة سيد الخلق ملاعبة أزواجه كما روي عن السيدة عائشة بسند صحيح: "أنها كانت مع النبيﷺ في سفر، قالت: فسابقته فسبقته على رجلي، فلما حملت اللحم سابقته فسبقني، فقال: "هذه بتلك السبقة". [254]

وسيدنا عمر ﷺ قال: "ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي فإذا التمسوا ما عنده وجد رجلاً". [255]

ومما هو محل النظر والتفكر في الآية هو: أن الرحمة تأتي في مؤخرة هذه الصفات: سكن ومودة ورحمة، ذلك لأن البشر عامة أبناء أغيار، وكثيراً ما تتغير أحوالهم، فالغني قد يصير إلى فقر والقوي قد يصير إلى ضعف، والمرأة الفاتنة تتغير بمرور الزمن والأيام وينزعها المرض وتعب الحياة الجمال، لذلك يلفت القرآن الكريم أنظارنا إلى ملاحظة دقيقة جداً وهي: أن هذه المرحلة- الكبر والمرض- التي ربما فقدتم فيها الأنسة والسكن، وغابت فيها المودة، فإن الرحمة تسعكما، فليرحم الزوج زوجته إنْ قَصُرت إمكاناتها للقيام بواجبها، ولترحم الزوجة زوجها إنْ أقعده المرض أو أصابه الفقر، لو جعل الله بين الزوجين المودة فقط لانصرف كل واحد عن

---

[252] مسلم بن الحجاج، *صحيح مسلم*، باب: وصية النبيﷺ بأهل مصر، الرقم:(2543)، 1970/4.

[253] رشيد رضا، *الحياة الزوجية*، ص89.

[254] أبو داود، *سنن أبي داود*، باب: في المحلل، الرقم: (2578)، 224/4.

[255] الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان، *كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال*، تح: بكري حياني، صفوة السقا، مؤسسة الرسالة 1981م، الرقم(45918)، 573/16.

الآخر وترك شريك حياته، لكن شاء الله تعالى أن يخلق المودة والرحمة: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾(الروم،21/30)، الرحمة هي المبادرة إلى مسح الألم والمؤانسة وقت الوحشة، فمهما كان الإنسان قوياً وغنياً لكن يوماً ما يتعبه المرض والحياة، فشاء الله تعالى أن يكون الإنسان ودوداً أو يكون رحيماً.[256]

رابعاً: في نهاية الآية قال الله عزّوجل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم،21/30)، يقول الشعراوي(ت:1418هـ): "وفي هذه المراحل التي تمرُّ بالحياة الزوجية، وكيف أن الله تعالى جعل لنا الأزواج من أنفسنا، وليستْ من جنس آخر، وكيف بنى هذه العلاقة على السَّكَن والمودة والمحبة، ثم في مرحلة الكِبَر على الرحمة التي يجب أنْ يتعايش بها الزوجان طيلة حياتهما معاً".[257]

إذا كان مشروع الزواج بنيّة الخير ونيل نعمة المؤانسة والسكن، لا شك أن الزوجان سيحصلان على المودة والرحمة اللتين تليين بعد السكن، لأن الآية ذكرت السكن فالمودة فالرحمة وهذا محل النظر والتمعن فيها آيات لقوم يتفكرون.

9.4.2. الزواج سبيل للغنى

بعدما نهى الله سبحانه وتعالى عن جملة من المفسدات التي تتسبب باختلاط الأنساب والفساد الاجتماعي وانقراض الأسرة وضياع الأولاد، فمثلا في صدر سورة النور نهى الله تعالى عن الزنا: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ..﴾(النور،2/24)، ثم نهى عن اتباع خطوات الشيطان في الفاحشة وغيرها: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ...﴾(النور،21/24)، وأمر بغض البصر أمام الأجنبيات وحفظ الفرج عما لا يحل: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ...﴾(النور،24/ 30- 31)، ونهى عن إبداء الزينة الا ما ظهر منها: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا...﴾(النور،31/24) وبعد كل هؤلاء المحظورات شرعاً وعقلا أعقب الله تعالى بالبديل والحل الأفضل وما فيه خير للناس دنياهم وأخراهم كما قال ابن القيم(ت:751هـ): "فما حرم الله على عباده شيئاً إلا عوضهم خيراً منه"، [258] وهذا البديل هو النكاح الحافظ للأنساب وبقاء النوع

---

[256] الشعراوي، *تفسير الشعراوي* 11360/18؛ النابلسي، *تفسير النابلسي*، 321/9.

[257] الشعراوي، *تفسير الشعراوي* 11362/18.

[258] ابن القيم، محمّد بن أبي بكر الجوزية، *نزهة المشتاقين وروضة المحبين*، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م، ص8.

الإنساني وترابط الأسرة ودوام الألفة وحسن تربية الأولاد: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور،32/24)، أمر الله تعالى بالنكاح ورغبهم فيه بما يلفت الأنظار وهو قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، لا تنظروا إلى فقر الخاطب أو المخطوبة فيغنيهم الله من فضله، [259] ورسول الله ﷺ يؤكد على ذلك في أحاديثه حيث يقول: "ثلاثة حق على الله عونهم: الناكح يريد العفاف، والمكاتب يريد الأداء، والغازي في سبيل الله"، [260] ويقولﷺ في حديث آخر: "تزوجوا النساء، فإنهن يأتينكم بالمال، وفي رواية أخرى عند أبي داود في مراسيله: انْكِحُوا النِّسَاءَ فَإِنَّهُنَّ يَأْتِينَكُمْ بِالْمَالِ "، [261] وفي تاريخ بغداد للخطيب البغدادي يروى: أن رجلا شكى إلى رسول الله ﷺفاقة، فأمره النبيﷺ بالزواج.[262]

وبعض كبار الصحابةﷺاستدلوا بهذه الآية في مسألة دفع الفقر وجلب الغنى بالنكاح ورغبوا الناس فيه، فمنهم من قال كأبي بكر الصديق ﷺ: "أَطِيعُوا اللهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنَ النِّكَاحِ يُنْجِزْ لَكُمْ ما وَعَدَكُمْ مِنَ الْغِنَى".[263]

ونحوه أورد الزجاج في كتابه أثراً عن سيدنا عمرﷺ قال: "عجب لامرئ كيف لا يرغب في الباءة والله يقول ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾(النور،32/24).[264] لكن ورد في

---

[259] الإيجي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الشافعي، *تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن*، دار الكتب العلمية – بيروت2004م، 120/3.

[260] الترمذي، *الجامع الكبير*، باب: ماجاء في المجاهد والنكاح، الرقم: (1655)، 184/4، والحديث حسن.

[261] الحاكم، *المستدرك على الصحيحين*،باب: في النكاح، الرقم:(2679)، 174/2؛ أبو داود، *المراسيل*، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت 1408هـ،باب: في النكاح، الرقم:(203)، ص180.

[262] الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، *تاريخ بغداد*، تح بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت2001م، 233/2.

[263] السيوطي، جلال الدين، *الجامع الكبير*، تح: مختار إبراهيم الهائج وآخرون، الأزهر الشريف، القاهرة، جمهورية العربية2005م، الرقم(593)، 340/14؛ العجلوني الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن محمد، كشف الخفاء ومزيل الإلباس، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية2000م، الرقم(972)، 349/1؛ الغُمَارِي، أبو الفيض أحمد بن محمد بن الصدِّيق بن أحمد، المداوي لعلل الجامع الصغير وشرحي المناوي، دار الكتبي، القاهرة، جمهورية العربية1996م، 234/2.

[264] أبو إسحاق الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، *معاني القرآن وإعرابه*، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت1988م، 40/4.

مصنف عبدالرزاق بصيغة أخرى قال: "ما رأيت مثل رجل لم يلتمس الفضل في الباه، والله يقول: ﴿إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾(النور،32/24).[265]

وورد أثر في ذلك أيضاً عن ابن مسعودﷺ قال: "التمسوا الغنى في النكاح".[266]

وهذا الوعد ضمن جملة وعود من الله تعالى لعباده في القرآن الكريم فمثلا:

1-لقد وعد الله أصحاب رسول الله ﷺ الفقراء باليسر بعد ذلك العسر، وأنجز لهم ذلك ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾(الطلاق،7/65).

2-وعدالله أهل التقوى أن يفتح لهم مخرجاً ويرزقهم من حيث لا يحتسبون: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾(الطلاق،1/65- 2).

3-وعدالله من يأمر أهله بالصلاة ويصطبر عليهم بالرزق: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾(طه،132/20).

4-وعدالله المستغفرين بجملة نعم: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾(نوح،10/71-12).

5-ووعد بالغنى لمن يتزوج: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(النور،33/24).[267]

لكن الرازي(ت:605هـ) له رأي خاص في تحليل مسألة إغناء الفقير بالزواج، يقول في تفسيره: "الأصح أن هذا ليس وعداً من الله تعالى بإغناء من يتزوج، بل المعنى لا تنظروا إلى فقر من يخطب إليكم أو فقر من تريدون تزويجها ففي فضل الله ما يغنيهم، والمال غاد ورائح،

---

[265] الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام، *مصنف عبدالرزاق*، الرقم:(10393)، 173/6.

[266] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 166/19؛ ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، 227/10؛ ابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، *التسهيل لعلوم التنزيل*، تح: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت1416هـ، 68/2؛ ابن عطية، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، 180/4.

[267] الشنقيطي، *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*، 530/5.

وليس في الفقر ما يمنع من الرغبة في النكاح، فهذا معنى صحيح وليس فيه أن الكلام قصد به وعد الغنى حتى لا يجوز أن يقع فيه خلف".[268]

ويجيب الرازي(ت:605هـ) عن تلك الأدلة التي ذكرناها آنفا من الأحاديث والآثار التي تستدل بها كوعد من الله تعالى بإغناء الفقير إذا تزوج يقول: أن هذا الوعد- كأنه يقول: وإن اعتبرناها وعداً من الله تعالى لكن- مشروط بالمشيئة، وعلى هذا المنوال فإنَّ جمعاً من العلماء كالزمخشري(ت538هـ)، وقبله البيضاوي(ت685هـ) وأبو حيان الأندلسي(ت745هـ) وأبو سعود(ت: 982هـ) والقاسمي(ت:1332هـ) ومن المعاصرين الزحيلي(ت:1436هـ)، كلهم ربطوا هذا الشرط بالمشيئة بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ الله مِن فَضْلِهِ إِن شَاء الله إِنَّ الله عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(التوبة،28/9). الآية الأولى مطلقة والثانية مقيدة بمشيئة الله، وهنا يحمل المطلق على المقيد.[269]

10.4.2. مقصد التراحم وتجلياته في الأسرة

أولا: التراحم

بُنْيَة أساس الأسرة على علاقات القرابة والرّحم؛ الرحم هو المحدد البيولوجي لتأسس الأسرة فطرياً، كما أن الرحمة هي الأساس القيمي لإدامة الأسرة من الجانبين الأخلاقي والإنساني.

"والرحم مفهوم كليّ في الدين، يقوم عليه عدد كبير من الأحكام الشرعية، التي تنظّم الحياة الزوجية بما يضمن استمرارَ هويتها الإسلامية، وانتسابَها الديني في ذريتها إلى يوم القيامة، فالرحم ليس ذلك الغشاء البطني الداخلي الذي يحتضن الجنين في بطن أمه فحسب، ذلك معنى لغوي صرف، وإنما المقصود بالرحم في السياق التشريعي: هو مجموع العلاقات الشرعية التعبدية، التي تنشأ عن الزواج الشرعي، وعما يترتب عنه من نسل".[270]

والناظر المتفكر في الآيات القرآنية المتعلقة بالأسرة لتبين له المقصد الجامع والحاكم هو الرحمة، ومنها تتفرع بنية المقاصد الأخرى قال عزّوجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ

---

[268] الرازي، *مفاتيح الغيب*، 315/11.

[269] الرازي، *مفاتيح الغيب*، 315/11؛ الزمخشري، *الكشاف*، 235/3؛ البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 105/4؛ أبو حيان الأندلسي، *البحر المحيط*، 38/8؛أبو سعود، *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*، 171/6؛ القاسمي، مُحَمَّد جمال الدين بن مُحَمَّد، *محاسن التأويل*، تح: مُحَمَّد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت1418هـ، 380/7؛ وهبة الزحيلي، *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*، 232/18.

[270] فريد الأنصاري، *الفطرية بعثة التجديد المقبلة من الحركة الإسلامية الى دعوة الإسلام*، دار السلام، 2013م، ص172،173.

مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(النساء،1/4) إن الله سبحانه وتعالى وصل الرحم بأصل من أصول الإسلام وهو التقوى، والتي هي ركن معرفة الله تعالى.

ومن الملاحظ في الآية أن التقوى مربوطة وموصولة بالرحم، وهذه الصلة بينهما أكدها النبي ﷺ في أحاديثه: "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، الرحم شُجْنَةٌ من الرحمن، فمن وَصَلَها وصله الله ومن قطعها قَطَعَه الله".[271]

ويبدأ التراحم من العلاقات الرحمية وتتجاوز إلى العلاقات الإنسانية، ومن ثمّ؛ فإن التواصل الأسري واجتماع أفرادها في الإسلام يتأسس على الرحم، ويستمر على التراحم، وكلما تخلَّق الإنسان بأخلاق الرحمة والحنان انعكس ذلك تماماً على رابطة الرحم فزادها قوة واستمرارية.

ثانيا: تجليات الرحم في الأسرة

الأسرة مكونة من شخصيات رئيسية يمثلها أفراد الأسرة وكلهم يعتبر جزءً مهماً لا يتجزأ عن الأسرة؛ كالزوجين والأبناء والأخوة، والرحم ينبغي أن يتجلى بينهم، والقرآن الكريم ذكر وأشار بتلك التجليات بين شخصيات الأسرة فمنها:

أ- الرحم بين الزوجين

قال عزوجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لتسكنوا إليها وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم،20/30).

ومما هو محل النظر والتفكر في الآية هو أن الرحمة تأتي في مؤخرة هذه الصفات: سكن ومودة ورحمة، ذلك لأن البشر عامة أبناء أغيار، وكثيراً ما تتغير أحوالهم، فالغني قد يصير إلى فقر والقوي قد يصير إلى الضعف، والمرأة الفاتنة تتغير بمرور الزمن والأيام وينزعها المرض وتعب الحياة الجمال، لذلك يلفت القرآن الكريم أنظارنا إلى ملاحظة دقيقة جداً هي: أن هذه المرحلة- الكبر والمرض- التي ربما فقدتم فيها الأنسة والسكن، وغابت فيها المودة، فإن الرحمة تسعكما، فليرحم الزوج زوجته إنْ قَصُرت إمكاناتها للقيام بواجبها، ولترحم الزوجة زوجها إنْ أقعده المرض أو أصابه الفقر، لو جعل الله بين الزوجين المودة فقط لانصرف كل واحد عن الآخر وترك شريك حياته، لكن شاء الله تعالى أن يخلق المودة والرحمة: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾(الروم،21/30)، الرحمة هي المبادرة إلى مسح الألم والمؤانسة وقت الوحشة، فمهما

[271] الترمذي، *الجامع الكبير*، باب: ماجاء في رحمة المسلمين، الرقم(1924)، 50/4.

كان الأنسان قوياً وغنياً لكن يوماً ما يتعبه المرض والحياة، فشاء الله تعالى أن يكون الإنسان ودوداً أو يكون رحيماً.[272]

ب- الرحم مع الوالدين

ومن تجليات الرحم بين الأبناء والوالدين الإحسان والبر معهما، وهذا وارد في القرآن الكريم إما بصيغة الأمر الصريح كقوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾(الإسراء،17/ 23- 25).

وإما عن طريق عرض ميداني لأهل البار بالوالدين بغية الاقتداء بهم كقصص الأنبياء وهم قدوة البشرية في الأفعال والأقوال كما جاء في وصف يحيى بن زكرياء عليه السلام ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾(مريم،14/19)، وقال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾(مريم،32/19).

ح- الرحم مع الأبناء

لا تجد في القرآن الكريم الأمر المباشر بالإحسان إلى الأبناء كما وجدنا في حق الأباء، لأنه لا داعي إلى ذلك هذا شيء بديهي من دواعي الفطرة لذلك "يكتفي الشارع في طلبه بمقتضى الجبلة الطبيعية والعادات الجارية؛ فلا يتأكد الطلب تأكد غيره"[273] لكن نرى في ذلك مشاهد حقيقية سلوكية فطرية تجاه الأبناء في القصص القرآنية الواردة، ومن ذلك:

رحم نبي الله نوح عليه السلام وشفقته مع ابنه رغم عناده وكفره: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَآوِي إلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾(هود،42/11- 43).

وحكاية حنان أم موسى مع فلذة كبدها موسى حين ألقته البحر خوفاً من قهر فرعون: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ فَرَدَدْنَاهُ إلى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(القصص،10/28- 13).

---

[272] الشعراوي، *تفسير الشعراوي* 11360/18؛ النابلسي، *تفسير النابلسي*، 321/9.

[273] الشاطبي، *الموافقات*، 386/3.

خ- الرحم بين الإخوة

يمكن التمثيل لهذا التجلي الرحماني في قصة موسىعليه السلام مع أخيه؛ إذ عاد موسى لقومه غضبان أسفاً لعبادتهم العجل، ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(الأعراف،150/7)، فناداه نداء الاستضعاف وناداه بابن الأم؛ لأن الأُم "عنوان الحنان وموطن العطف والرحمة، كما يشعر بلين عريكته ما في باقى أُسلوبه من توسل ورجاءٍ"[274] فما كان من موسى عليه السلام إلا أن استجاب لنداء أخيه الرحيم، ويطلب من أرحم الراحمين أن يغفر له ولأخيه؛﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأعراف،151/7)، وقد جاء في آية أخرى تأكيد على صفة الرحمة بينهما؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾(مريم،53/19)، فالأخوة اشتراك في رحمٍ واحد، وهي رحمةٌ من الله عزوجل، وتستلزم معاملة تراحمية خاصة ترقى بها.

ويتضح الأمر أيضاً في علاقة يوسفعليه السلام بأخيه: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(يوسف،69/12)، فعبر القرآن عن فعل يوسف بالإيواء، بمعنى ضمه اليه. [275]

فهذه الصورة القرآنية تعبر عن العلاقة الأخوية في أرقى صورها، في الإدناء والإيواء والطمأنينة، فالأصل أن الأخوة أمان ووقاية ورعاية، وتتعدد تجليات الرحمة في العلاقات الأسرية في القرآن الكريم؛ مما يؤكد أن الرحمة هي المقصد الحافظ للاجتماع الأسري والتراحم الأسري هو أساس التراحم الاجتماعي.[276]

---

[274] مجموعة من العلماء بإشراف الأزهر، *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية1993م، 1516/3.

[275] الحنبلي، *مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي*، *فتح الرحمن في تفسير القرآن*، تح: نور الدين طالب، دار النوادر2009م، 443/3.

[276] جميلة تلوت، مقصد الأسرة في القرآن من الإنسان الى العمران، بحث منشور فيfurqan.com،https//al

11.4.2. تحقيق القوامة للرجال

ومن مقاصد مشروع الزواج إبراز مهمة قوامة الرجل وتحقيقها في واقع الحياة الأسرية، وما هي إلا آلية تنظيمية تفرضها ضرورة السير الآمن للأسرة المسلمة، وهذه الصفة الرجولية في الحياة الأسرية مذكورة في القرآن الكريم صراحة حيث قال الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (النساء،34/4).

فكلمة "قوامون"مفردها قوام هي صيغة المبالغة على وزن (فعَّال) في اللغة بمعنى: "الْقيام على الْأَمر أَو المَال أَو ولَايَة الْأَمر".[277] وهذا المعنى يتلاءم مع المعنى المقصود به أو الاصطلاحي؛ لأن المفسرين فسروها بنحو هذا المعنى، يقول ابن عباسﷺ: "أمراء عليهن أن تطيعه فيما أمرها الله به من طاعته وطاعته أن تكون محسنة إلى أهله حافظة لماله".[278]

ويقول القرطبي(ت: 671هـ) في معناه: هو أن يقوم بتدبيرها وتأديبها وإمساكها في بيتها ومنعها من الخروج، وأن عليها طاعته وقبول أمره ما لم تكن معصية.[279]

ويقول الجصاص(ت:370هـ): "قيامهم عليهن بالتأديب والتدبير والحفظ والصيانة".[280]

ولو لاحظنا الآية لنرى: أن القوامة مشروطة بشرط الرجولة بمعنى أن الله تعالى أسند القوامة إلى الرجال وليس الذكور، ومن المعلوم أن كل رجل ذكر وليس كل ذكر رجل، فالرجولة مرتبة شرف لا ينالها كل الذكور، وهذا يتجلى أيضاً في قوله تعالى حينما يحرض غيرة الرجال على لسان سيدنا لوط عليه السلام في قومه لمنع الفاحشة: ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾(هود78/11)، ومما يجدر بالذكر هنا ينبغي لتحقيق القوامة المطلوبة أن يكون الرجل أعلى من المرأة من حيث الخشونة والرجولية والغيرة والأمور الدنيوية بصورة عامة، أما الأمور الدينية كالتقوى والخوف من الله تعالى ومعرفة الدين كل ذلك تحرض المرأة على إقرارها بالقوامة ولا تزاحم الرجل في ذلك، وأن الرجال كما نبه الشعراوي إلى ذلك أنواع حيث يقول: "أول ما نلتفت إليه أن بعضهم لم يفسروا الآية إلاّ على الرجل وزوجته على الرغم من أنَّ الآية تكلمت عن مطلق رجال ومطلق نساء، فليست الآية مقصورة على الرجل وزوجه، فالأب قوام على البنات، والأخ على

---

[277] مصطفي، ابراهيم وآخرون، *المعجم الوسيط*، تح: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة د.ت، 768/2.

[278] السيوطي، *الدر المنثور*، 513/2.

[279] القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 169/5.

[280] الجصاص، أبوبكر أحمد بن علي، *أحكام القرآن*، تح: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي – بيروت1405هـ، 148/3.

أخواته"[281]، فحقاً من نال هذه المرتبة فهو أهل لأن يكون قوّاماً على النساء، والقوامة شرف للرجال وكرامة للنساء، بمعنى أن هذا الرجل مؤهل لقيامه بتدبير شؤون الأسرة ورعايتهم والإنفاق عليهم وحفظهم وبذل جهده لإسعاد الأسرة بكافة أفرادها، ويكون مظلة عليهم وحاملا لراية الأسرة، وأن يحسن السياسة وإدارة دفة الحياة الزوجية على وجه الشورى والإحسان والحرص الدائم على بذل النصح والخير، والوقوف الحازم أمام الانحراف والنشوز. [282]

فلو كان الاثنان أو الثلاثة قد سافروا كم ساعة أو يوم يأمرهم الشرع بأن يتفقوا ما بينهم ويؤمرّوا واحداً عليهم كي لا يكون أمرهم فوضوي كل واحد يتجه اتجاهاً يقول الرسولﷺ: "إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم".[283] وشؤون الأسرة أحرى أن يكون لها الأمير والمدير كما ينبهنا عن ذلك سيد قطب(ت: 1386هـ): "وإذا كانت المؤسسات الأخرى الأقل شأناً، والأرخص سعراً: كالمؤسسات المالية والصناعية والتجارية وغير ذلك، لا يوكل أمرها- عادة- إلا لأكفاء المرشحين لها ممن تخصصوا في هذا الفرع علمياً، ودربوا عليه عملياً، فوق ما وهبوا من استعدادات طبيعية للإدارة والقوامة...

إذا كان هذا هو الشأن في المؤسسات الأقل شأناً والأرخص سعراً.. فأولى أن تتبع هذه القاعدة في مؤسسة الأسرة، التي تنشئ أثمن عناصر الكون.. العنصر الإنساني والمنهج الرباني يراعي هذا".[284]

شبهة حول معنى القوامة وردها:

وليست القوامة بالمعنى الذي يزعمه الحاقدون والمشككون والمفتنون بأنها تعني: التجبر واستبداد الرأي والتسلط والقسوة في معاملة أفراد الأسرة، والنظر إليهم بعين السخرية والعبودية، ومحاولة إذلالهم، وأن يستغل الرجل هذا المنصب لفرض رأيه عليهم، وكأنه سبحانه وتعالى يصحح الفهم الخاطيء للآية ويفسرها بآية أخرى حيث يقول: ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ (النساء،19/4) كي لا يظن ظان أن القوامة هي الاستبداد والتجبر على الزوجة وتهميش شخصيتها، وجعلها كجارية تخدم زوجها وتلبي حاجاته ولا حق لها في الحياة الأسرية وليس لها حق عليه، لا بل يجب حسن معاشرتهن، لأنهن لباس لكم كما أنتم لباس لهن﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾(البقرة،178/2)، وهن أيضا سكن لكم﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ

---

[281] الشعراوي، *تفسير الشعراوي*، 2192/4.

[282] اليوسف، عبد الرحمن بن عبد الخالق، *الزواج في ظل الإسلام*، الدار السلفية، الكويت1988م، ص114.

[283] أبوداود السجستاني، *سنن أبي داود*، باب:في قوم يسافرون يأمرهم أحدهم، الرقم: (2608)، 249/4، ورجاله ثقات.

[284] سيد قطب، *في ظلال القرآن*، 650/2.

أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إليها﴾ (الروم،21/30)، وبدونهن لا تستطيعوا الاستمرار في الحياة بصورة سليمة آمنة ومطمئنة، وربط الرسول ﷺ كمال الإيمان بالأحسان مع الأهل حيث يقول: "أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا و ألطفه بأهله ".[285]

ومن الجدير بالذكر أن الله تعالى لم يعط القوامة للرجال عبثاً، وإنما بين السبب في الآية نفسها بلا فاصل قائلاً عزّوجل: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾(النساء،34/4).

يقول الطريفي: التفضيل الذي ذكره الله سبحانه وتعالى على نوعين:

النوع الأول: تفضيل فطري: "ما فطر الله عزّ وجل عليه الرجال من بسطة في الجسم، وقوة، وعزيمة، ورباطة جأش، وصبر وتحمل لا يكون في النساء، فهذا شيء قد جعله الله عز وجل في الرجال وليس في النساء، فسماه الله عزّ وجل فضلًا. والفضل في لغة العرب: الزيادة، فزاد الله عز وجل في فطرة الرجل شيئاً ليس عند المرأة.

النوع الثاني: تفضيل كسبي: فهو السعي والضرب في الأرض، فقد جعل الله عز وجل عليه تكليفاً خاصاً أن يقوم بشأن المرأة بالنفقة والتكسب.

أما الأول فلا اختيار للإنسان فيه، فطر الله عز وجل الرجل عليه حينما خلقه.

وأما الثاني فهو مكتسب، وهو مأمور به شرعاً، فيجب عليه أن يكتسب وأن يسعى لينفق على المرأة".[286]

ويلفت الرازي(ت:605هـ) أنظار الرجال إلى قوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ (البقرة،228/2) وتحديداً كلمة (درجة) ويحذرهم أن لا يغتروا بهذه الدرجة ولا يفتخروا بها كشعار التجبر والاستبداد على النساء قائلا: "دلت هذه الآية أن على الرجال لن يوفوا الزوجات حقوقهن؛ لأنهم أعطوا عليهن درجة، فكان ذكر هذه الدرجة للرجال كالتهديد لهم في الإقدام على مضارتهن؛ لأن كل من كانت نعم الله عليه أكثر كان صدور الذنب عنه أقبح، واستحقاقه للزجر أشد".[287]

---

[285] البيهقي، *شعب الإيمان*، باب: حسن الخلقن الرقم: (7615)، 355/10.

[286] الطريفي، عبدالعزيز بن مرزوق، *التفسير والبيان لأحكام القرآن*، مكتبة دار المنهاج –الرياض، 1438هـ، 826/2؛ سيد قطب، *في ظلال القرآن*، 651/2؛ وانظر أيضا النابلسي، *تفسير النابلسي*، 124/3.

[287] الرازي، *مفاتيح الغيب*، 441/6.

يقول المحامي مسلم: "فإذا كانت قوامة الرجل لا تمتد إلى الحقوق الأساسية للإنسان فما الذي يخيف دعاة ما يسمى بتحرير المرأة في قوامة الرجل ؟

فماذا يريدون للمرأة أفضل، وأكرم من تلك المكانة المرموقة التي بوأها الإسلام إياها إن كانوا حقاً ينشدون خيراً للمرأة – كما يزعمون ؟.

الحقيقة أنهم لا يريدون ذلك بل يريدون تحطيم ذلك الحصن المنيع للمرأة المسلمة المتمثل في قوامة الرجل، الذي جعله الإسلام قلعة لحماية المرأة من عاديات الزمان وتقلباته".[288]

ويقول محمود محمد طه(ت: 1405هـ): "اعلمن أن الغيرة الجنسية هي أكبر أسباب الرجال على النساء، وستظل غيرة الرجال على النساء قائمة، ومن الخير أنْ تظل قائمة لأنها هي صمام العفة وضمانها، والعفة هي أعظم مزايا النساء على الإطلاق وما جعلت قوامة الرجال على المرأة إلا من أجلها، فكن عفيفات صينات تكن لكن القوامة على أنفسكن".[289]

والقوامة ليست إلا كرامة للمرأة، ومظلة الحياة للأولاد، وعزة للأسرة، ومنارة للمجتمع، ونظاماً للبشرية، وتكليفاً للرجال وأمانة على عاتقهم إذا كانوا أهلا لذلك، واستطاعوا القيام بذلك، كما أشرنا بها سابقاً أن القوامة مشروطة بالرجولية، ومن كانت فيه هذه الصفة لا يسمح لنفسه أن يتجبر على زوجته.

والله تعالى خبير بشؤون العباد وحكيم بترتيب أمورهم وتنظيم حياتهم، ولله في خلقه شؤون.

---

[288] إلبوسف، المسلم بن محمد جودت، *كتاب القوامة*، بحث منشور في abokotaiba@hotmail.com ،ص6.

[289] عبدالحميد، شوقي بشير، *تعبد أهل الفرق بالمذاهب الفقهية*، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية2003م، ص99.

3. المشكلات الأسرية وحلولها في منهج القرآن الكريم

على الرغم من كل اهتمامات القرآن الكريم بمشروع الزواج، وما أقامه من دعائم لبناء الأسرة وحمايتها وحفظ كيانها، لكن لا توجد أسرة على وجه الأرض من لدن آدم عليه السلام حتى قيام الساعة تخلو من المشكلات والخلافات بين الزوجين، أو بين الوالدين والأبناء. ولو سلم بيت من المشاكل لسلم أطهر بيت منها هو بيت رسول الله ﷺ ولو خلت أسرة من التشنجات وسوء التفاهم لسلمت أسرة رسول الله ﷺ وهي أسرة نموذجية على الإطلاق، إلا أن نوعية المشكلات وطبيعتها تختلف من أسرة إلى أسرة، ومن مجتمع إلى آخر، كما أن طبيعة وحجم المشكلات الأسرية تختلف من فترة زمنية إلى أخرى، فعلى سبيل المثال: في العقود الماضية كان يتم الحديث عن مشكلات أسرية من قبيل ارتفاع معدلات الزواج المبكر، وختان الإناث، وتقييد حرية المرأة. أما اليوم فيتم الحديث عن مشكلات أسرية من قبيل ارتفاع العنوسة عند الفتيات، وعزوف الشباب عن الزواج، وغلاء المهور، وارتفاع معدلات الطلاق، بما أننا نعيش في زمن التغيرات الاجتماعية السريعة، وفي زمن العولمة الثقافية، والتكنولوجية، التي ألقت بظلالها على النظام الأسري حتى أصبحت الأسرة تعاني من مشكلات اجتماعية جديدة.

نهج القرآن الكريم أسلوباً متيناً لكل مراحل الأسرة من بداية الفكرة والترغيب فيها إلى أن أصبحت شجرة مثمرة أكلها دائم وظلها قائم بإذن الله تعالى، ومن أصعب مراحلها مرحلة العقبات والمعضلات التي تتواجه الأسرة وتذهب بها إلى حافة الانهيار والذوبان لولم تنحل ولم توقف عند حدها، والقرآن الكريم كما اهتم ببناء الأسرة التي هي سند المجتمع وطريق استمرارية الإنسان على الأرض لم يتركها لوحدها وما ألقى الحبل على غاربه، بل اعتنى أيضا بتلك المرحلة الشاقة الصعبة ورسم أيضا منهجاً لحل مشكلاتها ومداواة جرحها، وفي هذا الفصل بإذن الله تعالى سنلقي الضوء على أبرز تلك العقبات والمشكلات التي تتواجه الأسرة وأفرادها فيما بين الزوجين أو بين الآباء والأولاد أو مشكلات أسرية لكن تأثيرها تتجاوز الى المجتمع، ونذكر مقاصد القرآن في حل تلك المشاكل وانقاذ الأسرة من التفكك والانهيار.

1.3. مشكلات بين الزوجين وحلولها

تمهيد: منهج القرآن الكريم في التصدي للخلافات الزوجية

لا ريب أن كل الأسرة- وإن بنيت على الإيمان والمحبة الصادقة- لا تخلو من المشاكل والصعوبات، وخير دليل على ذلك ما حدث في حياة أشرف الأسرة لأكرم الخلق أسرة سيدنا محمدﷺ، فلو لم يوضع حدًّا لهذه المشاكل لتسربت الأسرة إلى الهدم والفصل، فوجب على كل من الزوجين المحافظة عليها، ووجب على المجتمع أيضا أن يساهم في هذه المحافظة، فلا ينبغي للزوجين أن يستسلما لعوامل النفرة، ودواعي الفرقة، وأن يصبر كل منهما على صاحبه؛ لتستمر هذه المؤسسة المباركة، وقد قال أحد الحكماء: على الرجل أن يفتح عينيه واسعتين قبل الزواج ثم عليه أن يغمضهما نصف إغماضة بعد الزواج.[290]

والقرآن الكريم من بالغ اعتنائه بالأسرة وضع خطوطاً أساسية وأعطانا مفاتيح نفتح بها بوابات مغلقة أمام الأسرة وهي:

أولا: التشجيع على التواد والتراحم فيما بين الزوجين

وهذا يظهر في قوله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إليها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم،21/30).

إنما هذه المودة والرحمة من قبل الله عزّوجل، فإن الزوج يمسك زوجته: إما لمودته ومحبته لها، أو لرحمته بها بأن يكون له ولد منها وهي أم ولده، أو محتاجة إليه للنفقة أو للأنسة بينهما.[291]

ثانيا: الصبر على المكاره

قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(النساء،19/4). فالآية ترشد الأزواج إلى الصبر والتحمل على ما يكرهونه من الزوجات

ونبَّهت على معنيين:

أحدهما: أن الإنسان لا يعلم وُجوهَ الصلاح، فرب مكروهٍ عاد محموداً، ومحمودٍ عاد مذموماً.

---

[290] القرضاوي، *الأسرة كما يريدها الإسلام*، ص27.

[291] ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، 309/6.

والثاني: أن الإنسان لا يكاد يجد محبوباً ليس فيه ما يكره، فليصبِر على ما يكره لما يُحِبُ.[292]

ثالثا: مدارات النساء والإستيصاء بهن

لقد حكى الله سبحانه وتعالى لنا قصة ما جرى بين النبيﷺ وبين بعض نسائة على حادثة شرب العسل عند بعضهن ومعرفة الأخريات به في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾(التحريم،3/66)، كيف تعامل النبي ﷺ بلطف وحكمة أثناء مشكلة أسرية وقام بمداراتهن إزاء ما فعلن بهﷺ وترك أشياء إرضاء لأزواجه وحفاظاً على بناء الأسرة.[293]

لن تجد أسرة خالية عن المشاكل والهموم والأحزان، ولهذا بين الله تعالى في القرآن الكريم كل ما يهم الأسرة وخطط لها بما يتعلق بها من البداية إلى مرحلة الانهيار وما بعد الانفكاك، ووضع حلولا لها وقاية من فشل هذا المشروع والتفكك، وفي هذا المبحث نلقي الضوء على تلك المشكلات التي تتعرض إلى الزوجين الذين هما أساس الأسرة إذا انهزما انهزمت الأسرة بأكملها.

1.1.3. الفراغ العاطفي

فمن أساسيات استمرارية الأسرة وثباتها وجود المحبة والحنان بين أفرادها ولاسيما بين الزوجين كما هو واضح وثابت في الآية التي هي عنوان سعادة الأسرة وأساسها وعليها مدار الأسرة التي ذكرناها أكثر من مرة هي قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إليها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الروم،21/30) ما جعل الله المودة والمحبة في الأسرة وبين الزوجين إلا لإدامة الأسرة واستمرار الحياة الهنيئة بين الزوجين، وعدم إيجاد الفراغ العاطفي بينهم، ومن أكبر المشاكل بين الزوجين وأولاها الفراغ العاطفي وانعدام الأنسة والمحبة والتعاطف بينهم، بل هو السبب الرئيس لإيجاد بقية المعضلات التي تأتي واحدة تلو الأخرى،

متى يحدث الفراغ العاطفي؟

---

[292] ابن الجوزي، *زاد المسير*، 386/1.

[293] أبو سعود، *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*، 266/8.

يحدث الفراغ العاطفي بين الزوجين عند انعدام التواصل بينهما، فيصبح كل منهما بمنأى عن الآخر، وعندما يسكن كل منهما عالمه الخاص الذي انعزل فيه بعيداً عن الطرف الآخر، فيعرض هذا ويعرض ذاك، والكل يعيش لوحده، وهنا تبدأ مجاعة وجدانية كبيرة، لاحتياج كل منهما لشعور دافئ يغمره، ويحتويه، ويخلصه من الحالة التي يعيشها.

ومن أهم أسباب انعدام التواصل داخل الأسرة وبين الزوجين هي:

- العمل: يعتبر العمل أحد أهم الأسباب وأكثرها تأثيرًا على العلاقات الزوجية، فالضغوط المهنية والعائلية تجعل الأزواج يشعرون وكأنهم منفصلون عن بعضهم البعض، فعندما يغرق الاثنان في جداول يومية مزدحمة للغاية تتضمن رعاية الأطفال والعمل والمسؤوليات الأخرى، يشعران أنهما يعيشان بعيدًا عن بعضهما.

- وسائل التواصل الإجتماعي: إذ يعيش الإنسان المدمن عليها في عزلة عمن حوله، فيشعر بالفراغ العاطفي الواقعي ويهرب إلى العالم الافتراضي، ليروي ظمأه العاطفي الذي تزيده علاقات وهم العاطفة والحب المزعوم ولا تنقصه، فقد أظهرت دراسة أجريت في عام 2017، أن الأشخاص الذين أمضوا المزيد من الوقت على وسائل التواصل الاجتماعي عانوا من مستويات أعلى من الشعور بالوحدة. [294]

حل مشكلة الفراغ العاطفي بين الزوجين:

هناك خطوات ينبغي على الزوجين أن يلتزما بها للقضاء على مشكلة الفراغ العاطفي بينهما، وهذه الخطوات هي:

أولا: إذا أراد الزوجان القضاء على الفراغ العاطفي؛ فليتذكرا بداية حياتهما الزوجية كيف كانت مملوءة بالحب والشغف والحنان والرحمة، ويذكر كل واحد منهما الآخر مستقبلهما ومستقبل أولادهما، وهما مسؤلان عنهما أمام الله تعالى في الدنيا والآخر، فيجب أن يحفظوهم ويرعوهم ويربوهم عملاً بقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم،6/66). ويتذكرا أن ما بينهما ميثاق سماه الله تعالى ميثاقاغليظا حيث يقول: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا

[294] مجهول الكاتب، 2022، *كيف أتعامل مع الفراغ العاطفي في العلاقة الزوجية*، تم استرجاعه في 2023/10/1 على هذا الرابط relationship/،marital،void،emotional،deal،https//labayh.net/ar/how

مُبِينًا (20) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾(النساء،4/ 20- 21).

ثانيا: يجب على كل إنسان مصاب بالفراغ العاطفي أو أية مشكلة أخرى أن يتفحص علاقاته الداخلية، للعثور على السبب والخلل، هل هناك إطلاق للبصر والنظر للأجنبيات بلا قيد ؟ وهل هناك ذنب يستوجب أن تكون البغضاء والشحناء والفراغ العاطفي بين الزوجين؟ وهل هناك مخالفة من قبل الزوجة أو الزوج تقتضي أن يصبح البيت جحيماً وبعيداً عن المودة والأنسة ومليئاً بالتعب والتباعد؟، فيجب مراجعة النفس والسلوكيات وإصلاحها وإلا لا تنتظر الفرج والخير مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾(الشورى،42/ 30).

إذا كنت تعانى من ذلك ابدأ من جديد وغير مسار حياتك، إذا دخلت على أهلك؛ فسلم عليهم، وتسامح، وعاشر بالمعروف، وليس المعروف أن تمتنع عن إيقاع الأذى بهم، بل أن تحتمل الأذى منهم، فنحن يجب أن نعلم أن الأزواج والزوجات إذا طبقا التعليمات القرآنية والنبوية؛ يصبحون كما وصفهم الله عزّوجل، فالإسلام لا ينفصل عن المجتمع، لأنه نظام متكامل متناسق ومترابط.[295]

ثالثا: الابتعاد عما يذهبك إلى الملل والتعب والبرودة مع أهلك، وهو عبادة وعادة تنفيذا لقول النبي ﷺ حينما علم أن ابن عمر ﷺ يصوم النهار ويقوم الليل فنهاه وقال: "بَلَغَنِي أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ، فَلَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَظًّا، وَلِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَظًّا، وَلِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَظًّا".[296] فنهى الرسولﷺ ابن عمرﷺ عما يتعبه ويمله في الحياة الشخصية والأسرية خشية وقوع ما يفشل الأسرة، ويكون سبباً للبرودة والتباعد بين الزوجين.

2.1.3. المساواة بين الرجل والمرأة

ومن إحدى المشاكل التي تواجه الناس وتندفق في وسط الأسرة وبين الزوجين خاصة هي فكرة المساواة[297] التي كان الحاقدون المبغضون وراءها، والذين تعمدوا في محاولاتهم لهدم بناء

---

[295] النابلسي، *تفسير النابلسي*، 324/9.

[296] ابن حنبل، *مسند أحمد*، الرقم:(6832)، 426/11.

[297] فكرة المساواة يرجع جذورها الى ما قبل الميلاد، وظهرت لاول مرة منذ ثلاثة الاف سنة، ظهرت من خلال ما كتب في التوراة، فهي تؤكد انه لا يمكن لانسان من بني اسرائيل ان يكون منصبه اعلى من منصب اخوته الاخرين فالجميع سواسية امام الله تعالى، أما هذه الفكرة كمنظمة ظهرت متأخرا في أواخر القرن الماضي سنة 1992م ضمن منضمات الأمم المتحدة الحكومية العالمية التي =

الأسرة وإشعال نار البلبلة والفوضى بين الناس عامة وبين الزوجين خاصة، والجهة التي طوَّرت هذه الفكرة البراقة الماكرة هي الماسونية العالمية: "ومن الشعارات التي أطلقتها الماسونية شعار المساواة، تضليلاً للناس، وفتنة لهم، لتقوم الصراعات بين الأفراد وبين الطبقات، مطالبين بتحقيق المساواة المنافية والمصادمة لقانون الحق والعدل.

وقامت الثورة الفرنسية التي دبرها المكر اليهودي تحمل شعارها المثلث، والمساواة أحد أركانه".[298] وهذه الفكرة ليست لصالح المرأة أبدا بل تنعكس عليها بالسوء والخيانة والغدر في مقامها وشأنها، لأن الله تعالى حكيم في خلقه خبير في شؤونه عباده، فخلق الخلق ووضع قانون المساواة لكن ليس في كل شيء لأنه لو كان كذلك لم يرجع عليه بالخير، ولكن وضع قانون العدل وأمر به في كل شيء وهذا هو الحق والمصلحة للبلاد والعباد، وإن الله سبحانه وتعالى ساوى في كثير من الأمور بين المرأة والرجل فمنها:

1-المساواة في حق الحياة: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾(الإسراء،17/ 33)، لافرق بين نفس الذكر والأنثى، ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة في إقامة الحدود لهما وعليهما، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(البقرة،178/2).

2-المساواة في حرية الرأي: هذا حق مشروع لكل عاقل حكيم، يعلم موارد الأمور، ويعلم ما يترتب على الرأي من المصالح والمضار من الرجل والمرأة، وهذا ما أشار إليه تعالى بقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(التوبة،71/9).

3-المساواة في العبادات فضلاً وثواباً مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ

اسست عام 1945م. كاميليا حلمي محمد، *المواثيق الدولية وأثرها في هدم الأسرة*، ص 533؛ دينا سليمان، (2019)، *حول مفهوم المساواة أبعاد وأشكاليات*، تم استرجاعه 2023/6/5، على هذا الرابط https//democraticac.de/?p=61684؛

[298] الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة، *كواشف زيوف*، دار القلم، دمشق1991م، ص213.

وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾(الأحزاب،35/33)، تقول كاتبة مغربيّة: وهي من أبرز وجوه الحركة النّسويّة في المغرب: "تكشف هذه الآية بشكلٍ واضح المساواة بين النّساء والرجال بتركيزٍ دقيقٍ على طبيعتهما وصفتهما الإنسانية، فرسالةُ الوحي القرآني في هذا الموضع تنتقل من جمعِ المذكّر، الذي يشمل النّساء والرجال، إلى عرض الصّفة البشرية للمؤنث والمذكّر، في تكرار واضح يشير إلى غاية المساواة في الخطاب القرآني".[299]

وأيضا قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ (آل عمران،196/3)، وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(النحل،97/16)، وقوله أيضا: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ (النساء،124/4).

4-المساواة في الكرامة: كرامة المرأة كالرجل لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾(الإسراء،70/17)، والمرأة مكرمة في الإسلام سواء كانت أماً، كقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾(الأحقاف،15/46)، وقدم النبي ﷺ منزلة الأم على الأب بثلاثة أضعاف، ورد عن أبي هريرة ﷺقال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺفقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أمك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أمك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أبوك".[300]

أو كانت زوجة، كقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾(النساء،19/4)، قال رسول ﷺ: "خَيْرُكُمْ خَيْرَكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خيركم لأهلي".[301]

---

[299] محمّد خير موسى، 2021، *المساواة بين الرّجل والمرأة في الإسلام*، تم استرجاعه في 2023/6/5 على هذا الرابط https//mubasher.aljazeera.net.

[300] البخاري، *الجامع الصحيح*، باب: من أحق الناس بالصحبة، الرقم: (5971)، 2/8.

[301] ابن حبان، *صحيح ابن حبان*، باب: استحباب الإقتداء بالمصطفىﷺ، الرقم:(4177)، 484/9.

أو كانت بنتاً أو أختاً: قال رسول اللهﷺ: "من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو ابنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن دخل الجنة".[302]

وغير ذلك مما ساوى الله عزّوجل بين الرجل والمرأة كحق التعليم والشورى واختيار الزوج والكسب وهلمّ جرا.[303]

خصوصيات المرأة في الإسلام:

أعطى الإسلام المرأة بعض الخصوصيات في العبادات والمعاملات والسياسة وغير ذلك ولم يعطها للرجال، وهذه ليست منقصة لشأنها بل تخفيفاً عنها، فأعفاها من بعض الفرائض كقضاء الصلاة، ومن تحمل الأعباء المالية كالمهر والنفقة، ومن القضاء ورئاسة الدولة العليا، ومن الجهاد في سبيل الله والشهادة في الجنايات والحدود لنفرتها عادة من رؤيتها مراعاة لحالتها النفسية، وموهوبة بامتياز استقلالية الشهادة لوحدها فيما تخص بالاطلاع عليه كالولادة وعيوب النساء الخاصة.[304] ولكن شاء الله عزّوجل أن يضع قانون التفاضل في بعض الحالات بين الإنسان، فمثلا الناس متساوون في العبادة عملاً وأجراً كما ذكرناها آنفا لكن يوجد التفاضل بينهم على أساس أيهم أكثر عبادة لله وتقواه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(الحجرات،13/49)، ومما يلفت الأنظار أنه يوجد التفاضل بين أشرف طبقات الناس وهو الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال الله عزّ وجل: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾(الإسراء،55/17).

إذاً قانون التفاضل في الإسلام ليس خاصاً بالرجال على النساء فحسب، وليس عاماً ومطلقاً بين الرجال والنساء في كل شيء، فشاء الله عزّوجل أن يوجد فارق وتفاضل بين الرجال والنساء في بعض الحالات وهذا ليس بمعنى أفضلية جنس الرجل على المرأة، بل نظراً للفارق بين المرأة والرجل في بعض صفات الخلق، خصّ الرجل بشيء، وخصت المرأة بشيء آخر، فكون المرأة من طبيعتها اللطف والرقة، ومن طبيعة الرجل الشدة والخشونة، كان من تكريم المرأة وصيانتها إسناد بعض المهام الصعبة إلى الرجل، رحمة بالمرأة ومراعاة لتكوينها، ولم يكن الأمر

---

[302] ابن حبان، *صحيح ابن حبان*، باب: ذكر إيجاب الجنة لمن الله في الأخوات، الرقم:(446)، 189/2.

[303] الزحيلي، *الأسرة المسلمة في العالم المعاصر*، ص16.

[304] الزحيلي، *الأسرة المسلمة في العالم المعاصر*، ص17.

نظرية قابلة للخطأ والصواب، بل كان ذلك عين العدل، وذلك من قبل خالقهما العليم بما يصلحهما ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(الملك،14/67).[305]

إنّ الاختلاف بين الرجل والمرأة في التّكوين والقدرات البدنيّة يقتضي أن تكون العلاقة بين الرّجل والمرأة علاقة تكامل وظيفيّ لا صراعٍ صفريّ، وهي لا تعني على الإطلاق الأفضليّة لأحدهما على الآخر، فمعيار الأفضليّة مفقود منطقيًّا في هذه المعادلة، انّما هو تفاضلٌ في الصّفات يقود إلى التّكامل في الأعمال وأداء المهام.

وقد فصّل المفكّر الكبير (علي عزت بيغوفيتش) القول في هذه الجزئيّة بشكلٍ عميق إذ يقول: "هل يُقرِّر الإسلام مساواة الرّجل بالمرأة؟

الجواب: **نعم** أو **لا**.

نعم، إذا تحدَّث عن المرأة باعتبارها شخصيّة إنسانيّة ذات قيمة شخصيّة مساوية تتحمّل واجباتٍ أخلاقيّة وإنسانيّة.

و **لا**، إذا كان الأمر يتعلّق بالتّساوي في الوظائف والدّور في الأسرة والمجتمع، كما يُفهم معنى المساواة في أوربا عادة.[306]

إنّ المساواة المطلقة التي يهتف بها البعض ويرفعها شعارًا مستحيلة التّطبيق في المجتمعات الإنسانيّة كلّها، ولو تمّ فرضُها في المجتمع عن طريق الجبر فلن يجني المجتمع إلّا التّنافر بين الرّجل والمرأة، إذ إنّ العلاقة بينهما وفق هذا الاختلاف في التّكوين هي علاقة تكامل وظيفيّ، فإن تطابقت وظائفُهما فلا يمكن أن تكون النّتيجة إلّا التّنافر بينهما مما يؤدّي إلى هدم المجتمع البشري مع الزّمن.

واعترف بعض مدعي حقوق المرأة بحقيقة بعد ظهور نتائج سلبية لهذه الفكرة منهم (آيريس ماريون يونغ)[307] كانت ترى: أنّ المرأة تتعرّض للظّلم والإجحاف من خلال المساواة المطلقة مع الرّجال، وكانت تدعو إلى المساواة في الفرص بين المرأة والرّجل وليس المساواة المطلقة، فالمساواة المطلقة تضيع حقوقَ المرأة بينما المساواة في الفرص هي التي تضمن تحقيق العدالة لها.

---

[305] الزهراني، مرزوق بن هياس آل مرزوق، *حقوق المرأة في ضوء الكتاب والسنة*، دون ناشر 2007 م، ص 54،93.

[306] بيجوفيتش، علي عزت، *عوائق النهضة الإسلامية*، جمعية قطر الخيرية 1997م، ص 35.

[307] هي أستاذة العلوم السياسة في جامعة شيكاغو آيريس ماريون يونغ (توفيت 2006م) وهي منظّرة سياسيّة أمريكية، ونسوية اشتراكية أسّست تيّارًا نسويًّا.

إنّ واقع الحال حتّى في الشرائح التي ترفع صوتها منادية بالمساواة المطلقة بين الرّجل والمرأة يكشف عن عوار هذه الدّعوى؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر نرى أنَّ النّساء الرياضيّات اليوم يرفعن أصواتهن عالية للمطالبة برفض إشراك المتحولين جنسيًّا في الرّياضات النسائيّة، فضلًا عن رفضهنّ المطلق المساواة مع الرجال في المسابقات الرّياضيّة المختلفة؛ فلا توجد فِرَق مشتركة من الرّجال والنّساء، ولا تقام مباريات تنافسيّة بين الرّجال والنّساء في الرياضات المختلفة، ولا تقبل النّساء بهذا أصلًا، وفي هذا إقرارٌ ضمنيّ بنفي القول بالمساواة المطلقة.[308]

فلذا أمرنا الله سبحانه وتعالى أن لا ندعي المساواة ولا نتمناه لأنها تنعكس سلباً علينا رجالاً ونساءً حيث يقول جل شأنه: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾(النساء،32/4)، الآية تكشف عيبا نفسيا لدى مدعي المساواة من النساء وغيرهن.

ما دامت المساواة المطلقة تجحف بالمرأة وتضيع الكثير من حقوقها؛ فقد كان إقرار الحقوق والواجبات والتكليفات العمليّة التفصيليّة في الإسلام ينبع من مشكل العدل والإنصاف. فالإنصاف يقتضي أن المساواة في التّشريعات تكونُ حيثُ وجدت الصّفات المتطابقة، وهو يقتضي كذلك الاختلاف في هذه التّشريعات حيث اختلفت الصّفات، ويكون التّطابق والاختلاف في التّشريعات متناسبًا مع نسبة التّطابق والاختلاف بين صفات الرّجل والمرأة في كلّ قضيّة من القضايا التفصيليّة.[309]

وقد نبّه إلى هذا المعنى ابن عاشور(ت:1393هـ)؛ إذ يقول: "الإسلام دين الفطرة، فكلّ ما شهدت الفطرة بالتّساوي فيه بين المسلمين، فالتّشريع يفرض فيه التّساوي بينهم، وكلّ ما شهدت الفطرة بتفاوت البشريّة فيه، فالتّشريع بمعزلٍ عن فرضِ أحكامٍ متساويةٍ فيه".[310]

إذاً المساواة المطلقة دعوى مزيفة وباطلة، وتصير مشكلة أسرية ومجتمعية، ولا سبيل للخروج منها إلا بالرجوع إلى الطريق الذي رسمه الباري عزّوجل وهو العدل والإنصاف بين الجنسين، لأنه خبير بشؤون عباده وتكوين خلقهم.

---

[308] محمّد خير موسى، 2021، *المساواة بين الرّجل والمرأة في الإسلام*، تم استرجاعه في 2023/6/5 على هذا الرابط https//mubasher.aljazeera.net.

[309] محمّد خير موسى، 2021، *المساواة بين الرّجل والمرأة في الإسلام*، تم استرجاعه في 2023/6/5 على هذا الرابط https//mubasher.aljazeera.net.

[310] ابن عاشور، محمّد الطاهر بن محمّد، *مقاصد الشريعة الإسلامية*، تح: محمّد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر2004م، 279/3.

3.1.3.عدم الكفاءة بين الزوجين

ومن المشاكل التي تواجه معظم الأسر مشكلة آثار عدم الكفاءة بين الزوجين، وربما آثار هذه المشكلة أو سلبياتها لم تظهر من البداية، بل سيقع بعد مضي كم شهر أو سنة على مشروع الزواج لا محالة فيها، ومن أسباب الشقاق بين الزوجين- الذي ينتهى للأسف غالبا بمأساة الطلاق وانهيار الأسرة- عدم الكفاءة بين الزوجين.

- **تعريف الكفاءة لغة:**

الكفاءة في اللغة تأتي بمعنى المساواة والمماثلة، فيقال: فلان كفء لفلان أي مماثل ومساوي له.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾(الإخلاص،4/112)، أي لا نظير ولا مثيل له ولا شيء يساويه عزّ وجل.[311]

- **وفي الاصطلاح:**

عرَّف فقهاء المذاهب الأربعة الكفاءة هكذا:

1-الحنفية: الكفاءة في الزواج المماثلة بين الزوجين دفعاً للعار في أمور مخصوصة.[312]

2-المالكية: المماثلة أو المقاربة في الدين والحال.[313]

3- الشافعية: هي معتبرة في النكاح دفعاً للعار لا لصحته مطلقاً.[314]

4- الحنابلة: المماثلة والمساواة معتبرة في خمسة أشياء: الديانة، الصناعة، الميسرة، الحرية والنسب.[315]

والذي اتفق عليه علماء المذاهب الأربعة هو المساواة والمماثلة بين الزوجين، ولكن من خلال التعاريف الواردة يتّضح لنا أن الكفاءة هي: الأساس الذي دعا الإسلام لمراعاته في الزواج

---

[311] ابن منظور، *لسان العرب*، 139/1.

[312] شيخي زاده، عبد الرحمن بن محمّد بن سليمان، *مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر*، دار إحياء التراث العربي د،ت، 339/1.

[313] الغرناطي، محمّد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري، *التاج والإكليل لمختصر خليل*، دار الكتب العلمية1994، 106/5.

[314] الرملي، شمس الدين محمّد بن أبي العباس أحمد بن حمزة، *نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج*، دار الفكر، بيروت1984م، 253/6.

[315] البهوتي، منصور بن يونس بن صلاح الدين، *كشاف القناع عن متن الإقناع*، تح: لجنة متخصصة في وزارة العدل، وزارة العدل،، 2000م، 309/11.

عند اختيار الزوج زوجته أو العكس لتحقيق نجاح الأسرة وظهور ثمار الأنسة والاستقرار والمحبة وجناها في الحياة الأسرية.

والكفاءة لا تعني إبراز الطبقية بين الإنسان الذي حاربها الإسلام منذ البداية ووضع قانوناً ضد الطبقية بين الناس عامة وبين المؤمنين خاصة قائلا: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(الحجرات،10/49)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(الحجرات،13/49)، وإنما تعتبر الكفاءة لتقارب التفاهم واستمرارية مسيرة الأسرة، وعدم وجود ما يسبب الضرر بالزواج.[316]

- **مشروعية الكفاءة بين الزوجين:**

ذهب جمهور العلماء من المذاهب الأربعة أن الكفاءة معتبرة في الزواج، واستندوا لذلك بأدلة من القرآن الكريم والسنة الشريفة سنذكرها إن شاء الله عند ذكر أنواع الكفاءة فيما يعتبر من الكفاءة في الزواج.

- **من أهم ما ينبغي أن يعتبر في الكفاءة:**

المعايير التي تعتبر في الزواج وذُكرت في مضمون الآيات والأحاديث واستنباطات الفقهاء كثيرة كالدِّين والخلق والحسب والنسب والجمال واليسار والثقافة وغير ذلك مما يتطلب استقرار الأسرة ودام الألفة بين الزوجين، وهنا نلقي الضوء على معيارين جَمَعَا ما وفىَّ وكفى وهما:

أولا: الدين والأخلاق: يعتبر الدين والأخلاق صفتان أساسيتان، ومعياران مشتركان بين الرجل والمرأة، فهما لا يتغيران بتغير الزمان والمكان، فيجب مراعاتهما منذ تأسيس بناء الأسرة. ويستدل فيهما بالقرآن والسنة الشريفة.

من الآيات القرآنية:

أ- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ

---

[316] قداري، يمينة، *الكفاءة بين الزوجين ودورها في استقرار الحياة الأسرية، رؤية مقاصدية*،، بحث منشور في مجلة مجلة البحوث في العقود وقانون العمال، تاريخ النشر 2023/5/28، المجلد80 / العدد 80(/ 0802،)ص 55،71؛ الزهرة، فزفوز، *معايير الكفاءة في الزواج وأثرها في استقرار الأسرة*، رسالة ماجستير جامعة أكلي محند أولحاج –البويرة، 2015، ص 9.

يَدْعُونَ إلى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إلى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾(البقرة،221/2)).

ب- وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إلى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾(الممتحنة،10/60).

ت- وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾(السجدة،32/ 18).

إن الناس متساوون في الإنسانية، لكنهم متفاوتون في التدين وأنهم يتفاضلون من حيث التقوى، والأساس الذي يقاس به من يتقدم للزواج هو الدين والخلق.[317]

ث- قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إليها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الروم،21/30). أن المطلوب من النكاح هو السكون والودُّ والمحبة والرحمة، فتراعى الكفاءة طلبا لدوام ذلك بين الزوجين، وذلك لا يتحقق بدونها لأن النفس الشريفة لا تسكن للخسيس، بل ذلك مدعاة للعداوة والفتن والبغضاء.[318]

ومن الأحاديث التي استدلوا بها ما يلي:

أ- قول النبي ﷺ: ""تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين، تربت يداك".[319] متفق عليه.

قال الصنعاني(ت:1182هـ) "أن الذي يدعو الرجال إلى التزوج أحد هذه الأربع، وآخرها عندهم ذات الدين فأمرهم ﷺأنهم إذا وجدوا ذات الدين فلا يعدلوا عنها ".[320]

ب- قول النبي ﷺ: "إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض، وفساد عريض".[321]

---

[317] القنوجي، *فتح البيان في مقاصد القرآن*، 28/11؛ سابق، سيد، *فقه السنة*، دار الكتاب العربي، بيروت – 1977م، 143/2.

[318] القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس، *الذخيرة*، تح: محمد حجي وآخرون، النشر دار الغرب الإسلامي، بيروت1994، 211/4 ؛غيضان، هدى، *الكفاءة في الزواج في الفقه الإسلامي وقانون الأحوال الشخصية الأردني*، بحث منشور في مجلة مجلة جامعة النجاح للأبحاث والعلوم االنسانية، العدد 29، تاريخ النشر 2015م.

[319] البخاري، *الجامع الصحيح*، باب: الأكفاء في الدين، الرقم:(5090)، 7/7؛ مسلم، *صحيح مسلم*، باب: استحباب نكاح ذات الدين، الرقم:(1466)، 1086/2.

[320] الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الأمير، *سبل السلام*، دار الحديث د،ت، 163/2.

يقول وهبة الزحيلي(ت:1436هـ): أن هذا الحديث دليل على اعتبار التدين والخلق في الكفاءة.[322]

ولما استشار رجل حسن البصري(ت: 110هـ) وقال له: "إن عندي ابنة لي وقد خطبت إلي فمن أزوجها؟ قال: زوجها من يخاف الله فإن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها".[323]

إذاً التدين: هو ما بين العبد وخالقه، والخلق: هو حسن التعامل بين العبد ومن حوله من الناس، وهما أساس الكفاءة وصمام الأمان ومفتاح السعادة وطريق الأنسة والمحبة بين الطرفين.

ثانيا: الملائمة: أن يبحث عن الشخصية الملائمة له من الناحية الفكرية والعقلية والمالية والعمرية والاجتماعية، كي لا يكون فقدان معيار من هذه المعايير سبباً لزعزعة الحياة وفوضى الأسر وزوال الأنسة والمحبة بين الزوجين، فلا يمكن أن يتزوج امرأة ثرية تدل عليه بمالها ويعيش الرجل عالة عليها، هل من المعقول أن امرأة تعيش في رفاهية كبيرة جداً، والدها من الأثرياء وهيأ لها كل أسباب الراحة وما تشتهي نفسها أن يخطبها رجل مسكين له قوت يومه وعيش عالة على الناس، لا شك أن هذا الزواج لا يستقر ولا يدوم.

ولا ينبغي لرجل أمي مثلا أن يخطب امرأة جامعية من ذوات الشهادات العليا، لبعد الفارق الثقافي بينهما، كما يذكرنا الله تعالى هذا الفارق الفكري بقوله الكريم: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(الزمر،9/39). لا يكاد أن يجمعهما إلا الطعام والجنس.[324]

ولا يليق بفتى أن يتزوج عجوزة أو فتاة تتزوج عجوزا، إن هذا في الغالب يكون وراءه بواعث مادية كثيرة تفسد الزواج وتكدر صفاء هذا المشروع، وأن هذا الزواج غالباً ما ينتج عنه آثاراً

---

[321] الترمذي، *الجامع الكبير*، باب: ماجاء من ترضون دينكم ...، الرقم(1084)، 386/3؛ ابن ماجة، *سنن ابن ماجة*، باب: الأكفاء، الرقم: 1967، 140/3؛ الطبراني، *المعجم الأوسط*، باب: من اسمه محمد، الرقم:(446)، 141/1.

[322] الزحيلي، *الفقه الإسلامي وأدلته*، 6739/9.

[323] ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد، *العيال*، تح د نجم عبد الرحمن خلف، دار ابن القيم، – الدمام1990م، 273/1.

[324] القرضاوي، *الأسرة كما يريدها الإسلام*، ص 13؛ جلي زادة، محمد بن عبدالله كوبي المعروف ب(مةلاي كةورة، الملا الكبير)، *تفسيري كوردي لة كةلامي خوداوةندي*، مكتبة التفسير –اربيل كوردستان العراق2009م، 191/7؛ زريفة رشا، *عوامل استقرار الأسرة في الإسلام*، ص66.

سلبية سيئة، ومن أهمها عدم عصمة الزوجة من الفتنة، وعدم استطاعة الزوج أن يعاشر زوجته بما يحقق الغرض الأصلي من الزواج، وكثيراً ما يكون الباعث على مثل هذا الزواج من قبل أولياء الفتاة، رغبتهم في الاستفادة المالية أو الاجتماعية من الزوج المسن، وهو باعث غير سوي، لقد جعل الله تعالى الزواج سكناً للنفس، واستقراراً في الحياة، وحباً وألفة بين الزوجين،[325] هذا هو السبب الذي اعترض النبي ﷺ عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه لما تزوج ثيبا قال له النبي ﷺ: "هلا تزوجت بكرا تلاعبها وتلاعبك، قلت: يا رسول الله، توفي والدي أو استشهد ولي أخوات صغار، فكرهت أن أتزوج مثلهن، فلا تؤدبهن، ولا تقوم عليهن، فتزوجت ثيبا لتقوم عليهن وتؤدبهن".[326]

قد تعدل عن الملائمة والكفاءة لغرض أهم وأسباب أقوى، كما عدل جابر رضي الله عنه عن الكفاءة وتزوج امرأة أكبر منه عمرا لغرض شرعي هو تربية أخواته وعدم ضياعهن.

مقاصد اعتبار الكفاءة بين الزوجين:

اعتبار الكفاء بين الزوجين وراءه مقاصد شرعية وغايات نبيلة تخدم بنية الأسرة والمجتمع أيضا، ومن أهم تلك المقاصد هي:

أولا: تحقيق التقارب بين الزوجين واستقرار الأسرة

إن من مقاصد النكاح التقارب والانسجام بين الزوجين وتحقيق استقرار الأسرة، ولاريب أن هذا المقصد لا يتحقق ولا ينشأ إلا إذا كان الزوجان متكافآن، ولهذا اشترط الفقهاء الكفاءة في الزواج وشدد بعضهم واعتبروها شرطاً لصحة النكاح.[327]

واعتبارها يحقق مقاصد النكاح ومصلحة الزوجين، لأنها تهيء أسباب الألفة والأنسة بينهما، لما يراه كل من الزوجين كفؤا للآخر وهذا يعطي قوة معنوية للدوام والتفاهم.[328]

---

[325] الكردي، حسن محمد، *الكفاءة في الزواج مقارنة بقانون الأحوال الشخصية، رسالة ماجستير جامعة افسلامية –كلية الشريعة والقانون، غزة، د،ت، ص 103.*

[326] البخاري، *صحيح الجامع*،باب: استئذان الرجل الإمام، الرقم: (2967)، 51/4.

[327] ابن قدامة، *المغني*، 35/7.

[328] الزهرة، *معايير الكفاءة في الزواج وأثرها في استقرار الأسرة*، ص56؛ الكردي، *الكفاءة في الزواج* مقارنة *بقانون الأحوال الشخصية*، ص42.

ويقول وهبة الزحيلي(ت:1436هـ): "الأولى مراعاة التقارب بين هذه الأوصاف، وبخاصة السن والثقافة؛ لأن وجودهما أدعى لتحقيق الوفاق والوئام بين الزوجين، وعدمهما يحدث بلبلة واختلافاً مستعصياً، لاختلاف وجهات النظر، وتقديرات الأمور، وتحقيق هدف الزواج، وإسعاد الطرفين".[329]

ثانيا: تحقيق التقارب بين أهلي الزوجين

الزواج لا يخلف أثراً على الزوجين أو الأسرة فحسب بل يمتد هذا التأثير إلى عائلتي الزوجين أيضاً، الحياة الأسرية والاجتماعية تتماسك بالمصاهرة، يقول الله عزّوجل في ذلك: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾(الفرقان،54/25).

الأسرة شرف يجب المحافظة عليه، وأن المصاهرة رابطة متينة تدني البعيد وتجعل كلتا الأسرتين واحدة، وعدم الكفاءة يرفع هذا المعنى ويحل الضرر محل الوفاق والوئام، فمن المعلوم أن من مقاصد الزواج التقارب بين العائلتين، وما يترتب على هذه المصاهرة، من تعاضد وتعاون بين العائلتين وأقاربهما، وهذا الغرض لا يتحقق، إلا إذا وجدت الكفاءة بين الزوجين.

وبهذا يكون للكفاءة تأثير على تقوية الروابط الأسرية وتقريب البعيد، فعقد الزواج مبني أساساً على التوثيق والانسجام، وتأكيد الروابط بين أسرتي الزوجين، وهذا لا يتأتى إلا بين الأكفاء، فالزواج ليس عقداً خاصاً بالزوجين فقط، ولا علاقة له بالآخرين من أقارب الزوجين وأولياء المرأة، فهي في الحقيقة شديدة الصلة بين عائلتي الزوجين، فلو كان الزوج غير كفء للمرأة لا يتحقق التقارب والتعاضد بين العائلتين، وإنما يلحق الأذى والضرر بعائلة المرأة وأوليائها.[330]

ثالثا: تحقيق تربية الأبناء

إن التقارب أو التكافؤ بين الزوجين ينتج عنه تقارب في الفكر والتطلعات والمهارات، وبهذا يعزز انسجام الإطار الأسري العام والذي يؤثر بشكل ايجابي في عملية تربية الأبناء، فعندما يحس الأبناء أن والديهما متفقان ومتكافئان وبينهما التفاهم والألفة والانسجام، يشعرون بأصالة ومتانة البيت الذي يحيون فيه، ويعتزون بوالديهما، ومن جهة أخرى يمثل الاستقرار الناجم عن

---

[329] الزحيلي، *الفقه الإسلامي وأدلته*، 7655/9.

[330] الزهرة، *معايير الكفاءة في الزواج وأثرها في استقرار الأسرة*، ص60.

تكافؤ الوالدين عامل إيجابي في تربية الأبناء، في وسط تربوي سوي خال من المنغصات السلبية التي تعرقل نموهم المتوازن.

وتقول الأستاذة صباح عياشي ميموني: وما خرجت به من دراستي هو أن الأسر الأكثر تحكماً في تربية أبنائها، والتي تراقب أبناءها هي الأسر التي يتمتع فيها الوالدان بمستوى تعليمي..لا أقول إنه مستوى عال لكنه مستوى معتبر من التعليم، كما أن الأفضل هو وجود تكافؤ بين الزوجين في هذا المستوى، لأن ذلك من شأنه إنجاح العلاقة بينهما، وكذا نجاح تربيتهما للأبناء.[331]

4.1.3. الغيرة بين الزوجين

الغيرة من قبل الزوجين علامة من علامات المحبة والودِّ إذا كانت لم تتجاوز حدها، وإلا ستنقلب عليهما بالسوء والندامة وتصبح مشكلة لا حل لها، وفي هذا المطلب نذكر ما يتعلق بها كالآتي:

أولا: تعريفها

في **اللغة**: بمعنى غار أو غيرة الرجل على أهله، وقال ابن منظور(ت:711هـ): "الغَيْرة وهي الحَمِيّة والأَنَفَة يقال رجل غَيور وامرأَة غَيُور بلا هاء لأَنّ فَعُولاً يشترِك فيه الذكر والأُنثى".[332]

وفي **الاصطلاح**: قريب من المعنى اللغوي يقول الجرجاني(ت: 816هـ) والكفوي(ت:1013هـ): "كَرَاهَة الرجل اشْتِرَاك غَيره فِيمَا هُوَ حَقه".[333]

هذا التعريف أضيف إلى الرجال لكن جاء في الموسوعة الحرة تعريف أدق وأشمل وأكثر تفصيلا حيث يقول: "هي أفكار، وأحاسيس وتصرفات تحدث عندما يعتقد الشخص أن علاقته

---

[331] صباح عياشي ميمون(2022) *التكافؤ بين الزوجين يحافظ على الإستقرار الأسري*، تم استرجاعه في 2023/6/11 على هذا الرابط http//www.djazairess.com/searh

[332] ابن منظور، *لسان العرب*، 34/5؛ ابن فارس، *معجم مقاييس اللغة*، 405/4؛ الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت1987م، 776/2.

[333] الجرجاني، التعريفات، ص163؛ الكفوي، *أيوب بن موسى الحسيني القريمي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية*، تح: عدنان درويش، مُحَمَّد ال ي، مؤسسة الرسالة – بيروت د،ت، ص671.

القوية بشخص ما تهدد من قبل طرف آخر منافس، وهذا الطرف الآخر قد يكون مدركاً أو غير مدرك أنه يشكل تهديداً".[334]

وعرّفها الخازن(ت:741هـ) في تفسيره بنحو ما عرفتها الموسوعة إذ يقول: "أصل الغيرة ثوران القلب وهيجان الحفيظة بسبب المشاركة فيما يختص به الإنسان ومنه غيرة أحد الزوجين على الآخر لاختصاص كل واحد منهما بصاحبه ولا يرضى أن يشاركه أحد فيه فلذلك يذب عنه ويمنعه من غيره".[335]

قال القاضي عياض(ت:544هـ) هي: "مشتقة من تغير القلب وهيجان الغضب بسبب المشاركة فيما به الاختصاص وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين".[336]

من هذه التعريفات يتبين لنا أن الغيرة في أصلها محمود إذا كانت في محلها ولم يتجاوز حدها.

ثانيا: أنواعها

الغيرة شيء فطري توجد لدى كل إنسان رجال ونساء بيد أن منها محمود ومنها مذموم، كما ورد في حديث النبي ﷺ وقسمه إلى قسمين قائلا: "إن من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يبغض الله، فأما الغيرة التي يحب الله فالغيرة في الله وأما الغيرة التي يبغض الله فالغيرة في غير الله".[337]

أما **المحمودة:** هي التي يقف فيها المرء عند حدودها، وتستمد قوتها من الروح والإيمان، كغيرة المسلم على ما يختص به ويملكه بطريق مشروع من زوج أو مال أو متاع، والغيرة مطلوبة شرعاً كذلك على حرمات الله ودينه وشرعه، من أن تنتهك أو أن يتعدى عليها.[338]

جاء في الصحيحين وبوبا لها باباً باسم (باب الغيرة في البخاري وفي مسلم: باب غَيْرَةِ اللهِ تعالى)عن أبي هريرة ﷺ عن النبيﷺ قال: "إِنَّ اللهَ يَغَارُ، وزاد في مسلم- وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ-، وَغَيْرَةُ اللهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ".[339]

---

[334] *الموسوعة الحرة ويكيبيديا*، الغيرة .www.wikipedia.org.

[335] الخازن، *لباب التأويل في معاني التنزيل*، 195/2.

[336] ابن حجر، *فتح الباري*، 320/9.

[337] البيهقي، سنن الكبرى، باب: غيرة الأزواج وغيرهم عند الريبة، الرقم:(14801)، 503/7 ؛ ابن حبان، صحيح ابن حبان، باب: ذكر الإخبار عن الغيرة التي يحبها الله والتي يبغضها، الرقم:(295)، 530/1.

[338] زريفة، عوامل استقرار الأسرة في الإسلام، ص 97.

[339] البخاري، *الجامع الصحيح*، باب: الغيرة، الرقم:(5222)، 35/7؛ مسلم، *صحيح مسلم*،باب: غيرة الله، الرقم:(2761)، 2114/4.

والغيرة المحمودة من علامات المحبة ومن حسن العشرة الزوجية، بل هي من أصل الدين كما ذكر ابن قيم الجوزية(ت:751هـ): "أن أصل الدين الغيرة، ومن لا غيرة له لا دين له، فالغيرة تحمي القلب فتحمي له الجوارح، فتدفع السوء والفواحش، وعدم الغيرة تميت القلب، فتموت له الجوارح؛ فلا يبقى عندها دفع البتة".[340]

فالغيرة المحمودة تدفع الزوج إلى المحافظة على زوجته، وتدعو الزوجة إلى الاهتمام والاحتفاظ بزوجها، وهي شيمة من شيم الرجال، ولا يجوز بحال من الأحوال أن تضعف لدى الرجال وإن كان لا يجب زوجته، فهو يغار عليها مادامت في عصمته، فهي مفخرة المؤمن ورد في الصحيحين عن المغيرة بن شعبة ﷺ قال سعد بن عبادة: "لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح عنه، فبلغ ذلك رسول اللهﷺ، فقال: «أتعجبون من غيرة سعد، فوالله لأنا أغير منه، والله أغير مني".[341]، افتخر سعد بغيرته بحضرة النبيﷺ ورسول الله ﷺ أقرَّ بذلك وشجعها وفرح بموقفها ثم قال أنا أولى بهذه المفخرة والله تعالى أولى مني ومن سعد.[342]

أما **المذمومة:** الغيرة في أصلها كما قلنا محمودة ومفخرة للبشر بيد أنها إذا تجاوزت حدها وبالغ فيها، أوقعت في غير محلها وأجَّجت في صدر صاحبها ناراً موقدة تشعل جيوش الظنون والشكوك لتصبح مصيبة تصب على الأسرة، وتحيل حياة الأسرة جحيماً لا يطاق، وعلى المجتمع أيضاً، وتهدد هذا الكيان المبارك وتخرب الحياة الأسرية، وكما ذكرت في الحديث السابق أنها محمودة ومنها مذمومة : "إن من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يبغض الله فأما الغيرة التي يحب الله فالغيرة في الله وأما الغيرة التي يبغض الله فالغيرة في غير الله".[343]

وهي نتيجة سوء الظن الذي نهاه الله تعالى في القرآن الكريم ثم يعقبه التجسس ثم الغيبة قال الله عزّوجل: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾(الحجرات،12/49).يقول الطبري(ت:310هـ): "إن ظنّ المؤمن بالمؤمن الشرّ لا الخير

---

[340]ابن قيم الجوزية، محمّد بن أبي بكر بن أيوب، *الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي*، دار المعرفة – المغرب 1997م، ص68.

[341]البخاري، *الجامع الصحيح*، باب: الغيرة، الرقم:(7416)،123/9؛ مسلم، *صحيح مسلم*، باب: اللعان، الرقم:(1499)1136/2.

[342]الحمد، محمّد بن ابراهيم، *رسائل في الزواج والحياة الزوجية*، دار ابن خزيمة، الرياض2002م، ص 115،272؛ زريفة، *عوامل استقرار الأسرة في الإسلام*، ص 97.

[343]البيهقي، *سنن الكبرى*، باب: غيرة الأزواج وغيرهم عند الريبة، الرقم:(14801)، 503/7 ؛ ابن حبان، *صحيح ابن حبان*، باب: ذكر الإخبار عن الغيرة التي يحبها الله والتي يبغضها، الرقم:(295)، 530/1.

إثم، لأن الله قد نهاه عنه، ففعل ما نهى الله عنه إثم، ولا يتتبع بعضكم عورة بعض، ولا يبحث عن سرائره، يبتغي بذلك الظهور على عيوبه، ولكن اقنعوا بما ظهر لكم من أمره، وبه فاحمدوا أو ذموا، لا على ما لا تعلمونه من سرائره".[344]

فإن الغيرة المذمومة قد تدفع صاحبها إلى تصرفات غريبة فمثلا الزوجة: "قد تزيد في مطالبها لزوجها، فتستنزف ماله قدر المستطاع، كيلا يذهب شيء منه إلى أمه، أو أخواته، أو اخوانه، أو لأجل أن لا يبقى عنده فضل مال يتزوج به وحدة أخرى".[345]

وهذا كله يرجع إلى ضعف التربية الدينية والأخلاقية، وجهالة الرجل وسوء تصرفاته مع زوجته.

ثالثا: أثار الغيرة المذمومة على الحياة الأسرية

لا شك أن الغيرة المحمودة أو المعتدلة واجبة ولها إيجابيات كثيرة، أما المذمومة والمفرطة فتترك آثاراً سلبية وسيئة على العلاقة الزوجية والحياة الأسرية، وهي تتمثل في عدة أمور منها:

1- سبب رئيسي في جلب المشاكل والنزاعات للحياة الزوجية، فهي خطر تهدد الأسرة بأكملها.

2- تزعزع ثقة كل من الزوجين بنفسه وبالآخر، وبالتالي يؤثر على الحياة بينهما.

3- الغيرة المذمومة تعمل على تزعزع الأسرة وتهدد كيانها، فقد تكون سبباً مباشراً في نشأة حالة التوتر؛ لأن إحساس كل من الزوجين بأنه مراقب في تصرفاته وحركاته يسبب له الشعور بالضغط وعدم التحمل.[346]

رابعا: علاجها

الغيرة المذمومة أو المفرطة إذا لم توقف عند حدها ولم تعالج ستنفجر وتدمر الأسرة بأساسها،

وعلاجها وتنظيمها في ظل القرآن الكريم تكون من مراعات عدة أمور منها:

أ- أن يأمر الزوج زوجته ويقنعها بارتداء الحجاب وقت خروجها من البيت، لكي لا تجذب أنظار الرجال إليها، امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ

---

[344] الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*، 304/22.

[345] الحمد، *رسائل في الزواج والحياة الزوجية*، ص275.

[346] زريفة، *عوامل استقرار الأسرة في الإسلام*، ص 99

يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾(الأحزاب،59/33).

ب- على المرأة أن تغض من بصرها عن الأجانب كي لا يغار عليها زوجها زيادة عن حدها، وكذلك على الزوج أن يغض من بصره عن الأجنبيات كي لا تغار عليها زوجته زيادة عن حدها امتثالاً لله تعالى ومصلحة لهما: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا...﴾(النور،3/24- 31).

ت- على المرأة أن لا تبدي زينتها للأجانب كي لا يطمع الذي في قلبه مرض لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ...﴾(النور،31/24).

ث- نحن أمة وسطية أنعم الله علينا بأن جعلنا أمة وسطا وعليها تسير حياتنا هنيئة سعيدة: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾(البقرة،143/2)، وقد فسر النبيﷺ الوسط بالعدل، أي الوسطية والعدل في الأمور المطلوبة، والغيرة حينها محمودة ومقبولة إذا كانت وسطاً وعدلاً.[347] وينبغي على الزوجين أن يلتزما بوسطية الغيرة ولا يبالغا فيها "حتى لا تخرج الغيرة عن حدودها، فتصبح رمياً بالكذب، وضرباً بالبهتان وقذفاً، وتخرج من حيّز الظنون والأوهام، إلى أبعاد مظلمة قاتمة تتكدر معها الحياة الزوجية، وتصبح الروضة الأسرية ضيقة الأفق ملبدة خانقة وتنقلب إلى جحيم لا يطاق".[348]

ويقال: "إن الغيرة في الحياة الزوجية كالملح في الطعام، قليلها ضروري وكثيرها يفسد".[349]

ج- الالتزام بمنهج الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾(الحجرات،12/49)، يمكن أن يسأل سائل ما علاقة هذه الآية بالغيرة!؟، نقول:

---

[347] القنوجي، *فتح البيان في مقاصد القرآن*، 300/1.

[348] الضمور، *المنهج القرآني في حماية الأسرة*، ص222.

[349] خياط، نواف بن صالح، *التوجيهات التربوية لأحكام النكاح في الإسلا*، ص243.

الغيرة الزائدة المذمومة ينبغي أن نبتعد عنها، لأنها توقعنا في حفرة الظن ثم التجسس ثم الغيبة ثم الندامة والهلاك.

كما قال سيد قطب(ت: 1386هـ): "فلا يتركوا نفوسهم نهباً لكل ما يهجس فيها حول الآخرين من ظنون وشبهات وشكوك، بهذا يطهر القرآن الضمير من داخله، قبل أن يتلوث بالظن السّيّء، فيقع في الإثم ويدعه نقياً بريئاً من الهواجس والشكوك، أبيض يكن لإخوانه المودة التي لا يخدشها ظن السوء والبراءة التي لا يلوثها الريب والشكوك، والطمأنينة التي لا يعكرها القلق والتوقع وما أروح الحياة في مجتمع بريء من الظنون".[350]

ح- أن يستعيذا بالله تعالى من نزغات الشيطان امتثالا لقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(الأعراف،200/7).

خ- إيجاد لغة الحوار والتفاهم بين الزوجين فيبين كل طرف للآخر ما يحب وما يكره، ويحاول كلاهما العمل على إسعاد الطرف الآخر ومراعاة شعور الغيرة عند كل منهما.

د- خلق العلاقة الزوجية المتينة والثقة التامة بينهما، والصراحة الكاملة فبها تنتهي الشكوك وتتلاشى الأوهام والأخيلة الفاسدة والمريضة.[351]

5.1.3. القذف واللعان

أولا: القذف

من إحدى المصائب والمشاكل المحرجة التي تصيب العوائل والأسر والزوجان مصيبة البهتان بالعرض وهي واقعة شنيعة.

القذف في **اللغة** بمعنى: يدل على الرمي والطرح، يقال: قذف الشيء يقذفه قذفاً، إذا رمى به.[352]

وفي **الاصطلاح**: "رميٌ مخصوصٌ هو الرمي بالزنا والنسبة إليه".[353]

---

[350] سيد قطب، في ظلال القرآن، 3345/6.

[351] زريفة، *عوامل استقرار الأسرة في الإسلام*، ص 99

[352] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 68/5.

[353] البركتي، محمّد عميم الإحسان المجددي، *التعريفات الفقهية*، دار الكتب العلمية 2003م، ص172.

القذف والبهتان من صفات إنسان عديم الأخلاق والأدب، ضعيف الإيمان قرين الشيطان، لا يفكر أن هذه الصفة تنعكس عليه بالعار والندامة والخجل في الدنيا قبل الآخرة.

من البداية أنكر الله تعالى قذف كل امرأة عفيفة طاهرة السمعة حيث يقول: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(النور،4/24)، القذف جريمة نكراء سواء تجاه الرجل أو المرأة، لكن الباري عزّ وجل ذكر رمي المحصنات أي قذف النساء الطاهرات دون الرجال، لأن البهتان للنساء أثقل على النفس ويعتبر – من حيث العرف والعادة– جريمة أبشع.

يقول سيد قطب (ت: 1386هـ): "إن ترك الألسنة تلقي التهم على المحصنات– وهن العفيفات الحرائر ثيبات أو أبكار– بدون دليل قاطع، يترك المجال فسيحاً لكل من شاء أن يقذف بريئة أو بريئاً بتلك التهمة النكراء ثم يمضي آمنا! فتصبح الجماعة وتمسي، وإذا أعراضها مجرحة، وسمعتها ملوثة وإذا كل فرد فيها متهم أو مهدد بالاتهام وإذا كل زوج فيها شاك في زوجه، وكل رجل فيها شاك في أصله، وكل بيت فيها مهدد بالانهيار.. وهي حالة من الشك".[354]

وصيانة للأعراض من التهجم حماية لأصحابها من الآلام الفظيعة التي تصب عليهم.. شدد القرآن الكريم في عقوبة القذف، فجعلها قريبة من عقوبة الزنا، فأعد الله تعالى للقاذف إذا لم يثبت ما يتهم به المتهم ثلاث عقوبات لشدة جرمه:

أولا: عقوبة جسدية وهي ثمانون جلدة.

ثانيا: عقوبة تأديبية ونفسية وهي رفض شهادته، وإسقاط اعتباره وشخصيته بين الناس..

ثالثا: عقوبة دينية: وهي أنه منحرف عن الإيمان وصار فاسقاً.

وما عاقب الله– تعالى– هؤلاء القاذفين في أعراض الناس، بتلك العقوبات الرادعة، إلا لأحكام من أهمها: حماية أعراض المسلمين من ألسنة السوء، وصيانتهم من كل ما يخدش كرامتهم، ويجرح عفافهم.[355]

ثانيا: اللعان

بعد ما ذكر الله تعالى هذا الفعل القبيح بصورة عامة الذي يبيح هتك أعراض الناس وشدّد في عقوبته، فخص العموم وذكر اتهام الزوج زوجته بالفاحشة وتسمى اللعان أو الملاعنة، وهذا تخصيص للعمومين الذين في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ...﴾(النور،4/24)، فإن من

---

[354] سيد قطب، *في ظلال القرآن*، 153/7.

[355] سيد قطب، *في ظلال القرآن*، 154/7؛ الطنطاوي، *تفسير الوسيط*، 86/10؛ النابلسي، *تفسير النابلسي*، 27/8.

المحصنات من هن أزواج لمن يرميهن، فخص هؤلاء الذين يرمون أزواجهم من حكم قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ...﴾ وقال في حق الزوجين: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ...﴾(النور،6/24)، إذاً عذر الأزواج خاصة في إقدامهم على القول في أزواجهم بالزنى إذا لم يستطيعوا إثباته بأربعة شهداء.

ووجه عذرهم في ذلك ما في نفوس الناس من سجية الغيرة على أزواجهم وعدم احتمال رؤية الزنى بهن، فدفع عنهم حد القذف بما شرع لهن من الملاعنة.

اللعان في اللغة: من اللعن بمعنى الطرد والإبعاد من الخير، وسمي بذلك لما يحصل بين الزوجين؛ لأن كل واحد من الزوجين يلعن نفسه في الشهادة الخامسة إن كان كاذباً فيما يقول.[356]

وفي الاصطلاح: هو حلف الزوج على زنا زوجته، أو نفي حملها اللازم له، وحلفها على تكذيبه إن أوجب أوكلها حدها بحكم القاضي.[357]

في تلك الحالة– مشاهدة الرجل زوجته في حالة الزنا– ولم يكن معه أربعة شهود فالرجل يلجأ إلى الملاعنة التي ذكرت في القرآن الكريم لحسم الأمر.

منهج القرآن الكريم في حل هذه القضية:

الافتراء والبهتان بالعرض وفضح أعز ما يمتلك الإنسان المؤمن ولطخ الفراش؛ هذا جرح لا يندمل، ووجع لا يشفى من أجل ذلك شدَّد الله تعالى عقوبته ورتب عليه ثلاث عقوبات قاسية كما ذكرنا، أما إذا وقعت الواقعة بين الزوجين فشاهد الزوج زوجته تزني وليس له أربعة شهود على هذه الواقعة المؤلمة فما حل هذه المشكلة!؟ وماذا يفعل؟ هل يقول لهما انتظرا حتى آتي بالشهود هذا مستحيل، والغيرة لا تسمح بذلك أبداً ولا بالسكوت والتكتم كما قال سعد بن عبادة ﷺلرسول الله ﷺ: "أني لو وجدت لكاعاً قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه ولا أحركه حتى آتي بأربعة شهداء، فوالله لا آتي بهم حتى يقضي حاجته، ثم قال: لو رأيت مع امرأتي رجلا لضربته بالسيف غير مصفح".[358] وإن تكلم في حق زوجته من دون شهود يقام عليه الحد بنص القرآن الكريم: : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(النور،4/24)، والإسلام منع قتل النفس مباشرة إذ

---

[356] ابن منظور، *لسان العرب*، 382/13.

[357] الصغير، محفوظ، *أحكام الزواج في الإجتهاد الفقهي وقانون الأسرة الجزائري*، دار الوعي،الجزائر20132م، ص 439.

[358] أحمد ابن حنبل، *مسند الإمام أحمد*، الرقم:(2131)، 33/4؛ ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، 12/6، 325/3.

ليس من حق أحد إتلاف نفس إلا الحاكم، ولم يقرر جعل أرواح الزوجات تحت تصرف مختلف نفسيات أزواجهن، فما الحل؟ فلمثل هذه الحالة والواقعة المرة الفضيحة شرع ربنا سبحانه وتعالى الملاعنة رحمة من الله عزّ وجل قائلا: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (6) وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (7) وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (8) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (9) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (10)﴾(النور،24/ 6- 10).[359]

يقول ابن كثير(ت:1373هـ): "هذه الآية الكريمة فيها فَرَج للأزواج وزيادة مخرج، إذا قذف أحدهم زوجته وتعسر عليه إقامة البينة، أن يلاعنها، كما أمر الله عز وجل وهو أن يحضرها إلى ، فيدعي عليها بما رماها به".[360]

أما في عصرنا هذا ليست السلطة شرعية ولا الحكم شرعياً، فقضية الملاعنة كباقي القضايا الإسلامية للأسف تعطلت لا تنفذ في المحاكم، إذا الحل الأوسط والبديل الإجباري الأفضل هو: أن الرجل لو رأى هذه الحالة أن يطلق امرأته ويرسلها إلى بيت أبيها ولا يوجع رأسه بالمشاكل التي ستصيبه في محاكم عصرنا.

لو سأل سائل: الملاعنة نزلت من أجل الرجال فما للنساء إذا رأين أزواجهن يزنون؟ هل لهن حق الملاعنة مثل الرجال؟

الجواب: الملاعنة نزلت في واقعة صارت على الرجل في زوجته، أما إذا علمت المرأة بزنا زوجها، ولم يكن لديها البينة، وهي أربعة شهود، فإن عليها أن تنصحه وتذكره وتخوفه بالله تعالى، أو تطلب الطلاق منه، أو تخالعه، لأنه لا خير لها في البقاء معه، ولما قد يترتب على مجامعته لها من مضرة عليها.[361]

---

[359] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 162/18؛ النابلسي، *تفسير النابلسي*، 32/8.

[360] ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، 14/6.

[361] المنجد، 2007 *اذا اتهمت زوجها بالزنا هل لها أن تلاعنه؟*، تم استرجاعه في 2023/6/15 في هذا الموقع الإسلام سؤال وجواب https//islamqa.info/amp/ar/answers/101771

6.1.3. الظهار

ومن إحدى المشاكل الأسرية التي ذكرها القرآن الكريم وبين طرق علاجها مسألة الظهار وذكرت في صدر سورة قوله عزّوجل: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (1) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (2) وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (3) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (4)﴾(المجادلة،1/58– 4).

أولا: تعريف الظهار

في **اللغة:** ظهر الشيء ظهوراً: تبين وبرز بعد الخفاء. [362]

وفي **الاصطلاح:** هو أن يشبه الرجل زوجته بامرأة محرمة عليه على التأبيد، أو بجزء منها يحرم عليه النظر إليه كالظهر والبطن والفخذ، كأن يقول لها: أنت علي كظهر أمي أو أختي.[363]

ثانيا: تاريخ الظهار

وهذه المشكلة نادرة الوقوع في الأصل لأن الظهار "لم يكن مشروعاً في شرع قديم ولا في شريعة الإسلام، وأنه شيء وضعه أهل الجاهلية، وقال ابن عباس رضي الله عنه: وكان هذا في الجاهلية تحريماً للمرأة مؤبداً".[364]

والظهار كان خاصاً بالعرب ومن إيمان جاهليتهم دون سائر الأمم، يعتبر طلاقا في الجاهلية ومن أشد الطلاق لأنه في التحريم أوكد ما يمكن، ويوجب حرمة مؤبدة لا رجعة فيها،

---

[362] مصطفي، ابراهيم وآخرون، *المعجم الوسيط*، 578/2.

[363] الزحيلي، *الفقه الإسلامي وأدلته*، 7124/9.

[364] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 7،13/28.

ويقول حسن البصري(ت: 110هـ): الظهار من أحرم الحرام، إذا ظاهر من امرأته لم يرجع إليها أبدا. فنقله الشرع من الحرمة المؤبدة إلى الحرمة المنتهية بالكفارة.[365]

ويضيق ابن عاشور(ت:1393هـ) دائرة ظهوره أكثر ويحدد موقعه حيث يقول: "وأحسب أنه كان طلاقاً عند أهل يثرب وما حولها لكثرة مخالطتهم اليهود ولا أحسب أنه كان معروفاً عند العرب في مكة وتهامة ونجد وغيرها ولم أقف على ذلك في كلامهم، وحسبك أنه لم يذكر في القرآن المكي إلا في المدني هنا وفي سورة الأحزاب.

والذي يلوح لي أن أهل يثرب ابتدعوا هذه الصيغة للمبالغة في التحريم، فإنهم كانوا قبل الإسلام ممتزجين باليهود متخلقين بعوائدهم، وكان اليهود يمنعون أن يأتي الرجل امرأته من جهة خلفها – إلى فرجها– كما في قوله تعالى: ﴿سَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾(البقرة،223/2)، فلذلك جاء في هذه الصيغة لفظ الظهر، فجمعوا في هذه الصيغة تغليظاً من التحريم وهي أنها كأمه، بل كظهر أمه فجاءت صيغة شنيعة فظيعة".[366]

ثالثا: حكم الظهار

الظهار لا شك فيه أنه حرام، وعند الشافعية معصية كبيرة، وعدَّ السبكي(ت:756هـ)، من الكبائر لأن الله تعالى وجب فيه الكفارة وقال عنه: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾(المجادلة،2/58) اعتبره منكرا وقول الزور.[367]

رابعا: علاجه وكفارته:

---

[365] الزحيلي، *التفسير المنير*، 13/28؛ المظهري، محمَّد ثناء الله، *التفسير المظهري*، تح: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية – الباكستان1412هـ، 209/9؛ الرازي، *مفاتيح الغيب*، 477/29؛ النعماني، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي، *اللباب في علوم الكتاب*، تح: عادل أحمد وعلي محمَّد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت / 1998م، 516/18؛ القنوجي، *فتح البيان في مقاصد القرآن*، 12/14؛ الكوراني، شهاب الدين أحمد بن إسماعيل بن عثمان الشافعي ثم الحنفي، *غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني*، تح: محمَّد مصطفي كوكصو (رسالة الدكتوراه)، جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية – تركيا2007م، ص107؛ الماتريدي، أبو منصور محمَّد بن محمَّد بن محمود، *تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)*، تح د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م، 546/9.

[366] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 11/28.

[367] العطار، حسن بن محمَّد بن محمود، *حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع*، دار الكتب العلمية –بيروت، د،ت، 188/2؛ الزحيلي، *التفسير المنير*، 13/28.

إن الله سبحانه وتعالى من فوق سبع السماوات سمعت شكوى امرأة تجادل رسول اللهﷺ في زوجها، واغتمت لصغر أولادها، وشكت إلى الله تعالى، وبثت أمرها إلى ربها، وسمع ما سمع من تحاورها مع رسول اللهﷺ، والله سميع لما يقال، خبير بحال عباده، يقول الرازي(ت:605هـ): إن هذه الواقعة –واقعة الظهار– تدل على أن من انقطع رجاؤه عن الخلق، ولم يبق له في مهمه أحد سوى الخالق كفاه الله ذلك المهم، فأنزل فيها ما أزال غصتها، وفرج كربتها، وأقر به عينها، وبلّ به ريقها، وأرجع إلى كنفها صبيتها الذين كانوا مصدر شقوتها، بل ودافع الله عن النساء جميعاً وفرج كربهن.[368]

ولما شكت وحنت وألحت إلى ربها فرجها الله عنها وحل لها القضية من أساسها وأنهى هذه العادة السيئة المسيئة للنساء، فنزلت الآيات الأربعة وبشرها النبي ﷺ وتلا عليها وأخبرها بالكفارة: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إلى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (1) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (2) وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (3) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (4)﴾(المجادلة،1/58– 4).

ولما نزلت الآيات تلا عليها رسول اللهﷺ الكفارة بالترتيب القرآني: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ (المجادلة،3/58) رغم ما صارت عليها وظاهر معها زوجها وحرمها عليه فحنت الخويلة على زوجها ودافعت عنها وحاولت مع رسول الله ﷺ أن تخفف عنه الكفارة – هذه تدل على حنان الزوجة على زوجها وتحقيق المودة والرحمة الإلهية التي ألقاها في مشروع الزواج وحضن الأسرة– قالت: يارسول اللهﷺ لا يجد ورسول اللهﷺ أحس بحنانها شغفها لزوجها، ولم ينتقد منها ولم يلمها على دفاعها عنه، بل أقر بما في وجدانها، وعرف أنها حريصة على بقاء هيكل الأسرة واستمراريتها متماسكة رغم كل ذلك فقال: "فيصوم شهرين متتابعين"قالت: يا رسول الله، إنه شيخ كبير ما به من صيام، قال: "فليطعم ستين مسكينا"قالت: ما عنده من شيء

[368] الهرري، العلامة محمّد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي، *حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن*، دار طوق النجاة، بيروت – 2001م، 17/29؛ الرازي، مفاتيح الغيب، 478/29.

يتصدق به، قالت: فأتي ساعتئذ بعرق من تمر، قلت: يا رسول الله، فإني أعينه بعرق آخر، قال: "قد أحسنت، اذهبي فأطعمي بها عنه ستين مسكيناً، وارجعي إلى ابن عمك". [369]

خامسا: مقصد الكفارة:

قد يسأل سائل: لماذا كفارة الظهار وعلاجه عن الطرق الثلاثة المذكورة تحديدا وترتيبا: عتق الرقبة ثم الصيام ثم الإطعام؟

فيجيب ابن عاشور(ت:1393هـ) في تفسيره ويعلل ذلك تعليلا في غاية الروعة ويبين مقصد الكفارة قائلا:

الكفارة الأولى: في عتق الرقبة يعتاض بفكها عن فك عصمة الزوجة نقل إلى كفارة فيها مشقة النفس بالصبر على لذة الطعام والشراب ليدفع ما التزمه بالظهار من مشقة الصبر على ابتعاد حليلته.

الكفارة الثانية: فكان الصوم درجة ثانية قريبة من درجة تحرير الرقبة في المناسبة.

وأعيد قيد من قبل أن يتماسا للدلالة على أنه لا يكون المس إلا بعد انقضاء الصيام، فلا يظن أن مجرد شروعه في الصيام كاف في العود إلى الاستمتاع.

الكفارة الثالثة: فمن لم يستطع، أي لعجزه أو ضعفه رخص الله له أن ينتقل إلى إطعام ستين مسكينا عوضاً عن الصيام فالإطعام درجة ثالثة يدفع عن ستين مسكيناً ألم الجوع عوضاً عما كان التزمه على نفسه من مشقة الابتعاد عن لذاته.[370]

7.1.3. الإيلاء

ومن احدى المشاكل الأسرية التي ذكرها القرآن الكريم وحلها قضية الإيلاء هي في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة،226/2) التي تواجه الأسرة وتكون سببا للتباعد بين الزوجين وزوال المحبة والمودة ونقض الميثاق الغليظ بينهما.

أولا: تعريفه

---

[369] أبو داود، *سنن أبي داود*، باب: في الظهار، الرقم:(2214)، 536/3.

[370] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 20/28.

في **اللغة**: من الألِيَّة بمعنى الحلف، آلت فلانا حقه أو عمله إيلاتا: ألته، (الألتة) العطية القليلة واليمين يتعمد فيها الكذب.[371]

وفي **الاصطلاح**: فهو أن يقسم الزوج المالك لحق الطلاق ألاّ يجامع زوجته مطلقاً، أو مدة تزيد على أربعة أشهر، مثل: والله لا أجامعك أربعة أشهر.[372]

ثانيا: تاريخه: يعتبر الإيْلاء من الطلاق كالظهار في الجاهلية قبل الإسلام، قال ابن عباس رضي الله عنه: كان إيلاء أهل الجاهلية السّنة والسّنتين وأكثر من ذلك، وقال سعيد بن المسيب(ت:94هـ): كان الإيلاء ضرار أهل الجاهلية، كان الرجل لا يريد المرأة ولا يحبّ أن يتزوجها غيره، فيحلف أن لا يقربها أبدا، وكان يتركها كذلك، لا أيّما ولا ذات بعل، وقال الرازي(ت:605هـ): ثم إن أهل الإسلام كانوا يفعلون ذلك أيضا.[373]

ثالثا: حكمه: الإيلاء قضية واقعية أسرية موجودة قبل الإسلام، والشريعة الإلهية من طبيعتها الحكيمة لا تلغي مباشرة العادات الموجودة قبل مجيئها، لأنها قد تكون علاجاً نافعاً في بعض الحالات لمن يتعامل معها وينظمها ويرتبها حسب طبيعة القضية، والإيلاء من إحدى القضايا التي كانت موجودة، فلها إيجابياتها وسلبياتها حسب النية وحال الزوج والزوجة، فلذا يتغير الحكم من أسرة إلى أسرة أخرى، فبإمكاننا أن نقسمها إلى قسمين من حيث الحكم:

الحكم الأول: جائز إذا لم يقصد به الإضرار ولم تطل مدته- أي لم تتجاوز أربعة أشهر- كالذي يولي زوجته لقصد التأديب، أو لقصد آخر معتبر شرعاً، فمثلا في بعض الحالات يكون علاجاً للزوجة الشامسة المستكبرة المختالة بفتنتها وقدرتها على إغراء الرجل وإذلاله أو إعناته، والله سبحانه وتعالى عليم بخفايا وطبيعة النفوس البشرية، فقد ترى امرأة أن تستغل إقبال الرجل عليها، إما لجمال فيها أو لتوقد شهوة الرجل، فتحاول أن تستذله؛ لذلك أعطى الله للرجل الحق،

---

[371] مصطفي، ابراهيم وآخرون، *المعجم الوسيط*، 23/1.

[372] الجرجاني، *التعريفات*، ص41؛ الخن، مصطفي وآخرون، *الفقه المنهجي على مذهب الشافعي*، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 1992م، 144/4.

[373] القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 270/17؛ الرازي، *مفاتيح الغيب*، 429/6؛ المظهري، *تفسير المظهري*، 291/1؛ الطنطاوي، *الوسيط*، 503/1؛ الزحيلي، *تفسير المنير*، 312/2؛ الشربيني، *السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير*، 219/4.

وكما قد يكون فرصة للتنفيس عن عارض سأم، أو ثورة غضب، تعود بعده الحياة أنشط وأقوى.[374]

ودليل ذلك ما روى عن رسول الله ﷺ أنه آلى بعض نسائة شهراً زجراً وتوبيخاً لهن كما ورد في صحيح مسلم: "وكان إلى منهن شهراً، فلما كان تسعاً وعشرين نزل إليهن".[375] فرسول الله ﷺ آلى بعض نسائه مصلحة لهن، وهذه عملية تأديبية منه عليه الصلاة والسلام اقتصر فيها على ما يحتاجه التأديب.[376]

الحكم الثاني: أنه حرام إذا قصد به الإضرار بالزوجة واهانتها وذلتها؛لأن في هذا الهجران ما فيه من إيذاء لنفس الزوجة ومن إضرار بها نفسيا وعصبياً ومن إهدار لكرامتها كأنثى ومن تعطيل للحياة الزوجية ومن جفوة تمزق أوصال العشرة، وتحطم بنيان الأسرة حين تطول عن أمد معقول، هكذا كان عادة الجاهلية كما قال سعيد بن المسيب(ت:94هـ): كان الإيلاء ضرار أهل الجاهلية، كان الرجل لا يريد المرأة ولا يحبّ أن يتزوجها غيره، فيحلف أن لا يقربها أبدا، وكان يتركها كذلك، لا أيّما ولا ذات بعل.[377]

ودليل ذلك ذيل الآية قوله عزّ وجل: ﴿فإن الله غفور رحيم﴾(البقرة،226/2) يقول ابن عاشور(ت:1393هـ): "فحنثهم في يمين الإيلاء مغفور لهم لأن الله غفور رحيم، وفيه إيذان بأن الإيلاء حرام، لأن شأن إيلائهم الوارد فيه القرآن، قصد الإضرار بالمرأة".[378]

وحسم الأمر في الإيلاء وإنهائه في القرآن الكريم هكذا: أن من حلف على ترك قربان امرأته واستمر على امتناعه أربعة أشهر﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾(البقرة،226/2)، فإما: أن يفيء إلى زوجته﴿..فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ويحنث في يمينه، ويكفّر عنها كفارة الأيمان ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ

---

[374] سيد قطب، *في ظلال القرآن*، 244/1؛ الشعراوي، *تفسير الشعراوي*، 977/2؛ ابن عاشورؤ، *التحرير والتنوير* 386/2.

[375] مسلم، *صحيح مسلم*، باب: في الإيلاء واعتزال النساء، الرقم:(1479)، 1110/2.

[376] الجزائري، أبوبكر جابر بن موسى بن عبد القادر، *أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير*، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 2003م، 208/1؛ الصوفي، أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد بن المهدي، *البحر المديد في تفسير القرآن المجيد*، تح أحمد عبد الله القرشي رسلان، ال حسن عباس زكي – القاهرة1419هـ، 83/7؛ حوى، سعيد، *الأساس في التفسير*، 533/1؛ القنوجي، *فتح البيان في مقاصد القرآن*، 13/2.

[377] أبو حيان الأندلسي، *البحر المحيط في التفسير*، 445/2؛ سيد قطب، *في ظلال القرآن*، 485/1؛ الزحيلي، *التفسير المنير*، 312/2.

[378] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 386/2.

أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾(المائدة،89/5)، وإما أن يطلق، فإن أبى الطلاق طلّق عليه القاضي. أي له الخيار بين أمرين: الفيئة أو الطلاق. والفيئة أفضل من الطلاق، لأن الله جعل جزاءها المغفرة والرحمة ﴿..فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وهدد في حال الطلاق: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(البقرة،227/2) بأن الله سميع لأقوالهم عليم بنواياهم وأفعالهم.[379]

8.1.3. النشوز والشقاق بين الزوجين ومنهج القرآن في علاجهما

تعتبر العشرة في الحياة الزوجية قائمة على أساس الحب والمودة والتفاهم بين الزوجين، ودوامها مربوط بالثقة والاحترام بعيداً عن تشنجات خلقية، وإن الإخلال بهذا المبدأ هو سبب في سوء العشرة وزرع النفرة بين الزوجين، ويتمثل ذلك بتعالي أحد الزوجين على الآخر، وتقصيره عن القيام ببعض حقوقه وهو ما يسمى في القرآن بالنشوز، ذكره القرآن الكريم وبين طرق علاجه.[380] والمتأمل في الآيات القرآنية المعالجة لهذه القضية يدرك أن الإسلام يدعو إلى الإسراع بمعالجة هذه الخلافات الزوجية بمجرد ظهور بوادرها حيث يقول الله عزّوجل في نشوز الزوجة: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾(النساء،34/4،).

وقوله تعالى في نشوز الزوج: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾(النساء،4/ 128).

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾(النساء،35/4).

فمجرد الخوف أو الحس بوجود مشكلة أو أي تشنج فكري بين الزوجين يتطلب مباشرة الإسراع بالمعالجة؛ لأن الله تعالى بعد ذكر كل من الخلافات سواء كانت من قبل الزوجة أو الزوج أو كليهما أعقبها العلاج (بالفاء) وهي في اللغة العربية: "توجب وجود الثاني بعد الأول بغير مهلة".[381] فمثلا في نشوز الزوجة قال تعالى: ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ وفي الزوج قال تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا﴾(النساء،128/4) وفي الشقاق بينهما قال تعالى: ﴿فَابْعَثُوا﴾ يأمر الله تعالى بمعالجتها بلا توقف وذلك لحماية الأسرة من الانهيار وضياع الأولاد وانتشار الفوضى في

---

[379] الزحيلي، *التفسير المنير*، 313/2.

[380] الحربي، عايد بن عبد الله، *النشوز بين الزوجين*، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة1425هـ، ص14.

[381] الزمخشري جار الله، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، *المفصل في صنعة الإعراب*، تح: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال – بيروت1993م، ص404.

المجتمع، وقال علماء الصحة النفسية: "هذه الجهود الوقائية أفضل بكثير من الجهود التي تبذل في علاج المشكلات والأمراض والانحرافات بعد حدوثها".[382] كما تقول قاعدة أصولية: "الدفع أسهل من الرفع".[383]

وفي هذا المطلب نذكر تعريف النشوز بين الزوجين وأسبابه وصوره وعلاجه بالترتيب القرآني بدأً بما يصدر عن الزوجة، ثم ما يصدر عن الزوج، ثم ما يتطلب الاستعانة بالآخرين لمعالجة هذه القضية التي تسمى في القرآن بالشقاق.

أولا: النشوز بين الزوجين

تعريف النشوز:

لغة: من فعل نشز يَنْشُز نَشْزا ونُشُوزا وناشزا، النون والشين والزاي أصل صحيح تدل على معنى الإرتفاع والعلو، النِّشْزُ والنَّشَزُ: المَتْنُ المرتفعُ مِنَ الأَرض، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا﴾(المجادلة،11/58)، بمعنى: "انهضوا إلى الصلاة والجهاد وعمل الخير".[384]

وأنشزه: رفعه عن مكانه، واستعير هذا الارتفاع والعلو لمن يعلو على غيره ولا يبالي بأوامره ونواهيه، فنشوز المرأة أي علت على زوجها ونشوز البعل أي ارتفع عليها.[385]

واصطلاحا: النشوز يكون بين الزوجين، وهو: كراهة كل واحد منهما لصاحبه.[386]

أو خلافات تنشأ عن نفور أحد الزوجين من الآخر، وترفعه عليه، وإعراضه عنه، واستعصائه عليه وجفوته له، مما يؤدي إلى إغضابه، وإثارة عداوته، ويدفعه إلى التفاعل السلبي معه.[387]

هذا التعريف جامع من حيث الزوجين مع البعض، أما التعريف الخاص بأحد الزوجين في النشوز وما يتعلق بأحكام كل منهما في ذلك كما يلي:

---

[382] مرسي، *العلاقة الزوجية والصحة النفسية في الإسلام وعلم النفس*، ص249.

[383] السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي ابن عبد الكافي، *الأشباه والنظائر*، دار الكتب العلمية 1991م، 145/1.

[384] القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 251/17.

[385] ابن منظهور، *لسان العرب*، 417/5؛ الزمخشري جار الله، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، *أساس البلاغة*، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – 1998م، 271/2.

[386] الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الموسوعة الفقهية الكويتية، 284/40.

[387] مرسي، *العلاقة الزوجية والصحة النفسية في الإسلام وعلم النفس*، ص241.

1-**نشوز الزوجة:** هو خروج الزوجة عن الطاعة الواجبة لزوجها.[388] وأشارت إليه الآية الكريمة: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾(النساء،34/4).

أ- صور نشوز الزوجة

هناك صور عديدة وكثيرة لنشوز الزوجة من أشهرها: استخفافها به، كعدم سماع كلامه، أو التهكم عليه، أو تضحك على كلامه ككونه لا يحسن التكلم، أو لكونه جاهلاً، أو تمردها على أوامره ونواهيه بحيث لا تبالي به، كونه لا يلبي طلباتها، وتسيء عشرته، وتعبس في وجهه، وترفع صوتها عليه، والإستخفاف برجولته وآرائه وعمله ودينه وأهله، وتقصيرها في خدمته، وتلاعبها في أمواله وصرفها في غير المعروف، وغيرذلك مما تغضب زوجها وتحزنه على باطل وبلا مبرر شرعي.[389]

ب- أسباب نشوز الزوجة

هناك أسباب قد تدفع الزوجة إلى نشوزها عن زوجها ومنها:

1- سوء معاملة الزوج لها قولاً وفعلاً: حيث يعاملها بالجفاء وقسوة القلب والتمرد عليها وسوء العشرة، وعدم الاهتمام بها من الناحية الجنسية وليونة الكلام.

2- تدخل الطرف الخارجي لشؤون الأسرة وشؤون ما بين الزوجين، ولاسيما قريبات الزوج كأمه وأخته أو ضرتها.

3-جهل الرجل بالواجبات التي عليه تجاه زوجته، او عدم الاهتمام بنفسه ونظافته وشخصيته أو ضعفه جنسياً.

4-كثرة التهديد بالطلاق أو الزواج عليها أو إرجاعها إلى بيت أهلها.

5- انقطاع الحوار والتفاهم بينهما ما يسمى بـ"الطلاق النفسي".[390]

---

[388] الدسوقي، محمد بن أحمد بن عرفة، *حاشية الدسوقي على الشرح الكبير*، دار الفكر د،ت، 343/2؛ الشربيني، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب، *مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج*، دار الكتب العلمية1994م، 413/4؛

[389] علي بن عوإلى، *ضمانات حماية الأسرة بين الفقه وقانون الأسرة الجزائري*، ص321؛ الحمد، *رسائل في الزواج والحياة الزوجية*، ص259؛ مرسي، *العلاقة الزوجية والصحة النفسية في الإسلام وعلم النفس*، ص242.

[390] علي بن عوإلى، *ضمانات حماية الأسرة بين الفقه وقانون الأسرة الجزائري*، ص322.

ت- علاج نشوز الزوجة

من المعلوم أن الوقاية خير من العلاج، فعلى الزوج بصفته أنه قوام على الزوجة والأسرة وعليه المسؤولية أن يحفاظ على سعادة الأسرة والمودة والاحترام مع زوجته وأن لايترك مجالاً لنمو الشقاق والعداوة ونشوز الزوجة، وإذا أحس ببوادر الخلاف والنشوز من زوجته عليه أولا قبل الإصلاح أن يبحث عن سبب النشوز ويصلحه إذا كان هو السبب إذ لكل مسبب سبب، ولكل معلول علة، أحياناً نشوز المرأة هو رد فعل الزوجة لزوجها، وهو المقصر في حقها، وإلا فالعلاج لن يكون نافعاً ولا حاسماً للقضية مادام لا يعالج سبب المشكلة من أصلها.[391]

وإذا علم الزوج سبب النشوز إذا كان من عنده فعليه أن يصلح نفسه أولا ويصحح الخطأ، ويصلح ما فسد بينهما.

فإذا قام الزوج بواجبه تجاه زوجته وفعل ما عليه، ولكن رغم كل ذلك ظهرت منها بوادر النشوز واستمرت على نشوزها، فيبدأ بتنفيذ طرق الإصلاح الثلاثة- الوعظ، والهجر، والضرب- حسبما وردت في القرآن الكريم: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾(النساء،34/4).

1-**الوعظ:** من أهم مراحل الإصلاح وأكثرها تأثيراً في النفوس إذا مارس الزوج هذه المرحلة معها بالحكمة وحسن العمل، ولكي تحقق هذه المرحلة الهدف المرجو منها لابد من معرفة سبب المشكلة حتى تكون الموعظة مناسبة لحلها، وأجمع العلماء على أنه ينبغي أن يكون الوعظ في وقت مناسب وبأسلوب لين وحكمة، فلو وعظت إنساناً غاضباً لأنفجر، الوعظ يحتاج إلى وقت مناسب وشخص جاهز للانسجام والأخذ والعطا.[392]

ويجب أن يكون الوعظ كما يطلب الله عزّوجل: ﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ..﴾(النحل،125/16)، فمفهوم مخالفة الآية أن هناك موعظة غير حسنة، حيث تفسد أكثر مما تصلح، وتضر أكثر مما تنفع.[393]

---

[391] علي بن عوإلى، *ضمانات حماية الأسرة بين الفقه وقانون الأسرة الجزائري*، ص325.

[392] الشعراوي، *تفسير الشعراوي*، 2199/4؛ النابلسي، *تفسير النابلسي*، 134/3؛

[393] بكار، عبدالكريم، *التواصل الأسري*، *دار القلم* -ودار المعارج 2010م، ص61.

وينبغي أن يستعمل الزوج أسلوبي الترغيب والترهيب في الموعظة، فأسلوب الترغيب أن يرغبها بما أعدها الله تعالى لها من الجزاء والثواب، وأن رضا الله تعالى معلق برضا الزوج وغير ذلك.

وأسلوب الترهيب حيث يرهبها بغضب الله تعالى وعذابه لمن عصت زوجها على غير الحق.[394]

وأن يتجنب الفحش والسب واللعن والتجريح، ويعظها رفقاً ووفقاً لما أرشدنا رسول الله ﷺ: "يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف وما لا يعطى على ما سواه".[395]

2-**الهجر**: وبعد كل هذه الجهود الماضية لم تتعظ المرأة واستمرت على حالها، فإنه يحق للزوج أن يتحول إلى المرحلة الثانية عسى أن ينفعها وفقاً لما قال الله عزّوجل ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾(النساء،34/4)، الهجر بمعنى ابتعادهن في الفراش فلا تكلموهن ولا تقربوهن، وعند ابن عباس رضي الله عنه الهجر بمعنى: ألا يجامعها وأن يضاجعها على فراشها ويوليها ظهره.[396]

ويلقي سيد قطب(ت: 1386هـ) ضوءً على كلمة "المضجع"حيث يقول: "والمضجع موضع الإغراء والجاذبية، التي تبلغ فيها المرأة الناشز المتعالية قمة سلطانها. فإذا استطاع الرجل أن يقهر دوافعه تجاه هذا الإغراء، فقد أسقط من يد المرأة الناشز أمضى أسلحتها التي تعتز بها".[397]

ومن خلال هذا الهجر يظهر مدى حب الزوجة لزوجها، وهل تحبه أم لا؟، فإذا أعرض عن فراشها فإن كانت محبة للزوج فذلك يشق عليها فترجع للصلاح، وإن كانت مبغضة فيظهر النشوز منها، فيتبين أن النشوز من قبلها.[398]

---

[394] القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 171/5؛ ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، 294/2؛ علي بن عوإلى، *ضمانات حماية الأسرة بين الفقه وقانون الأسرة الجزائري*، ص326.

[395] مسلم، *صحيح مسلم*، باب: فضل الرفق، الرقم:(2591)، 2003/4.

[396] الصابوني، *صفوة التفاسير*، 251/1.

[397] سيد قطب، *في ظلال القرآن*، 122/2.

[398] القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 171/5.

ومما ينبغي التنبه إليه أن هذا الهجر يكون داخل الفراش لا خارجه؛ لأن مقصد القرآن أن يوليها ظهره في المضجع ولم يقل عن المضاجع، فلو هجرتها عن المضجع وذهبت إلى غرفة أخرى لعرف الأولاد المشكلة، وانكشف الأمر، ولو هجرتها إلى بيت آخر لعرف الأقرباء وتكبر المشكلة، والرسولﷺ نهى الهجر عن البيت قائلا""أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت- أو اكتسبت- ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت"، [399]وكلما اقتصرت المشكلة على الزوجين سهل حلها.[400]

ويجب أن يقصد من هذا الهجر هو التأديب وإصلاح الحال، وأن يكون ذلك على قدر ما يفي بالغرض، دون التعدي والتشفي وما يلحق ذلك من البغض والكراهية، فإن هذا ليس من الهجر الجميل النافع، بل ذلك من الهجر المذموم الذي لا يحصل به تقويم ولا مصلحة.[401]

3-**الضرب:** واذا لم تجد الخطوة الثانية نفعاً، ولم تحقق المقصد الذي شرعت من أجله، ولم يوقظ الوعظ ولا الهجر عقلها ولا ضميرها، ولم تحرك هاتان الخطوتان عطفها ولا مشاعرها، فعندئذ أباح الشرع للزوج ممارسة الخطوة الثالثة عسى أن تنفع وتصير سبباً لزوال النشوز وعودة هدوء الأسرة واستقرارها وسلامتها وهذه الخطوة هي اللجوء إلى الضرب استدلالاً بقوله تعالى: ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾(النساء،34/4).[402]

لقد أرشد القرآن الكريم إلى اتخاذ الطرق الحكيمة في معالجة هذا النشوز والعصيان، فأمر بالصبر والأناة، ثم بالوعظ والإرشاد، ثم بالهجر في المضاجع، فإذا لم تنفع كل هذه الوسائل، ورأى الزوج أن في ضربها كسراً لشأفة كبريائها واستعلائها، وخفضاً لصلفها ونشوزها، فيباح له- حينئذ- أن يضربها ضرباً غير مبرح، حيث اضطرته إلى ذلك، وللضرورة أحكامها. فضربها للتأديب والإصلاح أقل ضرراً من إيقاع الطلاق عليها إذا هي تمادت في عصيانها، ولم ترجع للطاعة وأداء الحق؛ إذاً الطلاق هدم لكيان الأسرة وتمزيق لشملها. ثم إن الضرب ليس إهانة

---

[399]أبو داود، *سنن أبي داود*، باب: في حق المرأة على زوجها، الرقم:(2142)، 476/3؛ النسائي، سنن الكبرى، باب: تحريم ضرب الوجه في الأدب، الرقم:(9126)، 266/8.

[400]النسفي، *تفسير النسفي*، 216/1؛ النابلسي، *تفسير النابلسي*، 135/3.

[401] الحربي، *النشوز بين الزوجين*، ص32.

[402]علي بن عوإلى، *ضمانات حماية الأسرة بين الفقه وقانون الأسرة الجزائري*، ص330.

للمرأة- كما قد يظن البعض- وإنما هو طريق من طرق التقويم والتأديب والإصلاح، ينفع في بعض الحالات مع بعض النفوس التي لا ينفع معها الجميل، ولا يقيمها إلا التأديب.[403]

ومما ينبغي وضروري التنبه إليه أن هذا الضرب ليس على الإطلاق وكيف ما أراد هوى الزوج، بل هناك شروط متعلقة بالضارب وشروط متعلقة بالناشز وشروط متعلقة بالضرب، فيجب أن يكون الضرب إذا اضطر إليه بعد الخطوتين الأوليتين وفق هذه الشروط وإلا لم يجز، وكل هذه الشروط في النقاط التالية:

أ- الشروط المتعلقة بالضارب: أن لا يقصد بالضرب الانتقام منها، وأن يعرف السبب الذي يضربها من أجله، وأن يتيقن أو يغلب على ظنه إفادة الضرب وإيفائه بالغرض المقصود منه، وهو رجوعها عن النشوز، وإلا فلا يجوز لعدم الفائدة.[404]

ب- الشروط المتعلقة بالناشز: أن تكون المرأة ممن ينزجرن بالضرب، فإن علم أنها لا تنزجر وتصرُّ على نشوزها، أو تزداد نشوزاً وعناداً لا يجوز ضربها لانعدام الفائدة.[405]

ت- الشروط المتعلقة بالضرب:

1-أن يكون الضرب غير مبرح ولا شديد، بأن لا يشين عضواً ولا يكسر عظماً ولا يترك آثرا في جسدها، [406] وإلا يعتبر الزوج متعدياً ولقول الرسولﷺ في النهي عن ضرب الشنيع: "أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت- أو اكتسبت- ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت".[407]

2-أن يكون الضرب بسبب النشوز الذي لم تنفع معه الخطوتان السابقتان.

---

[403] الصابوني، محمد علي، *روائع البيان تفسير آيات الأحكام*، مكتبة الغزالي، دمشق، مؤسسة مناهل العرفان – بيروت 1980م، 474،475/1؛ الحربي، النشوز بين الزوجين، ص33.

[404] الحطاب، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن، *مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل*، تح: زكريا عميرات، دار عالم الكتب2003م، 262/5؛ الشربيني، مغني المحتاج، 343/3؛ علي بن عوالي، *ضمانات حماية الأسرة بين الفقه وقانون الأسرة الجزائري*، ص332.

[405] علي بن عوالي، *ضمانات حماية الأسرة بين الفقه وقانون الأسرة الجزائري*، ص332.

[406] الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*، 313/8؛ القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 172/5.

[407] أبو داود، سنن أبي داود، باب: في حق المرأة على زوجها، الرقم:(2142)، 476/3؛ النسائي، سنن الكبرى، باب: في تحريم ضرب وجه المرأة في الأدب، الرقم:(9126)، 266/8.

3-أن لا يضرب أعضاء الظاهر والوجه لأنه مجمع المحاسن[408] لقول الرسولﷺ في حق الزوجة: "أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت- أو اكتسبت- ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت".[409]

4-ينبغي أن يكون الضرب المشروط داخل البيت وبعيداً عن أعين الأولاد، وإلا يعتبر عقاباً نفسياً إهانة وإذلالا لها، ولا يزيد إلا نفوراً وعناداً.[410]

5-أن يكون الضرب بأداة تفي بالغرض – تؤدب- وغير مؤذية، وقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الضرب يكون بشيء يقصد به التأديب ويلقي إشارة الزجر كالسواك واليد، ولا يجوز الضرب بالسوط والعصا، لأن الغرض منه الإصلاح لا الانتقام والإهانة التي تتسبب إلى التمرد والعناد أكثر.[411]

ولكن رغم هذه الرخصة وتشديد الشروط لهذا العلاج إلا أن ترك الضرب أولى وخاصة في هذا العصر، أن المرأة أخذت حرية أكثر عقلياً ونفسياً واجتماعياً، ثم اقتداءً بالرسولﷺ مع أنهﷺ واجهته هذه الظروف في بعض نسائه لكنه لم يضربهن وقال في ذلك: "لا تضربوا إماء الله"فجاء عمر ﷺإلى رسول الله ﷺ فقال: ذئرن النساء على أزواجهن، فرخص في ضربهن، فأطاف بآل رسول الله ﷺ نساء كثير يشكون أزواجهن، فقال النبي ﷺ: "لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن، ليس أولئك بخياركم".[412]

---

[408]الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*، 313/8؛ القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 172/5.

[409]أبو داود، سنن أبي داود، الرقم(2142)، 476/3؛ النسائي، سنن الكبرى، الرقم(9126)، 266/8.

[410]الشربيني، مغني المحتاج، 343/3؛ النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، *روضة الطالبين وعمدة المفتين*، تح: عادل أحمد عبد الموجود، على محمد معوض، دار الكتب العلمية د،ت، 677/5؛ خياط، نواف بن صالح، *التوجيهات التربوية لأحكام النكاح في الإسلام*، ص300.

[411] القيرواني، أبو محمد عبد الله بن (أبي زيد) عبد الرحمن النفزي، *النَّوادر والزِّيادات على مَا في المدَوَّنة من غيرها من الأُمهاتِ*، تح: عبد الفتّاح محمد الحلو وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1999م، 254/5؛ البهوتي، *كشاف القناع*، 126/12؛ خياط، نواف بن صالح، *التوجيهات التربوية لأحكام النكاح في الإسلام*، ص301؛ الكردستاني، مثنى أمين، *حركات تحرير المرأة من المساواة الى الجندر،دراسة نقدية اسلامية*، تقديم أ. د. محمد عمارة، دار القلم، القاهرة 2004م، ص388.

[412] أبو داود، *سنن أبي داود،باب*: في ضرب النساء، الرقم:(2146)، 479/3؛ مرسي، *العلاقات الزوجية والصحة النفسية في الإسلام وعلم النفس*، ص*255*.

2- **نشوز الزوج:** هو ترفع الزوج عن زوجته وكراهية العيش معها.[413] وأشار إليه القرآن الكريم هو قوله تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾(النساء،128/4). بيَّن القرطبي(ت:671هـ) الفرق بين النشوز والإعراض بقول النحاس(ت:338هـ) إذ يقول: "إن النشوز التباعد، والإعراض ألا يكلمها ولا يأنس بها".[414]

أ- صور نشوز الزوج

معاملة الزوجة بالجفاء وقسوة القلب، وعدم إظهار الحب والمودة لها، وأن يناديها عمداً بالسخرية أو باسم هي لا تحبه، أو يشتمها ويشتم أقاربها، أوهجرها في المضجع بلا مبرر شرعي، أو التضييق عليها في الإنفاق، ومنعها بلا سبب من زيارة أهلها والخروج من البيت، أو أذاها بسبّ أو ضرب ونحو ذلك.[415]

ب- أسباب نشوز الزوج:

هناك عدة أسباب قد تدفع الزوج إلى التمرد وإهمال الزوجة فمنها:

1-سوء معاشرة الزوجة له، فأساس الحياة الزوجية مبنية على المودة واللطافة وحسن العشرة، أما سوء تعامل الزوجة مع زوجها أحيانا، وعدم اهتمام الزوجة بنفسها قد يدفع الزوج إلى التمرد وتركها.

2-كبر سن الزوجة وعجزها عن قيامها بشؤونه، وإن كان هذا السبب لا دخل للمرأة فيه إلا أنه سبب لزوال رغبة الزوجة فيها.

3-عدم الإنجاب أو إنجاب البنات دون الولد، وهذا أيضاً لا دخل للمرأة فيه إلا أنه سبب من أسباب نشوز الزوج وإعراضه عنها، لأن بعض الرجال يظنون أن المرأة هي المسؤولة عن اختيار الجنس مع أن ماء الرجل أثبت علميا أنَّه السبب لاختيار أحد الجنسين.

---

[413] علي بن عوإلى، *ضمانات حماية الأسرة بين الفقه وقانون الأسرة الجزائري*، ص334.

[414] القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 403/5.

[415] الآلوسي، *روح المعاني*، 156/3؛ الزحيلي، *التفسير المنير*، 295/5؛ علي بن عوإلى، *ضمانات حماية الأسرة بين الفقه وقانون الأسرة الجزائري*، ص334.

4-مشاكل مادية، بعض الرجال يطمعون في أموال أو رواتب الزوجة ويجبرونها أن تنفق عليهم وعلى أولادهم.

5-عمل المرأة وتعبها في العمل، وهذا تجعلها أحيانا أن تكون مقصرة في حق زوجها جسديا وروحيا واجتماعيا.[416]

ت- معالجة نشوز الزوج

ما أنزل لله داء إلا ووضع له دواء فبمثل ما وضع الله تعالى لداء نشوز الزوجة دواء أيضاً وضع لداء نشوز الزوج دواء؛ لأن الله تعالى صدق حينما قال: ﴿ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام،38/6)، ويمكن أن يعالج نشوز الزوج من قبل الزوجة بطريقين أساسين:

1. **طريق الوقاية:** وهي أفضل من العلاج، وردت في القرآن الكريم والسنة الشريفة نصوص ترشد الزوجة إلى كيفية وقاية زوجها من النشوز وإعراضه عنها، إذا فهمت النصوص وطبقتها في حياتها وسارت على نهجها فهي تستطيع أن تجذب قلبه وعطفه إليها ولا يميل ولا يلتفت إلا إليها، وأن تحفظ نفسها من ابتلائها بالنشوز، وهذه النصوص هي:

أ- قوله تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾(النساء،34/4). المرأة الصالحة القانتة الحافظة عاملة أساسية لحفظ توازن الحياة الزوجية والأسرية، وهي قلما تخطء فهي تعطي حق نفسها وزوجها.

ب- قوله تعالى: ﴿وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾(الأعراف،189/7).

فبها يسكن الرجل ويهدأ باله في الحياة، فهي القوة المؤثرة في الرجل.

وغير ذلك من الآيات التي جعلت المرأة سبباً رئيساً وعاملاً مؤثراً لإسعاد الأسرة وشريك الحياة.[417]

ت- قولهﷺ: "مَا اسْتَفَادَ الْمُسْلِمُ فَائِدَةً بَعْدَ تَقْوَى اللهِ تعالى خَيْرًا لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ، إِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِنْ نَظَرَ إليها سَرَّتْهُ، وَإِنْ أَقْسَمَ عَلَيْهَا أَبَرَّتْهُ، وَإِنْ غَابَ عَنْهَا نَصَحَتْهُ فِي نَفْسِهَا".[418]

---

[416] الحربي، *النشوز بين الزوجين*، ص62؛ علي بن عوإلى، *ضمانات حماية الأسرة بين الفقه وقانون الأسرة الجزائري*، ص333.

[417] علي بن عوإلى، *ضمانات حماية الأسرة بين الفقه وقانون الأسرة الجزائري*، ص335.

الزوجة الصالحة سبب رئيس لسعادة زوجها وإرضائه وإبعاده عن أي إعراض ونشوز.

فكل هذه النصوص تدعو الزوجة إلى طاعة زوجها وإرضائه فيما يرضي الله تعالى، وأن تحسن معاشرتها معه، وأن تحن عليه وتظهر له حبها ومودتها رجاء أن لا يعرض عنها زوجها ويعيش معها حياة هنيئة طيبة وأن تنال رضى الله تعالى وجزائه.

ومن خلال هذه الأمور الوقائية التالية تستطيع الزوجة أن تحفظ الأسرة وزوجها إلى حد كبير من أي خلل وتشنج في حياتهما الزوجية:

ت- الالتزام بطاعة الله تبارك وتعالى في الأوامر والنواهي.

ث- أن تعترف بقوامة زوجها وسيادته في حدود الشرع.

ج- أن تهتم بنظافة جسدها وبيتها وأولادها.

ح- أن تهتم بتربية أولاد زوجها وتحفظ ماله بغيابه.

خ- أن تحترم أهل زوجها ولاسيما والداه وتعامل معهما تعامل والديها أو أكثر.

د- أن تستقبل زوجها بابتسامة وتهيئة الجو المناسب له.[419]

2. طريق العلاج:

إذا أحست المرأة بنشوز زوجها الذي سيؤدي إلى الطلاق أو وجدت أي إعراض منه كأن يجعلها معلقة لا كزوجة ولا مطلقة، فعليها أولاً قبل اتخاذ أي قرار حفظاً لسلامة الأسرة وكيانها وانهيارها أن تبحث عن سبب هذا الوضع غير الطبيعي، فمن الممكن أن زوجها لديه مشكلة خارجية في عمله مثلا أو مع أصدقائه أو أية مشكلة من مشاكل الدنيا لا علاقة لها بالنشوز الزوجي، ففي هذه الحالة عليها أن تتعامل بحكمة معه وتعاونه وتوآنسه، وتخفف عليه هذا الحمل الثقيل مقتدية بخير أزواج رسول اللهﷺ وأم المؤمنين سيدتنا خديجة حينما رجع رسول الله ﷺ إلى بيته محزوناً مهموماً لما صار عليه قالت خديجة رضي الله عنها كما ورد في

---

[418] ابن ماجة، *سنن ابن ماجة*، باب: أفضل النساء، الرقم:(1857)، 596/1، حديث ضعيف لكن له شواهد أخرى تدل على أن له أصل؛ الطبراني، *المعجم الكبير*، الرقم(7881)، 222/8.

[419] علي بن عوإلى، *ضمانات حماية الأسرة بين الفقه وقانون الأسرة الجزائري*، ص337.

الصحيحين: "فقالت له: كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق".[420]

وفي حالة أن زوجها ناشز ومعرض عنها والسبب غير الأسباب الخارجية، فإن القلوب تتقلب، وإن المشاعر تتغير، والإسلام منهج حياة يعالج كل جزئية فيها، ويتعرض لكل ما يعرض لها في نطاق مبادئه واتجاهاته وتصميم المجتمع الذي يرسمه وينشئه وفق هذا التصميم،[421]فخير طريق لعلاج هذه الحالة ما أرشدنا اليه القرآن الكريم بقوله: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾(النساء،128/4).

وعند حس المرأة بنشوز زوجها يقول الله عزّوجل: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾(النساء،128/4) يقول الشعراوي(ت:1418هـ): الصلح هنا مهمة الاثنين معاً؛ لأن كل مشكلة لا تتعدى الرجل والمرأة يكون حلها يسيراً، وأولى درجات الصلح بين الرجل والمرأة هو أن يقوم كل منهما بمسئوليته وليتذكر الاثنان قول الحق: ﴿وعسى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾(البقرة،216/2).[422]

والذي يلفت النظر: أن الله تعالى قال (بينهما) يعني ضروري أن تبقى المشكلة بينهما لا يدري بها أحد سواهما، سواء داخل البيت من أولادهما أو خارج البيت من أهلهما.

ويقول الله عزّوجل ﴿الصلح خير﴾ أي: الصلح الذي تسكن إليه النفوس ويزول به الخلاف﴿خير﴾ على الإطلاق أو خير من الفرقة أو من الخصومة أو من النشوز والإعراض، فعليهما أن يتصالحا صلحاً إما صلحاً معنوياً وروحياً: كأن يتجالسا ويتفاهما ويحلا القضية بينهما، وأن يتذاكرا بما عليهما من أمانة الأولاد والأسرة والمجتمع.

---

[420]البخاري، *الجامع الصحيح*،باب: أول ما بديء به الرسول ﷺ من الوحي، الرقم:(6982)، 29/9؛ مسلم، *صحيح مسلم*، باب: بدء الوحي، الرقم:(160)، 139/1.

[421]سيد قطب، *في ظلال القرآن*، 769/3.

[422]الشعراوي، *تفسير الشعراوي*، 2684/5.

أو صلحاً مادياً بأن رأت الزوجة؛ أن القضية تحتاج إلى التضحية بشيء مادي، فلها أن تتنازل عن بعض حقها وترضي زوجها وهذه فضيلة منها وتضحية محمودة، لسلامة الأسرة وحفظ هذا الكيان المبارك.[423]

ثانيا: الشقاق بين الزوجين ومنهج القرآن الكريم في علاجه

أ- تعريف الشقاق

لغة: الشقاق مصدر كالمشاقة، وهو مشتق من الشق- بكسر الشين، أي الناحية. لأن كل واحد يصير في ناحية، يقال: شاقَّه ومشاقَّة، "شق"فلان العصا أي فارق الجماعة. و "المشاقة"و "الشقاق"الخلاف والعداوة بين الاثنين، وسمي ذلك لأن كل واحد منهما غير شق صاحبه، أي ناحية غير شق صاحبه.[424]

واصطلاحاً: هو وقوع الخلاف والعداوة بين الزوجين على نحو يستدعي تدخل الآخرين للإصلاح بينهما.[425]

ب- صورة الشقاق

بعد كل الجهود والمحاولات السابقة التي تنبغي أن تكون داخل البيت وبين الزوجين حصراً، والمقصد منها: الإصلاح بين الزوجين، ورفع الخلاف بينهما وحفظ كيان الأسرة، ولا يعلم بها أحد ودون تدخل أحد مهما كان قريباً من الطرفين، إلا أن بعض المشاكل والخلافات الأسرية من الطرفين، ولا يستطيع أحد من الزوجين أن يعالج القضية لوحده، وعجزا في حلها تماماً، ولا سيما الأزواج الصغار والأسرة الجديدة ذات الخبرة الحياتية الزوجية القليلة، والكل منهما يدعي أنه على حق، في هذه الحالة حفاظاً على الأسرة وعدم تسرب المشكلة إلى انهيار الأسرة تماماً

---

[423] القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 404/5؛ القنوجي، *فتح البيان في مقاصد القرآن*، 255/3؛ علي بن عوإلى، ضمانات *حماية الأسرة بين الفقه وقانون الأسرة الجزائري*، ص338؛ زريفة، *عوامل استقرار الأسرة في الإسلام*، ص140.

[424] ابن منظور، *لسان العرب*، 183/10؛ الرازي، زين الدين أبوبكر بن عبدالقادر، *مختار الصحاح*، تح: يوسف مُحَمَّد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت – صيدا1999م، ص167.

[425] النووي، أبو زكريا محيي الدين بن شرف، *المجموع شرح المهذب*، دار الفكر د،ت، 452/16؛ الشربيني، *مغني المحتاج*، 425/4؛

وضياع الأولاد وفضح الأسرار فيجب شئنا أم أبينا تدخل الآخرين ووجود الطرف الثالث في حل القضية.[426]

وهنا يتبين الفرق بين النشوز والشقاق؛ أن المشكلة إذا كانت عند طرف وبقيت بين الزوجين حصراً، ولم يعرف الآخرين بها ولم يحتج إلى تدخل الآخرين فهي نشوز، وإلا فهي الشقاق.

ت- منهج القرآن الكريم في علاج الشقاق بين الزوجين

عند استحالة الحل بينهما وعجز كل الوسائل والطرق في علاج مشكلاتهما، للوصول إلى الشقاق، ولم يدر ممن الإساءة، وخيف الشقاق بينهما إلى حد يؤدي إلى ما حرم الله من المعصية والظلم، حينها من الضروري أن يلجأ إلى التدخل والتحكيم سداً للذريعة، فالله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم كما وضع حلولاً لباقي المشاكل الأخرى أيضا وضع حلاً لهذه القضية الأسرية وهي الشقاق وسوء التفاهم بين الزوجين، إن بعض البيوت تهدم وتفرق أبناء أسرتها لخلاف يسير يقع بين الزوجين وغالباً تكون تلك الأسر لم تجد ناصحاً أميناً، [427] يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾(النساء،35/4).

في هذه الآية المحكمة لقضية من القضايا الأسرية يأمر الله تعالى عند الإدراك بوجود أي شقاق ونزاع بين الزوجين باختيار حكمين لكي يتدخلا في هذه المشكلة بين الزوجين ويحسمان الأمر بما هو خير ومصلحة لهما ولأولادهما، والله تعالى يعدهما بتوفيقهما إن يريدا إصلاحا فعليهما إصلاح نيتهما، يقول الشعراوي(ت:1418هـ): "فكأن المهمة الأساسية هي الإصلاح وعلى الحكمين أن يدخلا بنية الإصلاح، فإن لم يوفق الله بينهما فكأن الحكمين قد دخلا بألا يصلحا".[428]

شروط الحكمين:

لكي يتحقق المقصد، وينجز وعد الله تعالى في حل المشكلة بين الزوجين، فللحكمين المختارين من خلال ما يستنبط من الآية عدة شروط هي:

1-أن يكونا من أهلي الزوجين إذا وجدا فهما أولى من الأجانب، ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾(النساء،35/4)، حفاظاً على أسرار الحياة الزوجية، ومنعاً من التشهير

---

[426] خياط، *توجيهات التربوية لأحكام النكاح في الإسلام*، ص305؛ زريفة، *عوامل استقرار الأسرة*، ص 140.

[427] وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، *الموسوعة الفقهية الكويتية*، 308/40؛ ماضي، *هدايات القرآن*، 66/3.

[428] الشعراوي، تفسير الشعراوي، 2204/4.

بالسمعة، ولأن الأقارب أعرف بحال الزوجين من الأجانب، وأشدّ حرصاً على الإصلاح، واليهم تسكن نفوس الزوجين.[429]

2-أن يكونا محايدين لأنهما أخذا صفة الحاكم، والحاكم ينبغي أن يكون محايدا في القضية، ولا يريدان إلا الإصلاح بينهما.

3-الإخلاص والإصلاح في نيتهما لقوله تعالى: ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾(النساء،35/4). وعلى الحكمين أن يتدخلا بنية الإصلاح، فإن لم يوفق الله بينهما فكأن الحكمين دخلا بأن لا يصلحا لأن توفيق الله تعالى مربوط بنيتهما، وصدق إرادة الإصلاح من أهم أسباب النجاح والتوفيق، ومن نوى الخير هيأ الله له أسبابه وفتح له أبوابه، وينال الانسان التوفيق بقدر ما في نيته، فصلاح النية أكبر معين لبلوغ المقاصد.[430]

مهمة الحكمين:

اجمع الفقهاء على أن المهمة الأولى والهدف الأساس لتحكيم الحكمين في الإصلاح بين الزوجين، هي إصلاح العلاقات الزوجية، التي أصابها النزاع والشقاق، وإرجاعها إلى حالة الوفاق والوئام، ولإنجاز هذه المهمة، على كل من الحكمين أن يتحدث مع من يمثله بصراحة وانفتاح، ليعرف واقع حالته، وما يشكو منه، وما يطلبه، ويتحاور معه في الموضوع للوصول إلى نتيجة للمعالجة، ثم يلتقي الحكمان ويتدارسان الأمر بصراحة ووضوح، ولا يخفي أحدهما على الآخر شيئاً مما له ارتباط بمعالجة الموضوع، ويتفقان على رأي واحد للحل، ورأيهما ملزم للطرفين.

أما إذا يئس الحكمان من الإصلاح والتقارب بين الزوجين، ورأى أن الحل اللاإرادي هو الطلاق والفراق، فهذا هو محل الخلاف بين الفقهاء في ثلاثة آراء:

الرأي الأول: للحكمين القرار النهائي في القضية؛ إما الصلح إذا استحسنا أو التفريق إذا اضطرا، ولايستئذنا الزوجين في ذلك، بل يفعلان ما فيه المصلحة من تطليق أو افتداء المرأة

---

[429] الرازي، *مفاتيح الغيب*، 74/10؛ ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 46/5؛ الزحيلي، *تفسير المنير*، 59/5؛ ماضي، *هدايات القرآن*، 66/2.

[430] الشعراوي، *تفسير الشعراوي*، 2204/4؛ ماضي، *هدايات القرآن*، 66/2.

بشيء من مالها، ولا يملكان أكثر من طلقة واحدة بائنة. وهذا هو رأي علي بن أبي طالبﷺ وابن عباسﷺ و الإمام مالك(ت:179هـ)، والشعبي(ت:100هـ). [431]

الرأي الثاني: ليس للحكمين – بعد يأسهما من الإصلاح– أن يفرقا إلا برضا الزوجين، فهما عندهم وكيلان للزوجين. وهذا هو رأي الشافعية والحنابلة.[432]

الرأي الثالث: اذا وصل الأمر إلى التفريق ترفع القضية إلى الحاكم، وهو الذي يطلّق طلاقا بائنا، بناء على تقريرهما، فليس للحكمين التفريق إلا أن يفوضا فيه. وهذا هو رأي الحنفية.[433]

الترجيح:

الرأي الحنفية والشافعية والحنابلة متقاربة، وهذا يعتبر مذهب الجمهور، وبما أن المسألة اجتهادية فالقياس يقتضي ترجيح الرّأي الثاني لأن الزوجين غير مجبرين على شيء من طلاق أو افتداء قبل التحكيم، فلا يجبرهما الحكم على شيء بعد التّحكيم، ويكون كلّ من إيقاع الرّجل الطّلاق، وبذل المال من الزوجة منوطاً برضاهما. فإن اختلف الحكمان لم ينفذ قولهما ولم يلزم شيء إلا ما اتّفقا عليه.[434]

9.1.3. الطلاق

الأصل في الحياة الأسرية الإدامة والاستمرار كما يريدها الإسلام مملوءة بالمحبة والمودة والتفاهم والسعادة فيما بين الزوجين، وأن يكون الزوجان شريكان صالحان مؤثران في بناء الأسرة وإصلاح أفرادها وتعزيز المجتمع، ولكن إذا تعذرت الحياة الأسرية، وصارت الألفة والعشرة بين الزوجين مستحيلة بعدما استنفذت جميع الوسائل والطرق التي مضت لإصلاح ما بينهما، وفساد حال الأسرة بحيث يكون بقاء هذا الميثاق هكذا مفسدة وفتنة أكبر، وفيه تحولت الأسرة من الحلاوة إلى العداوة ومن الجسد الحي النشط إلى الجسد الميت، إن لم يدفن ظهرت نتانته وفاحت عفونته، ففي هذا الحال يلجأ إلى الطلاق كحل للمشكلة وليس كمشكلة، ويستعمل كدفع الأفسد بالفاسد وارتكاب أخف الضررين ودواء لداء عضال، وأصله في القرآن الكريم قوله تعالى:

---

[431] الدسوقي، *حاشية الدسوقي على شرح الكبير*، 2 / 345 – 346؛ الزحيلي، *التفسير المنير*، 60/5.

[432] الشربيني، *مغني المحتاج*، 3 / 261 – 262؛ الرملي، *نهاية المحتاج*، 6 / 385، / البهوتي، *كشاف القناع*، 131/12.

[433] الجصاص، *احكام القرآن*، 92/2.

[434] الزحيلي، *التفسير المنير*، 60/5.

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ (البقرة،229/2) وقوله تعالى في السورة التي باسمه: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾(الطلاق،1/65)، هذا إذا استخدم بنفس الروح الشرعية ومقصده الأصلي، ولم يتلاعب به، أما إذا عومل معه معاملة غير صحية وسليمة وأصبح لعبة بأيدي بعض الهزليين والحمقى، صار هذا الدواء داء يفسد الجسد والروح، وأصبحت مشكلة كبيرة للأسرة وللمجتمع أيضاً.

وفي هذا المطلب نلقي الضوء على بعض أهم ما يتعلق بمسألة الطلاق:

أولا: تعريف الطلاق

لغة: كلمة مكونة من الحروف الثلاثة –ط، ل، ق– يقول ابن فارس(ت:395هـ): (الطاء واللام والقاف أصل صحيح مطرد واحد، وهو يدل على التخلية والإرسال، يقال: انطلق الرجل ينطلق انطلاقا، والطلق: الشيء الحلال، كأنه قد خلي عنه فلم يحظر.[435]

واصطلاحاً: رفع القيد الثابت بالنكاح وإزالة ملكية النكاح.[436]

ثانيا: حكم الطلاق

الطلاق جائز شرعاً حسب ما ورد في القرآن والسنة بصفة الدوام، رفعاً للحرج ومراعاة للواقع، ولكن قد تعتريه الأحكام الخمسة حيث يكون واجباً أو مندوباً أو مباحاً أو حراما أو مكروهاً، وذلك حسب ظروف الزوجين والنظر إلى حالتهما، وبيان ذلك فيما يلي:

1–يكون الطلاق واجباً: إذا علم الزوج أن بقاء هذه الزوجة عنده يوقعه في محرم ما، أو طلاق الحكمين أو القاضي إذا رأوا أن الطلاق هو الحل الأخير لحسم النزاع بين الزوجين، وأنه هو الوسيلة الوحيدة لخمود النار المشتعلة بينهما.

2–ويكون مندوباً: إذا كانت الزوجة مفرطة في حقوق الله تعالى التي عليها ككونها غير مؤدية للصلاة أو كونها بذيئة اللسان أو غير عفيفة.

3–وبكون مباحاً: وهو عند الحاجة إليه لسوء خلق المرأة، وسوء عشرتها، والتضرر بها من غير حصول الغرض بها.

---

[435] ابن فارس، *معجم مقاييس اللغة*، 420/3.

[436] الزحيلي، *الفقه الإسلامي وأدلته*، 3152/4؛ الجرجاني، *التعريفات*، ص141.

4-ويكون حراماً: إذا كان لغير الحاجة، فطلقها عن الهوى، وبهذا الطلاق أضر بنفسه وبها وبأولاده، وتسبب في نقض الميثاق ويخاف على نفسه من الوقوع في الحرام، وكما يحرم طلاقها في حالة الحيض والنفاس التي تؤدي إلى تطويل العدة عليها. [437]

5-ويكون مكروهاً على الزوج إذا لم يكن في حاجة إليه وهذا هو المقصد من الحديث الشريف: "أبغض الحلال إلى الله عزوجل الطلاق".[438]

ثالثا: حكمة الطلاق

ومن إحدى محاسن الشريعة الإسلامية ودلائل واقعيتها تشريع الطلاق مراعاة لمصالح الناس في مختلف أحوالهم وظروفهم، حيث إن الشريعة الإسلامية مع حثها على الترغيب في مشروع الزواج، وحرصها على استمرار الرابطة الزوجية على أساس الرحمة والسكينة والمودة، إلا أنها لم تغفل عن واقع الحياة وطبيعة النفوس البشرية المتغيرة التي تتولد منها ما ينفر به أحد الزوجين من صاحبه ويستعصي معه إصلاح الأمر بينهما، ومن ثم يصير الفراق بالطلاق حلاً مناسباً لهذه العلاقة التي فقدت مهمتها وانتهت صلاحيتها.

وهذا العلاج المرُّ المذاق يلجأ إليه اضطرارياً بعد مدة من عدم الاستقرار النفسي أو العاطفي، ومن العيش في أجواء المشكلات.

وقد يؤدي الطلاق إلى حصول الاستقرار والسكن الروحي والجسدي لدى الزوجين المفارقين؛ بعد أن فقدت وانعدمت إمكانية الاستمرار والصلح بينهما، وذلك من خلال بَدء كلٍّ منهما حياة جديدة.[439]

رابعا: السلطة على الطلاق

حسب الآيات القرآنية في موضوع الطلاق أنه بيد الرجال، لأن القرآن الكريم يخاطب الرجال في موضوع الطلاق حيث يقول الله عزّوجل: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ

---

[437] ابن قدامة، *المغني*، 277/7؛ علي بن عوإلى، *ضمانات حماية الأسرة بين الفقه وقانون الأسرة الجزائري*، ص358؛ صقر، عطية، *موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام*، 6/ 267.

[438] أبو داود، *سنن أبي داود*، باب: في طلاق السنة، الرقم:(2178)، 505/3، ورجاله ثقات.

[439] علي بن عوإلى، *ضمانات حماية الأسرة بين الفقه وقانون الأسرة الجزائري*، ص 360؛ القرشي، باقر شريف، *نظام الأسرة في الإسلام*، ص124؛ صقر، عطية، *موسوعة الأسرة*، 6/ 257.

لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾(الطلاق،1/65)، ومن أهم الأسباب في ذلك أن الرجال بيدهم القوامة، وأنهم يدفعون المهر وحق الحضانة والنفقة وغير ذلك من التكاليف المالية.

ومن الناحية النفسية أن المرأة شديدة الاضطراب وكثيرة الانفعال والاندفاع، وليس هناك ما يحملها على التروي والأناة حيث لا تغرم شيئا.

ولكن مع ذلك فإن الشريعة الإسلامية لم تهمل الزوجة في هذا المجال، ولم يقرر بأن المرأة تكون تحت رحمة الرجال في جميع الظروف والأحوال إمساكاً وتسريحاً.

والمرأة لها حق أيضا في طلب الطلاق والتفريق عن طريق القضاء في حالة تعرضها للضرر أو الشقاق، وفتح الله تعالى أمام المرأة أبواباً للتخلص من الحياة الزوجية التي لا تطيقها، فإعطاء هذا الحق للرجل لا يعني انسداد سبل الخلاص للمرأة إن أرادت الطلاق ومانع زوجها.

وكذلك يجوز للمرأة أن تشترط لنفسها حق الطلاق، فإذا رضي الزوج بهذا الشرط وانعقد بهذا الشرط صار لها الحق في طلب التطليق بنفسها وبإرادتها.[440]

خامسا: أسباب كثرة الطلاق

لقد تنوعت وتعددت أسباب الطلاق ولاسيما في هذا العصر الغامض والمعقد، وهناك عدة أسباب من شتى المجالات احتوت الأسرة وهاجمها كفريسة لا مفر منها، ومن أهم الأسباب التي تتسرب إلى ألم الطلاق وكثرته تكون في المجالات التاليه:

الأسباب الذاتية والنفسية المتعلقة بالزوج أو الزوجة أو كليهما

1- الاختلاف في المستوى التعليمي والثقافي بين الزوجين.

2- الاختلاف في الطبائع بين الزوجين.

3- عقر الزوجة وعقم الزوج.

4- عدم القدرة على إشباع الرغبات الجنسية وعدم تلبية الطلبات المسموحة في الممارسة الجنسية.

5- عدم الاهتمام بالنظافة والأناقة والنظام وترتيب البيت.

---

[440] زريفة، *عوامل استقرار الأسرة في الإسلام*، ص146؛ أبو عبدة، شيرين زهير، *معالم الأسرة المسلمة في القرآن الكريم*، ص104؛ حسين، أحمد فراج، *أحكام الأسرة في الإسلام*، دار الجامعية، 1998م، ص29.

6- ترك الحوار والتفاهم في حل المشكلات، وحل محله التشدد والعناد.

7- غياب الزوج لفترات طويلة عن البيت لأسباب غير مبررة، أو ما اعتاد الزوج في العودة إلى البيت بآخر الليل وأحياناً يعود سكراناً.

8- مرض أحد الزوجين بمرض مزمن أو نفسي أو مرض معدي، أو إعاقة مستديمة، مما يعني عدم تحمل الطرف الآخر لطلبات الطرف المريض فيتعجل في طلب الطلاق والانفصال.

9- الرغبة في تعدد الزوجات مع عدم العدل والقدرة في ذلك- وفي المبحث الأخير سنفصل فيه إن شاء الله-.

10- الفارق في العمر بين الزوجين.

الأسباب الأخلاقية:

1-ضعف الوازع الديني، والسفور والاختلاط والسكر والإدمان بالمخدرات.

2-الإخلال بالشروط المتفق عليها بين الزوجين في بداية عقد القرآن.

3-الخيانة الزوجية، علما أن الخيانة الزوجية لا تكون من جانب الزوجة دائماً، بل تكون من جانب الزوج أيضاً- وفي المبحث الأخير سنفصل فيه إن شاء الله-.

الأسباب الاجتماعية والخارجية

1-الاختلاف في المستوى الاجتماعى بين الزوجين كالمنصب والجاه والنسب والحسب.

2-تدخلات الأقارب من جهة الزوج أو الزوجة في شؤون الخاصة بالزوجين، أو تدخل صديقات الزوجة في شؤونهما أو أصدقاء الزوج وحثها على التعدد وما شابه ذلك.

3-السحر والحقد وما شابههما، ولنا في ذلك أوضح مثال في كتاب الله عزوجل؛ حيث يقوم السحرة بالتفرقة بين المتحابين حقداً وحسداً؛ قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة،102/2).

4-ارتباط الزوج أو الزوجة بأسرتيهما، من حيث السكن، أو القرارات التي تخص حياتهما.

5-التقارب والزيارات العائلية والاختلاط غير الشرعي التي تتسرب إلى الخيانة.

الأسباب الاقتصادية

1-البطالة وفقر الرجل، وهو يلعب دورا كبيرا في انحلال الأسرة، حينما يعجز الفقر الرجل عن مواجهة مطالب الزوجة والأولاد.

2-البخل والشح من قبل الزوج، أو الإسراف والتبذير من قبل الزوجة.

3-التغير المفاجئ في المستوى الاقتصادي للزوج، والنزول إلى أسفل السلم الاجتماعي، وعدم قدرة الزوج على تلبية متطلبات الأسرة.

الأسباب الحضارية والمستجدات المعاصرة

1-من العوامل الحضارية لكثرة الطلاق كثرة تبعات الزواج الحديث، وكثرة طلبات المرأة للزوج وهذا حمل ثقيل على الرجل.

3. شيوع الإفلام والمواقع الإلكترونية والكتب والصحف التي تنشر الأفكار المحرمة، وتغرى بتحطيم التقاليد والآداب العالية الاجتماعية.

4. سلبيات التكنولوجيا المعاصرة والإدمان بها واستخدامها السيء، مما أدت إلى إدخال الفساد إلى البيوت والأسر، وتسببت في البرودة بين الزوجين، وسوء ظن أحدهما بالآخر وأدت إلى المبالغة في المراقبة أو التجسس.

5. محاولة الأزواج والزوجات تقليد ما يوجد في المسلسلات والأفلام، لاسيما المدبلجة منها، من صور خيالية ومثالية عن طبيعة الحياة والعلاقات الزوجية.[441]

سادسا: الآثار المترتبة على الطلاق

المشكلات المترتبة على ظاهرة الطلاق لها آثارها السلبية المتعددة والمتشعبة نفسياً واجتماعياً، ولا تقتصر هذه الآثار على المطلق أو المطلقة فحسب، بل تمتد لأبنائهما أيضا.

---

[441] أبو عليان، بسام محمّد، *الحياة الأسرية*، ص170؛ القرشي، باقر شريف، *نظام الأسرة في الإسلام*، ص116؛ إدريس، صالح علي، *منهج القرآن في تربية الأسرة المسلمة*، رسالة ماجستير –جامعة السودان للعلوم والتكنلوجيا –كلية الدراسات العليا2015م، ص236.

1- : الآثار النفسية على المطلق والمطلقة

أ- الآثار النفسية على المطلقة:

- ويؤدي في كثير من الأحيان إلى ضغوط نفسية عليها، مثل: الشعور بالندم، والإحباط ونقص الإحساس بقيمة الذات.
- مرارة الفشل في الحياة الزوجية، وفقدانها لهويتها لتكون زوجة.
- فقدان الأمان النفسي، وعدم احترامها في كثير من المجتمعات.
- الشعور بعدم إتاحة الفرصة لها بالزواج مرة أخرى.
- التسرب العلمي والتدني في مستوى التحصيل الدراسي.

ب- الآثار النفسية التي تصيب المطلق:

- إصابته بالسلبية تجاه النساء بشكل عام، فيعتريه الخوف بأنه سوف يُرفض من قِبل النساء الأخريات بعد الطلاق.
- يُصاب باهتزاز الثقة في نفسه في إنجاح الحياة الزوجية مرة أخرى، وعدم الثقة بالمرأة لتكون زوجة.
- يؤثر في مستواه العلمي والتحصيل الدراسي.

2- الآثار الاجتماعية الناتجة عن الطلاق

تترتب على الطلاق بعض الآثار الاجتماعية على المرأة، مثل:

أ- النظرة السلبية للمطلقات من أفراد المجتمع.

ب- عدم الإقدام على الزواج من المطلقة، حتى ولو كانت صغيرة في السن، ويُنظر لها كأنها ارتكبت جريمة.

ت- الشكوك لدى بعض أفراد المجتمع بأن المطلقة تكون معرضة أكثر للانحرافات السلوكية من غيرها، مما يجعلها أكثر تعرضًا للمراقبة الشديدة المستفزة المؤذية في بعض الأحيان.

ث- يُشْعِر المجتمع المطلقة بأنها صاحبة سابقة، وينظر إليها بعدم الاحترام والتقدير، وكأنها هي السبب الأساسي في الطلاق.

ج- النفور من المطلقة، وهذا نتيجة توجه اجتماعي محسوس، فالمتزوجات المستمرات في الزواج سواء كنّ صديقات، أو قريبات، أو زميلات، وغيرهن، ينفرن من المطلقة وذلك لشعورهن بأنها مسببة لمشكلات يمكن أن تنتقل إليهن، وهذا اعتقاد خاطئ ولكنه سائد بين أوساط النساء، والمطلقة تكون معرّضة للّوم والتجريح، من أفراد المجتمع على طلاقها.

ح- عدم القدرة على مواجهة المواقف الاجتماعية، وحل المشكلات الاجتماعية الحياتية.

خ- العزلة والانطواء الاجتماعي، والانسحاب من المواقف الاجتماعية.

د- عدم القدرة على أداء الأدوار الاجتماعية المطلوبة بشكل سليم.

ذ- التعرض للانحراف والتشرد.

أما الآثار التي تقع على الرجل، فهي أقل نوعًا من التي تقع على المرأة فهو مشترك مع المرأة في الآثار الاجتماعية لكن بنسبة أقل منها: فبعض الأسر ينظرون إلى المطلق على أنه إنسان لديه مشاكل، فيتخوفون من زواجه، فكلمة مطلق تضع عليه وصمة، مما يؤدي إلى التعامل معه بحذر.

كلا المطلقين يواجهان مشاكل كثيرة مع الأطفال بعد الطلاق، ويعانيان من اضطرابات نفسية، واجتماعية، وقد يتغير تعاملهما مع الآخرين.

3- الآثار المترتبة على الطلاق بالنسبة للأطفال

أ- يصاب الأبناء بتشتت بين الأب والأم نتيجة الطلاق بين والديهم.

ب- يصابون بسوء التكيف النفسي والاجتماعي.

ت- الفشل دراسيًا واجتماعيًا في كثير من الأحيان.

ث- يفتقد بعض الأبناء لأساليب التربية والتنشئة السليمة داخل هذه الأسرة المفككة، ما يجعلهم عرضة لارتكاب الجرائم.

ج- يصابون بضعف البناء النفسي والذاتي، ويتصفون بالحدة والعنف.

ح- يعيشون فراغًا عاطفيًا ولا يشعرون بالأمن مع الآخرين، كما يؤدي عامل غياب الأب إلى فقدان النموذج والقدرة في الاحتذاء به.

خ- يؤثّر الطلاق سلبًا على حياة الأبناء، فيتّسمون باضطرابات في النمو الانفعالي والعقلي، كما أنهم يتعرضون إلى حالة من الكبت والضغوط التي تؤثّر على علاقاتهم الاجتماعية، جراء تفكك أسرتهم.

د- يُصاب الأطفال بالصراع الداخلي نتيجة انهيار الأسرة.

ذ- التعرض للانحراف والتشرد، ويحرمون من حنان وعطف الوالدين، وقد أثبتت الإحصائيات التي أجريت في مختلف بلاد العالم: أن معظم المنحرفين ينحدرون من بيوت هدمها الطلاق، وسكنتها زوجة للأب أو زوج للأم.[442]

ر- ينتاب أبناء المطلقين شعورًا بالنقص، والبؤس، والإحباط، والحقد نحو الآخرين.

ز- تظهر على الأبناء علامات اللامبالاة، والفتور، وفقدان القدرة على الاستيعاب، وإعلان التمرد والعصيان، وهذا كله تسببه الصدمة النفسية لانفصال الوالدين.

س- يشعر الأبناء دائمًا بالخوف، وفقدان الثقة بالطرف الذي يعيشون معه، ويستمر الحال هكذا حتى بعد زواجهم مستقبلًا، فيؤثّر على حياتهم الزوجية.[443]

سابعا: تقليل نسبة الطلاق

ممارسة الطلاق بشكل عشوائي هو نهاية عمر الأسرة وأجلها، وبداية خراب الأسرة وفشلها، وهو داء مُرٌّ ومرض عضال إذا لم يعالج، وعلاجه أو تقليل نسبة انتشاره ليس أمراً مستحيلاً، لكن يحتاج إلى الصبر والتأني والتفكير وعدم الاستعجال.

يمكن علاج هذا المرض أو تقليله من قبل الزوجين أو أطرافهما أو على مستوى أوسع من الخبراء والوعاظ والسلطة والإعلام بالتوعية التامة بما عليهما ولهما من حياة الزوجية، والتأني والمسامحة، ومن أهم هذه الطرق والعلاج لمشكلة الطلاق وتقليل نسبته وفشل الأسرة ما يأتي:

1. التأني في الخطبة، وعدم الاستعجال في الاختيار، ولا يفكر إلا بحسن الاختيار والإخلاص فيه، ومن الضروري جداً لنجاح الأسرة بكل محتواها اختيار زوجين ذوي دين وخُلق، كما ذكرنا معايير الاختيار في الفصل السابق.

2. لا بد من التوافق الثقافي والفكري إلى حد كبير بين الزوجين (عادات – قيم– تقاليد – بيئة اجتماعية – بيئة طبيعية) وعدم الاستعجال والخوف من العنوسة.

3. التوعية الجاده المدروسة الغنية ببيان الاثار المترتبة على الطلاق.

---

[442] القرشي، باقر شريف، *نظام الأسرة في الإسلام*، ص122.

[443] أبو عليان، بسام محمّد، *الحياة الأسرية*، ص173؛ القرشي، باقر شريف، *نظام الأسرة في الإسلام*، ص122؛ الشاعر، السيد منصور، (2021) *اهم أسباب الطلاق والآثار المترتبة على المطلقين والأطفال*، تم استرجاعه في 2023/7/7 على هذا الرابط https//mashroo3na.com.

4. التوعية كذلك ببيان الأسس الصحيحة لبناء عش الزوجية وبيان واجبات الزوجية وحقوقها.

5. صبر الزوجين على بعضهما والتغافل عن الزلات وغرس جذور الثقة فيما بينهما.

6. الحذر من رُفقاء السوء والحاقدين والحاسدين لحياتهما ولا يثق بكل أحد، ولا يكشف أسرارهما لكل أحد.

7. ينبغي على الزوجين أن لا يغلّبا لغة العنف والقسوة بينهما، والالتزام بالهدوء وضبط النفس، فلا بد من حل المشكلات بالحوار، والتنازل عن بعض الحقوق.

8. أن لا يسمح كل من الزوجين بتدخل أحد في حياتهما سواء من قبل الأهل، أو الأصدقاء، أو الأقرباء.

9. أن يتبادل كل منهما كلمات الحب والتودد والحنان، لأن الإنسان يحتاج إلى إشباع غريزة العاطفة، وهذه العبارات قد تشبع الجانب العاطفي.[444]

10. على الوعاظ والخبراء أن يقوموا بما عليهم من التوعية الاجتماعية وإرشاد الأزواج وأهليهم بما هو خير لهم في حياتهم الزوجية ومستقبلهم.

11. لا شك أن الإعلام له دور مؤثر على كافة المستويات الاجتماعية سلباً وإيجاباً، فعليه أن يكون إيجابياً في كل ما ينشر، ويقدم ما هو خير وأصلح للمجتمع والأسرة.

12. على السلطة أن تعاون الوعاظ والمخلصين في هذه المسألة وتدعمهم مادياً ومعنوياً، وأن تراقب الإعلام وتمنعهم من نشر الرذائل وما يفسد الفرد والأسرة والمجتمع، وضروري جداً أن تفتح دورات تثقيفية وتوعية للمتزوجين الجدد.

---

[444] إدريس، صالح علي، *منهج القرآن في تربية الأسرة المسلمة*، ص236؛ الشاعر، السيد منصور، (2021) *اهم أسباب الطلاق والآثار المترتبة على المطلقين والأطفال*، تم استرجاعه في 2023/7/9 على هذا الرابط https//mashroo3na.com؛ أبو الخير، غبدالإله جاورا، (2019)، *كثرة الطلاق في المجتمع أسباب وحلول، تم استرجاعه في 2023/7/9، على هذا الرابط* https//www.alukah.net/social

2.3. مشكلات بين الوالدين والأبناء

ومن إحدى أنواع المشكلات التي تتعرض للأسرة وتفككها، هي التي تحدث بين أصول الأسرة وفروعها، وهذا الداء الذي يصيب الوالدين ولاسيما الأب والأبناء يتسبب في التباعد والتحاقد وفناء المودة والأنسة بين الوالدين وفلذة أكبادهما، ومن أخطر هذه المشاكل الفراغ العاطفي الذي يتسبب إلى قسوة القلب وزرع الحقد في قلوب الأولاد لوالديهم، ثم يتسرب إلى التباعد ما بينهما فكرياً وجسدياً ومنه إلى ترك الوالدين نهائيا ونسيانهما وإيداعهما في دار العجزة، وسنلقي الضوء على هذه المشكلات الثلاثة بين الوالدين والأبناء في ثلاثة مطالب.

1.2.3. الفراغ العاطفي

الفراغ العاطفي يعد أحد المشاكل التي يتعرض إليها الأولاد من قبل الوالدين ولاسيما الوالد بشكل خاص، ويقصد بالفراغ العاطفي: هو نقص الحب والمشاعر والأحاسيس لدى شخص معين، والتي ترجع بالأصل إلى التربية، أو بمعنى آخر الحرمان العاطفي للأبناء، وعدم اهتمام الآباء والأمهات بأبنائهم، وعدم منح الحب والحنان والأمان والاهتمام الكافي لأبنائهم، وبالتالي ينشأ الأبناء على الوحدة، ونقص مشاعر الحب لديهم، والذي ينبغي أن نذكر أنفسنا ونقف عليه في هذا الموضوع هو ما وقع بين سيدنا يعقوب عليه السلام مع أبنائه، فما حصل بينهم نتيجة ميل سيدنا يعقوب ليوسف عليهما السلام وأخيه في الحب والحنان أكثر من بقية أبنائه، فهذا تسبب بإيجاد فراغ عاطفي لديهم، وهذا الفراغ تسبب بما حصل، وخلقوا هذه المشكلة وقالوا: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إلى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(يوسف،8/12)، لهذا نعرض لكم بعض النقاط الهامة التي يجب معرفتها بخصوص هذه المشكلة، والتي تتمثل فيما يلي:

أولا: أسباب الفراغ العاطفي

يوجد العديد من الأسباب المؤدية إلى شعور الأبناء بالفراغ العاطفي، والحرمان من جميع مشاعر الحب والحنان، نذكر من أهمها فيما يلي:

أ- تجاهل الآباء والأمهات للأبناء

من أهم أسباب الفراغ العاطفي أن ينشأ الأبناء في جو أسري مفكك خالي من العاطفة والحب، بمعنى عدم اهتمام الآباء والأمهات بأبنائهم، وانشغالهم عنهم طول الوقت، وعدم الجلوس معهم، وعدم السماع لمشاكلهم ومحاولة حلها، وعدم مشاركة الآباء والأمهات فيما

يخص الأبناء، وعدم منح الآباء والأمهات الحنان، والحب، والاهتمام الكافي الذي يجب الحصول عليه، وخاصة في مرحلة الطفولة، وفي فترة المراهقة، كما يحدث الفراغ العاطفي للأبناء نتيجة كثرة المشاكل والصراعات بين الأب والأم.

ب- عدم معرفة الآباء والأمهات ما يفعله أولادهم

قد يتسبب انشغال الآباء والأمهات عن أولادهم إلى انشغال الأبناء بوسائل أخرى، مثل الخروج من المنزل في أي وقت، الجلوس على الإنترنت، واستعمال الهواتف الذكية للألعاب وأحيانا فتح المواقع غير المسموحة للأطفال لفترات طويلة، وغيرها من الوسائل التي يلجأ إليها الأبناء لتعويض إحساس الفراغ الذي بداخلهم، وقد تتسبب تلك الوسائل في حدوث مشاكل كبيرة لهم، وذلك لعدم وجود رقيب عليهم يحكم تصرفاتهم، ويقدم لهم النصيحة.

ت- إهدار حق الفتاة بين إخوتها

ما زال يوجد في كثير من البيوت مشكلة ضياع حق الفتاة، وأنها ليست لها أي قيمة في البيت، وأن الولد هو كل شيء، حيث ينتج عن ذلك نشأة الفتاة في ظلم، وفراغ عاطفي، مما قد يجعلها تنظر إلى الخارج لتعويض شعورها بالحرمان العاطفي، وقد يعرضها ذلك للعديد من المشاكل والانحرافات وإيجاد العلاقات غير الشرعية خارج البيت.

ث- غياب الوالدين في مرحلة المراهقة

تعد تلك المرحلة من أكثر مراحل الحياة خطورة للأبناء، وذلك بسبب تحولهم من مرحلة بسيطة إلى مرحلة حساسة جداً، يصبح فيها العقل مشتتاً، غير ناضج، يريد معرفة الكثير من الأمور بالحياة، كما تكون تصرفاتهم غير صحيحة، لهذا فإن ابتعاد الأب والأم عن الأبناء في تلك المرحلة، يسبب لهم مشاكل كبيرة قد تؤدي إلى ضياعهم. [445]

ثانيا: كيف تتغلب على الفراغ العاطفي

نعرض مجموعة من النصائح التي يجب اتباعها جيداً، لحماية أبنائنا، والحفاظ عليهم، وعلى تماسك الأسرة وبقائها على صورتها الرصينة الجميلة التي بها بقاء سلامة المجتمع،

---

[445] القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، *الهدي النبوي في تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة*، مطبعة سفير، الرياض، د،ت، ص159؛ الشحود، علي بن نايف، *الوجيز في حقوق الإولاد في الإسلام*، بهانج، دار المعمور، ماليزيا2009م، ص44؛ الضمور، ربا راكان، *المنهج القرآني في حماية الأسرة*، 165.

فنذكر أهمها فيما يلي:

أ- زرع حب الله والأصول الدينية في قلوبهم

بمعنى تعليم الأبناء ما قاله الله عزوجل، وتعليمهم الصلاة منذ الصغر، وإبعادهم عن كل ما لا يليق بشخصية المسلم، وتعويدهم على الآداب الرفيعة التي تحفظ أبناءنا وتسلمهم في الحياة، فإن القرب من الله يحميهم، ويبعد عنهم كل ضرر امتثالا لأمر الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾(التحريم،6/66).

ب- منح الوالدين الحب والحنان والاهتمام للأبناء

من أهم وسائل علاج مشكلة الفراغ العاطفي، احتضان الأبناء، ومعرفة أسرارهم، والحديث معهم لأوقات كبيرة، وعدم الانشغال عنهم، وتقديم النصيحة لهم، وحل مشاكلهم، والقرب منهم، حتى لا يبحثون عن بديل لكل هذه الأمور خارج البيت ويتعرضون لمشاكل كبيرة.

كشفت الدراسات النفسية الأخيرة: أن احتضان الوالدين لأبنائهم واللمس على أكتافهم يزيد من ذكائهم ونموهم الطبيعي؛ إذ إنه يساعد على إفراز مادة الإندورفين في الجسم والذي هو موصل عصبي ويساعد على تخفيف العصبية والقلق النفسي والإحساس بالألم. ولكن للأسف، فإن الاحتضان في مجتمعنا يكون فقط عند السفر أو في الأعياد والمناسبات الرسمية، فبعض الأهل يعتقدون أنه من العيب احتضان أطفالهم، وهذا خطأ يقعون فيه ولا يعلمون أنه علاج لكثير من المشاكل.[446]

فلهذا لا يجوز للأم أن تترك طفلها للخادمات والمربيات؛ وذلك لأن الأم مع رضاعة وليدها بالحليب ترضعه العطف والحنان، الذي لا يملكه غيرها، ومن هنا كانت حكمة الله سبحانه وتعالى في إرجاع موسى إلى أمه كي تقرَّ عينها ولا تحزن قال الله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إلى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(القصص،13/28).

وليحرص الآباء والأمهات على أن يكونوا قدوة حسنة لأولادهم، وأن يتجنبوا أمامهم ما يفسدهم أخلاقياً وسلوكياً، فمثلا بعض الآباء عندهم نوع من الانحراف والخمول عندما يشربون السجائر، نرى أبناءهم يعمدون إلى أخذ أقلام أو أعواد صغيرة ويجعلونها في أفواههم، وكأنَّهم

---

[446] خلف، رولا، (2015)، *احتضان الوالدين لأبنائهما علاج عاطفي فعال*، تم استرجاعه في 2023/7/10م، على هذا الرابط https//alghad.com/Section،208، جانان، ابراهيم، ***التربية في السنة النبوية***، كتاب باللغة التركية المترجمة الى العربية، الناشر: مكتبة GAYE، أنقرة 1980، ص148.

يشربون الدخان! كل ذلك لأنهم شاهدوا آباءهم، فأرادوا تقليدهم!! فيجب على الأب أن يحافظ على السلوك، والأخلاق الحميدة، ويكون رفيقاً، رحيماً، قدوة لأولاده في كل خير.

ت- الحرص على المشاورة بهم وأخذ رأيهم

بمعنى أنه يجب على كل أب وأم أن يستشير أبنائهم في أمور تهم حياتهم الأسرية، ويأخذ رأيهم اعتباراً لذاتهم، فلو لاحظنا القرآن الكريم هو يعلمنا هذا الأسلوب الراقي والتعامل الصحيح مع أولادنا، يعلمنا كيف نتعامل مع مشاعرهم؟ وكيف نأخذ رأيهم وإن كنا لا نطيعهم في رأيهم لكن تعظيماً لهم وإحساساً بوجودهم، حين يقص الله تبارك وتعالى قصة إبراهيم عليه السلام مع ابنه الذبيح، مع أن ابراهيم عليه السلام مأمور به عندالله تعالى بتنفيذ ما أمر به ولا داعي لأخذ الرأي لكن يأخذ رأي ابنه واستشار به كي يحس بعطفه أبيه وحنانه ومكانته لدى والده حيث يقول الله تعالى حاكيا عنه: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾(الصافات،102/37).[447]

ث- متابعة مواعيد دخول وخروج الأبناء من البيت، ومعرفة أصدقائهم

كذلك من الأمور الهامة التي لا يجب الإغفال عنها، تحديد مواعيد معينة للخروج من المنزل، وفي نفس الوقت لا نتسبب بمضايقتهم، فيجب مراقبتهم بشكل جيد، ومعرفة أصدقائهم، لو أن الله تعالى أرشدنا إلى تعليم أولادنا آداب الدخول على والديهم والاستئذان منهم وتربيتهم داخل البيت، فخارج البيت مراقبتهم وتربيتهم أولى حيث يقول الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(النور،58/24)، وفي آيات أخرى بين الله تعالى خطورة أصدقاء السوء في الدنيا والآخرة، فاتخاذ صديق السوء يسحبك إلى السوء ومشاكل الدنيا وهمومها، ويوقعك فيما تندم عليه في الدنيا والاخرة، إذ يقول الله عزّوجل: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف،67/43)، وقوله تعالى: ﴿يَاوَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (28) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾(الفرقان،25/ 28- 29). فكل هذه الآداب والأمور المتعلقة بحياة الأبناء على عاتق الوالدين تجاه أبنائهم، وعليهم أن يعلمهم حسن الأخلاق والآداب.

---

[447] ماضي، محمد السيد، *موسوعة هدايات القرآن*، 657،658/7.

ج- غرس الثقة بهم، وتحملهم المسؤولية

يجب غرس الثقة والأمان والصدق في قلوب الأبناء، وإعطاء فرصة لتحمل المسؤولية منذ الصغر.

تؤكد الدراسات النفسية بأن الإنسان يتم بناء شخصيته بنسبة 80% خلال السنوات السبع الأولى، ومما اتفق عليه النفسيون أن الإنسان ينطبع بالصفات التي تلصق به، فإذا نودي بالعنيد أثبت ذلك بالعناد، وإذا نودي بالغبي تخلف، وإذا نودي بالمشاغب، استشاط ليثبت جدارته بهذا اللقب البطولي.[448]

وكذلك هنا أيضا بإمكاننا ان نستدل بقصة إبراهيم مع ابنه الذبيح حيث قال الله تعالى: : ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾(الصافات،102/37).

كأن استشارته لابنه هي زرع الثقة في نفسه واعتبره رجلاً كاملاً ذو مكانة وصاحب رأي في المسألة.

ح- النقاش مع الأبناء، وتقديم النصيحة لهم

يجب معرفة ما يفكرون به، بمعنى يجب الإنصات لهم، ومعرفة ما بداخلهم، وتصحيح معلوماتهم بأسلوب هادئ، ومحاولة تقديم النصيحة بشكل بسيط، ويحذر من أن يصل الأبناء إلى مرحلة الخوف من الآباء والأمهات، أو الكذب، لأن كل هذه الأمور قد تتسبب في وجود فجوة بين الأبناء والآباء والأمهات.[449]

كما هو واضح في قصة لقمان وابنه وهو يعظه ويعطيه عدة نصائح قيمة بأسلوب في غاية الأعجوبة والغرابة وقمة الأدب والتعليم يقول الله عزّوجل حكاية عنه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ.... إلى نهاية الوصايا﴾(لقمان،31/ 16-19).

وإذا عومل الأولاد من قبل آبائهم وأمهاتهم على هذا النهج فلا يحسون بالفراغ العاطفي أبدا ولا ينحرفون ولا يتشردون في الحياة.

---

[448] الحليبي، خالد بن سعود بن عبد العزيز، *مهارات التواصل مع الأولاد*، مركز الملك عبد الله للحوار الوطني، 1431هـ، ص37.

[449] سالم، أمل، (2017)، *سبب الفراغ العاطفي وكيف تتغلب عليه*، تم استرجاعه في 2023/7/10م، على هذا الرابط vacuum،health/emotional،https//www.mosoah.com/health/mental/؛ القحطاني، *الهدي النبوي في تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة*، ص172؛ *الموسوعة الحرة ويكيبيديا*، فراغ عاطفي www.wikipedia.org.

2.2.3. الفجوة الفكرية بين الآباء والأبناء

فيما تمر الأيام، وتتسابق السنوات في تغيير ملامح وأفكار الناس باستمرار، ينسى الآباء في كثير من الأحيان، أنهم كانوا في يوم من الأيام، أطفالاً وابناءً، يتذمرون من طلبات وأوامر الآباء، ويجدون– من وجهة نظرهم– إجحافا من الآباء بحقهم، وتقليلا من شأنهم. فيما يغيب عن أذهان معظم الأبناء، أنهم سيقفون يوماً ما أمام أولادهم، يفرضون عليهم ما يرونه– أنسب– لهم في كل شيء، ويحددون لهم الخطأ والصواب، ويقسون عليهم أحيانا.

وبين نسيان الآباء طموح الابناء ورغباتهم وفكر الأبناء، تتجدد مشكلة مستمرة، طالما بقيت الحياة تضج بالتقدم والتجدد، وهي الفجوة بين الآباء والابناء.

ورغم أن لكل عصر خصائصه، وكل يرى أن عصره أكثر حساسية من غيره، فإننا نرى أن عصرنا كذلك، يتمتع بخصوصية فريدة، ساعدت في تباعد الفجوة بين الجيلين، بسبب ما دخل في عصرنا الحديث من تطور متسارع لم تشهد له الحقبات الماضية مثيلاً، وما شهده من تقارب في الزمان والمكان، إلغاء لحواجز كثيرة ارتبطت أساسا بالتكنولوجيا التي حولت العالم إلى قرية.

الفجوة بين الآباء والأبناء متعددة الأشكال فمنها:

1– **الفجوة العمرية:** تعتبر الفجوة العمرية، أكثر الفجوات تأسيساً للاختلافات اللاحقة، فبقدر ما يبتعد جيل الآباء– زمنياً– عن جيل الأبناء، تتسع الفجوات الأخرى، وتضيق مساحة الالتقاء الفكري والثقافي وحتى اللغوي.

هذا الاختلاف الكبير في الأعمار، تخلِّف مسافات متباعدة من الثقافة والعادات والتقاليد والافكار ومدخلات العصر الحديث بين الجيلين، مما ساعد في بروز أكبر للمشكلة.

2–**الفجوة الفكرية:** لكل عصر طريقة في التفكير وأسلوب في الدراسة والمعلومات المتوفرة، مما يساعد على خلق حالة فكرية معينة لدى أبناء الجيل الواحد، والتي تختلف مع نظيراتها في الأجيال الأخرى.

3–**العادات والتقاليد:** مع تغير الحياة بشكل دائم، وتبدلها، ودخول معطيات جديدة وخروج أخرى، تتغير العادات والتقاليد بشكل مستمر وهادئ، ربما لا يلحظه الشخص خلال حياته، إلا أن هذا الاختلاف يظهر بشكل واضح في اختلاف العادات والتقاليد بين جيل الآباء والابناء.

حجم المشكلة

المشكلة الأساسية التي يخلقها وجود فجوات متعددة بين جيل الآباء والابناء، تتمحور في موضوع التربية على الأغلبِ ذلك أن أكبر المهام التي توجد على عاتق الآباء، هي مهمة التربية في كل الجوانب الدينية والخلقية والسلوكية والثقافية والاجتماعيةِ وغيرها.[450]

لذلك فإن أي خلل في هذه العلاقة، يؤدي بالتالي إلى خلل في المسألة التربوية.

وفي ظل هذه الفجوة، باتت العملية التربوية، تفتقر إلى العديد من مقومات النجاح.

أسباب خلق هذه الفجوة عديدة منها:

1- المستجدات المعاصرة وفساد التكنولوجيا: أصبح جيل الشباب يواجه بحراً متلاطماً من الأفكار والرغبات والتحديات، وما يسببه ذلك من ضغط نفسي كبير، مع أن هذا يستلزم تكثيف الجهود التربوية والتوعوية والمزيد من التفهم لمعاناتهم، ومن جانب آخر أصيب الجيل الحالي بمأزق التكنولوجيا ووسائل التواصل الاجتماعي التي أدت إلى عزلة نفسية وتباعد بين أفراد الأسرة والمجتمع، وخلق الفجوة بين الأبناء والآباء، وستؤدي بلا شك إلى كثير من الأمراض الجسدية والنفسية والعقلية.

2- غياب الثقافة الحوارية: أدى إلى افتقار الحوار الهادئ والمجادلة بالتي هي أحسن، مما زاد في اتساع الفجوة بين الآباء والأبناء.

3- أسلوب الانتقاد: الذي يستخدمه الآباء من أسلوب الانتقاد لا يولد إلا العناد والتمادي في الخطأ، وخاصة اذا كانت بصورة تحقيرية أو استفزازية، يجب الاعتماد على أسلوب التوجيه لا الانتقاد لنجاح المسيرة التربوية ولإيجاد جو من التفاهم المتبادل.

إن الفجوات الموجودة بين جيل الآباء والابناء تؤدي إلى جملة كبيرة من المشاكل ومنها:

1- جمود العواطف بين الآباء والابناء.

2- عدم المبالاة واهتمام الأولاد برأي آبائهم وأمهاتهم، وعدم وجود الثقة بينهما.

3- وجود شعور لدى الأبناء بأن الأهل يفتقدون لحسن التربية والفهم، وفاقد الشيء لا يعطيه.

4-التفكك الأسري وضياع الأمة.

5-غياب الاحترام والتقدير لدى الأبناء لآبائهم وأمهاتهم.

---

[450] النابلسي، محمد راتب، *أولادنا الورقة الرابحة الأولى*، مؤسسة الفرسان – عمان، الأردن 2017م، 1/ 183، 200؛ مرزوق، ابراهيم(2006)، *الفجوة بين الآباء والأبناء المشكل والحل*، تم استرجاعه في 2023/7/11 على هذا الرابط https//www.alqabas.com/article/43709 ؛ مكي، أنيسة الشريف، (2018)، *فجوة فكرية*، تم استرجاعه في 2023/7/11 على هذا الرابط https//www.alyaum.com/articles/6068979.

6-اليأس من حالة الابناء وتربيتهم.

7-انعدام وجود القدوة من الابناء تجاه الآباء.

كيف يمكن ردم الفجوةِ؟

من الضروري البحث عن طرق لإيصال الرسالة التربوية من الآباء لأبنائهم على أكمل وجهِ، وأن على الآباء التعامل بشكل مناسب مع الأبناء، وبطريقة يحترم فيها حق الأبناء في الاختلاف وإبداء الرأي وهذا يتطلب:

1- تفعيل دور الأسرة للقيام بدورها خاصة تنمية الوعي الديني.

2-توفير البيئة المدرسية المناسبة لتطوير الشخصية وإشباع الحاجات لتطوير الفكر والإبداع.

3-التربية على أساس الثواب والعقاب، مع تبرير سبب العقاب وليس العقاب فقط والابن لا يدري لماذا يعاقب ولماذا يكافأ.

4- محاولة نقاش المواضع الخلافية صراحة بين الوقت والآخر للوصول إلى حلول مرضية للطرفين ولإيجاد جو أُسري مفعم بالحب والتفاهم.

5- تكوين صداقة حقيقة مع الأبناء لمعرفتهم أكثر، إن كثيراً من الآباء والأمهات يظنون أنهم يعرفون أبناءهم جيداً لكن في الحقيقة لا يعرفون إلا قليل عنهم وربما زملاؤهم في الدراسة يعرفونهم أكثر منهم.[451]

فليعلم الآباء والأمهات أنهم يصنعون ويربون أمة كاملة قبل أن يصنعوا ويربوا أبناءهم، وأن بين أيديهم وفي أحضانهم جيلاً تحتاجه الأمة غداً، وليكونوا خير خلف لخير سلف.

3.2.3. إيداع الوالدين في أحد بيوت الرعاية

[451] النابلسي، *أولادنا الورقة الرابحة الأولى*، 1/ 183، 200؛ مرزوق، ابراهيم(2006)، *الفجوة بين الآباء والأبناء المشكل والحل*، تم استرجاعه في 2023/7/11 على هذا الرابط https//www.alqabas.com/article/43709 ؛ مكي، أنيسة الشريف، (2018)، *فجوة فكرية*، تم استرجاعه في 2023/7/11 على هذا الرابط https//www.alyaum.com/articles/6068979.

حفظ الأسرة من أهم مقاصد الإسلام، والشريعة جاءت لتحقيق هذا المقصد من خلال حقوق الأولاد على الوالدين وحقوق الوالدين على الأولاد، وحل المشاكل بينهما، أما عدم العلم بهذه الحقوق أو الغفلة عنها يسبب مشاكل عديدة من القلق والاضطراب والتفكك داخل الأسرة، والذي من نتائجه عقوق الوالدين الذي يبتدأ بكلمة (أف)﴿فلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾(الإسراء،23/17)، ثم ينتهي إلى ما يسمى بدار العجزة أو بيوت الرعاية.

لقد دعا الإسلام إلى بر الوالدين والإحسان إليهما، ومساعدتهما بكل وسيلة ممكنة بالجهد والمال، والحديث معهما بكل أدب وتقدير، وعدم الضجر وإظهار الضيق منهما، وخاصة عند الكبر، وهذا شرف لا يناله إلا من أناله الله، فالأبوان يلزمهما رعاية أكثر من غيرهما رداً للجميل الذي قدموه للأبناء في الصغر، ولا يحق شرعاً للإنسان أن يترك والديه في أية حال، وهما بأمس الحاجة له لا سيما في حال الكبر، وقد رقَّ عظمهما وصارا ضعيفين، قال الله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾(الإسراء،23/17- 24)، ولهذا يعتبر الإسلام الإحسان الى الوالدين من أفضل أنواع الطاعات التي يتقرب بها المسلم إلى الله تعالى، فهما سبب وجود الأبناء، وتربيتهم الصالحة وسبب سعادتهم في الحياة الدنيا والآخرة، ورسول الله ﷺ في جواب السائل عن أفضل الأعمال قال: "أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ".[452]

ولذلك أوجب الإسلام لهما حقوقاً ينبغي على الأبناء مراعاتها حتى لو كانا مشركين، وأمر بطاعتهما بالمعروف ما لم يأمرا بمعصية، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾(لقمان،15/31)، ومن جملة الحقوق الواجبة أيضاً على الأبناء تجاه والديهم الاحترام المطلق في جميع الأوقات، فلا يتفوه بكلمة تغضبهما أو تسيء إليهما أو تعكّر مزاجهما، ولا يرفع صوته بحضرتهما[453].

وفي عصرنا الحاضر كثرت دُورُ المسنين باسمها الصريح أو بأسماء أخف وطأة: مثل دور الرعاية الاجتماعية، وغير ذلك، وهي تحتضن الآباء والأمهات من كبار السن الذين لا مأوى لهم، أو تقطعت بهم السبل والظروف الحياتية، أو ضاقت بهم الأرض بما رحبت رغم ما

---

[452] البخاري، *صحيح الجامع*، باب: فضل الصلاة لوقتها، الرقم:(7534)، 156/9؛ مسلم، *صحيح مسلم*، باب: كراهية تأخير الصلاة، الرقم:(140)، 90/1.

[453] ميرزا علي، بي بي آسية، *مقصد حفظ الأسرة ووسائله*، ص116.

يملكون من الأموال والأبناء، أو وصل بهم الحال إلى أن أصبحوا همًّا ثقيلًا على أبنائهم ليدعوهم في هذه الدور ويستريحوا منهم.

هل من المعقول أو المقبول أن ينهي أحد الوالدين أو كلاهما حياته في بيت غير بيته، الذي قضى فيه أكثر عمره؟ وبين أناس غير أهله الذين ألِفهم؟ هذا هو حال من يذهب إلى دار المسنين بحثًا عن رعاية أفضل من بيته، وآملًا في أن يجد من يتحدث معهم بدلًا من القطيعة التي يجدها في داره؛ لأن الأبناء ليس لديهم وقت كي يذهبوا إلى أبيهم أو أمهم للسؤال عنهما، ومعرفة أحوالهما.[454]

أصلا وجود هؤلاء الدور أو ما يسمى بدار العجزة أو المسنين أو الرعاية وما شاكلها يعتبر نوعا من أنواع عقوق الوالدين أو علامة من علاماتها.

نشأت هذه الظاهرة المخجلة:

تعتبر ظاهرة "دار المسنين"أو "دار العَجَزَة" دخيلة على المجتمع الإسلامي، حيث نشأت فكرتها في بلاد الغرب؛ لأن مفهوم الأسرة الواحدة غير موجود عندهم، فمجرد أن يكبر الأبناء يتفرقون، فلا يكاد يعرف بعضهم بعضًا، أما المجتمع الإسلامي، فهو يتميز عن غيره من المجتمعات بـ: التضامن والتراحم والتآزر، وتميز المجتمع الإسلامي عن غيره من المجتمعات بذلك، فهو ما يكشف الستار عن كون الظاهرة ليست من أصولنا، ولا من ثقافتا، ولا من صميم هويتنا، وإنما هو حل بديل غربي، لا يمُتُّ إلى ما نحن عليه من القيم والمبادئ بصلة، فهو حل بديل ليس منا ولسنا منه، بل الذي رمانا به وأملاه علينا، وغزانا به فكرًا وحسًّا، قد ابتغى من وراء ذلك مرادًا؛ هو القضاء على أواصر المحبة والأخوة التي تجمع بين أفراد المجتمع الإسلامي، والقضاء على خُلُقٍ إسلامي عظيم نزل به وحي السماء حلًّا لجميع مشاكل الضعف والفقر والعجز بين صفوف المسلمين، ألا وهو خُلُق التضامن والتكافل، وعلى هذا الأساس فإن ظاهرة "دار العَجَزَة"أو "دار المسنين"ظهرت أول أمرها في مجتمعات غربية، يطبعها التفكك الأسري، وعقوق الوالدين، وانتشار الأنانية، وانطفاء جذوة الحب بين الأبناء والأحفاد؛ فلا عجب أن نرى هذه المجتمعات الغربية تستفحل فيها هذه الظاهرة؛ لأنها مجتمعات تشكل المجال الاستراتيجي لتنمية وتغلغل ما يكون وراء ذلك من الأسباب.[455]

---

[454] الزحيلي، *الأسرة المسلمة في العالم المعاصر*، ص181؛ بنعلي، محمد، (2016)، *دار العجزة بديار الإسلام البدائل والحلول*، تم استرجاعه في 2023/7/15 على هذا الرابط https//www.alukah.net/socia/0/97554l.

[455] غانم، غالب، *رعاية المسنين في الإسلام مع دراسة ميدانية لدور المسنين في منطقة وسط الضفة الغربية*، جامعة القدس، د: ت، =

نظرة المجتمع الغربي إلى المسنين:

هم الذين بلغوا الطور الأخير من أطوار الحياة، أو ما يسميه علماء الاجتماع بـ: "العمر الثالث"، أو "المرحلة الثالثة"، كما وصفها الله تعالى بقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ (الروم،54/30)، فهذه الآية تدل على أن مرحلة الكبر لدى الإنسان يصاحبها ضعف عام؛ إذ يتعرض الإنسان لمجموعة من التغيرات الجسمية والنفسية والاجتماعية، تجعله عاجزًا وغيرَ قادر على العمل والإنتاج؛ إذ يبقى مستهلِكًا فحسب، وهو الشيء الذي أدى ببعض المجتمعات ولا سيما من المجتمعات الغربية إلى إهماله، وتهميشه، وجعلِه يعيش في عزلة ووَحْدة وغُربة، والسبب في ذلك الإهمال: هو اعتماد تلك المجتمعات على عناصر الشباب والفتوَّة والقوة الإنتاجية العقلية والجسدية، وأن طغيان المصالح المادية جعل البعض ينظر إلى المسن باحتقار، فهو في نظر الكثير من أفراد المجتمع الغربي إنسانٌ غير مرغوب فيه، عاجز، متداعٍ، واهٍ، لم يعد في مقدوره أن يجلب نفعًا، أو يدرأ شرًّا؛ فخبرته قد ضاعت، ومشروعاته قد توقفت، وهو زائد عن الحاجة، إنه في انحطاط، وليس في ارتفاع، وفي تقهقر، وليس في تقدم، إنه عالة على المجتمع والأسرة، لا يستحق التوقير والتبجيل والاحترام بقدر ما يستحق التوجُّس والتجاهل والتخلي، وتركه يقاسي آلام الوَحْدة والعزلة، ليصبح المسنُّ بذلك كالشجرةِ غير المثمرة، أو التي راح عنها حملها، وتركوها تعاني الحر والغبرة.[456]

أسباب هذه الظاهرة في الغرب:

هذه الظاهرة وراءها عدة أسباب تدفع إليها وبالأخص في المجتمعات الغربية التي ظهرت ونشأت فيها، ومن أهمها ما يلي:

1- ابتعاد تلك المجتمعات عن مصدر الرشد وسبيل الاهتداء، الذي يمثله قبس الوحي ونور النبوة.

ص88؛ بنعلي، محمَّد، (2016)، *دار العجزة بديار الإسلام البدائل والحلول*، تم استرجاعه في 2023/7/15 على هذا الرابط https//www.alukah.net/socia/0/97554l.

[456] الزحيلي، *الأسرة المسلمة في العالم المعاصر*، ص181؛ بنعلي، محمَّد، (2016)، *دار العجزة بديار الإسلام البدائل والحلول*، تم استرجاعه في 2023/7/15 على هذا الرابط https//www.alukah.net/socia/0/97554l؛ خليل، كمال عبدالمنعم محمَّد، (2020)، *دور المسنين ضرورة أم عقوق؟* تم استرجاعه في 2023/7/15 على هذا الرابط https//www.alukah.net/social/0/142337.

2-انتشار القيم المادية واعتبارها من أهم وأعز الأشياء لدى الفرد فكل شيء يكون ضحية لها.

3- تفكك أواصر المحبة بين الآباء والأبناء.

4-طغيان الاهتمامات الفردية والمصالح الشخصية على أفراد الأسرة الغربية.

5-نكران جميل المسنين، والنظر إليهم نظرة احتقار، لأنهم امسوا ضعفاء لا يستطيعوا القيام بمهام الأمور، ويعتبر أنهم صاروا مستهلكين في الحياة، وغير قادرين على الإنتاج.

أسبابها في المجتمعات الإسلامية:

أما المجتمعات الإسلامية بعد ما تأثرت بعادات الغرب وقوانينهم، ونجاح الغرب في إنجاز فكرتهم وتطويرها على المجتمعات الإسلامية، وابتعاد المسلمين عن جوهر الإسلام ومقاصده، فنجد أن هذا المرض الفتاك تفشى من بينهم، وأصيبوا بما أصاب الغرب، واتجه الأبناء نحو الدنيا وأصبحوا ماديين أنانيين، وضعفت رابطة التراحم الأسري بينهم وبين والديهم، إلى أن وصل ترك الوالدين وأبعادهما عن الأسرة وإيداعهما في دار العجزة.

ونجد القليل منهم ألجأته الظروف الاجتماعية فعلًا إلى هذه الدور، ولو ذهبت إلى إحدى هذه الدور وسألت من فيها تجد إجابات مبكية، فهذا الأب لا يجد من يخدمه رغم كثرة أبنائه، إلا أنهم جميعًا آثروا أن يعيشوا في سرور وسعادة بعيدًا عن أبيهم، فاضطر إلى ذلك، وهذه أو هذا أخرجت أو أخرج بأمر من زوجته المتسلطة عليه، وهذه أم توفي زوجها ولم يطيقها أحدٌ من أبنائها الرجال، واستحيت أن تعيش مع زوج ابنتها، ففضلت الذهاب إلى هذه الدار، وأم أخرى ضيقت عليها زوجة ابنها بعد كبر سنها، وأخذت تؤنبها على كل حركة وسكنة تفعلها، ففضلت أن تقضي بقية عمرها في هذه الدار.[457]

وهذه النظرة تجاه كبار السن وراءها أسباب عديدة، أهمها ما يلي:

أولًا: انعدام الوازع الديني، والانحلال الأخلاق للمجتمع؛ إذ إنه ليس هناك إلا القلة القليلة ممن يكنزون لأنفسهم كنوزًا للآخرة، ليحصلوا على أضعاف ما قدمت أيديهم.

ثانيًا: تفشِّي القيم المادية في المجتمع؛ ذلك لأن تطور الحياة الحديثة جعلت أفراد المجتمع لا يفكرون إلا في المادة.

---

[457] الزحيلي، *الأسرة المسلمة في العالم المعاصر*، ص181؛ خليل، كمال عبدالمنعم محمد، (2020)، *دور المسنين ضرورة أم عقوق؟* تم استرجاعه في 2023/7/15 على هذا الرابط https//www.alukah.net/social/0/142337.

ثالثًا: الجهل وعدم العلم بقيمة المسنين ودورهم، ونسيان عطائهم، ونكران جميلهم؛ ذلك لأن الكثير من أفراد المجتمع ينظرون إلى الجانب المادي في الشخص، ولا يعبؤون بمكانة كبار السن والشيوخ، ودورهم الإيجابي والروحي على أفراد الأمة، وهذا الدور لهم وتوقيرهم موضح في عدة أحاديث نبوية وهي:

1-قوله ﷺ: "ابغوني ضعفاءكم، فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم ".[458]

2- قوله ﷺ: "البركة مع أكابركم".[459]

رابعًا: الشعور بالحرية، والرغبة في الاستقلالية؛ فالشعور بالحرية والرغبة في الاستقلالية هما سببان في انتقال الأسرة من أسرة ممتدة إلى أسرة نووية بسيطة (التي تتكون من الأب والأم وأبنائهما)، تبتعد عن المسن، وتجعله يعيش منعزلًا، وكثيرًا ما انتشر هذا النوع الأخير في المدن الصناعية.[460]

علاج هذه الظاهرة:

إن ما يفرض، خصوصًا ونحن في ديار الإسلام، هو تطبيق التعاليم الدينية التي توصي برعاية الوالدين وكبار السن، وهكذا فإنه من العيب والعار إرسال المسنين إلى دار تقيد قدراتهم، وتجعلهم ينتظرون الموت وحدهم، خاصة وأن كرامة الإنسان في الإسلام تفرض أن يعيش الإنسان معززًا مكرمًا مصداقا لقوله جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾(الإسراء،70/17). هذه الكرامة لبني آدم بلا استثناء دون اعتبار المعتقدات والجنسيات.

وتتبعًا لمبادئ ديننا الحنيف خرجت بتوصيات وتوجيهات؛ لعلها تعيد الاعتبار لشريحة المسنين، وتدمجهم ضمن الحياة اليومية، وتخرجهم من مأزق لا يرضى به كل من في قلبه مثقال ذرة من الرحمة والضمير والوجدان فكيف يرضون به هم؟ باعتبارهم قد وصلوا إلى مرحلة تتطلب رعاية كبيرة ومهمة، وبهذا تكون أهم التوصيات والتوجيهات التالية:

---

[458] الترمذي، *الجامع الكبير*،باب: ما جاء في الإستفتاح بصعاليك، الرقم:(1702)، 498/3، وقال الترمذي الحديث حسن صحيح.

[459] ابن حبان، *صحيح ابن حبان*، باب: ذكر استحباب التبرك للمرء بعشرة مشايخ أهل الدين والعقل، الرقم(559)، 319/2.

[460] الزحيلي، *الأسرة المسلمة في العالم المعاصر*، ص181؛ غانم، غالب غانم، *رعاية المسنين في الإسلام مع دراسة ميدانية لدور المسنين في منطقة وسط الضفة الغربية*، جامعة القدس، دت، ص21؛ بنعلي، محمّد، (2016)، *دار العجزة بديار الإسلام البدائل والحلول*، تم استرجاعه في 2023/7/15 على هذا الرابط https//www.alukah.net/socia/0/97554l.

1-وجوب تأكيد وتأصيل القيم الدينية، والسير وفقًا للتعاليم الإسلامية، التي توصي بكبار السن، وتمنح للمسن كرامة خاصة، وتجعل المجتمع يسير على نهج التكافل والتراحم والتعاون والتلاحم، مصداقا لقوله تعالى في حق من أوصى الله بالبر إليهما ومصاحبتهما في الدنيا معروفاً وإن كانا جاهدين لأن تشرك بالله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾(لقمان،15/31)، ولقول الرسولﷺ: "من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا فليس منا".[461]

2-تعزيز دور الأسرة في رعاية كبار السن، وتقوية الدوافع التماسك الأسري.

3-توعية المجتمع بخطورة التخلي عن المسنين، وضياعهم يؤدي إلى ضياع السعادة والبركة.

4-إصدار قانون يسمح بعقوبة كل من تخلى عن مسن، أو يتعامل معهم بسوء.

5-تنوير العينين ببر الوالدين، وترجي حصول البركة بوجودهم بين الأسرة مصداقا لقول الرسول ﷺ: "البركة مع أكابركم".[462]

6-الدعوة إلى الإنفاق ودفع الزكاة وعلاج العجز والفقر الذي يدفع البعض إلى الالتحاق بدار العَجَزَة.

7- وجوب تضمين المناهج في مختلف مراحل التعليم العام، بموضوعات حول التعريف بالمسنين، وإبراز مكانتهم وحقوقهم في الأسرة، وضرورة الوفاء لهم[463].

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان

فليعلم الأولاد ولاسيما الأبناء أنتم الآن بصحتكم وفي ريعان شبابكم، هل إذا دارت بكم عجلة الزمن- وستدور- أتقبلون هذا الحال والمآل؟ بلا شك أن جوابكم كلَّا، فلم تقبلون ذلك

---

[461] البخاري، محمّد بن اسماعيل، *صحيح الأدب المفرد*، دار الصديق، القاهرة، 1997م، باب: فضل الكبير، الرقم: (146) ص142؛ أبو داود، *سنن أبي داود*، باب: في الرحمة، الرقم:(4943)، 286/4.

[462] ابن حبان، *صحيح ابن حبان*، باب: ذكر استحباب التبرك للمرء بعشرة مشايخ أهل الدين والعقل، الرقم:(559)، 319/2.

[463] الزحيلي، *الأسرة المسلمة في العالم المعاصر*، ص181؛ بنعلي، محمّد، (2016)، *دار العجزة بديار الإسلام البدائل والحلول*، تم استرجاعه في 2023/7/15 على هذا الرابط https//www.alukah.net/socia/0/97554l.

على الوالدين؟.

إن الله تعالى قال في قرآنه الكريم: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾(لقمان، 15/31)، فهل من المعروف إيداعهما في دار المسنين؟ ليخدمهما من يخدمهما مرة برضى ومرة بتأفُّف؟ وتأمَّل قوله تعالى: ﴿إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما﴾(الإسراء،23/17) ومعنى(عندك) أي: أن يكونا في كنفك وكفالتك في بيتهما وتحت رعايتك، أو في بيتك وتحت رعايتك، فلا تقل لهما أف فلا تتضجر مما يستقذر منهما وتستثقل من مؤنتهما.[464] وليتذكر جميع الأبناء أن بر الوالدين أو عقوقهما سوف يرد بمثله، وإذا قال الرسول ﷺ: "ما أكرم شاب شيخاً لسنه إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه"[465] والعكس كذلك، هذا كان في حق شخص غريب فكيف بالوالد والوالدة، فانظر بأي شيء تحب أن تقابل، وأن تعامل خاصة عند كبرك، بالبر أو العقوق؟ فكما تدين تدان.

3.3. مشكلات مجتمعية أسرية وحلولها

إنَّ الأسرة إذا سارت على نهج القرآن والسنة النبوية الشريفة فتسير على مسارها الصحيح، وتكون مظلة رحمة لأفرادها وللمجتمع، ولا تواجهها مشكلة لم تنحل، ولا تتوجع المجتمع من آلامها، أما إذا تجاوزت الحد الشرعي ومسارها الصحيح، فستواجه مشاكل لا دواء لها أو صعب حلها، ويتألم المجتمع من دائها، وتتجاوز آثارها السيئة إلى المجتمع كله، وتصبح تلك المشاكل بلبلة للمجتمع ويضعف نمو الأسرة وتماسكها، وتنقض غزلها، وبعض تلك المشاكل وإن كان في أصل الشرعي علاج في بعض الأحيان، ولكن تستغل وتمارس ممارسة غير صحيحة، وتوضع في غير مكانها، وتصبح مشكلة مقززة، وفي خلال هذا المبحث نلقي الضوء على أهم المشاكل التي تواجه الأسر والمجتمع: كالعنوسة والتعدد والخيانة والعنف الأسري وغلاء المهور وتدخل الأهل في شؤون الزوجين وتأثير العولمة على الأسرة، مع محاولة وضع الحلول لها وإيجاد طريق للتخلص منها.

---

[464] البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 252/3؛ طنطاوي، *تفسير الوسيط*، 326/8؛ الهاشمي، محمد علي، *شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة*، دار البشائر الإسلامية2002م، ص56.

[465] الترمذي، *الجامع الكبير*، باب: ماجاء في إجلال الكبير، الرقم:(2022)، 372/4، والحديث ضعيف.

1.3.3. العنوسة

أولا: التعريف

لغة: العنوسة من العنس، يقال: عَنَسَت الجارية من باب دخل و عِنَاساً بالكسر فهي عَانِسٌ إذا طال مكثها في بيت أهلها بعد إدراكها حتى خرجت من عداد الأبكار هذا إذا لم تتزوج فإن تزوجت مرة فلا يقال عنست، ويقال للرجل أيضا عانس والجمع عُنْسٌ و عُنَّسٌ، قال الأصمعي(ت:216هـ): لا يقال عَنَّسَتْ ولكن عُنِّسَت على ما لم يسم فاعله و عَنَّسَها أهلها.[466]

وفي اللغة يستعمل مفهوم العنوسة للرجال والنساء كليهما وليست مختصة بهن.

واصطلاحا: هو تعبير عام يستخدم للإناث اللواتي تعدين سن الزواج المتعارف عليه في كل بلد، وهناك بعض الناس الذين يخطئون ويظنون أن المصطلح يطلق على النساء فقط من دون الرجال، والصحيح: انه يطلق على الجنسين كما هو يتفق مع معنى اللغوي، ولكن المتعارف عليه مؤخراً هو إطلاق اللفظ على النساء في الأغلب، فالعنوسة يقصد بها تجاوز الفتاة سن الزواج العرفية، وهي ليست محددة بسن معينة، فالتحديد راجع للعرف ونظرة المجتمع، فما تعتبره بعض البيئات عنوسة لا تراه بعضها كذلك، فهذا يختلف من مجتمع لآخر ومن ثقافة لأخرى، ولكن هناك شبه اتفاق على أن بلوغ الفتاة إلى سن ٣٥ سنة يعني دخولها المؤكد في مرحلة العنوسة.[467]

ثانيا: الأسباب

الإسلام ضد هذه الظاهرة ويسرالله تعالى في القرآن ورسوله ﷺ في سنته جميع الطرق الموصلة إلى مشروع الزواج ومحوي هذه الظاهرة، وتحسب مشكلة مؤلمة في الأسر والمجتمع فلهذا يقول الله تعالى ترغيباً في الزواج وترغيباً عن العنوسة: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾(الرعد،38/13)، وبين مقاصد الزواج وما يتحصل منه بقوله عزّ وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إليها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الروم،21/30)، وغير ذلك من الآيات المشجعة للزواج، والرسول ﷺ حرض الشباب على الزواج بقوله: "يا معشر الشباب، من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغض

---

[466] ابن منظور، *لسان العرب*، 149/6؛ الرازي، *مختار الصحاح*، ص219.

[467] حسن، أحمد فهيم سليم وآخرون، *تداعيات مشكله العنوسة بين الشباب وآليات المواجهة*، الإشراف د. ليلى البهنساوي، بحث مقدم لكلية الآداب جامعة القاهرة، د،ت، ص14؛ غيات، حياة، *ظاهرة العنوسة وتداعياتها النفسية والاجتماعية*، بحث مقدم لمجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة وهران –الجزائر، العدد 29، (2016)، ص 208.

للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء". [468] ونهى عن الإعراض في الزواج واختيار الرهبانية بقوله: "لا رهبانية في الإسلام".[469] وعلى هذا المنهج رغبة في الزواج ورغبة عن العزوبة تربى أصحاب رسول الله ﷺ يقول معاذ بن جبل ﷺ في مرض موته"زَوِّجُونِي؛ فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ أَعْزَبَ".[470]

وهذه الظاهرة المؤلمة لها أسباب في شتى مجالات الحياة مثل الاقتصادية أو الاجتماعية أو النفسية، وغير ذلك،

ولعل أهم الأسباب وراء ظاهرة العنوسة في مجتمعاتنا ما يلي:

1. الأسباب الاقتصادية وتتمثل في:

أ- ارتفاع المهور والمغالاة فيها بحيث تعد أهم القواسم المشتركة لارتفاع ظاهرة العنوسة في المجتمع المسلمين، فضلا عن التشدد في تحديد مواصفات عش الزوجية والأثاث، والتي تفوق قدرة و مدخل أغلب الشباب، مما يؤدي إلى تراكم الديون على الزوج لسنوات طويلة، ومع هذا أن المغالات في المهور تمحق البركة في الزواج وتسلب الخيرية من الزوجة لقول الرسول ﷺ: "أعظم النساء بركة أيسرهن صداقا".[471]

ب- البطالة: تلعب البطالة دورا مكملا للسبب السابق، فانحسار الوظائف وفرص العمل أمام الشباب أصبح هاجسا يؤرق كل طالب عمل، ومحدودية الفرص الوظيفية للنساء ونمطيتها التقليدية صارت إطارا لا يبدو الخروج منه سهلا أو قريبا، ومن ثم حالت البطالة دون حصول الشاب على فرصة عمل تدر عليه دخلا ثابتا يمكنه من تحمل أعباء الزواج، وإذا وجد الشاب

---

[468] البخاري، الجامع الصحيح، باب: من لم يستطع الباءة، الرقم:(5066)، 3/7؛ مسلم، صحيح مسلم، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه، الرقم:(1400)، 1019/2.

[469] ابن حجر، *فتح الباري*، 111/9.

[470] البيهقي، *معرفة السنن والآثار*، الرقم(12852)، 194/9؛ ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي، *البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير*، تح: مصطفي أبو الغيط وآخرون، دار الهجرة، الرياض، 2004م، 290/7.

[471] الحاكم، *المستدرك على الصحيحين*، كتاب: النكاح، الرقم:(2771)، 463/3، هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

عملا فإنه يتعذر عليه العثور على مسكن ليتزوج فيه، وهكذا يمتنع عن الزواج ما دام غير قادر ماديا.

ت- الفقر هو أهم أسباب العزوف عن الزواج وذلك لعجز الشباب المادي أمام ارتفاع المهور، بدرجة كادت أن تصبح عرفًا سائدا وعادة محكمة، ويصل الأمر بالفقير إلى العجز عن التقدم لأية امرأة، فإذا حاول أحيانا كان مثارا للسخرية والاستهزاء به[472].

2. الأسباب الاجتماعية وتتمثل في:

أ- تلعب العادات الاجتماعية البالية دورا بارزا بين أسباب تفشي ظاهرة العنوسة، بزعم الحفاظ على الأنساب وتقويتها وتدعيمها وصيانتها من الاندثار، وعلى رأسها ألا تتزوج القبلية من الحضري ولا الشريفة من غير الأشراف، وألا تتزوج الغنية إلا من غني.

ب- أحيانا يقوم أولياء الأمور بحجز الفتاة إلى ابن عمها أو ابن خالها بحجة أنه أولى بها من الغريب.

ت- ومن بين هذه العادات أيضا إصرار الأب أو الأم على ألا تتزوج الفتاة الصغيرة قبل الكبيرة، أو أن ابنتهما مازالت صغيرة على الزواج ولم تكمل بعد تعليمها الجامعي.

ث- بعض الاشتراطات والتعقيدات، مثل البيت المستقل والانفصال عن الأهل، والعزوف عن الزواج من فتيات يمتهن مهناً معينة؛ مثل التمريض أو الطب.. إلى آخر ذلك من الأمور المرتبطة بالعادات والأعرف.

ج- اتجاه الذكور للزواج نحو الأجنبيات بسبب ظروف العمل أو الصورة الذهنية المثالية الخاطئة عن نساء الغرب بأنهن أجمل، وكل ذلك يتلقاه من الإعلام ومن ثقافة الفضائيات التي تقدم نماذج خيالية مزيفة يعتقد الشبان أنها الكمال بعينه.

---

[472] حسن، أحمد فهيم سليم وآخرون، *تداعيات مشكله العنوسة بين الشباب وآليات المواجهة*، ص14؛ غيات، حياة، *ظاهرة العنوسة وتداعياتها النفسية والاجتماعية*، ص 208؛ البنا، محمّد عبداللطيف محمود، بحث عن *العنوسة والغلاء دراسة في الأحكام الشرعية والقيم الأخلاقية*، د،ط، د، ت، ص 13؛ أمين، مصطفي محمّد، بحث عن *العنوسة وخطرها على المجتمع*، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة صلاح الدين، اربيل،العراق، العدد(2/24) 2013م، ص 11؛ شمس الدين،، العوانس صرخة في وجه المجتمع والقانون، مركز الراية للنشر والإعلام –القاهرة 2002م، ص31؛ الشثري، عبدالرحمن بن سعد 2017، *العنوسة أسبابها وعلاجها*، تم استرجاعه في 2023/7/18 على هذا الرابط https//www.alukah.net/sharia/0/118770

ح- ارتفاع نسبة عدد النساء مقارنة مع الرجال، وسبب هذا يرجع إلى تلك الحروب المصنعة من بين الدول والشعوب، وأكثر ضحيتها صنف الشباب.

خ- الاختلاط الفاسد والانحلال يجد الشباب الطريق ميسورا لإشباع شهواته وقضاء حاجاته دون التزام أو قيد، إضافة إلى أن هذا الاختلاط يدفع العديد من الشباب إلى عدم الثقة في النساء بوجه عام، فيحجم عن الزواج.

د- تأثر العديد من الشباب أو الفتيات بالقيم الغربية الوافدة، مثل تقليد شباب الغرب في اللباس والشكل والمشي وغير ذلك مما أدى إلى نفور المجتمع منه، وينظر اليه بعين الدناءة، وفي النهاية لا يزوجه أحد ويبقى عانسا وإذا تزوج في الأغلب لا يوفق في زواجه، وفي الفتيات عدم التزامهن بالاحتشام في ملابسهن ومجاراة الغرب في سلوكهن والاختلاط بين الجنسين في الأماكن العامة والعمل والأسواق، وانتشار ظاهرة ما يسمى بالصداقة بين الجنسين، والسفور الفاحش المنتشر بين الإناث، سببا آخر من أسباب تفشي ظاهرة العنوسة، لأنه غالبا ما ينفر الكثير من الشباب من الاقتران بها، ذلك أن المجتمع يحترم الشاب المحترم والفتاة المحترمة، والشاب عندما يفكر في الزواج لن يفكر إلا فيمن سوف تحمل اسمه فيما بعد وفيمن تستحق من وجهة نظره هذا الاسم.[473]

3. الأسباب الصحية:

الجانب الصحي هو سبب من الأسباب التي لا يمكن أن نتغاضى عنها، لو تكلمنا عن أسباب العنوسة فإن وجود مرض عضوي أو عيوب خلقية أو أية إعاقة بدنية أو تشوهات على مستوى الجسم ناتجة عن حوادث قد يمنع الشاب من أن يتقدم لخطبة فتاة خوفا من أن يرفض ولعدم ثقته بنفسه، كما أن الفتاة تحرم من فرصة تقدم أي شخص لخطبتها إذ أن الكل يبحث عن الجمال، وطبعا تدخل في الأسباب الصحية إمكانية وجود مرض نفسي أكان ذلك في الفتاة أو في الشاب ما يشكل عندهما عقدة من الزواج تجعلهما يطردان هذه الفكرة بتاتا من فكريهما.

---

[473] حسن، أحمد فهيم سليم وآخرون، *تداعيات مشكله العنوسة بين الشباب وآليات المواجهة*، ص14؛ غيات، حياة، *ظاهرة العنوسة وتداعياتها النفسية والاجتماعية*، ص 208؛ البنا، *العنوسة والغلاء دراسة في الأحكام الشرعية والقيم الأخلاقية*، ص 13؛ أمين، *العنوسة وخطرها على المجتمع*، ص 11؛ شمس الدين، العوانس صرخة في وجه المجتمع والقانون، ص31؛ الشثري، العنوسة أسبابها وعلاجها، على هذا الرابط https//www.alukah.net/sharia/0/118770.

4. الأسباب الثقافية:

إن ثمة أسباباً أخرى غير ظاهرة من قبيل ميل الذكور للزواج ممن هن أدنى منهم مستوى وتعليماً، وعلى العكس تميل الإناث للارتباط بذكور أعلى مستوى الطموح العلمي والعملي للفتاة هو سبب جديد يشكل سببا إضافيا إلى جانب الأسباب السابقة لانتشار العنوسة في المجتمعات، إذ ترفض الفتاة الطموح علميا الزواج حتى تحصل على الماجستير والدكتوراه، وعندما تحصل عليهما تتغير شروطها في زوج المستقبل، فيبدأ مسلسل الرفض حتى يفوتها قطار الزواج.

5. الأسباب الدينية:

ويتعلق بذلك أيضا عدم التزام بعض الأسر بالأخلاقيات وتفهمها لظروف من يتقدم لابنتها، حتى وإن كانت الفتاة نفسها صالحة، لأن ذلك يصبح مدعاة لتخوف الشاب من أن تمس سمعته نتيجة لارتباطه بفتاة من أسرة غير ملتزمة، وبالتالي تؤخذ الفتاة بجريرة أسرتها.. وكم من فتيات صالحات حرمن من فرص الزواج لأن أسرهن تحت مستوى الشبهات.

6. الأسباب الإعلامية السيئة تتمثل في:

أ- الإعلام هو من الأطراف الهامة والمسئولة في انتشار هذه الكارثة، فهو من يصور الحياة بلا زواج أفضل. فكيف يعيش مع زوجة تكبت حريته وتسأله من أين جئت وإلى أين تذهب، وتحيطه بطلبات والتزامات المنزل.

ب- والإعلام متهم من زاوية أخرى لكونه حين يقدم نماذج الأزواج والزوجات، فهو يقدم نماذجة مزيفة وخيالية ويصنع السيناريوهات، وليس لها حقيقة على أرض الواقع أبداً، وإذا وجدت فهي نسبة قليلة، فيظل المسكين أو المسكينة في أرض الواقع يبحث عن النموذج الذي صورته له وسائل الإعلام فلا يجده.

ت- والإعلام متهم من زاوية ثالثة فحين يقدم طريقة التعرف على شريك أو شريكة الحياة يفترض دائماً أن هناك علاقة مسبقة ربطت خيوطها بين الشاب والشابة قبل الارتباط الرسمي، ويفترض وجود قصة حب بينهما، ويتساءل في استنكار: كيف نتزوج بدون حب؟ ويظل البطل والبطلة يحاربان طوال أحداث الفيلم من أجل هذا الحب المزعوم. ومن هنا نقول أن وسائل

الإعلام مسئولة كذلك عما وصل إليه حال شبابنا من تدهور ووضع أيدهم على خدودهم وجلسوهم في بيوتهم حتى سن الخامسة والثلاثين بدون زواج.

7. الأسباب النفسية:

الأوهام والأفكار والوساوس التي تراود الفتى أو الفتاة مثل الخوف من الفشل في الزواج أو التشاؤم النساء من الرجال أو العكس ظانين أن فيهم أو فيهن القسوة والشدة وعدم الرحمة أو الخوف من عدم القدرة على إدارة المنزل والقيام بحق الزوج والزوجة.[474]

ثالثا: الآثار المترتبة عن العنوسة

وتظهر خطورة العنوسة وآثارها السيئة على عدة مستويات فردية وأسرية واجتماعية مصداقا لقول الرسول ﷺ "إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض، وفساد عريض"، [475] هذا في حال إذا لم نكن ميسرين لهذا المشروع المبارك، ولم نصد لانتشار هذه الظاهرة غير المرغوبة سنتعرض لآثارها السيئة المدمرة ومن أبرزها ما يلي:

1. الآثار النفسية

بحيث تصاب الفتاة بالأخص (العانسة) بالعديد من الآلام النفسية، فتشعر بالحزن والاكتئاب، والنفور من الناس خشية السخرية والتلميح الجارح، وهذا قد يترتب عليه العديد من الآلام العضوية، والأخطر أن الفتاة قد تنحرف عن الطريق السوي التماسا للسكن والعاطفة، والمشكلة التي لا يدركها العازف عن الزواج أنه سيتعرض لا محالة للوقوع في الرذيلة الأمر الذي يؤدي بصاحبه إلى الإصابة بالتوتر النفسي والقلق الدائم وضعف الذاكرة وعدم المبالاة ناهيك عن الأمراض العضوية الكثيرة التي تصيب هذا النوع من الشباب، تقول الدكتورة فوزية الدريع: البنت غير المتزوجة في عمر متقدم تعيش ألم الحياة بعزوبية في كل دقيقة ولكن هناك لحظات وأوقات يكون فيها الوجع أكبر، مثل:

---

[474] حسن، أحمد فهيم سليم وآخرون، *تداعيات مشكله العنوسة بين الشباب وآليات المواجهة*، ص14؛ غيات، حياة، *ظاهرة العنوسة وتداعياتها النفسية والاجتماعية*، ص 208؛ البنا، *العنوسة والغلاء دراسة في الأحكام الشرعية والقيم الأخلاقية*، ص 13؛ أمين، *العنوسة وخطرها على المجتمع*، ص 11؛ شمس الدين، العوانس صرخة في وجه المجتمع والقانون، ص31؛ الشثري، العنوسة أسبابها وعلاجها، على هذا الرابط https//www.alukah.net/sharia/0/118770.

[475] الترمذي، *الجامع الكبير*، باب: ماجاء من ترضون دينكم ...، الرقم(1084)، 386/3؛ ابن ماجة، *سنن ابن ماجة*، باب: الأكفاء، الرقم: 1967، 140/3؛ الطبراني، *المعجم الأوسط*، باب: من اسمه محمد، الرقم:(446)، 141/1.

- زواج صديقة أخرى لها وإحساسها بأنها باقية وحدها والقطار يأخذ الجميع إلا هي.
- مولد طفل جديد في العائلة يحرك أمومتها ويشعرها بالحرمان.
- حيض كل شهر إنذار أحمر يقول لها: بويضة ودعت هذا الشهر أيضا بلا زوج بلا جنين، بلا إخصاب.
- ذكرى يوم ميلادها وهو يضيف كل عام سنة جديدة كالمطرقة على إحساسها تخبرها بأنها أكبر وهذا يعني أنها أقل حظا في الزواج.[476]

2. الآثار الصحية

المشاكل والتغيرات الصحية الناجمة عن تقدم العمر وتأخير الزواج وبالأخص على النساء فتوضح د. فتحية بنت إبراهيم الجامع متخصصة في أمراض النساء والتوليد: أن المرأة يحدث لها عدم التوازن إذا ما اقتربت من سن اليأس، فإذا لم يدركها الحظ بالزواج والإنجاب تبدأ الحالة النفسية عندها بالاضطراب مما يترتب عليه إصابتها بالاكتئاب والقلق النفسي، كما أن نسبة الخصوبة عند المرأة تصل إلى القمة في سن الخامسة والعشرين، وبعد ذلك تقل تدريجياً حتى سن اليأس ونتيجة للاضطرابات الهرمونية التي تحدث في سن الإنجاب المتأخر تصبح نسبة الحمل في تناقص مستمر، وبذلك تزيد نسبة العقم عند المرأة كلما اقتربت من سن الأربعين.

3. الآثار الأسرية

تحدث ظاهرة العنوسة آثارا نفسية سيئة على كل أسرة فيها عانس، حيث يشعر أفرادها بالهم والغم، بل الخزي والعار في بعض المجتمعات، حيث الخوف من نظرات الناس وتفسيرها بغير معناها واعتبارها نوع من الاتهام لهم ولبناتهم، مما يؤثر بصورة سلبية على العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، وكثيراً ما يضع شبح لقب "العنوسة "الفتاة تحت ضغط اجتماعي شديد وقاس، لدرجة أن الفتاة التي لم تتم العشرين بعد- أو تلك التي مرت السنوات الخضراء في حياتها من دون زواج- قد تضطر إلى تقديم بعض التضحيات من أجل الزواج حتى لو كان ذلك على حساب كرامتها.

476حسن، أحمد فهيم سليم وآخرون، *تداعيات مشكله العنوسة بين الشباب وآليات المواجهة*، ص14؛ غيات، حياة، *ظاهرة العنوسة وتداعياتها النفسية والاجتماعية*، ص 208؛ أمين، *العنوسة وخطرها على المجتمع*، ص 11؛ شمس الدين، العوانس صرخة في وجه المجتمع والقانون، ص135؛ الشثري، العنوسة أسبابها وعلاجها، على هذا الرابط https//www.alukah.net/sharia/0/118770.

4. الآثار الإجتماعية

للعنوسة آثار ظاهرة سيئة وقبيحة على صعيد المجتمع أيضاً ومن أبرزها:

أ- إذ يحدث التفكك والتحلل في المجتمع، وتنتشر الأحقاد والضغائن بين أفراده.

ب- ينتشر الفساد والرذائل والانحرافات، التي تندفع إليها بعض الفتيات في ظل الدوافع النفسية التي يعانين منها، وأن هذه الظاهرة مؤدية إلى البغاء وهو ليس بالأمر الهين، يكفي معرفة خطورته أن نعلم أنه أخطر من القتل، الأمر الذي يؤدي إلي انتشار الأمراض الخبيثة مثل الإيدز بسبب العلاقات المحرمة وغيرها من الأمراض التي تهدد كيان المجتمع.

ت- وتتسبب إلى انتشار الخرافة والإقبال على المشعوذات، فتؤدي العنوسة إلي انتشار الخرافة انتشاراً مضحكاً، والمرأة من أجل زواجها مستعدة لتصديق أي شيء وتجريب كل شيء.

ث- انتشار الزواج العرفي (السري) حيث تلجأ الفتاة أو الشاب إلي إشباع رغباتهم الكامنة بالزواج العرفي الأمر الذي يؤدي إلي عواقب جسيمه تهدد الفرد والأسرة والمجتمع.[477]

رابعا: حل مشكلة هذه الظاهرة

إن الله سبحانه وتعالى يأمرنا أن نزوج أولادنا من الأكفاء ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾(النور،32/24)، من أهل الصلاح، ولا نخاف مستقبل الزواج مادام الأمر قائماً على التعليمات الإلهية والطريقة الصحيحة، وإلا ستصدنا تلك المشاكل والآثار السيئة التي ذكرناها، ثم القضاء عليها صعبة للغاية، ولكن هناك جملة من المقترحات والحلول كلها

1-إن الحل والعلاج لظاهرة العنوسة في المجتمع الإسلامي يكمن في العودة إلى دين الله تعالى بتقوية البناء العقدي في الأمة.

2- التربية الإيمانية للأجيال من الفتيان والفتيات، وتكثيف القيم الأخلاقية في المجتمع، لاسيما في البيت والأسرة.

---

[477] حسن، أحمد فهيم سليم وآخرون، *تداعيات مشكله العنوسة بين الشباب وآليات المواجهة*، ص14؛ غيات، حياة، *ظاهرة العنوسة وتداعياتها النفسية والاجتماعية*، ص 208؛ أمين، *العنوسة وخطرها على المجتمع*، ص 11؛ شمس الدين، العوانس صرخة في وجه المجتمع والقانون، ص135؛ الشثري، العنوسة أسبابها وعلاجها، على هذا الرابط https//www.alukah.net/sharia/0/118770.

3-معالجة الأزمات والعواصف والزوابع التي تهدد كيان المجتمع، وتنحل بالخضوع إلى ما خطط الله تعالى لنا في دينه ودستوره والرضا بشرع الله تعالى وتطبيقه: كتيسير سبل الزواج، وتخفيف المهور، وتزويج الأكفاء، وترسيخ المعايير الشرعية لاختيار الزوجين.

4- تشجيع التعدد لكن بشروطه وضوابطه التي سنذكرها في المطلب القادم ان شاء الله، وغير ذلك من مسهلات الزواج.

5-ومما تساهم في حلها تشجيع إنشاء صناديق التعاون من قبل المؤسسات الاجتماعية والجمعيات الخيرية يمكن أن تجند طاقاتها وجهودها لمواجهة تفشي هذه الظاهرة. [478]

فالإسلام يحث على مثل هذه الأمور لغرض التعاون، ومجانبة الأعراف والعادات والتقاليد الدخيلة التي لا تتناسب مع قيم ديننا الحنيف. قال رسول الله ﷺ "اذهب فالتمس ولو خاتماً من حديد "[479]، وقالﷺ أيضا: "أعظم النساء بركة أيسرهن صداقًا".[480]، وقالﷺ أيضا: "إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ. "[481] هذه الأحاديث النبوية الشريفة تؤكد الاهتمام بأهمية الاختيار عند تأسيس بنية الأسرة، وترشدنا إلى أن لا يكون همنا الأكبر وأولويتنا الجانب المادي في تزويج بناتنا وبناء الأسرة، لأنه مجرد قشور زائفة لا تأتي بالسعادة الزوجية ولا تأسس أسرة متماسكة قوية بحيث تكون أسوة وديمومة صحيحة لمجتمع صالح.

---

[478] حسن، أحمد فهيم سليم وآخرون، *تداعيات مشكله العنوسة بين الشباب وآليات المواجهة*، ص14؛ غيات، حياة، *ظاهرة العنوسة وتداعياتها النفسية والاجتماعية*، ص 208؛ البنا، *العنوسة والغلاء دراسة في الأحكام الشرعية والقيم الأخلاقية*، ص 23؛ أمين، *العنوسة وخطرها على المجتمع*، ص 14 ؛ شمس الدين، العوانس صرخة في وجه المجتمع والقانون، ص189؛ الشثري، العنوسة أسبابها وعلاجها، على هذا الرابط https//www.alukah.net/sharia/0/118770.

[479] البخاري، *الجامع الصحيح*، باب: خاتم الحديد، الرقم:(5871)، 156/7؛ مسلم، *صحيح مسلم*، باب: الصداق، الرقم:(1425)، 1040/2.

[480] الحاكم، *المستدرك على الصحيحين*، كتاب: النكاح، الرقم: (2771)، 463/3، هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

[481] الترمذي، *الجامع الكبير*، باب: ماجاء من ترضون دينكم ...، الرقم(1084)، 386/3؛ ابن ماجة، *سنن ابن ماجة*، باب: الأكفاء، الرقم: 1967، 140/3؛ الطبراني، *المعجم الأوسط*، باب: من اسمه محمد، الرقم:(446)، 141/1.

2.3.3. تعدد الزوجات

التعدد من الموضوعات الشائكة، خاض فيها الكثيرون، وموضوع حام حوله كثيرون ممن أرادوا أن يشككوا في هذا الدين من خلاله، وفي الأصل كونه حلا لبعض المشاكل الأسرية والمجتمع، ولكن للأسف بسبب الحاقدين والمفتِّنين أصبح هذا الدواء داء، وتحول من الحل إلى المشكلة.

إن موضوع التعدد في الإسلام ظل طوال أربعة عشر قرناً من الزمن لم يفكر أحد من جمهور المسلمين، وعلى رأسهم أهل السنة في مناقشته، ولم يكثر حوله الكلام إلا منذ عهد قريب، عند ما حاول أعداء الإسلام من المستعمرين والمبشرين والمستشرقين أن يشوهوا جماله، بإثارة الشبه حول بعض تشريعاته التي أثبتت جدارتها وكفاءتها في تنظيم المجتمع الإسلامي على تاريخه الطويل.[482]

ومن خلال هذه الجولة السريعة في حقل تعدد الزوجات نلقي الضوء على ما يتعلق به من حيث الأصل والأسباب والشروط والتبعات.

أولا: **أصل التعدد وتاريخه.**

إن ظاهرة التعدد من الموضوعات التي اتخذها أعداء الإسلام ذريعة للتهجم على الإسلام، على اعتبار أن التعدد يمثل صورة من صور اضطهاد المرأة، وانتهاكا لحريتها، وتقليلاً لمكانتها، وامتهانا لكرامتها. غير أن هذه ظاهرة ليست بدعة من الإسلام، بل هي موجودة ومعروفة في الحضارات القديمة. ففي الحضارة الفرعونية كان الملوك يعددون الزوجات ولا يوجد سقف يقيد التعدد، وتوجد أيضاً في حضارة بابل وآشور، وأيضاً عند حضارة الفرس والروم والهنود والصينيين واليونان وشعوب أخرى، وكذلك عرفت الديانة اليهودية التعدد، إن التوراة والتلمود أباحا تعدد الزوجات، ولم يجعلا له قيوداً ولا حدودًا كما عرفت الديانة المسيحية التعدد الذي أخذته عن الديانة اليهودية، ولم يرد نصاً قاطعاً في الكتب المسيحية يمنع الزواج أو التعدد، وما يوجد من رهبنة في النصرانية هي من تحريفهم وابتداعهم، وليست أصلا من أصول الديانة المسيحية كما قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ (الحديد،27/57)، وكانت أيضاً موجودة في أوربا إلى عهد غير بعيد، وكذلك عرف العرب في الجاهلية ظاهرة التعدد، ولما جاء الإسلام والعالم هكذا يعج بأنظمة فاسدة، ومن ذلك: التعدد، إذاً ليس الإسلام هو الذي شرع هذا النظام كما يتهمه أعداؤه، إنّما جاء الإسلام وقنّن هذا النظام ليضعه في صورة لبناء

---

[482] إدريس، صالح علي، *منهج القرآن في تربية الأسرة المسلمة*، ص206؛

هذا المجتمع وليس لهدمه. والأمم والحضارات السابقة فقد عرفته كما ذكرنا بأشكالٍ وصور عجيبة وعدد بالغ بل عند بعضهم يتجاوز التعدد إلى المائة أو أكثر، ومن الأغرب في ذلك كله عند بعض القوميات توجد عادة تعدد الأزواج لزوجة واحدة كما سنذكره إن شاء الله في نهاية هذا الموضوع. وكل ما فعله الإسلام هو تنظيم مسألة التعدد وتقييدها بقوله تعالى: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾(النساء،3/4). في هذه الآية نظمها الله تعالى هذه الظاهرة، ووضع لها سقفا وحدد أربع زوجات وذلك حتى لا يخرج عن حكمته العظيمة إلى الشهوانية ومجرد المتعة، وبعد التحديد قيدها بالعدالة، إذاً الإسلام هو المنظم لهذه الظاهرة بعد ما فسدت وليس المؤسس لها كما يتوهم البعض [483]

ثانيا: حكم التعدد

تبين لنا مما سبق أن تعدد الزوجات كان موجوداً قبل الإسلام في الشرائع السماوية والوضعية، وكان ممارساً عند العرب وعند غيرهم من الأمم، ولم يروا فيه باساً، واستصحاباً للأصل الذي كان عند العرب وغيرهم جاء الإسلام بمشروعية تنظيم تعدد الزوجات، لأن الشريعة المحمديةﷺ، وهي خاتم الشرائع السماوية، جاءت مقررة بأصول الشرائع السابقة، وقواعد الاجتماع الأساسية، ومصححة ما لحقها من تحريف، ومهدية من الشرائع السابقة ما كان مناسباً لأداء رسالته فى ظل الشريعة الجديدة، ففي البداية مارس المسلمون الأولون تعدد الزوجات، وظلوا كذلك حتى جاء النص الإسلامي الذي يتحدث عنه لا بالمنع ولكن بتعديله، بوضع حدٍّ للعدد الذي لا يجوز تجاوزه مقروناً بشرط العدالة، وإليك هذه الآية الصريحة والواضحة في المسألة هي قوله عزّوجل: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾(النساء،3/4).

فالتعدد في الإسلام مباح في الأصل وليس واجبًا، ولا مندوباً، ولكن أحياناً يتحول حكمه الأساسي –المباح– إلى الضرورة في المجتمع لا على كل الأفراد إذا وجدت الأسباب الداعية الشرعية إلى التعدد التي سنذكرها، أما من حيث الأفراد من كان يخشى من نفسه أن لا يعدل بين زوجتيه فلا يجوز له الزواج الثاني ويحرم عليه ذلك للنص القرآني الواضح: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾(النساء،3/4). والرسول ﷺيقول: "من كان له امرأتان فمال إلى أحدهما جاء يوم

---

[483] مُحَمَّد، بسام، *الحياة الأسرية*، ص200؛ الضمور، *منهج القرآن في حماية الأسرة*، ص132؛ صقر، عطية، *موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام*، 36/6؛ ادريس، صالح، *منهج القرآن في تربية الأسرة المسلمة*، ص205.

القيام وشقه مائل".[484] فيقول المفسرون هذه الآية دليل على وجوب الاقتصار على امرأة واحدة خوف الظلم، وعند وجود الخوف في عدم العدالة بين الاثنتين أو الثلاثة أو الأربعة، وقال الفقهاء: يحرم الزواج بأكثر من واحدة، إذا تأكد من نفسه الجور. فإن ظن من نفسه ولم يتأكد، كره له كراهة تحريمية، أن يتزوج بأكثر من واحدة. [485]

ثالثا: دوافع التعدد

التعدد في الإسلام مباح – كما ذكرنا آنفا– بلا مبرر، ولكن مشروط لمن يثق بنفسه تنفيذ الشروط، أما اذا وجدت مبررات في المجتمع يدعمها الشرع والعقل فالتعدد أولى من عدمه، لأن وراءه حكماً كثيرة ترجع مصلحته إلى الزوج وإلى الزوجة أيضاً وإلى المجتمع، والذي يقوم به ومنفذاً شروطه فهو مثاب على ذلك لأنه حصَّن بذلك نفسه وامرأةً أيضاً، وهناك من يتعدد ويأتي بمبررات لا يدعمها الشرع ولا العقل، وفي النتيجة يظلم نفسه والمرأة التي تحته والتي سيتجوزها، وهذا النوع من التعدد يخلق مشاكل وفوضى في الأسرة والمجتمع يصعب حلها، وهذا داء يمكن أن نقول: لا دواء له، ويُبَرِّر للأعداء والحاقدين أن يهجموا على الإسلام ومجتمع المسلمين ويصفهم بالتخلف وخفة العقل، وهنا نلقي الضوء على أهم تلك الدوافع الشرعية وغير الشرعية.

1. الدوافع الشرعية

هناك دوافع شرعية للتعدد لكن ليست لصالح الرجل ولأجله فحسب، بل أحياناً تكون لصالح المرأة أيضاً، بل هي المستفيدة أكثر من الرجل في ممارسة التعدد، وقد تكون للمجتمع كذلك كما يأتي بيانها:

أ– الدوافع الشرعية لصالح الرجل

هناك عدة دوافع فطرية وضرورية لدى الرجال تدعو إلى أن هذا الرجل يلجأ إلى التعدد، ولا ريب أن هذا الطريق أنظف وأحسن من أن يلجأ الرجل إلى طرق غير شرعية وغير جائزة ومن هذه الدوافع ما يأتي:

- إذا كانت شهوة الرجل عالية، ولم تستطع زوجة واحدة أن تشبعها، في هذه الحالة يجوز للرجل أن يتزوج بأكثر من امرأة ويعدد بين الزوجات؛ لئلا يقع في براثن الانحراف الاجتماعي

---

[484] أبو داود، *سنن أبي داود*، باب: القسم بين النساء، الرقم:(2133)، 469/1؛ النسائي، *سنن النسائي*، باب: ميل الرجل الى بعض نسائه، الرقم: (3942)، 63/7.

[485] القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 20/5؛ الشعراوي، *تفسير الشعراوي*، 2000/4؛ حوى، سعيد، *الأساس في التفسير*، 990/2؛ الزحيلي، *التفسير المنير*، 240/4؛ صقر، عطية، *موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام*، 62/6؛ الكردستاني، مثنى أمين، *حركات تحرير المرأة من المساواة الى الجندر*، ص391.

والأخلاقي وممارسة الرذيلة، أو يقوم بإشباع حاجته الغريزية خارج إطار الأسرة، لاسيما وأن المجتمعات المعاصرة تعيش حالة من الانحطاط الأخلاقي والتردي القيمي، حيث التبرج، والسفور، والعري، والتحرش الجنسي، والخلاعة، وانتشار دور الدعارة، ورواج الأفلام الإباحية، وسهولة الوصول إلى المواقع الإباحية على شبكة الإنترنت.

ولا شك أن بديل تعدد الزوجات هو تعدد الخليلات وهذا الأمر يتطلب إلى تأمل عقلاني دقيق.

- إذا كانت الزوجة عاقراً، والرجل يرغب في الإنجاب، في هذه الحالة يجب أن تكون الزوجة عونا للرجل لإشباع غريزة الأبوة وإيجاد الذرية التي هي دعاء الأنبياء وغاية منالهم: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾(الأنبياء،89/21).

- إذا مرضت الزوجة ولم تستطع القيام بمتطلبات الحياة الزوجية، أو عدم قدرتها على الإنجاب.

- ومن مصلحة الرجل في ذلك إذا أحب امرأة غير زوجته، ولا يمكن أن يتمتع بهذا الحب ولا يجوز التقرب إليها إلا عن هذا الطريق الشرعي وهو التعدد.

- قد يكون الرجل من رجال الأعمال يتنقل كثيرا بين البلاد للتجارة، ولا يمكن أن تصحبه زوجته إما لتربية الأولاد أو لارتباطها بوظيفة ما أو عدم الرغبة في السفر أو غير ذلك، وهذا الرجل بحاجة إلى امرأة بجانبه خوفاً من الوقوع في الحرام فالأفضل أن يتزوج بأخرى.

ب- الدوافع الشرعية لصالح المرأة

التعدد ليس لصالح الرجل فحسب، بل هناك بعض الأسباب في المجتمعات داعية لذلك ومصلحة للنساء فمنها ما يلي:

- الزوجة الأولى قد تكون عاقراً أو مريضة أو مسنة، والرجل لديه القدرة والرغبة الجنسية والذرية؛ فأمام الزوجة الأولى طريقان إما الرضا بالتعدد وتبقى في عصمته معززة مكرمة، أو تأخذ الطلاق وترمى في فلات الحياة أو بيت أبيها أو أخواتها حزينة تنتظر خطبة إما من قبل متزوج أو الفاني، وتنظر إليها بعين لا تحبها، فلا شك أن الاختيار الأول هو الأصح والتعدد كان لصالحها.

- قد تكون المرأة قريبة للرجل يحب أن يوثق بزواجها أواصر القربي، أو يصل رحمها إذا لم يكن هناك من يعيلها، أو كانت عانساً أو مريضة، أو دميمة لا يرغب فيها أحد، أو يريد أن يضم إليه أولادها، ليرعاهم هو بدل رجل غريب يتزوجها.

- كما تظهر مصلحة المرأة في التعدد عند زيادة عدد النساء لسبب من الأسباب، ككثرة ذرية البنات في منطقة من المناطق، أو لانصراف الرجال عن الزواج لسهولة المتع الأخرى وتيسر أسباب العيش خارج نطاق الأسرة مثلا، أو لسبب آخر، أو قلة عدد الرجال وكثرة الأرامل والعنوسة بسبب الحروب التي يكون الرجال فيها الضحية.[486]

ت- الدوافع الشرعية لصالح المجتمع

ومن مصلحة المجتمع في مشروعية التعدد هي التقليل إلى حد كبير لظاهرة الزنى والخيانة الزوجية والتحرش الجنسي والعلاقة غير الشرعية، منها إلى تنظيف المجتمع من الأمراض الفتاكة الناتجة من الزنى والانحراف الجنسي، وتقليل ظاهرة الأطفال غير الشرعيين.

2. الدوافع غير الشرعية

هناك من يغفل عن حكم التعدد، أو يجهل الأسباب الداعية إليه، أو لا يخطر بباله النظر في عواقبه.

فمن الناس من يعدد لأجل المفاخرة والتباهي، ومنهم من يعدد كسباً للتحدي؛ فقد يبادر إلى التعدد لأجل أن زملاءه اتهموه بالجبن، وأنه لا يستطيع أن يعدد، وربما وعده أحد زملائه بدفع تكاليف الزواج إن هو أقدم على التعدد؛ فلا يزالون به حتى يعدد؛ رغبة في كسب التحدي دون أن يكون له دافع غير ذلك.

ومنهم من يعدد لأجل أن يقهر الأولى ويؤدبها، فإذا عادت إلى رشدها طلق الأخيرة دون أن تقترف ما يدعو إلى الطلاق، وإلى غير ذلك من المقاصد القاصرة أو الفاسدة، التي توقع الزوجة في الحرج، وتحمل الزوج على الظلم والإساءة، فيا للأسف البعض لا يجد وسيلة للتأديب إلا تهديدها بالزواج عليها بأخرى أو يمارس التعدد للدوافع التي ذكرناها حتى أصبح التعدد أمراً

---

486 الحمد، محمّد بن ابراهيم، *رسائل في الزواج والحياة الزوجية*، ص186؛ محمّد، بسام، *الحياة الأسرية*، ص205؛ شمس الدين، العوانس صرخة في وجه المجتمع والقانون، ص 230؛ الضمور، *منهج القرآن في حماية الأسرة*، ص135؛ زريفة، *عوامل استقرار الأسرة في الإسلام*، ص101؛ الكردستاني، مثنى أمين، *حركات تحرير المرأة من المساواة الى الجندر*، ص391؛ صقر، عطية، *موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام*، 91/6.

مقززاً مخيفاً من جراء سوء السلوك والتصرف، فينبغي لمن أراد التعدد أن يستشعر حكمه، وأن ينظر في حاله وحاجته ومدى ملائمة التعدد له؛ فالتعدد وإن كان مشروعاً في الأصل لكن له أسباب ودوافع شرعية كما ذكرناها وله الشروط والضوابط كما سيأتي.[487]

رابعا: شروط التعدد

إن الله سبحانه وتعالى لم يذكر سبباً من الأسباب في القرآن الكريم للتعدد، لأن التعدد كان موجوداً بشكل عشوائي مشوه، ولكن الله تعالى حدده بالعدد أقصاه أربعة ونظمه بالعدالة في آخر الشريعة السماوية الغراء وهي شريعة المصطفىﷺ خاتم النبيين عليهم الصلاة والسلام، بقوله عزّوجل: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾(النساء،3/4) واشترط له شروطاً صراحة، ولو نتوقف على الشروط قليلاً ونتفكر فيهما لتبين لنا أنها لمصلحة المرأة تماماً كي لا تستغل الرجال هذا المشروع بشكل ينعكس ظلماً وجوراً على المرأة.

وتلك الشروط هي ثلاثة:

أ- **العدد المحدود:** كما ذكرنا سابقاً أن التعدد موجود في الحضارات والقوميات السابقة بلا قيد العدد، ولكن الشريعة الإسلامية حدده في أربع وهذا صريح في الآية قوله تعالى: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾(النساء،3/4). وقبل نزول الآية هناك عدد من الصحابة ﷺالذين كانوا من المعددين بأكثر من أربع زوجات وبعد اعتناقهم للإسلام خيَّرَهم رسول الله ﷺ بالإبقاء على أربعة زوجات فقط، وتطليق ما يزيد على ذلك، فقد ذُكر أن قيس بن ثابت ﷺعندما أسلم كان في عصمته ثمانية زوجات، وكان لدى غيلان بن سلمة الثقفي ﷺعشر زوجات، فأمرهما رسول الله ﷺ بأن يقتصر كل واحد منهما على أربعة زوجات فقط، ويطلق الأخريات[488].

ب- **العدالة:** وثاني الشرط في التعدد العدالة وهي أيضا مذكورة صراحة في الآية: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾(النساء،3/4)، وهذه العدالة مطلوبة في أمور حسية ففي الصحيحين

---

[487] العطار، عبدالناصر، *تعدد الزوجات من النواحي الدينية والاجتماعية والقانونية*، مطابع الشركة المصرية للنشر والتوزيع 1972م، ص 23، 36؛ الحمد، مُحَّد بن ابراهيم، *رسائل في الزواج والحياة الزوجية*، ص185.

[488] أبو داود، *سنن أبي داود*، الرقم(2240)، 557/3؛ ابن حنبل، *مسند أحمد*، الرقم(4609)، 220/8؛ البيهقي، *السنن الكبرى*، الرقم(14046)، 296/7؛ مُحَّد، بسام، *الحياة الأسرية*، ص202.

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ: كان يسأل في مرضه الذي مات فيه، يقول: «أين أنا غداً، أين أنا غداً» يريد يوم عائشة، فأذنت له زوجاته أن يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها، قالت عائشة: فمات في اليوم الذي كان يدور علي فيه، في بيتي، فقبضه الله وإن رأسه لبين نحري وسحري، وخالط ريقه ريقي"[489] وفي رواية للبخاري: "كان يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها".[490]

ومطلوب أيضا في النفقة والكسوة والعطية والسكن والسفر وكان رسول اللهﷺ: "إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه"[491]. أما العدالة في المعنويات والميول القلبية فليس ملزما بدليل قوله تعالى في آية أخرى بعد الأولى في السورة نفسها: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾(النساء،129/4)، يقول المفسرون: وذلك في العدل التام على الإطلاق المستوي في الأفعال والأقوال وميل الطبع بالمحبة والجماع والحظ من القلب.[492]

وهذه الآية ليست دليلاً لبطلان التعدد كما يظن الجهلة والحاقدون ويقولون أن الله تعالى قال: ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم، إذاً لا يجوز التعدد لأن التعدد مشروط بالعدالة. نعم التعدد مشروط بالعدل؛ ولكن العدل الذي أشارت إليه الآيات هو (العدل المادي)، أي العدل المتعلق بالمأكل، والملبس، والمسكن، والعشرة، والإنفاق. ومن لم يعدل في هذه الأمور فهو آثم لأنها أمور بإمكان الرجل التحكم فيها وضبطها، ولم تقصد الآية العدل المعنوي (الحب والمشاعر)، فهذا أمر ليس بإمكان الرجل التحكم فيه وضبطه، فالقلوب متقلبة والمشاعر متغيرة ولا تثبت على حال معين، فربما الرجل يميل اليوم إلى الزوجة الأخيرة أكثر من الأولى، وربما في الأيام المقبلة تنقلب الموازين، ويميل للزوجة الأولى أكثر من الأخيرة.[493] والآية منفية بـ

---

[489] البخاري، *الجامع الصحيح، باب: مرض النبيﷺ*، الرقم:(4450)، 13/6؛ مسلم، *صحيح مسلم*، باب: في فضل عائشة، الرقم(2443)، 1893/4.

[490] البخاري، *الجامع الصحيح، باب:* هبة المرأة لغير زوجها وعتقها، الرقم:(2593)، 159/3.

[491] البخاري، *الجامع الصحيح، باب:* هبة المرأة لغير زوجها وعتقها، الرقم(2593)، 159/3؛ مسلم، *صحيح مسلم*، باب: في فضل عائشة، الرقم:(2445)، 1894/4.

[492] الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*، 284/9؛ القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 407/5؛ ابن عطية، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، 120/2؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 430/2.

[493] الزحيلي، *الفقه الإسلامي وأدلته*، 6593/9؛ الحمد، محمد بن ابراهيم، *رسائل في الزواج والحياة الزوجية*، ص190؛ محمد، بسام، *الحياة الأسرية*، ص204؛

لن﴿ولن تستطيعوا...﴾ وهذه تحدي من الله تعالى وتدل على أن النفي لتأييد ومصداق ذلك اعتذار أشرف الخلق واتقاهم لله تعالى على ذلك هو الرسول ﷺ اعتذر إلى الله تعالى كونه لا يستطيع ضبط العدل المعنوي بين زوجاته والتحكم فيه قائلا: "اللهم هذا قَسْمي فيما أملك، فلا تلُمني فيما تملك ولا أملك".[494] وقال الترمذي: "يعني به الحب والمودة"[495] وقال البيهقي: "الحب والجماع".[496]

ت- **النفقة:** هي الشرط الثالث للتعدد، والمقصود بها هو استطاعة الرجل على انفاق زوجاته، وتشتمل النفقة كل ما تحتاجه الحياة الزوجية من الماديات كالطعام، والشراب، واللباس، والسكن، والأثاث، والعلاج... إلخ. ولا بد لمن يريد أن يقدم على الزواج من الرجال أن يكون لديه مصدراً آمناً للدخل، وإن لم يكن لديه فلا يتعجل في طلب الزواج، لقوله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (النور،33/24)، أمر الله تعالى بالعفاف إذا لم يوجد لدى الرجل ما يكفي من المال للزواج [497] والنفقة الزوجية واجبة على الزوج، ويستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾(النساء،3/4)، قال الفخر الرازي(ت:605هـ): "المراد أن لا تفتقروا، يقال: رجل عائل أي فقير، وذلك لأنه إذا قل عياله قلت نفقاته، وإذا قلت نفقاته لم يفتقر، ونقل عن الشافعي(ت: 204هـ): أنه قال: ذلك أدنى أن لا تعولوا، معناه: ذلك أدنى أن لا تكثر عيالكم لأن كثرة العيال تستلزم كثرة النفقات.[498]

وسئل رسول الله ﷺ عن حق الزوجة على زوجها، قال: "تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت"[499]

---

[494] أبو داود، *سنن أبي داود*، باب: القسم بين النساء، الرقم:(2134)، 470/3؛ الحاكم، *المستدرك على الصحيحين*، كتاب: النكاح، حديث سالم، الرقم:(2800)، 477/3.

[495] الترمذي، *سنن الترمذي*، باب: ماجاء في التسوية بين الضرائر، الرقم:(1140)، 610/2.

[496] البيهقي، *سنن الكبرى*، باب: ماجاء في قول الله عزوجل: ولن تستطيعوا.، الرقم:(14740)، 486/7.

[497] ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، 52/6.

[498] الرازي، *مفاتيح الغيب*، 490/9؛ صقر، عطية، *موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام*، 88/6؛ زريفة، *عوامل استقرار الأسرة في الإسلام*، ص103؛ محمد، بسام، *الحياة الأسرية*، ص203.

[499] ابن حنبل، مسند أحمد، الرقم:(20013)، 217/33؛ النسائي، سنن الكبرى، باب: تحريم ضرب الوجه، الرقم: (9126)، 266/8.

فمجرد الخوف من تنفيذ الشروط في تعدد الزوجات فالاقتصار على واحدة مطلوب طلباً إلهياً.

خامسا: سلبيات التعدد

إن الخير لا يخلو من بعض الشر، وإذا كان تعدد الزوجات خيراً وله إيجابيات كثيرة ولكن فيه بعض الشر والسلبيات، على أن هذه السلبيات نسبية، وغالبيتها تأتى من عدم الالتزام بالشروط الموضوعة له، ومهما يكن من شيء فإن ما ينتج عنه من أضرار قد يمس الناحية الخلقية أو الصحية أو الاقتصادية أو الاجتماعية وقد يصاب بضرره الرجل، وقد تصاب به المرأة، وقد يصاب به كلاهما والذرية والمجتمع أيضاً، وإليك بعض هذه الأضرار والسلبيات:

أ- فمن سلبيات التعدد زيادة الأعباء المالية، وبخاصة على صاحب الدخل المحدود، وهنا قد يضطر إلى سلوك طرق غير مشروعة للحصول على ما يواجه مطالب أكثر من زوجة وأسرة، وكيف يملك نفسه إزاء هذه المطالب الملحة، وماذا يفعل للوفاء بها ؟، فلنتصور ذلك فى أكرم أسرة وأنبلها، وهى أسرة الرسولﷺ حين جلست أمهات المؤمنين حوله يطالبنه بالتمتع بما تتمتع به نساء كسرى وقيصر، ولاسيما بعد أن وسع الله عليه بفيء بني النضير وغنائم قريظة، أن زوجات الرسولﷺ طالبنه بما لا يستطيع، فكانت أولاهن أم سلمة رضي الله عنها، سألته ستراً معلماً، وسألته ميمونة رضي الله عنها حلة يمانية، وسألته زينب بنت جحش رضي الله عنها ثوباً مخططاً، وهو البرد اليماني، وسألته أم حبيبة رضي الله عنها ثوباً سحولياً، وسألته كل واحدة شيئاً إلا عائشة رضي الله عنها ولكن رسول اللهﷺ لما يتمتع به من ثقتهن فيه وشرفه العظيم عليهن أمكنه أن يخلص من هذا الضغط وذلك بتخييرهن بين المقام معه على حالته الراهنة وبين إمتاعهن وتطليقهن وهذا مذكور في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ياأيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا (28) وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً﴾(الأحزاب،28/33-29).[500]

[500] صقر، عطية، *موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام*، 100/6.

ب- من متاعب التعدد إرهاق أعصاب الإنسان وهذا نسبي طبعاً، وذلك بانشغاله بتدبير أحوال أكثر من أسرة، وبمحاولة العدل بين الضرائر وأولادهن، والعدل الكامل الذي يرضى كل الأطراف عسير ومتعذر يطلق بال من يريد براءة ذمته، خشية من الله تعالى.

ت- ومنها ضعف صحة الرجل، وذلك بتلبية نداء الغريزة الجنسية، وهي نداءات لا نداء واحد، والزوجة إذا غاب عنها زوجها مدة، وبخاصة عند الضرة أو الضرائر، تكون شديدة الشوق إلى لقائه منتظرة أشد الانتظار فرصة تمتعها به، ونحن نعلم أنه كان مع ضرتها أيضاً في مثل ما تنتظره هذه منه والمسكين حائر بينهما يحاول إرضاءهما أو إرضاءهن جنسياً وعاطفياً، وهنا تكون المعاناة صعبة.

ث- ومن متاعب التعدد خلق جو لقطيعة الرحم بين أولاد الضرائر، اللاتي يغرسن فى نفوسهم كراهة إخوتهم من الأم الأخرى، بل قد يتعدى ذلك إلى غرس كراهة والدهم في قلوبهم بطريق مباشر أو غير مباشر، والهمسات البسيطة في مرحلة الطفولة تجتمع وتكون قنابل مدمرة وبراكين ثائرة في المستقبل، يتمثل ذلك في عراك وسباب وتحاسد وتآمر... وما إلى ذلك من معان تلازم نفوسهم طويلاً، ومن أكبر ما يساعد على ذلك عدم التزام العدل في معاملة الجميع.[501]

وخير شاهد على ذلك ما وقع في أسرة كريمة لنبي من أنبياء الله تعالى وهي أسرة يعقوب عليه السلام، ما حدث وسجل في القرآن الكريم بين يوسف عليه السلام وإخوته كان أبوهم واحد وهو نبي من أنبياء الله تعالى، ولكن أمهم مختلفة، ويقول الله تعالى عن ذلك: ﴿إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين (8) اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين﴾(يوسف،12/8- 9).يقول الشعراوي(ت:1418هـ): "فيوسف وأخوه كانوا صِغَاراً وماتت أمهما؛ ولم يَعُدْ لهم إلا الأب الذي أحسَّ بضرورة أن يَجتمع فيه تجاههما حنانُ الأب وحنانُ الأم؛ ولأنهما صغارٌ نجد الأب يحنُو عليهما بما أودعه الله في قلبه من قدرة على الرعاية.

وهذا أمر لا دَخْل ليعقوب فيه؛ بل هي مسألة إلهية أودعها الله في القلوب بدون اختيار".[502]

---

[501] صقر، عطية، *موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام*، 101/6.

[502] الشعراوي، *تفسير الشعراوي*، 6864/11.

ورغم كل ذلك أن الإنسان إذا كان صادقاً مع الله تعالى وعادلا قدر الإمكان، فيثبته الله تعالى في حياته ويصبره وهذه التبعات سيكون له أجراً وثواباً.

سؤال: لماذا لا يمكن تعدد الأزواج؟

قد يقال: لماذا لا يمكن تعدد أزواج ؟ ونقول: هناك أكثر من داعي لمنع هذا الأمر:

أولا: المرأة نفسيًا لا تحب هذا الأمر إلا أن تكون شاذة وغير طبيعية.

ثانيا: إن قوتها الجنسية (إن صح التعبير) أو تجدد الرغبة الجنسية الملحة، وكذا طريقة الإثارة عندها مختلفة ولذلك فهي أقدر على ضبط النفس.

ثالثا: المرأة موضع للنسب ولا يمكن التفريط في ضياع الأنساب الذي هو قوام المجتمع والحياة والرحمة والروابط... الخ.

رابعا: المرأة تعتريها العادة الشهرية والنفاس وما يتبع ذلك من أمراض واضطرابات، والمرأة غير قادرة في الكثير من الأحيان على إشباع الرجل جنسيا بالاستجابة لطلباته الغريزية؛ لأن تلك الاستجابة تحتاج من المرأة إلى أوضاع نفسية وجسدية وصحية معينة، حتى تتمكن من تلبية رغبته دون أن تتأذى نفسياً أو جسديًا، فكيف بالتعدد ومطالبات عدد من الرجال ولا يتحقق هذا إلا في ظل مجتمع يعطي الجنسين الحق في التعدد من الرجال المقترنون بامرأة واحدة، وسوف يبحثون عن أخريات لإشباع مطالباتهم الجنسية وهذا ظاهر البطلان والفساد.

وهناك ملاحظة لابد من ذكرها هنا وهو أن الباحث mordock أجري دراسة على (٥٦٥) مجتمع عام ١٩٤٩ وجد أن غالبية٨٠ % منها فيها تعدد للزوجات إلا أربع مجتمعات فيها تعدد للأزواج، وكان السر أن هذه المجتمعات كانت تمارس وأد البنات وقل عدد الإناث بينهم فاتبعوا هذه الطريقة المشينة.[503]

3.3.3. الخيانة الزوجية

الأصل في العلاقة الزوجية أن تكون حميمة على أساس المؤانسة والمودة والمحبة وفقاً لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إليها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الروم،21/30)، لكي تتربى الأجيال في حضن تلك الأسر ويتكاثر المجتمع على طهارة وعفاف ونزاهة، ولكن أحياناً يقع خلل في هذه الرابطة الأسرية، وتقع البرودة في تلك العلاقة الحميمة بين الزوجين وتتسرب هذه البرودة لا سمح الله إلى ما لا ترضى به النفوس الطيبة والفطرة السليمة وهي الخيانة التي هي من موجبات تفكك الأسرة

---

[503] الكردستاني، مثنى أمين، *حركات تحرير المرأة من المساواة الى الجندر*، ص394.

وانحلالها لولا رحمة ربي، والتي هي أصبحت داء عضالا منتشراً في المجتمع، كاد أن لا تجد أسرة إلا وهذا البلاء في عتبة بابها وبالأخص في هذا الزمن المبتلى بالشهوات.

والخيانة الأسرية لها أنواع وأشكال: كالخيانة في النفقة، والخيانة في أسرار الأسرة والبيت وإظهارها، والخيانة في تصرف مال الزوج من قبل الزوجة، وحقوق الزوج، والخيانة في المهر وحقوق المرأة وغير ذلك، ولكن أخطرها وأوجعها وأخبثها صعب أن تغفر هي خيانة الفراش والعلاقة الجنسية، وهي الشبح الذي يدمر الأسرة والمجتمع، وهذه هي التي نقصد بها ههنا ونلقي الضوء عليها، وهذه الخيانة تقع في الطرفين تقع من قبل الزوج وتقع من قبل الزوجة وفي كلا الجانبين لها أسباب ودوافع لوقوعها وهنا نلقي الضوء على أهم دوافعها، وماذا يفعل إذا وقعت لا سمح الله.

أولا: الخيانة الزوجية في القرآن الكريم

أصرح قصة في القرآن الكريم حول الخيانة الزوجية الجنسية هي من قبل الزوجة، وهي زوجة عزيز مصر مع نبي الله تعالى يوسف عليه السلام، ولكن حفظه الله تعالى من كيدها، والذي يلفت الأنظار أنه بعدما خانت زوجة العزيز انخلعت صفة الزوجية فلم يقل الله تعالى زوجة عزيز بل قال امرأة عزيز كمال في الآية: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(يوسف،30/12)، فقص الله تعالى هذه القصة كاملة وأظهر عفة سيدنا يوسف عليه السلام وكيد امرأة العزيز ثم يقول الله تعالى على لسان امرأة العزيز معترفة بذلك: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾(يوسف،52/12)، بعد ما علم عزيز مصر بفضاحة امرأته وانكشفت الحقيقة بأن يوسف عليه السلام بريء من ذلك براء الذئب من دمه، ولم يشاركها من الخيانة، ونادها للمحاكمة فقالت امرأة عزيز معترفة بذلك ليعلم زوجي أني لم أخنه بالغيب مع يوسف، والله لا يحب الخائنين، ويفضح الخونة أمام الخلائق، ولاسيما إذا أصر الخائن ولم يندم، وقال بعض المفسرين أن القول قول يوسف عليه السلام لعزيز مصر: أني لم أخنه مع زوجته بالغيب.[504]

ثانيا: أسباب ودوافع الخيانة

هناك عدة دوافع وأسباب واقعية لوقوع الخيانة بين الزوجين ومن أكثرها انتشاراً ما يأتي:

---

[504] الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*، 141/16؛ القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 209/9؛ الزحيلي، *التفسير المنير*، 283/12؛ النابلسي، *التفسير النابلسي*، 191/6.

أ- إطلاق البصر لدى الرجال على الأجنبيات؛ وهذا يجعله أن كل النساء لديه أجمل وأفضل من زوجته، وأن زوجته تقع أمام عينيه ولايميل إليها لا جنسياً ولا عاطفياً، ولهذا ينصح الله تعالى الجنسين معاً، ويأمرهما بغض أبصارهما أمام الأجنبيين والأجنبيات بقوله جل شأنه: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا...﴾(النور،24/30- 31).

ب- عدم اهتمام الزوجين بالآخر من الناحية الجنسية واشباع الغريزة الجنسية والملاطفة وعدم إثارة الجانب العاطفي فهنا يقع الفراغ ويبحث المحتاج إلى من يسد له لولا مخافة الله تعالى.

ت- عدم اهتمام الزوج بزوجته من حيث النفقة والحنان والسفر.

ث- عدم اهتمام الزوجة بالتزين والتجمل لزوجها في البيت، والرجل بصفة عمله في الخارج يرى كل ساعة ولحظة امرأة متزينة ومتعطرة ولولا مخافة الله ليقع في الحفرة.

ج- الاختلاط بين الرجال والنساء في الدوائر ومكان العمل وتبادل الكلام بينهم أو زيارات عائلية والجلوس في مجلس واحد مختلط كل ذلك يتسبب إلى الخيانة في تلك المواطن لها دور كبير في إفساد الطرفين.

ح- ومن أكثر الأسباب انتشاراً في عصرنا الحالي هو سوء استعمال التكنولوجيا ووسائل ما يسمى بالتواصل الاجتماعيي، ولكن للأسف تحول إلى الفساد والتباعد الاجتماعي، وأغلب الخيانات الزوجية أو انحرافات الفتيات والفتيان في عصرنا هذا هو عن طريق وسائل ما يسمى بالتواصل الاجتماعي، وهو في عقر بيته لو لم يخف من الله تعالى بإمكانه أن يفعل كل ما تريد النفس ويشتهي الشيطان.

خ- الزواج بالإكراه، أحياناً يحب الفتى فتاة لايزوجها له أو العكس، فيتزوج الفتى أو الفتاة عن غير رغبته، فبعد فترة يتواصل الفتى مع عيشقته أو الفتاة مع عشيقها، أو مع شخص آخر والسبب يرجع إلى الزواج بالإكراه لأن ذلك الزواج لا تنبت فيه المودة والمحبة والمؤانسة التي هي أساس بنية الأسرة ومقاصد الزواج.

وجميع ما ذكرنا من الأسباب تقع في حين البعد عن مخافة الله تعالى وعدم الالتزام بالدين، فهناك عشرات الآيات والأحاديث تؤكد أن الالتزام بشرع الله تعالى يضمن لك الراحة في الحياة والسعادة في الأسرة وحفظ المجتمع من الفوضى والمشاكل، فمثلا مقصد تكوين الأسرة في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إليها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الروم،21/30)، وغض البصر في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا...﴾(النور،30/24- 31)، وقوله تعالى في ابداء الزينة لغير المحارم: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ...﴾(النور،31/24)، وقوله تعالى في حفظ كل منهما على الآخر: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾(البقرة،228/2)، وقوله تعالى في حسن المعاشرة: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء،19/4)، وقوله تعالى في النفقة: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾(البقرة،233/2)، وقول الرسول ﷺ: ""خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي".[505] وقوله ﷺأيضا: "اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٍ، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ، إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا، إِنَّ لَكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ، فَلَا يُوَطِّئْنَّ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلَا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ، أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ".[506] فكل هذه الآيات والأحاديث التي تثبت وتذكر حق كل منهما على الآخر، ولو يطبق الإنسان ويلتزم بهما الزوج والزوجة في حياتهما الأسرية لعاشا حياة طيبة، فيرتاح المجتمع ويبعد عن كل دسيسة ودنيئة وخيانة ومشاكل.[507]

---

[505] الترمذي، *الجامع الكبير*، باب: في فضل أزواج النبيﷺ، الرقم: 3895،، 709/5.

[506] الترمذي، *الجامع الكبير*، باب: في فضل أزواج النبيﷺ، الرقم: (1163)، 21/3؛ ابن ماجة، *سنن ابن ماجة*، باب: حق المرأة على زوجها، الرقم: (1851)، 594/1.

[507] دهمان، عبدالقادر محمد المعتصم، *الخيانة صورها وأحكامها وآثارها في ضوء الكتاب والسنة*، دار اللؤلؤة – 2020، ص261؛ السلمان، فريد مصطفي، *الخيانة أسبابها أنواعها، آثارها كما يبينها القرآن الكريم*، دار الطويق –الرياض1998، ص66؛ هيئة التحرير(2023) *الخيانة الزوجية وتعريفها، وأسبابها، وأنجح الطرق للتعامل معها*، تم استرجاعه في 20234/8/1 على هذا الرابط https//ila.io/j308a.

ثالثا: كيفية التعامل مع الخيانة

يقال: الوقاية خير من العلاج، الأصل في الأسرة والمجتمع الوقاية، والوقاية تكون من خلال تطبيق شرع الله تعالى ومنهج القرآن للأسرة والمجتمع وتربية الأبناء تربية صحيحة شرعية كي لا يقعون في المشاكل ولا يوقعونكم فيها في المستقبل، والإبعاد عن كل الأسباب التي ذكرناها آنفا، وتكون سبباً في وصول الإنسان إلى حفرة الهلاك ومشكلة الخيانة، ويتعامل الإنسان في حياته على عكس ما ذكرنا من الأسباب كغض البصر أمام الأجنبيات، واهتمام كل من الزوجين بالآخر في حياتهما الزوجية مما يحتاجون إليه من الماديات والمعنويات، والتحفظ عن الاختلاط المحرم، والإبعاد عن سوء استعمال وسائل التواصل الاجتماعي وغير ذلك، أما في حال وقوع المشاكل والنوازل لا يمكن أن ييأس الإنسان ويستسلم للواقع، فلكل مشكلة علاج ولكل داء دواء كما ورد في سنن ابن ماجة بسند صحيح قال رسول اللهﷺ: "ما أنزل الله داء إلا وأنزل له دواء".[508] ولكن قبل اتخاذ أي قرار عليك مراعاة هذه الأمور وقت علمك بالخيانة:

أ- لا تتخذ قرارات سريعة:

يؤدي اكتشاف الخيانة إلى الكثير من مشاعر الغضب والصدمة والتي تؤثر سلبًا على إدراك الإنسان وقدرته على اتخاذ القرار، لذا عليك أن تتخلى عن اتخاذ أي قرار وأنت في تلك الحالة.

ب- لا تسعى للانتقام:

مع حالة الغضب الشديدة التي تُصاحب اكتشاف الخيانة قد يَلجأ البعض لمعاقبة الشريك من خلال الانتقام منه عن طريق تشويه صورته أمام الآخرين مثل العائلة والأصدقاء، وهو الأمر الذي قد تندم عليه لاحقًا، لذا لا تجعل مشاعرك تتجه إلى الانتقام منه.

ت- اقبل مشاعرك واعترف بها:

عليك أن تعترف بتلك المشاعر على الرغم من صعوبتها بالتأكيد، لكن تسمية مشاعرك وما تحسه بالتحديد تجاه نفسك وشريكك يساعدك على اتخاذ القرار المناسب.

ث- إياك والأطفال:

عند اكتشاف أي خيانة زوجية، يجب ألا يصل الأمر للأطفال بأي صورة، لا تجعل منهم حلقة وصل أو وسيلة ضغط على الطرف الآخر، لأنك بتلك الطريقة لن تتسبب لهم إلا بالأذى

---

[508] ابن ماجة، *سنن ابن ماجة*، باب: ما أنزل الله داء الا وأنزل له الشفاء، الرقم: (3438)، 116/5.

النفسي والشعور بالقلق وعدم الأمان.

ج- معرفة سبب للخيانة:

لا ريب أن الخيانة لا مبرر لها، لكن هناك من الأسباب ما دفع الآخر للخيانة حتى وإن كان ذلك من خلال تصوراته فقط، لذا عليك بمعرفة تلك الأسباب جيدًا وبوضوح.

ح- استشارة الخبراء:

قد تضطر إلى الحكي والحديث عما ألمَّ بك وما تشعر به، لذا من المهم أن تستشير شخصًا خبيرا أمينا، يمكن لهذا الشخص أن يكون مختصًا أو معالجًا نفسيًا أو شخصًا تثق برجاحة عقله ورؤيته مصداقاً لقوله تعالى﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾(آل عمران،159/3).

خ- امنح نفسك الوقت:

لا تتخذ أي قرار وأنت في حالة ضغط، عليك أن تترك نفسك مدة وإن طالت؛ حتى لا تتسرع في اتخاذ أي قرار قد تندم عليه.

د- التفكير في مستقبل الأولاد:

بعد انفصال الزوجين الضحية الأولى هم الأولاد، الذين ليس لهم ذنب بين الطرفين، فلذا فكر جيداً قبل اتخاذ أي قرار في ضياع ثمرة عمرك وفلذة كبدك، واعلم بأن تهدر كل جهدك الذي بذلت على أولادك، وسينحرفون في المستقبل.

ذ- الاستماع إلى الطرف الآخر:

يساعد الاستماع إلى الطرف الآخر على اتخاذ قرار سليم لا رجعة به، فمثلاً هناك من الزوجات التي تتأكد من رغبتها بالانفصال وأن هذا هو قرارها الصحيح عندما تتحدث مع الزوج وتجد منه نكران لفعله أو استخفاف بما فعله، لذا حاول أن تسمع شريكك.

وبعد الالتزام بهذه الأمور، وقبل اتخاذ أي قرار: ينظر إلى حجم الخيانة الزوجية إن كانت لا تتجاوز المحادثات والاتصالات الهاتفية مثلا مع الطرف الأجنبي؛ ففي تلك الحالة: الأَوْلى بالطرف الخائن أن يتوب إلى الله عزّوجل ولا يجهر بذنبه، أما الطرف الآخر أولى به المغفرة والرحمة مادام واثقًا من أن الأمر لن يتكرر، حتى لا يترك للشيطان مجالًا للتفرقة بينهما وامتثالا لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(آل عمران،134/3).[509]

[509] هيئة التحرير(2023) *الخيانة الزوجية وتعريفها، وأسبابها، وأنجح الطرق للتعامل معها*، تم استرجاعه في 20234/8/1 على هذا =

أما إن تجاوزت الخيانة ووصل إلى الخط الأحمر والفاحشة، ففي هذه الحالة يكون الخيار للطرف الذي ذاق طعم مرارة الخيانة إن كان قادراً على العفو والسماح في حال توبة الخائن والندامة على خيانته، فهو الأفضل والأولى لقول الرسول ﷺ: "كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون".[510] وقولهﷺأيضا: "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء".[511] ولكن إن شق عليه العفو وإدامة الحياة الزوجية الأولى والأسلم طلاق الزوجة الخائنة أو طلب الطلاق والانفصال من الزوج الخائن مع السكوت وكتمان الخيانة تنفيذاً لقوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾(البقرة،229/2). فليس لحل الخيانة والتعامل معها طريق ثالث كالتعذيب والانتقام بالمثل ولا سمح الله كالقتل وما شابة ذلك.

الرابط https//ila.io/j308a؛ الموسوي، الزهرا، د،ت، *اسباب الخيانة الزوجية وما هو التصرف الصحيح للتعامل معها*، تم استرجاعه في 2023/8/1 على هذا الرابط https//www.hakini.net/article

[510]الحاكم، *المستدرك على الصحيحين*، باب: كتاب التوبة والإنابة، الرقم:(7825)، 450/7.

[511]الترمذي، *الجامع الكبير*، باب: ماجاء في رحمة المسلمين، الرقم:(1924)، 323/4؛ البيهقي، *السنن الكبرى*، باب: ما على الوالي من أمر الجيش، الرقم:(17905)، 71/9.

4.3.3. العنف الأسري

لقد من الله تعالى على حبيبهﷺ بذكر نعمة من نعمه عليه ألا وهي الرفق مع من حوله بقوله قولاً كريماً إرشاداً لنا وتأديباً: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾(آل عمران،159/3) كان سبب تجمع الناس حول الرسولﷺ رفقه ولينه بهم، ولا يستعمل العنف أبدا إلا في حال الحرب والمعارك، حتى أعداءه مع أول نظرتهم لهﷺ فتتغير وجهة نظرهم إليه، فأعداؤه يشاهدون على هذه النعمة عليه كما قال ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة بعد ما أسلم: "والله ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلي"[512] ومن هذا المنطلق يقول الرسول ﷺ: "ما كان الرفق في شيء إلا زانه ولا كان الفحش في شيء قط إلا شانه"[513] فالعنف من إحدى المشاكل الأسرية الاجتماعية المنتشرة، ويعد من أخطر الممارسات التي يهدد كيان الأسرة، وأمنها، وغاياتها في بناء العلاقات الإنسانية السليمة، ويخلف بلبلة وفوضى داخل الأسرة وخارجها، ويؤدي العنف داخل الأسرة إلى فقدان الشعور بالأمن والسكينة والمحبة والمودة بين أفرادها التي جعلها الله تعالى قلب الأسرة ومنارها وأعمدة سقفها بقوله عزّوجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إليها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الروم،21/30)، ويتحول إلى مصدر إزعاج وخوف ورعب، وفي بعض الأحيان يتجاوز تلك المشاكل إلى مرحلة خطيرة فتنتهي بالقتل، أو التشويه، أو الإصابة بعاهات دائمة أو مؤقتة، إذاً العنف ترك خلفه كارثة لا تتعالج ومشكلة يصعب حلها، ولا يترك الخير والبركة في الأسرة كما قال رسول الله ﷺ: "إذا أراد الله عزوجل بأهل بيت خيراً، أدخل عليهم الرفق".[514]

ومن هنا تأتي أهمية هذا الموضوع، وبيانه في الفقرات الآتية.

---

[512] البيهقي، *سنن الكبرى*، باب: ما يفعله بالرجال البالغين منهم، الرقم:(2818)، 381/3.

[513] ابن حبان، *صحيح ابن حبان*، باب: ذكر الأمر بلزوم الرفق في الأشياء، الرقم:(551)، 311/2.

[514] ابن حنبل، *مسند أحمد*، الرقم(24427)، 488/40.

أولا: تعريف العنف الأسري

لغة: وهو ضد الرفق، يقال: أعنفته : بأنه الخرق بالأمر وقلة الرفق به، والعنيف: الشديد القول، والعنف: الغلظ والصلابة، تعنيفا واعتنف الأمر: إذا أخذه بعنف، وأعنف الشيء أخذه بشدة، وعنفه: لامه بعنف وشدة، والتعنيف: التوبيخ والتقريع واللوم.[515]

فمن خلال هذا التعريف اللغوي تبين أن العنف ضد الرفق تماماً.

اصطلاحا: تعددت تعريفات العنف الأسري من قبل الباحثين والمختصين نظراً لتعدد أشكاله وأنواعه، ولكن خلاصة تعريفاتهم تتفق على أنَّ كل فعل أو قول يصدر عن أحد أفراد الأسرة على الآخرين،- كعنف الزوج تجاه زوجته أو عنف الزوجة تجاه زوجها أو عنف الوالدين تجاه الولد وعكسه- ويصف بالشدة والقسوة، وتلحق الأذى المادي أو المعنوي بالأسرةً أو بأحد أفرادها.[516]

ثانيا: نماذج من العنف الأسري في القرآن الكريم.

يعتبر العنف بكافة أشكاله وصوره ظاهرة اجتماعية قديمة بقدم المجتمعات الإنسانية، وقد رافق السلوك الإنساني منذ وجد الإنسان على وجه الأرض، بل إن القرآن الكريم سجل تعجب الملائكة الكرام عندما أخبرهم الله تعالى أنه سيجعل الإنسان خليفة له في الأرض. وسبب هذا التعجب الملائكي ما نسب إلى الإنسان من الإفساد، والعنف، وسفك الدماء، وإلحاق الأذى بالآخرين، مقارنة بحالهم التي هي في حالة تعبد وتسبيح وتقديس دائم لله، قال الله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(البقرة،29/2).

وقد سجل القرآن الكريم صوراً من صور العنف الأسري فمنها:

أ- العنف الأسري بالقتل وهو قصة قتل قابيل أخاه هابيل في قوله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(المائدة،30/5)، وقصة يوسف عليه السلام مع إخوته فألقوه في البئر، وهاتان القصتان من قبيل عنف الأخ تجاه الأخ.

---

[515] الزبيدي، *تاج العروس*، 186/24؛ أبو منصور، محمّد بن أحمد بن الأزهري الهروي، *تهذيب اللغة*، تح محمّد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت2001م، 5/3؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 158/4.

[516] عوض، عادل موسى، (2015)، *العنف الأسري وأثره على الفرد والمجتمع*، ص10، بحث تم استرجاعة في 2023/8/1 على هذا الرابط https//www.researchgate.net/publication/309372796؛

ب- العنف الأسري بالإيذاء المعنوي والجسدي وهو قصة يعقوب عليه السلام مع أبنائه مذكورة بالتفصيل في سورة يوسف، وهذا من قبيل عنف الأبناء تجاه أبيهم.

ت- العنف الأسري بأبشع صورة القتل وهي وأد البنات في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (النحل،58/16- 59).وهذا من قبيل عنف الأب تجاه ابنته البريئة.

ث- العنف الأسري بإيذاء النفس والجسد تجاه الزوجة في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (التحريم،11/66)، وهذا العنف من قبيل عنف الزوج تجاه زوجته -عنف فرعون تجاه زوجته آسيا).[517]

ج- العنف الأسري من حيث التعذيب النفسي، وعدم إطاعة الزوج فيما أمر الله تعالى به في قوله تعالى عن تمرد امرأة نوح ولوط عليهما السلام: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾(التحريم،10/66). وهذا العنف من قبيل عنف الزوجة تجاه الزوج.

ثالثا: أسباب العنف الأسري

الأسباب التي تدعو إلى العنف الأسري كثيرة، وإحصائها صعبة، ولكن سأذكر أهم الأسباب المنتشرة الداعية إلى ظهور العنف الأسري.

أ- ضعف الوازع الديني

يشكل الوازع الديني عاملاً أساسياً من عوامل ضبط سلوك الأفراد وتعاملهم، لأنه يعزز الإيمان والعقيدة عند الإنسان ويرسخ في نفسه المفاهيم الإنسانية وسبل التكافل الاجتماعي، ويعوده على التسلح بالصبر والحكمة والخلق الرفيع، وتعتبر هذه العوامل من مقومات الأمن الاجتماعي التي دعا إليها الخالق عزّوجل بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾(الأنعام،82/6). ويتضح لنا من ذلك أن الوازع الديني المتمثل

---

[517] محمد، بسام، *الحياة الأسرية*، ص274.

في الإيمان القوي، والابتعاد عن ظلم الآخرين، يهيئ للفرد الراحة النفسية والأمن والطمأنينة، ويعزز في نفسه قدرات ذاتية تبعده عن جميع مسالك الانحراف ومنها السلوك العدواني تجاه أفراد الأسرة، وتساعده في التغلب على الصعوبات والمشاكل التي تواجهه بكفاءة واقتدار، وفي المقابل نجد أن ضعف الوازع الديني يؤدي إلى اهتزاز المشاعر الدينية عند الفرد، مما ينعكس على القيم السلوكية، ويؤدي إلى تراجعها والوقوع في الجريمة والانحراف نتيجة ابتعاد الفرد عن أحكام الشريعة الإسلامية وتعاليمها السمحة[518].

ب- عدم الالتزام بمنهج الإسلام في اختيار الزوجين

نظمت الشريعة الغراء العلاقة بين الزوجين، وهذه العلاقة لها منهج منظم متكامل بحيث لو التزم الزوجان به لسلما إلى حد كبير من العنف والمشاكل الأسرية، وبشكل أكثر تفصيلاً ذكرنا سابقاً سبل اختيار الزوجين.

ت- الإفراط في الغيرة

الغيرة بين الزوجين قد تنقلب – إذا كانت على سبيل الإفراط- إلى ظاهرة مرضية تعصف بالرابطة الزوجية بل ربما تؤدى إلى ارتكاب جريمة إذا ما نفث الشيطان فيها سمومه. ففي دراسة أجريت حول جرائم العنف أكدت أن الغيرة الشديدة كثيراً ما تدفع بالطرف الآخر للعلاقة الزوجية إلى القيام بنشاط يشبه عمليات التجسس وعمليات التحرى مما يؤدى بلا شك إلى توتر العلاقة بين الزوجين وظهور أشكال مختلفة من العنف. من أجل ذلك ولتجنب الوقوع في المحظور، دعا الإسلام إلى الاعتدال في الغيرة وعدم المبالغة في الاحتكام إليها.

فإن الغيرة منها ما هو محمود، ومنها ما هو مذموم، فالغيرة المحمودة هى التي في محلها ومما لابد منه، وذكرنا فيما سبق موضوع الغيرة بصورة تفصيلية أكثر. فالغيرة على الأهل إذا كان لها مبرر حقيقى يستدعي ذلك فهذا أمر محبوب ومحمود، أما الغيرة بسبب الشك والوساوس التي لا أساس لها ولا مبرر فهي مذمومة، وهي الشرارة الأولى في إذكاء نار الكراهية والبغضاء والعنف، وقد أشار القرآن الكريم إلى خطورة هذه الغيرة فقال تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إلى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (8) اقْتُلُوا يُوسُفَ

---

[518] السعد، صالح، *دور الوازع الديني في وقاية المخدرات*، مجلة الأمن والحياة اصدار وزارة المعارف المملكة العربية 1998م، العدد 186، ص34؛ بهنسي، محمد البيومي الراوي، *العنف الأسري، أسبابه آثاره وعلاجه*، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، د، ت، مجلد9، العدد 32، ص 179.

أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾(يوسف،8/12- 9). هنا بداية شعلة نار الغيرة المذمومة، وعاقبتها الخجل والندامة.[519]

ث- تأثير أصدقاء سوء

من الأسباب الاجتماعية الخارجة عن إرادة الأسرة والتي قد توجد الخلافات والمشكلات الأسرية، الاختلاط بأصدقاء السوء وتأثيرهم على العلاقات الأسرية، فالأثر السيئ الذي يمثله أصدقاء السوء هو التدخل السلمي في العلاقات العائلية، فقد يكون رفاق السوء سبباً في خلق المشكلة والشكوك والظنون بين الزوجين، ويحرضون الزوج على زوجته باتهامات باطلة، فيدسون له السموم التي تفسد أفكاره، فتنعدم ثقته بزوجته فيمنعها من الخروج والزيارات حتى زيارة والديها، ويضيق عليها الخناق فيمنعها من مقابلة الأهل والجيران، كما قد يصل به الأمر إلى ضربها وإهانتها أو طلاقها، وكل ذلك بسبب الأكاذيب والافتراءات من أصدقاء السوء والتي لا أساس لها من الصحة. ورفقاء السوء أحياناً يخلقون المشكلة بين الابن والأب، ويجعلون الابن يتعامل مع أبيه أو أمه بسوء الأدب والخلق. وليس أدل على خطر الصحبة السيئة وأثرها في الانحراف من عناية الشريعة الإسلامية بانتقاء الأصحاب، والابتعاد عن قرناء السوء الذين يزينون الباطل، ويتبعون الشهوات، ويدفعون الأصحاب إلى ارتكاب الفواحش والمنكرات، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27) يَاوَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (28) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾(الفرقان،7/25- 29).

وقد بين الرسول ﷺ في أحاديثه مدى خطورة الصحبة السيئة بقوله: "مثل الجليس الصالح والسوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يجذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة".[520]

ويقال في الأمثال: أخبِرْني مَن صاحبُك أُخبِرُك عن حالك.

ج- تأثير وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي

ومن الأسباب التي تساهم في انتشار العنف الأسرى ما تقوم به وسائل الإعلام المختلفة والتواصل الاجتماعي في هذا العصر، فلا يمكن بحال إغفال دور وسائل الإعلام التي تحمل

---

[519] شكور، جليل وديع، *العنف والجريمة*، دار العربية للعولم – بيروت، د –ت، ص127؛ عوض، عادل موسى، *العنف الأسري وأثره على الفرد والمجتمع*، ص28.

[520] البخاري، *الجامع الصحيح*، باب: المسك، الرقم: (5534)، 96/7؛ مسلم، *صحيح مسلم*، باب: استحباب مجالة الصالحين، الرقم(2628)، 2026/4؛ عوض، عادل موسى، *العنف الأسري وأثره على الفرد والمجتمع*، ص29.

في كثير منها شبهات وعقائد باطلة وأفكاراً منحرفة وتوجهات سيئة، وأصبح المجتمع المسلم متأثراً بهذه العقائد والعادات والتقاليد.

فأعداء الإسلام دائماً يحاولون من خلال وسائل الإعلام المختلفة خداع النساء والشباب المراهقين بأوهامهم المزيفة. كما تقوم وسائل الإعلام بدور التحفيز على العنف من خلال عرض مشاهد يمكن أن تؤدى للتوتر والقلق، أو الإحباط وزيادة الشعور بالحرمان أو من خلال الحصول على نموذج للعدوان يتماثل معه.

ومن هنا يجب أن ننبه على ضرورة بذل الجهد في محاولة التصدي لهذا السيل العارم من وسائل الإعلام وما تحمله في طياتها من سموم وشرور في الغالب خاصة تجاه الأطفال والشباب والنساء، ولعل كل أب وأم لاحظا كيف ينشدُّ الطفل أكثر عند المشاهد الأكثر عدوانية؛ مثل: الإكثار من الأصوات العالية والضجيج والشتائم المتكررة، والتهديد بالكلام والإشارات وغير ذلك من استعمال طرق العنف ويؤثر سلباً على الأطفال مباشرة.

وليس سبيل لتصدي لهذا الغزو الإعلامي المزيف الخادع إلا من خلال تحصينهم بتربية إسلامية صحيحة التي تجعلهم على قدرة ومعرفة لتمييز الغث من السمين والخطأ من الصواب والنافع من الضار.[521]

ح- الانحرافات الأخلاقية

هي تؤجج وتزيد من الخلافات العائلية مثل: شرب الخمور والمسكرات وغيرها، وتؤدي بالتالي إلى اللجوء للعنف ضد أفراد الأسرة، فتعاطي المخدرات يزيد وبشكل كبير من خطر العنف الأسري، ومن الأمور المسلم بها نظرياً وواقعيًا أن تعاطى المسكرات والمخدرات، بل يعد الإدمان على شرب الخمور والمسكرات والمخدرات من أكبر أسباب العنف الأسري، وسماه الله تعالى رجسا واعتبره من أعمال الشيطان كما قال عزّوجل: ﴿ياأيها الذين آمَنُواْ إِنَّمَا الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشيطان فاجتنبوه لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(المائدة،90/5)، والرجس هو: الشيء الرديء الخبيث القذر، [522] وجعله النبي ﷺ أم

---

[521] حجازي، رسمية محمّد علي، *تنظيم الإسلام للعلاقات الاجتماعية في الأسرة*، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية –جامعة أم القرى، 1405هـ، ص342،341؛ محمّد، بسام، *الحياة الأسرية*، ص190؛ عوض، عادل موسى، *العنف الأسري وأثره على الفرد والمجتمع*، ص33؛ الحليبي، خالد بن سعود، *العنف الأسري أسبابه ومظاهره وآثاره وعلاجه*، مركز التنمية الأسرية بالأحساء والدمام – 2009م، ص16.

[522] الشعراوي، *تفسير الشعراوي*، 3367/6؛ بهنسي، *العنف الأسري، أسبابه آثاره وعلاجه*، ص 183.

الخبائث حيث يقول في بيان قذارة الخمر: "اجتنبوا أم الخبائث..."[523] أي كالأم تلد منه كل المشاكل والذنوب.

خ- العوامل الاقتصادية

يعد العامل الاقتصادي من الأسباب الرئيسة في وقوع الكثير من المشكلات الاجتماعية. وللعامل الاقتصادي دور لا يمكن إنكاره أو تجاهله في ممارسة العنف الأسري.

فالبطالة والفقر والديون... وما إلى ذلك من أمور، تزيد من الضغوط النفسية على الزوج، وتزيد من شعوره بالعجز والضعف والانهزامية، ولا يعتبر الفقر مؤثرا على شخصية الفرد إلا في حال الاستمرار مدة طويلة متعبة.

والأسر الفقيرة تتضاعف لديها أجواء العنف الأسري أكثر مقارنة بالأسر الغنية، فعندما لم يستطع رب الأسرة توفير حاجات الأسرة، أو يكون عاطلا عن العمل ولا يوجد مصدراً للدخل من جهة، وتزايد طلبات الأسرة من جهة ثانية، فإن هذه الظروف تدفع الأب لممارسة العنف ضد أفراد أسرته، أو حتى ضد المحيط الاجتماعي نتيجة لحالة السخط والإحباط واليأس والعجز التي يمر فيها لعدم قدرته على توفير متطلبات الأسرة، وقد سجل القرآن الكريم حقيقة تاريخية مرة هي قتل أفراد الأسرة ووأد البنات خوفا من النفقة بسبب الحالة الاقتصادية الضعيفة حيث يقول الله تعالى ناهياً عن هذه الحالة: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾(الأنعام،151/6)، ويقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾(الإسراء،31/17)، أحياناً وهم يقتلون أولادهم ولاسيما البنات خشية الفقر على أنفسهم كما في الآية الأولى، وأحيانا يقتلونهم خوفاً على أولادهم كما في الآية الثانية.[524]

د- الإصابة بالأمراض النفسية والعصبية

مما لاشك فيه أن الصحة النفسية عامل أساسي في توازن سلوك الفرد، وأن الإصابة بالأمراض النفسية والعصبية[525] لابد أن يخل بهذا التوازن، أما بالنسبة لعلاقة الأمراض النفسية

---

[523] ابن حبان، *صحيح ابن حبان*، باب: ما يجب على المرأ من مجانبة الخمر، الرقم: (5348)، 168/12.

[524] عوض، عادل موسى، *العنف الأسري وأثره على الفرد والمجتمع*، ص38؛ بهنسي، *العنف الأسري، أسبابه آثاره وعلاجه*، ص 181؛ محمّد، بسام، *الحياة الأسرية*، ص 189.

[525] المرض النفسي هو اضطراب نفسى حسمى سبه كبت وصراع نفسي، أما المرض العصبى هو اضطراب نفسي جسمى سبه تلف أو أصابة في النسيج العصبى للمخ أو الخلايا. راجح، أحمد عزت، *الأمراض النفسية والعقلية، أسبابها وعلاجها، وآثارها الاجتماعية*، دار الشروق –القاهرة 1964م، ص21.

والعصبية بالعنف الأسرى، فقد كشفت إحدى الدراسات عن وجود علاقة طردية بين الأمراض العقلية وارتكاب جرائم العنف، فكلما كان الفرد مصاباً بالأمراض العقلية كلما اتسم سلوكه بالعنف، وكلما بعد عن الأمراض العقلية بعد سلوكه عن العنف، وأصبح الفرد يشعر بقدرته العقلية، وتقل احتمالية ارتكابه جرائم السلوك العنيف.[526]

فالمرض النفسي في أغلب الأوقات هو نتيجة البعد وعدم الالتزام بالعبادات والأخلاقيات العالية، كما أشار به سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ (طه،124/20)، يقول الزحيلي(ت:1436هـ): المعرض عن ذكر الله فمعه من ألوان الحرص والقلق والهموم والتعذيب النفسي في أمور الدنيا.[527]

ذ- تعدد الزوجات

ومن إحدى دوافع العنف الأسري هو تعدد الزوجات سواء هذا العنف تجاه إحدى الزوجات أو الأولاد أو كليهما، فالتعدد يؤدي إلى تفضيل إحدى الزوجات على الأخريات علناً، وهذا منافي مع مقاصد التعدد وضد الآية القرآنية، أو يؤدي إلى الاهتمام ببعض الأولاد وإهمال الآخرين، وكل ذلك ناتج عن التعدد الناتج عن العدالة والتقوى والعقل السليم، وقد ذكرنا مسألة التعدد بشكل تفصيلي أكثر في هذا المبحث.

ر- تدخل الأقارب

ومن دوافع العنف الأسري تدخل بعض الأقارب في شؤون أسر أقاربهم بدون مسوغ، والإفساد بين أفراد الأسرة بالنميمة وإشعال الفتنة فتؤدي إلى العنف داخل تلك الأسرة، خاصة إذا وافق ذلك استعداد الآخر داخل الأسرة للعنف، إما لجهله، أو لضعف شخصيته، أو لخفة عقله وتصديق أي كلام يسمعه وتحكم الآخرين به.[528]

ز- ضعف الشخصية

هناك أسباب للعنف الأسري تعود إلى الفرد ذاته مثل: الشعور بالإحباط واليأس، وضعف الثقة في النفس، وعدم القدرة على حل المشكلات، وعدم القدرة على التكيف الاجتماعي،

---

[526] الدسوقي، سوسن محمّد، *الخصائص البيئية والسمات النفسية لمرتكبي جرائم السلوك العنيف*، رسالة ماجستير، جامعة عين الشمس – قسم الدراسات الإنسانية، القاهرة 1416هـ، ص7؛ عوض، عادل موسى، *العنف الأسري وأثره على الفرد والمجتمع*، ص45.

[527] الزحيلي، تفسير الوسيط، 1557/2.

[528] بهنسي، *العنف الأسري، أسبابه آثاره وعلاجه*، ص 184.

والمعاناة من الاضطرابات الانفعالية والنفسية، والخلل في بناء الشخصية، فكل هذه الأمور وغيرها قد تدفع الفرد إلى ممارسة العنف بحق الآخرين بدافع تعويض النقص وإثبات ذاته.[529]

رابعا: أنواع العنف الأسري

العنف يأخذ صوراً وأشكالاً؛ فمنه ما هو نفسي ومعنوي ومنه ما هو جسدي ومحسوس، ومن أبرز تلك الأنواع والأشكال من العنف الأسري ما يأتي:

أ- العنف النفسي

يقصد به أنه: كل تصرف خاطئ يمكن أن يترك أثاراً سلبية على نفسية الفرد، ويسعى إلى السيطرة والإذلال، ويطبع الخوف في نفس الفرد، مما يؤثر سلباً على وظائف الفرد السلوكية والوجدانية والذهنية والجسدية. وهذا التصرف السلبي قد يكون صادراً عن الوالدين أو الأخوة أو الأقارب، ومن أنواع العنف النفسي: الألفاظ الجارحة، والرفض، والإهمال، والتحقير، والإهانة، والخوف، والعزل، والاستغلال، والحرمان، والنقد السلبي، والاتهام بالفشل، والنعت بالغباء، وفرض الرأي بالقوة وغير ذلك، ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(الحجرات،11/49)، كل ما ذكرت في هذه الآية من السخرية واللمز والتنابز وكل ما يستنبط منها داخلة في إطار العنف النفسي .[530]

ب- العنف الجنسي

الجنس غريزة خلقية فطر عليها الناس، وطاقة مودعة في الإنسان، تستدعي العناية والاهتمام وتستوجب الإرشاد والتوجيه حتى تسلك طريقها الصحيح في بناء الأسرة، وتكوين المجتمعات، ولذلك أقرها الإسلام، وشرع لها الطرق والوسائل لإشباعها، ووضع لها القواعد والضوابط، حتى تسير في طريقها الصحيح بعيداً عن الانحراف والانحلال وهذا الطريق بينه الله تعالى قائلا: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾(المؤمنون،5/23- 7)، ولكي تتناسب مع شرف الإنسان وكرامته وتتفق مع رسالته الإنسانية في هذه الحياة.

---

[529] محمد، بسام، *الحياة الأسرية*، ص188.

[530] محمد، بسام، *الحياة الأسرية*، ص185؛ عوض، عادل موسى، *العنف الأسري وأثره على الفرد والمجتمع*، ص51.

إن العنف الجنسي داخل الأسرة يشكل خرقاً واضحاً للضوابط والقواعد التي حددها الإسلام، وعلى ممارسه اللوم والعقاب في الدنيا والآخرة.

وتتعدد صور العنف الجنسي في إطار الأسرة فمثلا: إتيان الزوج زوجته رغماً عنها دون مراعاة وضع الزوجة، فقد تكون مريضة لا تقدر أو لا ترغب في ممارسة الجنس لحالة نفسية فيجبرها على ذلك بالقوة والعنف، وأيضاً إجبارها على القيام بأفعال جنسية شاذة خارجة عن أحكام الدين والخلق في عملية الجنس، أو إجبارها على ممارسة البغاء مع رجال أجانب بغية الحصول على المال.

ولا يقتصر العنف الجنسي داخل الأسرة على الزوجة فقط بل يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك ليشمل الاغتصاب من قبل أحد أفراد الأسرة لامرأة من نفس الأسرة وهو ما يسمى بزنا المحارم، أو إجبار الأطفال على تحقيق الرغبات الجنسية للكبار، أو استخدام ألفاظ جنسية بغرض الإغراء أو ممارسة الشذوذ الجنسي مع أحد من أفراد الأسرة.[531]

ت- العنف الجسدي

يعتبر العنف الجسدي أكثر أنواع العنف وضوحاً، لما يخلفه من آثار مادية ظاهرة للعيان على جسد المعتدى عليه، يصعب إخفاء آثاره.

والمقصود بالعنف الجسدي هو: أي فعل يصدر من أحد أفراد الأسرة بقصد إلحاق الأذى أو الضرر أو إصابة الآخرين من أفراد الأسرة في أبسط الأشكال إلى أخطرها وأشدها مثل: الضرب واللطم إلى أن يصل إلى الجرح وقطع الأعضاء والقتل، ومما سجل القرآن الكريم من العنف الجسدي الأسري قصة قتل قابيل لأخية هابيل﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(المائدة،30/5)، ومؤامرة إخوة يوسف عليه والقائة في البئر﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (9) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (يوسف،9/12- 10) وتسرب ذلك العنف إلى يعقوب عليه السلام وفقد عيناه ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاأَسَفَا عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾(يوسف،85/12)، ومما سجل القرآن الكريم من صور العنف الجسدي وأد البنات في الجاهلية حيث قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ

[531] محمد، بسام، *الحياة الأسرية*، 184؛ الجبرين، علي جبرين، *العنف الأسري خلال مراحل الحياة*، مؤسسة الملك خالد الخيرية، الرياض، 2005م، ص46.

وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾(النحل،58/16- 59).[532]

ث- العنف الاجتماعي

ومن صور هذا العنف حرمان الزوجة من ممارسة حقوقها الاجتماعية من زيارة أقاربها وصديقاتها، وحرمان الأطفال من التفاعل مع أبناء الحي أو الأقارب.

ج- العنف الاقتصادي

ومن صور العنف الاقتصادي في الأسرة: حرمان الزوجة من الميراث والصداق، وعدم توفير حاجات الزوجة أو الأولاد التي تتعلق بالمال كشراء الألبسة، ومنع النفقة عنهم، أو التعدي على راتب الزوجة.[533]

خامسا: آثار العنف الأسري

للعنف في نطاق الأسرة آثار خطيرة وكثيرة بحيث يصعب استيعابها أو حصرها، وسأذكر هنا بعض الآثار الواضحة المترتبة على العنف الأسرى، والتي يعاني منها أفراد والأسرة نفسها والمجتمع أيضا.

1. آثار العنف على الفرد يشمل النفسي والجسدي

أ- الآثار النفسية على الفرد

عندما يتعرض الفرد للعنف يشعر هذا الشخص بالإحباط والتوتر والقلق ويشعر بالضغوط النفسية الهائلة بحيث تقل مهاراته المهنية، وغالباً ما يفشل في أعماله اليومية، ولا يستطيع أن يلتزم بمواعيده كالسابق، ومع استمرار العنف الأسري وشعور الفرد بالخوف المستمر وافتقاره في كثير من الأحيان إلى التوجيه والاهتمام، فإنه سيظهر لديه العديد من السلوكيات غير المقبولة، كما حصل لإخوة يوسف عليه السلام مع يوسف من المكيدة والخداع إلى أن وصل إلى ما وصل، أو يلجأ الطفل أحياناً إلى السرقة مثلا للتعويض عما يفقده من مساعداته في الأسرة بسبب انشغال الوالدين عنه، أو تلجأ الزوجة إلى السرقة من الزوج إذا لم يقم بالواجبات والالتزامات المفروضة، ويقول ابن خلدون(ت: 808هـ) عن هذه الحالة: "ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلّمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر وضيّق عن النّفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث وهو التّظاهر بغير ما

---

[532] عوض، عادل موسى، *العنف الأسري وأثره على الفرد والمجتمع*، ص50.

[533] مُحَمَّد، بسام، *الحياة الأسرية*، ص187.

في ضميره خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه وعلّمه المكر والخديعة لذلك صارت له هذه عادة وخلقا".[534]

وكذلك يؤثر العنف على الفرد من حيث ضعف عاطفة المودة والمحبة التي غرسها في محضن الأسرة وفي قلب الزوجين، وبها تحلو الأسرة وتستمر الحياة كما قال الله عزّوجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إليها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الروم،21/30).

ب- الآثار الجسدية على الفرد

تتعدد الآثار الجسدية للعنف الأسري وهي متشابهة إلى حد كبير في جميع الأفراد الذين يقع عليهم العنف الأسري ومن هذه الآثار: الإصابة بالشلل أو فقدان الذاكرة وفقدان الشهية للطعام، ونحافة الجسد، واضطرابات النوم أي لا ينام إلا قليلاً أو حينما ينام لا يستيقظ إلا متأخراً، فلا يدري هذا الشخص متى ينام ومتى يستيقظ، وأحياناً تقع هذه الآثار على الفرد الذي لم يأت إلى الدنيا بعد فتؤثر على الجنين بإسقاطه أو تشويه صورته.

وآثار العنف قد ينهي بالإنسان كأن ينتحر هذا الإنسان أو يقتل نفسة نتيجة ذلك العنف.[535]

2. آثار العنف على الأسرة

آثار العنف الأسري لا تقف عند حد الفرد فحسب، بل تتعدى ذلك، فتؤثر على الأسرة بأكملها؛ وذلك لأنها تهدد بنيان الأسرة، والأسرة مكونة من ركنين أساسين الأول الزوجان وهما الأصلان، والثاني الأولاد وهم الفروع، وآثار العنف تؤثر عليهما سلباً ومن هذه الآثار هي:

أ- آثار العنف على الزوجين

إن العنف إذا غلب على الأسرة كره الزوجان الحياة الزوجية، مما قد يسبب الطلاق، أو البقاء في حياتهما الزوجية التعيسة؛ لأن المعنَّف يملُّ من الحياة، فلا يستطيع القيام بواجباته الأسرية، فلا الزوج يقوم بنفقاته، وواجبه الزوجي، ولا الزوجة تقوم بواجباتها الزوجية والأمومة،

---

[534] ابن خلدون، عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد، *ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر*(تاريخ ابن خلدون)، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت1988م، 743/1؛ عوض، عادل موسى، *العنف الأسري وأثره على الفرد والمجتمع*، ص319؛ بهنسي، *العنف الأسري، أسبابه آثاره وعلاجه*، ص 192.

[535] عوض، عادل موسى، *العنف الأسري وأثره على الفرد والمجتمع*، ص328.

وتبدأ الأسرة بالتفكك والانحلال، وتكثر حالات الطلاق بين الزوجين، وينعكس ذلك على وضع الأسرة الاقتصادي والمسيء يسبب إلى كثرة المشاكل داخل الأسرة. [536]

ب- آثار العنف على الأولاد

لا شك أن العنف الأسري له آثاره الوخيمة على الأولاد، ومن ثم يقل التعاطف وتصاب الأسرة بفقر المشاعر، مما قد يجعل الأولاد يبحثون عن بديل لهذه الأسرة المتفككة، فيخرجون إلى خارج البيت، وقد يجنحون إلى الجريمة، وقد يعنف بعضهم بعضاً، ناهيك عن تركهم، أو إهمالهم لفرائض دينهم ومصالح دنياهم من دراسة أو غيرها، فالحاصل أن العنف الأسري المتكرر يشلُّ حركة الأسرة، ويفقد أفرادها القدرة على القيام بواجباتهم الأسرية الواقعية، والمادية، فالمعنِّف الظالم لا يأبَه والمظلوم قد قهره الظلم، والأولاد أصبحوا ضحية ما بين أب ظالم غالباً لا يستطيعون دفع ظلمه، وقد قلَّت قيمته في نظرهم، لتصرفاته السيئة تجاههم أو تجاه أمهم، وبين أم مظلومة لا تملك لنفسها، فضلاً عن ولدها دفعاً ولا نصراً.[537]

3. آثار العنف على المجتمع

على الرغم من أن العنف الأسري هو داخل حدود الأسرة، إلا أن تأثيره سرعان ما يصل إلى المجتمع بأكمله، وذلك راجع لكون الأسرة هي النواة والمؤسسة الاجتماعية الأولية التي تشكل حجر الأساس للمجتمع بأكمله، ومن الطبيعي أن أي انحراف أو مشكلة تعاني منها الأسرة لابد وأن يتسرب ويصل تأثيرها إلى المجتمع.

ومن أهم هذه الآثار ما يلي:

أ- الانحراف والوقوع في براثن الجرائم:

العنف الأسري يؤدي في بعض الأحيان إلى تهيئة الظروف للانحراف، خصوصاً الأولاد من البنين والبنات، نتيجة لشعورهم بعدم الأمان الاجتماعي، وضعف القدرة لديهم على مواجهة المشكلات، والشاهد على ذلك هم الأحداث من الذكور والإناث الذين ينحرفون ويقعون في سلوك إجرامي؛ نتيجة للعنف الأسري وتفكك الأسرة وغياب الرقابة والمسؤولية.

ب- تدمير القيم والمبادئ والأخلاق والأعراف:

---

[536] بهنسي، *العنف الأسري، أسبابه آثاره وعلاجه*، ص 193.

[537] الجبرين، علي جبرين، *العنف الأسري خلال مراحل الحياة*، ص125.

حيث إن العنف الأسري يحدث خللاً في نسق القيم الاجتماعية والدينية، الأمر الذي ينتج عنه في النهاية جيلاً من الأبناء مشككاً في قيم أبائه ومجتمعه.

ت- إعاقة عملية التنمية والتطوير:

فإن الأسرة التي ينتشر فيها العنف، تظهر فيها المشكلات الاجتماعية، فتؤثر على المجتمع بأثره؛ لانشغاله بعلاج هذا العنف، وتأمين الأسر منه، وهذا يتطلب جهوداً كبيرة، وأموالاً طائلة، لو بذلت في مصالح المجتمع وتنميته وتطويره لأدت إلى ازدهاره.

ث- انشغال المجتمع برعاية الأسر المفككة:

إن الأسر المعنَّفة تصبح عالة على المجتمع، سواء في الأمور المادية، أو الأمور المعنوية، كالتربية والتعليم، وهذا يثقل كاهل المجتمع، لأن مسؤولياته تزيد على قدرته.

ج- الآثار الأمنية:

ويتفرع عن ذلك ما قد يحصل من إخلال بأمن المجتمع، بسبب بعض أفراد الأسرة المعنَّفة الذين جنحوا إلى الجريمة بسبب العنف الأسري.

ح- شيوع البغضاء والفرقة بين أفراد المجتمع:

وهو ما يحصل من التفكك داخل المجتمع، وحدوث البغضاء بين الأطراف ذات العلاقة بالعنف الأسري، وقد يمتد إلى أفراد كثيرين من أسر متعددة، كل طائفة تميل مع قريبها، أو من ترى الحق في جانبه، ويؤدي إلى تشويه السمعة، ونشر السمعة السيئة فى المجتمع، حتى يؤخذ البريء بالمذنب، وقد لا يتوقف الأمر على تشويه السمعة، بل ربما امتد إلى استغلال وجود العنف في مجتمع ما، واتخاذه وسيلة لاتهام أنظمة هذا المجتمع، ومحاولة تغييرها.[538]

سادسا: سبل مواجهة العنف الأسري

لكل مشكلة يوجد سبب لظهورها وحل لإنهائها، ومن أكبر المشكلات التي تواجه الأسرة ومنها تواجه الفرد والمجتمع هي ظاهرة العنف ومن خلال هذه المقترحات والوسائل بإمكاننا أن نسد باب المشكلة، وأن نصغر حجمها، وننهي بها، ونمسح آثارها السيئة على الفرد والأسرة والمجتمع.

1-تقوية العلاقات الأسرية، من خلال ترسيخ القيم الإسلامية التي ترشدنا إلى تماسك الأسرة وترسيخ المحبة والمودة بين أفرادها، من خلال قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ

---

[538] الجبرين، علي جبرين، *العنف الأسري خلال مراحل الحياة*، ص125؛ بهنسي، *العنف الأسري، أسبابه آثاره وعلاجه*، ص 195؛ عوض، عادل موسى، *العنف الأسري وأثره على الفرد والمجتمع*، ص334.

مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إليها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم،21/30).

2-تقوية الوازع الديني من خلال التوجيهات والإرشادات الدينية السليمة، والاسترشاد بسيرة النبي ﷺوالصحابة والتابعين، ففيها الكثير من النماذج الناجحة لحل المشكلات الأسرية، فعلى سبيل المثال ما ورد عن حكمة النبي ﷺ فيما جرى بين بنته فاطمة وصهره علي بن أبي طالب ﷺ بدأت مشكلة في الأسرة بلا لجوء إلى العنف وانتهت على يد رسول الله ﷺ بالسلامة: "قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِفَاطِمَةَ: «أَيْنَ بَعْلُكِ؟»، فَقَالَتْ وَقَعَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ كَلَامٌ، فَخَرَجَ مُغاضَبًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ: «أَبْصِرْ لِي عَلِيًّا»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هُوَ ذَا فِي الْمَسْجِدِ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالرِّيحُ يَسْفِي عَلَيْهِ التُّرَابَ، قَالَ: «قُمْ يَا أَبَا تُرَابٍ»، قَالَ سَهْلٌ: فَوَاللهِ إِنْ كَانَ لَأَحَبَّ أَسْمَائِهِ إِلَيْهِ ".[539]

3-تصحيح معايير الزواج، والعمل بالهدي النبويﷺ. "إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه. إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض".[540] ومعايير أخرى ذكرناها فيما سبق.

4-اللجوء السريع إلى حل المشكلات الأسرية لكن بالرفق والهدوء لا بالعنف وفرض الرأي أولا بأول، وعند وجود أي خلاف بين الزوجين يفضل حله بعيداً عن الأبناء، وأن تعقد جلسات حوار أسرية للتعرف على أخبار الأبناء والعمل على حل مشكلاتهم.

5- على رب الأسرة معاملة الزوجة والأولاد بحسن العشرة والصبر عليهم ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(النساء،19/4)، ويعاملهم بالملاطفة وجذب قلوبهم وعواطفهم إليه ونشر المودة والرفق بين أعضاء الأسرة وسخَّرهم لطاعته في حدود الشرع، ويدعو الله تعالى لهم بالصلاح والتوفيق، ويشاركهم في المشورة كي يشعروا بشخصيتهم ويتجمعون حوله تحت مظلة الأسرة اقتداءً برسول الله ﷺ الذي أدى أفضل دور لجذب القلوب من حوله اليه ولتجمع الناس حوله كما قال الله تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ

---

[539] الطبراني، *المعجم الكبير*، الرقم(6010)، 202/6.

[540] الترمذي، *الجامع الكبير*، باب: ماجاء من ترضون دينكم ...، الرقم(1084)، 386/3؛ ابن ماجة، *سنن ابن ماجة*، باب: الأكفاء، الرقم: 1967، 140/3؛ الطبراني، *المعجم الأوسط*، باب: من اسمه محمد، الرقم:(446)، 141/1.

وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران،159/3). وعلى الزوجة أيضا أن تحترم زوجها وتصبر عليه، وتعترف بقدره لا سيما أمام الأولاد، وأن تؤدي حقوقه ما عليها.

6-تجنب الممارسات والاتجاهات الخاطئة في تربية الأطفال، سواء في ذلك الإفراط في تدليلهم والاستسلام لمطالبهم، أو التفريط في إهمالهم وعدم تمكينهم من حقوقهم، ويجب تجنب ممارسة العنف بحقهم ومعاملتهم بقسوة، وحرمانهم من العطف والحنان، تأسيا برسول الله ﷺ فيما روى أبو هريرةﷺ قال قبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا، فنظر إليه رسول الله ﷺثم قال: "من لا يرحم لا يرحم".[541]

7-الاهتمام بالمناهج الدراسية التربوية لتنشئة الأطفال على حب المساعدة والتعاون، وتعويدهم على حسن المعاملة مع الآخرين، واحترام الوالدين في أي ظرف من الظروف، وتجنب العنف مع الآخرين داخل الأسرة وخارجها.[542]

8-تغيير البيئة التي يسود فيها العنف، سواء في ذلك المنزل الذى تعيش فيه الأسرة بإعادة ترتيبه، أو هجر المنطقة المعروفة بأجوائها العكرة واحتكامها إلى العنف والذي يؤيد هذه الفكرة القصة التي ترويها لنا رسول اللهﷺ عن أبى سعيد ﷺعن النبيﷺ قال: كان في بنى إسرائيل رجل قتل، فقال له: هل من توبة ؟ قال: لا، ، ثم خرج يسأل فأتى راهبا فسأله تسعة وتسعون إنسانا فقتله، فجعل يسأل، فقال له رجل: ائت قرية كذ ا وكذا، فأدركه الموت، فناء بصدره نحوها، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأوحى الله إلى هذه أن تقربي، وأوحى إلى هذه أن تباعدي، وقال: قيسوا ما بينهما، فوجد إلى هذه أقرب بشب".[543]

في هذه القصة يستنبط لهذه الفكرة أن الرجل الصالح أرشد الرجل القاتل التائب إلى مغادرة المكان الذي ارتكب فيه الجرائم ويهجر إلى مكان لم يرتكب فيه الجرائم.

---

[541] البخاري، *الجامع الصحيح*، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، الرقم:(5997)، 7/8.

[542] مُحَمَّد، بسام، *الحياة الأسرية*، ص199؛ بهنسي، *العنف الأسري، أسبابه آثاره وعلاجه*، ص 214؛ عوض، عادل موسى، *العنف الأسري وأثره على الفرد والمجتمع*، ص352؛ الحليبي، خالد بن سعود، *العنف الأسري أسبابه ومظاهره وآثاره وعلاجه*، ص34.

[543] البخاري، *الجامع الصحيح*، باب: حديث الغار، الرقم:(3470)، 174/4.

5.3.3. غلاء الصداق[544]

إن غلاء الصداق أصبح مشكلة شائعة في المجتمع، وقد شغلت بال كثير من الناس وحالت بينهم وبين الزواج، وفي ذلك مخالفة لأوامر الله تعالى وأوامر رسولهﷺ التي رغبت في الزواج وتيسير أمور وأسباب الزواج، وجعل رسول اللهﷺ قلة المهر والتسهيل فيه علامة لبركة المرأة وإقبال الخير إليها قائلا: "إن من يمن المرأة تيسير خطبتها، وتيسير صداقها، وتيسير رحمها".[545] ومن صفات خيرية النساء قلة مهرهن كما قال رسول ﷺ: "خيرهن أيسرهن صداقا ".[546] وقال عروة بن زبيرﷺ: "من أول شؤمها أن يكثر صداقها"[547]، وكذلك غلاء الصداق تعريض الشباب والفتيات للخطر والفتنة والفساد والسفر إلى الخارج من أجل ذلك فليتق الله كل مسلم في نفسه وأولاده وبناته، وليبادر إلى تزويجهم بما تيسر فأعظم النكاح بركة أيسره مؤونة، فإذا القينا نظرة عامة على حياتنا الاجتماعية، وواقعنا الملموس نجد أن أكثر شبابنا عزفوا عن الزواج الذي شرعه الله سبحانه وتعالى، وانصرفوا إلى حياة العزوبية البغيضة التي هي أكبر العوامل في الانحرافات النفسية والخلقية والأمراض الجسمية والعقلية، والأخطار الاجتماعية والاقتصادية، وكل ذلك يرجع في الغالب إلى غلاء الصداق وتكلفة الزواج. ولابد هناك من أسباب مادية ومؤثرات اجتماعية دعت الشباب أن يفضلوا حياة العزوبية على حياة الزواج الذي به استقرارهم النفسي، وإصلاحهم الخلقي، وصحتهم الجمعية، وتكامل شخصيتهم الاجتماعية.

ومن أهم العقبات التي وقفت في طريق الزواج وزادت في مشكلة العزوبية والعنوسة ودفعت الشباب إلى حياة العزلة والانطواء هو غلاء الصداق.[548]

أولا: أسباب ارتفاع الصداق

ومن أبرز أسباب غلاء المهور التي هي في أغلب الأحيان نتيجة اعتقادات خاطئة، وعادات اجتماعية سلبية ليست من الدين في شيء ومن أبرزها ما يلي:

---

[544] ملاحظة استعملت كلمة الصداق بدل المهر لورود هذا المصطلح في القرآن الكريم ودراستي مختصة بالقرآن أكثر، وللمزيد من تعريفه وحكمه وشروطه يراجع مبحث حقوق الزوجة على الزوج.

[545] ابن حنبل، *مسند أحمد*، الرقم:(24478)، 27/41.

[546] النيسابوري، أبوبكر محمد بن إبراهيم، *الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف*، تح: مجموعة من المحققين، دار الفلاح2009م، باب: ذكر تيسير النكاح وخفة مؤنته، الرقم: (7232)، 327/8.

[547] الطبراي، *معجم الأوسط*، الرقم(3612)، 62/4.

[548] شبير، وليد شلاش، *ظاهرة غلاء المهور وعلاجها*، بحث مقدم الى جامعة الإسلامية – غزة2011م، ص2.

أ- هناك من يعتقد بطريقة خاطئة أن قيمة البنت من قيمة المهر ويتخذ من غلاء المهر مادة للفخر والاعتزاز.

ب- هناك من يرفع المهر لثني إنسان راغب في الزواج عن رغبته، إما لسبب اجتماعي، أو اقتصادي أو ثقافي أو غير ذلك، وهنا يبدأ الوالدان بطلب المهر المرتفع ويكثران من الطلبات بقصد تعجيز الراغب في الزواج.

ت- وهناك من يرفع المهر (المؤجل) اعتقاداً منه أن في ذلك حفاظاً على استمرارية الحياة الزوجية ورادعاً لتفكير الزوج في الانفصال أو الطلاق أو التعدد في المستقبل، ولكن الحياة الزوجية التي لا تبنى على الاستقامة والتفاهم والحب المتبادل لا يمكن أن تستقيم تحت التهديد والتلويح بالخسارة المادية.

ث- بعض أولياء الأمور الذين يرفعون المهور ويثقلون على الزوج المنتظر تقليداً لما فعله زيد أو عمرو.

ج- اعتقاد البعض كلما كانت الفتاة جميلة، أو ذات تعليم جامعي، يجب أن يكون مهرها عالياً.

ح- يتخذ بعض الآباء من عمل الفتاة مبرراً له كي يغالي في قيمة المهر، وصنف آخر يعتقد حينما يتقدم شاب لخطبة ابنته الموظفة إنما جاء طمعاً في راتبها، لذلك يلجؤون إلى رفع قيمة المهر.

خ- ترديد بعض الآباء أن الفتاة منذ ولادتها حتى انتهت تعليمها كلفت الأسرة الكثير من المصاريف لذا يجب استرداد شيء من هذا المال برفع المهر.[549]

ثانيا: الآثار السلبية لغلاء الصداق على الفرد والمجتمع

تخلف المغالاة في الصداق بلا شك آثارا سيئة وسلبية على الفرد والأسرة والمجتمع في جميع النواحي الشخصية والاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية وغير ذلك، ومن أهمها وأكثرها انتشاراً ما يلي:

أ- إحجام أو تأخر عن الزواج لكل من الشاب والشابة ودخولهم في مرحلة العنوسة.

---

[549] شبير، *ظاهرة غلاء المهور وعلاجها*، ص 5؛ محمّد، بسام، *الحياة الأسرية*، ص 38؛ القرشي، نظام الأسرة في الإسلام، ص65.

ب- عدم الاستقرار النفسي للشباب.

ت- عدم الاستقرار الاجتماعي الناتج من حرمان تكوين الأسرة.

ث- يؤدي إلى تغير سلوك بعض الشباب مثل السرقة أو الاختلاس أو النصب من أجل توفير المبالغ اللازمة للزواج وتكاليفه.

ج- السلوك الانحرافي في إشباع الغريزة الجنسية بأشكال محرمة وخارج إطار الزواج.

ح- ضياع الشباب في أوضاع أخرى وتعطل مواهبه وإبداعاته وعطائه للمجتمع.

خ- عدم الاستقرار الوظيفي للشباب فهناك شباب من الجنسين يرغبون في الزواج ولهم نفس القدر من المال ولكن الآباء وخاصة أبو الفتاه أو أمها يقفون حائلاً أمام ذلك بطلباتهم التي لا تنتهي عند سقف محدد.

د- قد يؤدي غلاء الصداق إلى الزواج من أجنبيات أو جنسيات أخرى لقلة مهورهن وتكاليفهن، وهذه الحالة تتسبب بارتفاع عدد العانسات في بلد ذلك الشاب.

ذ- من أجل توفير مؤونه الزواج قد يضطر الشباب إلى ترك الدراسة والبحث عن العمل أو مغادرة البلاد.

ر- تؤدي تكاليف الزواج المرتفعة إلى التعرض للقروض والاستدانة من الآخرين ودخولهم في مشاكل وهموم لا تنتهي بسرعة.[550]

ثالثا: مقترحات لعلاج ظاهرة مغالاة الصداق وتكاليف الزواج:

هناك جملة من المقترحات والتوصيات لتقليل ظاهرة مغالاة الصداق وتيسير مشروع الزواج بغية استمرارية هذا المشروع المبارك وحفظ شباب وفتيات الأمة من الانحرافات والعنوسة وحصن المجتمع من الفساد والفوضى الأخلاقي وقلة وجود الأسرة السليمة.

أ- القيام بحملة توعية واسعة حول مخاطر غلاء الصداق وسلبياته وآثاره السيئة على الفرد والمجتمع عن طريق الندوات والمحاضرات وخطباء المساجد والدعاة ووسائل الإعلام المختلفة.

---

[550] محمد، بسام، *الحياة الأسرية*، ص45؛ الحمد، *رسائل في الزواج والحياة الزوجية*، ص76؛ خياط، *التوجيهات التربوية لأحكام النكاح في الإسلام*، ص108؛ شبير، *ظاهرة غلاء المهور وعلاجها*، ص7.

ب- تعميق الوازع الديني في نفوس أفراد المجتمع وأولياء الأمور، ونشر الوعي بين أفراد المجتمع في تيسير الزواج، وتعليمهم بأن الدين يسر ويأمر باليسر كما قال رسول اللهﷺ: "يسروا ولا تعسروا، وبشروا، ولا تنفروا"[551] وتشجيع النساء بأن يطلبن المهر القليل عسى أن يكن ممن وصفهن النبيﷺ بالخيرية: "أعظم النساء بركة أيسرهن صداقاً".[552]

ت- إجراء دراسات علمية للآثار النفسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية الناجمة عن غلاء الصداق والاستعانة بالمختصين لتباين انعكاساتها على بناء الأسرة والمجتمع بل وعلى جو الوفاق بين الأزواج.

ث- العمل على إيجاد المؤسسات الاجتماعية التي تتبنى قضايا تيسير الزواج من خلال توفير القروض، والمنح المالية، والمساعدات المادية حتى تخفف على كاهل الشباب بعضاً من تكاليف الزواج الباهظة.

ج- محاربة العادات السيئة الموجودة التي تؤدي إلى زيادة تكاليف الزواج.[553]

6.3.3. تدخل الأهل في الحياة الزوجية

الحياة الزوجية السعيدة أساسها المودة والرحمة، وعلى هذا الأساس تعد آية من آيات الله تعالى كما قال عزّوجل في القرآن الكريم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إليها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الروم،21/30)، ولكن أحيانا تنقلب الحياة الزوجية إلى جحيم بسبب المشاكل المحيطة، وغالباً يكون السبب الرئيس تدخل طرف ثالث من الأقارب وأهل الزوجين.

---

[551] البخاري، *الجامع الصحيح*، باب: باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، الرقم:(69)، 25/1.

[552] الحاكم، *المستدرك على الصحيحين*، كتاب: النكاح، الرقم:(2771)، 463/3.

[553] محمّد، بسام، *الحياة الأسرية*، ص48؛ الأستانبولي، محمود مهدي، *تحفة العروس أو الزواج الإسلامي السعيد*، دار القادسية –بيروت 2002م، ص71؛ شبير، *ظاهرة غلاء الممهور وعلاجها*، ص10؛ شمس الدين، *العوانس صرخة في وجه المجتمع والقانون*، ص 41.

لقد كشفت دراسة اجتماعية حديثة صادرة عن المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة عن أن 60% من حالات الطلاق في السنوات الخمس الأولى من الزواج سببها الأهل.[554]

يرى الإسلام أن تدخل الإنسان بما لا يعنيه ولا يخصه ليس من جماليات الأخلاق بل العكس يكون من سيئات الأخلاق كما قال الحبيب ﷺ: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه".[555]

ولو عدنا إلى القرآن الكريم، لرأينا أنه ينبهنا ويرشدنا إلى أن التدخل بصورة عامة مذموم ويجب الابتعاد عنه، إلا في حالة ضرورية جداً هي حالة واحدة يسمح بالتدخل لأهل الزوجين حينما تقترب حياة الزوجين إلى الانهيار والوقوع في وادي الفشل.

فبعدما التمس الزوج طريق الوعظ والهجر والضرب كما بينا سابقاً ولم تعط هذه الطريقة نتيجة مفرحة، ففي هذه الحالة التدخل محمود بل ويجب لأهل الزوجين التدخل بقصد الحل ونية إنهاء المشكلة كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾(النساء،35/4)، هذه حالة اضطرارية بعد اتخاذ ثلاث خطوات داخلية ولم تنجح لحل المشكلة، وإلا أي تدخل يسبب إشعال الفتنة بين الزوجين والفصل بينهما محرم بلا شك ويعد من كبائر الذنوب كما هدَّد النبي ﷺ ذلك بقوله: "ليس منا من خبب امرأة على زوجها، أو عبداً على سيده".[556]

وهنا نذكر أهم أسباب تدخل الأهل في حياة الزوجين وآثاره السيئة وكيفية التعامل مع مشكلة التدخل.

أولا: أسباب تدخل الأهل

هناك عدة أسباب تقع وتدفع أهل الزوجين إلى التدخل في حياتهما، فبعضها ترجع إلى الزوجين أنفسهما والأخرى إلى أهليهما، ومن أهمها ما يأتي:

أ- ضعف شخصية الزوج أو الزوجة، والذي يسبب إلى تدخلاتٍ مستمرةٍ من الأهل.

---

[554] الحلواني، ايمان(2021)، *تدخل الأهل خراب للبيوت*، تم استرجاعه في 2023/8/8 على هذا الرابط marriage،and،life/love،https//kulalusra.ae/ar/better

[555] الترمذي، سنن الترمذي، الرقم:(2317)، 558/4.

[556] أبوداود، *سنن أبي داود، باب:* فيمن خبب امرأة على زوجها، الرقم:(2175)، 503/3؛ البيهقي، *شعب الإيمان*، باب: تحريم الفروج وما يجب من التعفف، الرقم:(5050)، 306/7.

ضعف شخصية الزوج والزوجة بما أن الزوج في مجتمعنا هو المسؤول غالباً عن قيادة الأسرة ورسم حدود العلاقة مع الآخرين؛ سيؤدي ضعف شخصيته إلى تدخلات مستمرة من قبل الأهل والأقارب الأبعد والجيران والأصدقاء، لأن الناس ميّالة إلى النصح والسيطرة، وميّالةٌ إلى مشاركة التجارب والشعور بالسعادة حينما يكون لهم تأثير على الآخرين، فإن لم يتمكن الزوج من إيقاف كلٍّ عند حده، سيتحول بيت الزوجية إلى بيتٍ بلا جدران.! ينطبق هذا أيضاً على الزوجة الضعيفة الشخصية، التي لا تستطيع رد تدخلات الحماية أو أخوات الزوج أو حتى رد تدخلات أهلها في حياتها الزوجية.

ب- شعور الأهل بالمسؤولية المستمرة عن الأولاد حتى بعد الزواج مهما كانت أمور الأبناء جيدة في الحياة سيظل الأهل يشعرون بالمسؤولية تجاههم، ويشعرون أنهم مطالبون بتقديم النصح والمشورة والدعم والمساهمة في تخطيط حياة الأبناء في المجالات المختلفة، فقلّما يستطيع الأبوان تقبّل استقلالية الأبناء الكاملة وخروجهم من كنف الرعاية إلى المسؤولية الذاتية والخيارات الحرة.

ت- إخبار أحد الزوجين أهله عن كل شيء يحدث بينه وبين شريكه، أو عن كل شيء يخص شريكه، وعدم تمييز الأشياء التي لا ينبغي أبداً أن يعرفها أحد غير الزوجين.

ث- الاعتماد الزائد للابن أو الابنة على الوالدين، وهروع الزوجين إلى أهلهما فور حدوث أية مشكلة بينهما، وإخبارهم بكل شيء يحدث داخل الأسرة، نتيجة لضعف التواصل بين الزوجين واحتياجهما إلى طرف ثالث يحل لهما مشاكلهما.

ج- خوف الآباء من فقدان أهميتهم في حياة الأبناء، ولذا دائما يفرضون رأيهم على أبنائهم بغية تعلق أولادهم بهم وأن لا ينساهم.

ح- عدم الاستقلال المادي، مما قد يسبب الكثير من الاحتكاكات ويعطى مجالاً للتدخل فى كيفية إنفاق المال وما إلى ذلك، ولا سيما إذا كان الابن يشتغل مع والده بنفس المكان، ولم يكن لديه عمل خاص به.

خ- الحفاظ على الأسرة الكبيرة: واحد من أبرز أسباب تدخل الأهل في الحياة الزوجية هو مفهوم الأسرة الكبيرة، فخروج الابن إلى حياة خاصة مستقلة لا يعني انفصاله عن أسرته الكبيرة بأي حال من الأحوال، لا من الناحية المعنوية كالعادات والتقاليد والمبادئ والقيم الروحية...إلخ، ولا من الناحية المادية كمطالبة الابن بتقديم الرعاية المادية للأخوة والآباء حتى بعد زواجه.

د- اختلاف ثقافة أهل الزوجين عن بعضهما: وغالباً ما يكون اختلاف ثقافة أهل الزوجة عن ثقافة أهل الزوج سبباً وجيهاً لتدخل الأهل في الحياة الزوجية وصراع الأهل والأبناء، فكما أن الزوجان قد يختلفان على المعايير الثقافية والاجتماعية التي تحكم الأسرة؛ كذلك الأهل يحاولون فرض المعاير الثقافية على عائلات الأبناء التي هي امتداد للعائلة الكبيرة من وجهة نظرهم.

ذ- صراع الأجيال بين الأبناء والآباء: في سياق متصل قد يكون صراع الأجيال واحداً من الأسباب الوجيهة لتدخل الأهل في الحياة الزوجية، فما كان صحيحاً قبل أربعين عام لم يعد كذلك، وما كان ممنوعاً أو مشيناً قبل أربعين عام أصبح الآن عادياً وشائعاً، وطبيعة الإنسان أنه غالبا يحنُّ لما مضى في حياته، وهذا الحنين لدى الأهل إلى عاداتهم القديمة وأسلوب حياتهم يجعلهم أكثر جرأة ورغبة في التدخل بحياة أبنائهم وبناتهم الزوجية.

ر- إنقاذ الأبناء من تكرار تجربة الزواج الفاشل: قد يكون أحد الأسباب الرئيسة لتدخل الأم في حياة ابنتها المتزوجة مثلاً، هو رغبة الأم في حماية ابنتها من تكرار تجربتها المريرة في الزواج، فمرور الأهل بزواج فاشل أو عسير قد يدفعهم إلى حماية أبنائهم من تكرار التجربة عبر التدخل المستمر في حياتهم الزوجية، وعلى الرغم أن الدافع في هذه الحالة نبيل غالباً، لكن النوايا الحسنة لا تكفي، لأن الأسلوب الذي يتدخل به الأهل في حياة أبنائهم الزوجية قد يكون كارثياً ويقتل كل فرصة لاستقرار الحياة الزوجية.

ز- عدم قدرة الزوجين على رسم حدود واضحة للأسرة: ليست المشكلة دائماً عند الأهل، فحتى مع الآباء والأمهات المنفتحين والذين يحترمون خصوصية علاقة أبنائهم الزوجية؛ سنجد حالات للتدخل نتيجة عدم قدرة الزوجين على رسم حدودٍ واضحة لأسرتهم ولعلاقتهم مع الأسرة الكبيرة.

س- تشويه سمعة الطرف الآخر دون الانتباه إلى عواقب ومخاطر هذا التصرُّف، والتي قد تؤدِّي إلى الانفصال.

ش- شعور الآباء بالوحدة والفراغ بعد زواج الأبناء لضعف الصلات بباقي أفراد العائلة، وعدم قضاء أوقاتهم في أي أنشطة أخرى[557].

ثانيا: آثار تدخل الأهل على حياة الزوجين:

لا ريب أن تدخل الأهل غير الصحيح في حياة الزوجين تخلف آثاراً سلبية على كل من الزوجين وعلى أولادهما وأسرتهما إلى أن يصل الأمر إلى الانهيار والطلاق، وأيضا يؤثر سلباً على المجتمع، ومن أجلِ تلك الآثار:

أ- انتهاك خصوصية الزوجين: وذلك من خلال التدخل في تفاصيل الحياة اليومية للزوج أو الزوجة، أو التدخل في أسلوب حياتهما وحتى بخياراتهما الشرائية والتربوية والمالية والاجتماعية.

ب- إشعال الخلاف بين الزوجين: غالباً ما يكون تدخل الأهل سبباً رئيساً من أسباب النزاع بين الزوجين، بل وسبباً لتعقيد الخلافات القائمة أصلاً وتعسير الحلول، حتى وإن كان الهدف من تدخل الأهل هو لحل المشكلة.

ت- إفساد تربية الأولاد: الأصل أن يكون الجدان أعواناً ومساندين في عملية التربية، لكن التدخل في قواعد التربية التي يرسمها الأهل قد يكون له عواقب وخيمة تصل إلى التقليل من احترام الأطفال لوالدهم ووالدتهم أو للجدين، أو تعرضهم للأذية النفسية نتيجة التدخل وصراع الأصهار وأهل الزوجة.

ث- الانفصال العاطفي والطلاق: كثير من حالات الطلاق كانت نتيجة تدخل الأهل وانتهاك خصوصية الزوجين، أو حتى نتيجة تحريض الأهل للزوج أو الزوجة على الطلاق لاعتبارات وأسباب يضيق المقام عن شرحها، كما نجد حالات كثيرة تصل إلى الانفصال

---

[557] العبود، عامر، (2019)، *أسباب تدخل الأهل بين الزوجين وتأثير الأهل على الحياة الزوجية*، تم استرجاعه في 2023/10/22 على هذا الموقع https//www.hellooha.com/articles؛ الحلواني، ايمان(2021)، *تدخل الأهل خراب للبيوت*، تم استرجاعه في 2023/8/8 على هذا الرابط
.marriage،and،life/love،https//kulalusra.ae/ar/better

العاطفي بين الزوجين نتيجة عدم قدرتهما على حل مشكلة تدخل الأهل أو على حل مشاكلهما الناتجة عن تدخل الأهل في حياتهما، وقد يكون هذا الانفصال أو القطيعة بين الزوجين وأهلهما وهو أيضاً ليس وضعاً طبيعياً أو مريحاً.

ج- كثرة الأرامل والمطلقات وأولاد دون أولياء: نتيجة تدخل الأهل غير الصحيح في شؤون حياة الزوجين الجديدين، فتكثر في المجتمع وتزداد عدد الأرامل والمطلقات بعد تفكك الأسرة ضحية تدخل الأهل، وتزداد ظاهرة أولاد الشوارع وغير المربيين نتيجة انفصال والديهم بسبب تدخل الأهل في حياتهما.

ح- كثرة الانحرافات الأخلاقية والفساد في المجتمع لدى بعض المطلقات والأولاد بغية لقمة عيش بسبب الانفصال وانهيار أسرتهم.[558]

ثالثا: التعامل مع مشكلة التدخل:

هناك عدة طرق ينبغي على الزوجين مراعاتها لتجنب تدخل الأهل غير الصحيح، حفاظاً على أسرتهما وبقاء المودة والاحترام بينهما ومع أهليهما.

أ- الاتفاق المسبق منذ البداية من قبل الزوجين على عدم إقحام أي طرف ثالث في الحياة الزوجية مهما وصلت الأمور.

ب- عدم نقل أي أسرار أو مشكلات خاصة لأي شخص حتى ولو كان أقرب المقربين، وخير دليل على ذلك زيارة ابراهيم عليه السلام إلى بيت ابنه اسماعيل عليه السلام واستقبلته زوجته وسألها عنه: "فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت نحن بشر، نحن في ضيق وشدة، فشكت إليه، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، وقولي له يغير عتبة بابه".[559]

فلما تشاءمت وغير راضية عن حياتها الزوجية وكشفت أسرار البيت وحكت عما يفرض أن لا يقال، فتدخل إبراهيم عليه السلام في وقت مناسب، وإن كان تدخل سيدنا إبراهيم حاشاه ومستحيل أن نقول أنه من قبيل التدخل السيء وغير المرضي، ولكن سبب تدخله بلاشك هو جهالة امرأة

---

[558] الحلواني، ايمان(2021)، *تدخل الأهل خراب للبيوت*، تم استرجاعه في 2023/8/8 على هذا الرابط https//kulalusra.ae/ar/better،marriage،and،life/love؛ العبود، عامر، (2019)، *أسباب تدخل الأهل بين الزوجين وتأثير الأهل على الحياة الزوجية*، تم استرجاعه في 2023/10/22 على هذا الموقع https//www.hellooha.com/articles؛

[559] البخاري، *الجامع الصحيح*، الرقم:(3364)، 142/4.

سيدنا اسماعيل أنها تكلمت فيما ينبغي أن لا تتكلم فيه، وكأنه قال: امرأة لم تكن آمنة وكشفت أسرار الحياة والأسرة فالطلاق أولى بها، وقال ابن حجر(ت:777هـ) عن معنى العتبة بأنها: "كناية عن المرأة وسماها بذلك لما فيها من الصفات الموافقة لها وهو حفظ الباب وصون ما هو داخله".[560]

ت- أن نتعلم رفض التدخل بذكاء، بمعنى أن يضع الزوجان حدوداً لأي علاقة وأن يتعلما رفض ما يؤثر في علاقتهما الخاصة ولكن كل هذا في حدود الأدب والذوق في التعامل مع الآخرين، وأن لا يكونا سريعي الردِّ سلباً وإيجاباً، بل أن يكونا حكيمين في فن الجواب فمثلا أن يقال: (سأفكر في الموضوع) أو أن يغيروا الموضوع بذكاء حتى لا يخسرا علاقتهما بالآخرين.

ث- الحرص على ذكر الإيجابيات فقط للأهل، وعدم نقل أي سلبيات عن شريك العمر لأي شخص مهما كانا على غضب أو خلاف مع البعض حتى لا يفتح الباب للآخرين للتدخل في حياتهما وللبدء في تقديم النصائح والانتقادات، لشعورهم بالقلق عليهما ما قد ينعكس بالسلب على حياتهما الزوجية، ويمكن هنا أن نستدل أيضا بقصة سيدنا ابراهيمعليه السلام مع زوجتي اسماعيل عليه السلام المذكورة في صحيح البخاري[561]، فالزوجة الأولى: كشفت أسرار البيت وذكرت السلبيات فطلقت، والثانية: حفظت الأسرار وذكرت الإيجابيات فبقيت.

ومن الأفضل والأسلم لحياة الزوجين أن لا يتدخل أهلهما في حياتهما إلا في حالة ضرورية وفي مصلحتهما ويكونوا محايدين في القضية ونيتهما الإصلاح كما يقول القرآن ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾(النساء،35/4)، وأن يقتدوا برسول اللهﷺ في كيفية تدخله في حياة بنته وصهره كما جاء في صحيح البخاري عن سهل بن سعد، قال: جاء رسول الله ﷺبيت فاطمة فلم يجد عليا في البيت، فقال: «أين ابن عمك؟» قالت: كان بيني وبينه شيء، فغاضبني، فخرج، فلم يقل عندي فقال رسول الله ﷺ لإنسان: «انظر أين هو؟"فجاء فقال: يا رسول الله، هو في المسجد راقد، فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجع، قد سقط رداؤه عن شقه، وأصابه تراب، فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه، ويقول: «قم أبا تراب، قم أبا تراب».[562]

---

[560] ابن حجر، *فتح الباري*، 404/6.

[561] البخاري، *الجامع الصحيح*، الرقم(3364)، 142/4.

[562] البخاري، *الجامع الصحيح*، باب: نوم الرجال في المسجد، الرقم:(441)، 96/1.

هذه القصة فيها كثير من الحلول للقضايا الأسرية على يد رسول اللهﷺ، وفيها كيفية تعامل أهل الزوجين معهما وكيفية التدخل بينهما، ومن أهم ما يلفت الأنظار هي:

أ- قول فاطمة لأبيها الرسول ﷺ عن زوجه: "كان بيني وبينه شيء"، هذه فاطمة رضي الله عنها كما ورد في الحديث: "فاطمة سيدة نساء أهل الجنة"[563]، وأن علي بن أبي طالب ﷺ من المبشرين بالجنة، ومع هذا لم يخل بيتهما من نزاع الزوجية، هذا يعني لا تجد أسرة خالية من النزاع والشقاق مهما كانت الأسرة، وهو أمر طبيعي لا يسلم منه أحد.

ب- من أقوى ما يشتت الأسرة دخول أحد والدي الزوجين طرفًا فيها، وعدم لزوم الحيادية في سماع المشكلة، أما العكس، فهو الصحيح كما فعل رسول الله ﷺ.

ت- نأخذ من الحديث أن الدخول في تفصيلات المشكلة يثير الضغائن، وينفر النفوس؛ ولذا لم يسأل رسول اللهﷺ عن تفصيلات المشكلة أصلاً.

ث- لا بأس بتوجيه الصهر من قِبل أسرة الزوجة، وكذلك توجيه البنت من قِبل أسرة الزوج، لكن مع المحافظة على حسن التوجيه، ورقي الأسلوب، وهذا هو الذي علمنا رسول ﷺ في هذه الحادثة الأسرية.

ج- أدب الزوجة وفطانتها بأن لا تفشي سرَّ البيت كما فعلت السيدة فاطمة مع أن النبيﷺ أتقى الناس وأفضلهم على الإطلاق لم تخبره كل شيء وإنما قالت: "كان بيني وبينه شيء". كأنها قالت شيء بسيط ليس له أهمية.

ح- قالت عنه "فخرج، فلم يُقِل عندي": الانسحاب عند الغضب تصرف يخفف الكثير من وطأة النقاش، ويقلل شحن النفوس بالضغائن، خاصة وأن الغاضب في حالة غير طبيعية؛ ولذا السكوت والانسحاب مناسب جدًّا خاصة بين الزوجين.

خ- "فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجع"هنا يتلألأ تواضع النبي ﷺأنه ذهب إليه، وهذا التصرف دليل محبة ورغبة في بقاء هذه الأسرة، وتقدير واحترام لها، ومقيم حالها، فكان الذهاب من أقوى الرسائل لترجمة هذا المعنى.

---

[563] البخاري، *الجامع الصحيح*، باب: مناقب فاطمة، الرقم:(3767)، 29/5.

د- "فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه "بكل تواضع وحب ورحمة، يقدم النبي ﷺ لصهره هذا الموقف؛ ليكسِرَ حِدَّة الغضب، ويعبر عن عمق العلاقة، مهما حصل من أعراض ومشاكل داخلية.

ذ- ويقول: «قم أبا تراب، قم أبا تراب»، لم يكتفِ ﷺ بلمسة العطاء، ومسح التراب، بل لا بد من الكلام الذي يذهب بوحشة الخصام، فقال مازحًا إياه: "قم أبا تراب"، ولأنها كلمة صادقة من فم الصادق ﷺ، وليس من العيب والعار أن يحترم الرجل صهره بل ويخدمه أحيانا، قال راوي القصة سهل بن سعد: ما كان لعليٍّ اسم أحب إليه من أبي تراب، وإن كان لَيفرح به إذا دُعِيَ بها.[564]

الإسلام منهج حياة وطريق إلى الله؛ فهو أعظم وأنقى وأجمل مصدر نحل به مشاكلنا بشتى صورها وتفرق ميادينها؛ لأننا خَلْقُ الله تعالى، ولا يصلح لنا إلا منهج الخالق عزوجل.

7.3.3. الأسرة ومأزق التكنولوجيا

تقوم العولمة اليوم بعمل خطير هو تفكيك المنظومات الاجتماعية، وإعادة صياغتها على أسس مادية، وقد حققت في هذا قدراً من النجاح، حيث نالت الأسرة من ذلك التفكيك الحظ الأوفر، ولا شك أن التكنولوجيا الحديثة احتلت مكانة بارزة في مجتمعاتنا المعاصرة بجميع أنواعها المرئية والمقروءة والمسموعة ولا سيما العنصر الأهم حالياً والأكثر انتشاراً وادمانا به ألا وهو وسائل التواصل الاجتماعي في عصرنا الحاضر.

ولقد وصلت تأثيرات التكنلوجيا إلى كافة المجالات وتفاصيل ودقائق الأمور في حياتنا، فهي لم تدع نظاماً اجتماعياً إلا وتركت بصماتها فيه؛ في السياسة، والأسرة، والتربية، والتعليم، والاجتماع، والاقتصاد والصحة، والصناعة، والإعلام والزراعة والتجارة، والفن... إلخ.

وبتأثيرها أصبح العالم شبه قرية كونية صغيرة من حيث سهولة الاتصال، أما من حيث التقارب والتراحم بين الناس للأسف لقد ترك أثراً سيئا وكأن الناس منتشرة في المجرات الفضائية لا يتراحمون وهم متباعدون مع بعضهم البعض.

---

[564] البخاري، *الجامع الصحيح*، باب: القائلة في المسجد، الرقم:(6880)، 63/8.

إن إفرازات تكنولوجيا المعلومات ليست كلها إيجابية ومفيدة، كما أنها ليست كلها سلبية وضارة، بل هي تجمع بين هذا وذاك، بين الإيجابية والسلبية، والنفع والضرر، وهذه الحقيقة يعلمنا الله تعالى إياها في القرآن الكريم بقوله عزّوجل في معرض القتال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(البقرة،216/2)، هذه الآية تغير وجهة نظرنا عن طريق هذا المثال –(القتال): ليس فيه محض الشر ولا محض الخير وإن كان في الظاهر يتبين أنه شر محض– وتلهمنا بأن كل ما في أيدينا ووسائل الحياة سلاح ذو حدين، فيه جانب الخير وجانب الشر، ولكن هذا يتوقف على نية وكيفية الاستخدام ومنها وسائل التكنولوجيا الحديثة والتواصل الاجتماعي، فبإمكان الفرد أن يستفيد منها ويسخرها لخدمته، وبإمكانه أن يجعلها وبالا عليه وعلى أسرته وعلى المجتمع عموما.[565]

لا يمكن لأحد أن ينكر دور التكنولوجيات الحديثة في تغيير المجتمعات وتحويلها من مجتمعات كلاسيكية تعتمد على أدوات بسيطة إلى نمط جديد من المجتمعات التي تعتمد بصورة كبيرة على ما تقدمه هذه التكنولوجيات، ولعل أبسط ما يمكن الوقوف عنده هو تغير المفاهيم وظهور مفاهيم جديدة تواكب هذه النقلة النوعية في مسيرة المجتمعات.

وهنا نلقي الضوء على تعريف التكنولوجيا ثم ذكر مراحلها التطورية، وتأثيرها السلبي على الأسرة وأفرادها والمجتمع.

أولا: تعريف التكنولوجيا:

كلمة التكنولوجيا في أصلها، يونانية ومكونة من مقطعين أو كلمتين: (تكنو) بمعنى: الفن والمهارة، والكلمة الثانية(لوجيا) بمعنى: دراسة أو علم، أي علم الدراسة أو الفن التعليمي.

ورد في بعض المصادر أن أول ظهور لمصطلح التكنولوجيا (Technologie) كان في ألمانيا عام 1770، أي بعد الثورة الصناعية التي انجلت في بداية القرن الثامن عشر.[566]

وهناك الكثير من الجهود التي عرفت مصطلح تكنولوجيا المعلومات، وكلها كانت تدور في فلك واحد، وقد اتفقت في أغلبها حول النقطة التي لخصها (نبيل علي) في قوله: "أن تكنولوجيا المعلومات مادتها الخام هي البيانات والمعلومات والمعارف... وأداتها الأساسية هي بلا منازع

---

[565] محمّد، بسام، *الحياة الأسرية*، ص 211.

[566] محمّد، بسام، *الحياة الأسرية*، ص 211؛ نورالدين زمان وصباح سليمان، *مجلة العلوم الانسانية والاجتماعي*، العدد10، جامعة محمّد خيضر بسكرة – جزائر2013، س 165.

الكمبيوتر وبرمجياته التي تستهلك طاقته الحسابية في تحويل هذه المادة الخام إلى سلع وخدمات معلوماتية، أما التوزيع فيتم من خلال التفاعل الفوري بين الإنسان والآلة، أو من خلال أساليب البث المباشر وغير المباشر كما هي الحال في أجهزة الإعلام، أو من خلال شبكات البيانات التي تصل بين كمبيوتر وآخر أو بينه وبين وحداته الطرفية".[567]

ويُمكن تطبيق التكنولوجيا في جميع مجالات الحياة اليوميّة التي تُفيد الإنسان إذا تمّ استخدامها بشكل صحيح، وتضره إذا تمّ استخدامها بشكل سيء.

ثانيا: مراحل تطور التكنولوجيا:

مرّت مراحل التكنولوجيا بكثير من التّطورات عبر عصور التاريخ البشرية، فكانت التكنولوجيا متواجدة طالما تواجد الإنسان، لأن الإنسان موهوب بقوة العقل والتفكير، لقد ميز الله تعالى الانسان بنعمة العقل والتدبر لتسيير أمور حياته كما قال الله عزّوجل لسيدنا نوح: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾(هود،37/11)، وميزه بقدرته على ابتكار الأدوات المناسبة لتساعده في أعماله المختلفة كما علم سيدنا داود صنع آلات الحرب بغية الدفاع في قوله عزّوجل﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ (الأنبياء،21/ 80)، وهذا كان أساس تطور التكنولوجيا شيئاً فشيئاً وفق مراحل وفترات طويلة، وكانت أبرز التطورات التكنولوجية في التاريخ يمكن أن نقسمها إلى ثلاث مراحل رئيسة هي كالآتي:

1. **المرحلة البدائية أو ما يسمى بمرحلة العصر الحجري الأول:** كانت هذه المرحلة الأولى من تاريخ البشرية تعود إلى بداية انتشار البشر على وجه الأرض، وحسب ما وجد أهل الآثار بعض الآثار التي تعود إلى بداية البشرية كانوا يعتمدون بشكل رئيسي على استخدام الأدوات المصنوعة من نوع الحجر والشجر والعظام، أي بتحويل أدوات طبيعية لأدوات مُفيدة.

2. **المرحلة الوسطى أو تكنولوجيا القرون الوسطى:** في هذه المرحلة ازداد عدد سُكان الأرض كثيرًا، وظهرت الكثير من الحِرف والأعمال، ومنها ظهرت أدوات وآلات تكنولوجية بسيطة تخدم هذه الأعمال فتطور التكنولوجيا في مختلف المجالات، كالزراعة والصناعة وغيرها.

---

[567] نبيل علي، *العرب وعصر المعلومات*، عالم المعرفة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أبريل ١٩٩٤م، ص٤١.

ففي مجال الزراعة ظهرت أساليبها وأدواتها، وأهمها المحراث؛ ذلك الاختراع العائد للعصر الحجري الحديث، حيث تمكّن الإنسان خلال العصور الوسطى من تحسينه وتطويره واستخدام عددٍ من الثيران، مما ساعد في استصلاح مناطق كبيرة من الغابات وتحويلها إلى أراضٍ زراعية، كان لها الفضل في زيادة المحاصيل المتنوعة وازدياد التجمعات السكانية. وفي الصناعات المعدنية: من أهم ما يُميز مرحلة العصور الوسطى هو استخدام الحديد في مختلف الصناعات، من خلال ابتكار أفرانٍ خاصة مكّنت من صَهره واستخدامه في صناعة مختلف الأدوات كنضوات الخيل والسيف والرمح وغير ذلك من أدوات الحرب والدفاع، ثم تمكن الإنسان من استخدام معادن أخرى؛ كالفضة والرصاص والنحاس والذهب بعد ابتكار طرقٍ جديدة لاستخراجها من المناجم، حيث اعتمد على تلك المعادن في صناعة العملات المعدنية، والأدوات الحرفية.

3. **المرحلة الأخيرة أو مرحلة تكنولوجيا العصر الحديث:** في أواخر القرن التاسع العشر قد شهدت البشرية إنجازاتٍ وتطوراتٍ تكنولوجية كبيرةً شكّلت أساسًا للتقدم الذي تبعه خلال العقود التالية، واختُرِعت أعداد هائلة من الآلات التكنولوجية المُفيدة للبشرية، أبرزها الإنترنت وعلوم الفضاء والتكنولوجيا النووية والهواتف الذكية، وغزت التكنولوجيا المستوى المعيشي وطريقة العيش لكثير من المُجتمعات، وأصبحت العلاقة الرئيسة في تطور أي حضارة أو دولة تُعبّر عنها التكنولوجيا.

الثورة التكنولوجية لم تتوقف بعد وهي مستمرة في تطورها، حيث تمت ترقية العديد من الأجهزة والتطبيقات لتكون رقمية ومتصلة بشبكات الإنترنت، تشمل التقنيات الحديثة في عصر الذكاء الاصطناعي، والواقع الافتراضي، والتجارة الالكترونية، والتحليلات الضخمة، ولقد وصل تقدم التكنولوجيا إلى مرحلة الروبوتات والمنزل الذكي والسيارات الذكية والتكنولوجيا القابلة للارتداء.[568]

---

[568] مُحَمَّد، بسام، *الحياة الأسرية*، ص 212؛ مُحَمَّد جوارنة (2022)، *تعريف التكنولوجيا*، تم استرجاعه في 2023/9/2 على هذا الموقع https//mawdoo3.com؛ عبد الله العابد، (2023)، مراحل تطور التكنولوجيا، تم استرجاعه في 2023/9/2 على هذا الرابط https//www.ammonnews.net/article.

ومما يجدر بالذكر أن نلفت إليه باهتمام هو: أن هذه التكنولوجيا الحديثة المبهرة خَلْقٌ من خلق الله تعالى﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾(الصافات،96/37)، ونعمة من نعم الله تعالى﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾(ابراهيم،34/14)، ونظائر هذه التكنولوجيا الموجودة الآن في فترة من الفترات كانت تعد معجزة للأنبياء وكرامة للأولياء، والآن وهبها الله تعالى لأواخر الأمة المحمدية ﷺ بلا حد ولا حساب، فمثلا نظير الطائرة الحالية الحاملة لعدد هائل من البشر والأمتعة كان موجودا في زمن نبي الله سليمان عليه السلام كمعجزة له، كما قال ابن كثير(ت:1373هـ) عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَسَخَّرْنا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخاءً حَيْثُ أَصابَ﴾ (ص،36/38): وهو بساط يركب عليه سليمان عليه السلام وجيشه ويأمر الريح يأخذهم إلى أي مكان شاء، [569] ونظير الهاتف الذكي هو وصول صوت سيدنا عمر رضي الله عنه كرامة له من المدينة المنورة إلى مسامع سارية قائد الجيش آنذاك في أرض نهاوند(يا سارية الجبل الجبل).[570]

فتطورات التكنولوجيا مستمرة بعد، ومن الممكن أن يصل إلى مرحلة النقل الذكي الذي ذكره الله تعالى في القرآن الكريم في قصة نقل عرش ملكة سبأ حيث يقول الله تعالى: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (38) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (39) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾(النمل،38/27– 40).إلى الآن لم تصل التكنولوجيا إلى هذا الحد، ولكن ليس مستحيلا، فمن الممكن في المستقبل القريب أن يصل إلى هذه المرحلة بإذن الله تعالى، وما حدث لرسول الله ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج في جزء يسير جداً من الليل أسري به من مكة إلى بيت المقدس في ثوان أو أقل من ثوان، ثم عرج به إلى ملكوت السموات وإلى سدرة المنتهى وأرى به ما رأى وأعيد به إلى مكة، فكل ذلك لم يتجاوز ثواني، وهذه السرعة فوق سرعة الضوء بكثير، وإلى الآن لم يصل العلم الحديث إلى هذه المرحلة وإيجاد هذه السرعة.

ثالثا: الآثار السلبية للتكنولوجيا على الأسرة:

فإن العولمة تقوم اليوم بعمل خطير هو تفكيك المنظومات الاجتماعية، وإعادة صياغتها على أسس مادية، وقد حققت في هذا قدراً من النجاح، وقد نالت الأسرة من ذلك التفكيك الحظ

---

[569] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، *البداية والنهاية*، دار الفكر، دمشق 1986م، 27/2.

[570] ابن كثير، *البداية والنهاية*، 130/7.

الأوفر، حيث صار كثير من الأزواج والزوجات يبحثون عن مسراتهم الخاصة خارج النطاق العائلي وضعف التواصل بين الآباء والأبناء لدى كثير من الناس، وساد شعور بالجفاء والتباعد، كما أن كثيرًا من الآباء والأمهات صاروا مرتبكين ارتباكاً عظيماً في تربية أبنائهم، ومرتبكين ارتباكاً عظيما في التعامل مع المراهقين منهم على نحو خاص، فوسائل التقنية الحديثة، وضعت العالم فيما يشبه الخلاطة الكبيرة، فتعلم الصغار كثيرًا من الأمور، واطلعوا على سلوكيات مجافية لتعاليم الإسلام وتقاليدنا الموروثة وهذا عمق ما يسمى بصراع الأجيال، كما أنه حدث تحد جديد، وهو أننا كنا نخشى على الأبناء إذا خرجوا إلى الشارع، أما اليوم فإن الخوف صار داخل البيوت بسبب ما أتاحته وسائل الاتصال والبث من الاطلاع على ثقافات العالم ورذائله وحماقاته.

لهذا كله صار من المهم أن يكتسب الأبوان المعرفة والخبرة التي تمكنهما من إعادة هندسة حياتهما الأسرية على هدي الإسلام وعلى وقع التغيرات العالمية الكبيرة على مستوى الطموحات والتطلعات وعلى مستوى العلاقات والتحديات الجديدة كما صار مطلوباً من كل أبوين اكتساب قدر حسن من الثقافة التربوية، حتى يتمكنا من القيام بواجبهما التربوي تجاه الأبناء على الوجه المطلوب.[571]

إن كل ما في أيدينا من وسائل الحياة التي تسمى بالتكنولوجيا لا شك أنها نعمة من نعم الله تعالى على الإنسان، وهي ليست محض خير ولا ومحض شر، بل هي سلاح ذو حدين، وهذا يتوقف على حامله ومستعمله؛ إن جعله في خير فهو خير ومأجور عليه صاحبه إن كان نيته خيراً، وإن جعله في شر فهو شر ومأثوم إن كان متعمداً كما قال عزّوجل: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾(الزلزلة،99/7- 8)، وهذه من البلوى التي جعلها الله تعالى امتحاناً للناس كما قال عزّوجل: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾(الأنبياء،21/35)، والتكنولوجيا لا يخرج عن هذا، لأنَّ له آثار سلبية على الفرد والأسرة والمجتمع ناتجة عن سوء استخدام هذه التقنيات كما له حظٌّ كبير من الإيجابيات التي لا تعد ولا تحصى كما يقال:

إن وسائل التواصل الاجتماعي، قرَّبتْ البعيد وبعَّدت القريب، وفرضت عزلة على الأسرة وهي تحت سقف واحد، ولكن هنا على الرغم من كل هذه الآثار الإيجابية والتطور الكبير الذي قدمته التكنولوجيا إلا أننا نشير بآثاره السيئة التي أصبحت مشكلة غامضة وداء كاد أن لا يوجد

---

[571] بكار، عبدالكريم، *الحياة الأسرية، مقولات قصيرة في العلاقة بين الزوجين*، دار السلام – 2011، ص7.

له دواء شاف على الفرد والأسرة والمجتمع، وبما أن الأسرة هي اللبنة الأساس للفرد والمجتمع، بحيث يتوقف صلاح الفرد وتماسك المجتمع على درجة صلاح وتماسك الأسرة، والعكس كذلك أيضا، لذلك نجد الأسرة في العقود الأخيرة حظيت باهتمام كبير من قبل المؤسسات الحكومية، والمؤسسات الدولية، إضافة إلى مؤسسات المجتمع المدني، وما ذلك إلا لأهمية الأسرة في المجتمع، وسأوجز الحديث عن أهم الآثار السلبية التي عكستها تكنولوجيا المعلومات على الأسرة والفرد والمجتمع، هي ما يأتي:

1. **داء الفضائيات وانهيار الفرد وتفكك الأسرة:** لا شك أن القنوات التلفزيونية بعضها تؤدي دوراً مهماً في التنشئة الاجتماعية، وتكوين القيم الأخلاقية والاتجاهات السديدة عند الأفراد، ولكن ليست كل هذه القنوات الفضائية حارساً أميناً على ثقافة المجتمع والأسر، فليس كل ما تبث فيه يحث على الفضيلة، ولا تغرس في الأفراد السلوكيات والأخلاقيات التي تتماشى مع سلوكيات وأخلاقيات المجتمع، بل هي تجمع بين الصحيح والخطأ، والكثير من القنوات الفضائية تفتقد إلى الموضوعية، وليس لها رسالة إعلامية هادفة، وأصبح جل اهتمامها تحقيق أكبر قدر ممكن من الأرباح المالية والمكاسب ولو كان ذلك على حساب القيم الدينية والاجتماعية والأخلاقية.

وحتى تحظى القنوات الفضائية باهتمام جماهيري واسع وتجعل الأفراد يجتمعون حولها وتحقق أعلى معدلات مشاهدة فإنها تنفق أموالا طائلة تفوق الخيال، فعلى سبيل المثال: صناعة فيلم أمريكي واحد ينفق عليه في المتوسط (٥٩) مليون دولارا! وتعتبر السينما الأمريكية هي المهيمنة على الأسواق العالمية. وقد بينت الدراسات أن (٥٤%)مما يعرض في التلفزيونات الأوربية هي أعمال أمريكية.

والمتابع لما ينشر في أغلب الفضائيات الآن يجد أن برامجها السياسية والاجتماعية والاقتصادية سطحية لا تعالج قضايا المجتمع ومشكلاته الجوهرية بشكل جاد. وإنما تتطرق لمناقشة موضوعات هامشية ليست ذات أهمية كبيرة، وتمارس عمليات تزييف العقل والوعي الاجتماعي لدى الجماهير.

وأما على صعيد البرامج الترفيهية، والمسلسلات، والأفلام، والمسرحيات فإنها كلها تدور حول: الحب والغرام، والشذوذ الجنسي، والطلاق، وعمليات التجميل، وإعداد الطعام وإلى غير ذلك مما لا فائدة فيها ولا تروي عطشانا، كأن كل قضايا المجتمع ومشكلاته قد حلت.

وإن تلك المشاهد الساخنة والتبرج والسفور والعري التي تبث عبر المسلسلات والأفلام والمسرحيات والأغاني قد خلقت مشاكل كثيرة للآباء والأمهات مع أولادهم وحتى بين الزوج والزوجة جراء هذه الفوضى التي تبث في الفضائيات.

وفي الجانب الآخر أعداء الأخلاق والقيم الاجتماعية يبذلون أقصى جهدهم على أجيال المستقبل وهذا من خلال الأفلام الكرتونية التي تحمل في طياتها العنف والشذوذ الجنسي وتشويه المفاهيم الدينية وغيرها من الرذائل الأخلاقية، وهذه الفوضى في الفضائيات أثرت سلبياً وبشكل كبير على أولادنا وبناتنا وزوجاتنا، ولا تزال تلعب دوراً كبيراً في انهيار الأسر أخلاقياً وتفكيك المجتمع في جميع مجالات الحياة، ولا نحس أن الماء تجري سريعاً تحتنا، لذلك يجب أن يخضع الأبناء إلى رقابة موجهة من الوالدين؛ لحمايتهم من مخاطرها، ويتم توجيههم لما فيه المنفعة والمصلحة.[572]

2. **ادمان الإنترنيت:** تعتبر شبكة الإنترنت صورة متقدمة من صور ثورة المعلومات، وشبكة الإنترنت لها صفة العالمية، فهي تقوم على تبادل المعلومات وتخزينها، وكشفت الدراسات بأن هناك إقبالاً شديداً على شبكة الإنترنت من مختلف الشرائح الاجتماعية في العالم، وكل يوم يتعاظم عدد مستخدمي الإنترنت. فقد وصل عدد مستخدميه الآن في العالم حوالي 5.18 مليار شخص أي 64.6% تقريباً من سكان العالم.[573]

فإدمان الإنترنت ومخاطره على الأسرة والفرد والمجتمع تبينه نتائج الدارسة التي قامت بها "جمعية الأطباء النفسيين الأمريكية"على خمسمائة شخص من مستخدمي الإنترنت بإفراط حيث كانت تصرفاتهم تقارن بالأعراض المعروفة في تشخيص حالات الإدمان على المقامرة، واعتماداً على تلك الأعراض فإن (٨٠٪)من الذين شاركوا في الدراسة والذين تم تصنيفهم على أنهم مدمني إنترنت، أظهروا إدماناً واضحاً في سلوكهم النمطي، وكانت النتيجة النهائية التي توصلت للدراسة: "أن استعمال الانترنت بإفراط سيؤدى بصورة مؤكدة إلى تدمير الحياة الأكاديمية

---

[572] محمد، بسام، *الحياة الأسرية*، ص 218.

[573] كباشي، عثمان(2023)، *أرقام في حياتنا*، تم استرجاعه في 2023/9/17 على هذا الرابط https//www.aljazeera.net/blogs

والاجتماعية والمالية والمهنية بالطريقة نفسها التي تقوم بها أشكال الإدمان الأخرى مثل: المقامرة والكحول والمخدرات.[574]

ومن جانب آخر فإن من النتائج السلبية المترتبة على إدمان الإنترنت: تفتيت وإضعاف شبكة العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة، حيث يصيبها الوهن والفتور، إذ يقضي أفراد الأسرة، لاسيما الشباب والأطفال أغلب أوقاتهم في تصفح المواقع الإلكترونية، وفي الغالب يفضلون العزلة الاجتماعية وقضاء الوقت مع الألعاب على شبكة الإنترنت، أو التنقل بين المواقع الإلكترونية، أو تفضيل التخاطب مع الآخرين من خلال المحادثات على الشات والماسنجر، ووسائل التواصل الاجتماعية الحديثة، وكل هذا يتم تفضيله على حساب العلاقات الاجتماعية المباشرة.[575]

3. مشاكل صحية: استخدام التكنولوجيا وبالأخص الهواتف الذكية التي أصبحت عموم البلوى على الفرد والمجتمع والأسرة لكثرة سوء استخدامه، أصبح سبباً رئيساً لكثير من المشاكل الصحية والنفسية على الكبير والصغير من ضعف العين وقلة النوم ووجع الظهر وفقدان الذاكرة أو ضعفها، وغير ذلك من الأمراض والمشاكل الصحية، ولكن هذه المشكال تظهر على الصغار بشكل أوضح وأسرع، ولأن الأطفال ليسوا مكلفين ولا يدركون بأضرار التكنولوجيا ويتمتعون باستخدام الهواتف الذكية والحاسوب، فعلى الآباء والأمهات أن ينتبهوا عليهم ويحافظوا على صحتهم وسلوكهم لأنهم مسؤولون عنهم وهم أمانة عندهم كما قال الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (الأنفال،28/8)، الفتنة: هنا بمعنى الامتحان، أي يمتحن الله تعالى الإنسان بهبة الأولاد ثم من نجح في هذا الامتحان وأعطى حقه فأجره عند الله تعالى.[576]

ولأن الأولاد جيل المستقبل وعمارة الأسرة والمجتمع، ولضعفهم عقلياً وجسدياً تؤثر التكنولوجيا عليهم أكثر، فاذا انهدموا انهدمت الأسرة والمجتمع جميعاً، لذا فالعناية بهم أولى،

---

[574] مجهول المؤلف، الإدمان على الإنترنيت، تم استرجاعه في 2023/9/17 على هذا الرابط
.com/vb/showthread.php.s. http//www.s

[575] مُحَمَّد، بسام، *الحياة الأسرية*، ص 223.

[576] سيد قطب، *في ظلال القرآن*، 1498/3.

وهناك العديد من الدراسات التي أجريت على تأثيرات السلبية للتكنولوجيا ولاسيما على الأولاد وتؤكد على كثير من الأضرار الصحية التي تصيب الأولاد.

لقد حظيت عيوب استخدام الأطفال للهواتف الذكية باهتمام متنامٍ في الأوساط الأكاديمية والصحافة وغيرها من وسائل التواصل الاجتماعي، خلال السنوات الأخيرة.

وتوصّل الباحثون عبر دراسات عدة إلى أن الاستخدام الروتيني والمتكرر للأجهزة المحمولة يرتبط بالمشاكل السلوكية في مرحلة الطفولة، وركز بعض العلماء على آثار جسدية ضارة قد تنجم عن استعمال الأطفال الهواتف الذكية.

جاءت في إحدى الدراسات: أن الأطفال الذين يستخدمون هواتفهم المحمولة بشكل مكثف يعانون من اضطرابات النوم والأرق والتعب وخاصة إذا لعب الأطفال بالأجهزة الذكية قبل فترةٍ قليلةٍ من النوم.

ويمكن أن يؤدي قضاء الكثير من الوقت أمام الشاشة إلى إجهاد العين الرقمي، والذي يشمل حرقة أو حكة أو إرهاق العينين.

والإفراط في استعمال التكنولوجيا قد يكون أحد الأسباب الرئيسة وراء إصابة الأطفال بالتوحد، وصعوبات في التعلم، وقلة الحركة والنشاط، وربما يتفاقم الأمر بأن يُصاب الطفل بنوبات صرع.[577]

كما أن الاستهلاك المفرط للهاتف المحمول لدى الأطفال يبطئ تطور اللغة وتأخر الكلام، وله صلة كذلك باضطراب نقص الانتباه، مع فرط النشاط، وكشفت الدراسات أنه كلما زاد عدد الساعات التي يقضيها الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ستة أشهر وسنتين في استخدام شاشات المحمول؛ زاد احتمال تعرُّضهم للتأخر في الكلام.

وأوضح الباحثون أن كل زيادة 30 دقيقة في الوقت الذي يقضيه الأطفال في استخدام المحمول ارتبطت بزيادة 49٪ في خطر ما يسميه الباحثون بتأخير الكلام التعبيري.

وهناك أبحاث أُجريت على الأطفال منذ عامِ 2014، أظهرت الأضرار الكبيرةَ الناجمةَ عن استخدام الهاتف المحمول لساعات طويلة، حيث تُسَبِّب أمراضاً مثل السرطان، بسبب أشعة الميكروويف المنبعثة من الهواتف المحمولة وتأثيرها في صحة الأطفال.

ويُلْحِق الضرر أيضا بالعيون؛ لأن هذا الضوء يعرِّض العين إلى وخة المبكرة ويجهدها، كما يمكنها أن تؤدي إلى الإصابة بالضمور البقعي، المرتبط في التقدم بالعمر الذي يمكن أن

---

[577] الجزيرة مباشر، *كيف يؤثر الهاتف الذكي على طفلك*(2021) تم استرجاعه في 2023/9/20 على هذا الرابط https//www.aljazeeramubasher.net.

يتسبب بفقدان البصر.

في عصرنا الحالي أصبحَ الأطفال يعانون من مشكلات العظام، وذلك بسبب استخدام الأجهزة الخلوية واللوحية والحواسيب لفتراتٍ طويلةٍ من الزمن؛ ما يزيد الضغط على الأعصاب، والأربطة، وعضلات وأقراص العمود الفقري.

وأوصى الباحثون بضرورة منع الأطفال الأقل من سنتين من استخدام الأجهزة الإلكترونية.

استطلعت صحيفة واشنطن بوست آراء خبراء لتتوصل إلى حزمة من النصائح، والتي تقترح: أن العمر المناسب لاقتناء هاتف ذكي للأطفال قد يكون في السن بين عشر إلى أربعة عشر سنة.

وفي حوار مع قناة الجزيرة مباشر. ذكرت متخصصة التخاطب وعلاج مشكلات النطق: أن الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين عامين وأربعة أعوام "يجب ألا يقضوا أكثر من ساعة في اليوم أمام الشاشة".[578]

4. **تغيير القيم الأسرية:** لقد فرضت وسائل التواصل الاجتماعي نفسها على كل أسرة، وبدأت تحدد كثيراً من القيم الأسرية، هذه القيم التي كانت تحرص عليها الأسرة لما لها من أهمية في لم شمل العائلة و الحفاظ على أبنائها، وأهم هذه القيم التي تحددها وسائل التواصل الاجتماعي بالزوال، قيمة الاجتماع في السهرة للسمر و المرح الجماعي و النقاش و التحدث، وقيمة الاجتماع على مائدة الأكل، قيمة الفضفضة إلى الأهل بدل الغرباء، قيمة الزيارات في المناسبات و غير المناسبات، قيمة اللعب مع أبناء الجيران و زملاء المدرسة و أبناء الحي، قيمة عائلية مهمة وهي أن الوالدين يعرفان أصدقاء أبنائهم، ليعرفوا أخلاقهم و مدى مناسبتهم للتعامل مع آبائهم، لكن وسائل التواصل الاجتماعي جعلت الأم والأب لا يعرفان أصدقاء أبنائهما ولا يتمحور الحديث الذي يدور بين الأبناء وهؤلاء الغرباء الذين قد يجروهم إلى عالم الجريمة و المخدرات والإدمان أو الجنس والإباحية. الخ، تغيرت القيم في الأسرة وصارت لا تجتمع، لأن كل واحد منشغل بوسيلة تكنولوجية خاصة به.

---

[578] هنداوي، خيرية، *اضرار الهاتف المحمول على الأطفال*(2022)، تم استرجاعه في 2023/9/20 على هذا الرابط https//www.sayidaty.net ؛ موقع الحرة – ترجمات واشنطن (2023) تم استرجاعه في 2023/9/20 على هذا الرابط https//www.alhurra.com.

5. برودة العلاقة بين الأهل والأولاد: إن التكنولوجيا تؤثر بشكل سلبي على العلاقة بين الأهل والأولاد مباشرة؛ حيث إن العديد منهم يخسر الصلة الرابطة بينهم نتيجة الانشغال الدائم بالأجهزة الإلكترونية، حيث إن الأهل يلهون الأولاد بها، فيبتعدون عنهم ولا يمضون الأوقات معهم، في حين أن الأولاد يجدون في هذه الأجهزة الفرصة للانفراد فتتكوّن لديهم منذ الصغر الشخصية الانعزالية، فلا يجيدون التعامل مع الآخرين، فانشغال الأهل بالعمل المستمر خصوصاً عبر هذه الأجهزة لا يمنحهم الوقت لتربية الأطفال، وبالتالي تغيب هذه العلاقة العاطفية بينهم، لا سيما أن الاولاد ما عادوا بحاجة إلى التواصل مع الأهل، واستبدلوا الانترنت بآبائهم كمصدر للمعلومات وفقدوا الترابط الأسري، والتصقوا بالحوار مع الغرباء لدرجة الشعور بالغربة على مستوى الأسرة الواحدة.

6. مشاكل الانحراف السلوكي والأخلاقي: تستخدم هذه الوسائل من بعض ضعاف النفوس ومنعدمي الضمير في التحرش والاستغلال الجنسي، ويستخدمها البعض في تتبع المواقع التي تنشر الرذيلة والعري، وأكثر من يقع في هذه المشكلة هم المراهقون والشباب الذين تتغيب عنهم- في الغالب- أو لم تتضح الرؤية والأهداف في هذه الحياة ولا من دخول هذه المواقع، لأنهم يعيشون بلا أهداف أو غايات يسعون إلى تحقيقها، فهم أسهل ما يكون للوقوع فريسة الإدمان في مثل هذه المواقع.

وهناك بعض عديمي الأخلاق، عبر مواقع التواصل الاجتماعي يفتحون موقعا باسم فتاة ويضعون صورة عارية عليه، ويصطادون الشباب وأحياناً كبار السن، وبعد وقوعهم في الفخ يطلبون منهم مبلغا من المال وإلا يفضحهم بنشر صورهم العارية والمخزية، وهناك حالة أخرى منتشرة وهي بعض عديم الأخلاق من الشباب يبدؤون بالتعارف مع فتيات مراهقات، في البداية يبدون لهن حسن النية والصداقة، فلما أصبحوا ثقة عندهن يطلبن منهن رؤية جسدهن عريانا ويقنعوهن بذلك ويفعلن، ثم يطلبون منهن ممارسة الجنس أو مبلغاً هائلاً من المال وإلا ينشروا صورتهن، فهذه الفتات يقعن في حيرة بينهم وبين أسرتهن، وغالباً تنتهي القصة بمأساة وفتن أسرية ومجتمعية.

7. العزلة الاجتماعية: من أبرز سلبيات وسائل التواصل الاجتماعي أنها أوصلت بعض الأفراد إلى مرحلة العزلة الاجتماعية، فبعض الأفراد لم يتمكن من تحقيق ما يريده في عالمه

الواقعي، ويشعر فيه بالغبن والقهر والمعاناة، ولذا فهو يبتعد شيئًا فشيئًا عن هذا العالم، ويقترب أكثر من عالمه الافتراضي، ليجد نفسه في يوم من الأيام أمام معضلة العزلة الاجتماعية، والنفور من المشاركة الاجتماعية.

وقد أكدت بعض الدراسات أن زيادة استخدام الانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي أدت إلى شعور المراهقين بالوحدة النفسية، وأنها أثرت على نوعية التواصل مع الآباء، كما أنها تتيح اتساعاً أكثر، ولكن ليست بعمق العلاقات التي يحتاج إليها البشر.

8. **بث الشائعات:** لأن هذه الوسائل متاحة لجميع الأفراد للدخول إليها، والمشاركة بحرية دون أية قيود أو ضوابط، فإنها تعد من أسهل وأسرع الوسائل لبث الشائعات، فبإمكان أخبار كاذبة يتم نشرها من قبل بعض الأشخاص الذين أثاروا الإشاعة وأحياناً بدون نية تنتقل في غالبية المجموعات والوسائل الاجتماعية المختلفة، ليجد المجتمع نفسه غارقاً في كم هائل من الإشاعات التي تجعل الفرد يقع في وهم الأكاذيب والإشاعات، وفي أحسن الأحوال تجعله يتوقف عن تصديق أي منشور إلا ما ندر، وهذه الحالة الاجتماعية تذكرنا قول الله جل شأنه في بث الشائعات والأخبار الكاذبة حيث يقول: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾(الحجرات،6/49).

9. **برودة العلاقة بين الزوجين** عملت هذه الوسائل على زيادة الشكوك بين الزوجين، وإلى إهمال الزوج الأمور البيت والأولاد والزوجة، وإلى برود العواطف الزوجية لإدمان الزوج والزوجة بالتكنولوجيا ليلا ونهارا، بل إنها أدت إلى ارتفاع نسبة الطلاق، فقد أشارت بعض الدراسات إلى الآثار الوخيمة لوسائل التواصل الاجتماعية خاصة الفيس بوك وتيكتوك وسناب شات في ظل الاستخدام الخاطئ للأسرة وفقدان الثقة بين الزوجين، وما ترتب عليها من مشاكل وتصدع في المجتمع، وإلى ارتفاع نسبة الطلاق، وأنه كلما زاد عدد الساعات التي يقضيها الفرد على تلك المواقع كان لها تأثير على العلاقات الاجتماعية والزوجية والأسرية والوحدة النفسية.

10. **تدني مستوى التعليم:** أدت هذه الوسائل إلى تدني مستوى التحصيل الدراسي والعلمي الأكاديمي لدى الطلاب، فبدلاً من أن تساهم في زيادة الحصيلة العلمية، وتكمل النقص الذي لم تتمكن المدرسة أو الأسرة من تحقيقه، نجدها تؤثر على ذلك المستوى، وهنا نود التأكيد أن الخطأ ليس في هذه الوسائل بقدر ما هو في طريقة استخدام الطلاب لها، فاستخدامهم

المبالغ فيه إلى حد الإفراط أو الإدمان هو الذي أدى إلى إهمال الواجبات المدرسية، والغياب المتكرر عن المدرسة، أو الذهاب إليها بجسم منهك وعقل نائم أو غير ذلك، ما أدى إلى أن ينعكس ذلك على مستوى التحصيل الدراسي.

إضافة إلى ذلك فغالبية الطلاب مستخدمي هذه الوسائل لا يحملون أهدافاً تعليميةً أو علميةً محددة عند استخدامها، والصورة الذهنية لديهم- كما هي لدى غالبية الأفراد والأسر- أن هذه الوسائل وجدت للترفيه والتسلية وتكوين الصداقات وتعبئة العواطف، وهو ما جعل الهدف العلمي يغيب لدى الكثير منهم، رغم امتلاك هذه الوسائل للمعلومات الغنية والمفيدة والقيمة، غير أنه لا يتم الالتفات إليها أو يتم المرور عليها دون إعمال العقل في استيعابها.

وقد أشارت بعض الدراسات إلى ضعف امتلاك الطلبة لأهداف واضحة ومحددة من استخدام وسائل التواصل الاجتماعي.

11. ضياع الوقت: يشعر المدمن بالحاجة المستمرة إلى المزيد من الوقت على وسائل التواصل الاجتماعي، حتى ولو سبق له أن قضى وقتا طويلاً، لكنه يشعر بالرغبة في العودة مرة أخرى والاستمرار في استخدام تلك الوسائل، ولذلك فهو غير قادر على التحكم في الوقت الذي يقضيه؛لأنه يدخل على هذه المواقع بنية البقاء لساعة أو ما يقاربها، إلا أن الساعات تمشي عليه الواحدة تلو الأخرى دون التمكن من التحكم في ذلك الوقت المهدور، وكلما حاول التوقف عن الاستخدام راودته أفكار تغريه في الاستمرار باستخدام تلك الوسائل، وفي نظر عالمة النفس الأمريكية (كمبرلي يونج) وهي أول من اهتمت بإدمان الأنترنت، هي تقول: استخدام الإنترنيت لأكثر من 38 ساعة أسبوعياً يعد مؤشراً على الإدمان.[579]

---

[579] كتانة، دعاء عمر محمّد، *وسائل التواصل الإجتماعي وأثرها على الأسرة دراسة فقهية*، رسالة ماجستير –جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، كلية الدراسات العليا 2015م، ص38؛ الحاوري، عبدالغني أحمد على، *العلاقات الأسرية في ظل الإدمان على وسائل التواصل الإجتماعي*، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسة والإقتصادية، برلين، ألمانيا 2021م، ص85؛ الخضر، منال إلياس، *تأثير وسائل التواصل الإجتماعي على الأسرة المسلمة*، مجلة علوم الاتصال، جامعة أم درمان الإسلامية – السودان، 2021م، المجلد السادس، العدد الثالث، ص 254؛ ليلى قيس، (2019)، التكنولوجيا وتأثيرها على العلاقات الاسرية، تم استرجاعه في 2023/10/20م، على هذا الرابط https//bshra.com/education/3607 ؛

رابعا: سبل الوقاية من سلبيات التكنولوجيا وضبطها:

هناك مجموعة من المقترحات من القواعد الدينية والأخلاقية والاجتماعية والثقافية، والتي من شأنها أن تحكم عملية التواصل (الإلكتروني) بين الأفراد، بهدف حمايتهم من تخطي الحدود الدينية والأخلاقية والاجتماعية من باب حماية المجتمع المسلم، ومن أهم تلك المقترحات ما يلي:

1-**تنمية الوازع الديني:** يمثل الدين أحد أهم الضوابط التي تقي الفرد من الانزلاق في العديد من الشهوات والانحرافات، وهو أحد أهم المفاتيح التي يستطيع الآباء النفاذ من خلاله إلى عقول وقلوب أبنائهم، فبعض الأبناء قد لا يقتنع من أي حوار أو فوائد أو أضرار يسردها لهم آبائهم، لكن مجرد أن يتم تذكيره بالجوانب الدينية أو الوازع الديني فإنه يمتثل بكل حب لذلك. وقد أوصت بعض الدراسات بتنمية الوازع الديني لدى الشباب من خلال الحوار والمناقشة الهادفة، وضرورة إرشادهم لكيفية استبدال تصفح الانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي بممارسة التمارين الرياضية وغيرها من الهوايات والأنشطة المتنوعة.

فالعلم والتقنية يبقيان محدودان إذا ما غاب الوازع الديني من البرنامج العلاجي، فغياب ذلك الوازع يعد معوقاً أساسياً للعلاج أو الشفاء، فلا إيمان مع الإدمان ولذلك علينا ألا نتوقع أي شفاء يذكر من غيره.

2-**الرقابة الأسرية:** قد لا يُفضل استخدام مثل هذا الأسلوب وخاصة إذا عرف الأبناء أنهم تحت المراقبة، لكن وحتى لا يترك الآباء الحبل على الغارب ليجدوا أبناءهم في يوم من الأيام وقد وقعوا فريسة الإدمان، فلا بأس أن يعمل الآباء على رقابة أبنائهم وسؤالهم عن المواقع التي يرتادونها، والأشخاص الذين يتواصلوا معهم، وأن يعطوهم بعض التوجيهات التي تمثل خطوطاً حمراء ينبغي على الأبناء عدم تجاوزها.

3-**تحذير الأبناء من الشائعات:** مهمة الآباء تنبيه أبنائهم أن وسائل التواصل الاجتماعي تحمل العديد من الإشاعات والأخبار الكاذبة، وأن عليهم ألا ينسابوا مع تلك الإشاعات، بل عليهم أن يتثبتوا من أي منشور، ولا يصدق بكل ما يرى ويقرأ، امتثالا لقوله تعالى جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ

نَادِمِينَ﴾(الحجرات،6/49)، ويجب أن يكون في علم الأسرة والأبناء خصوصاً أن هناك بعض الأشخاص متفرغين تماماً لبث مثل تلك الإشاعات، ولا يهمه من تضرر أو تأذى، وهو لا يستطيع أن يعيش إلا في مثل هذا الجو، ومن هنا تكمن أهمية دور الآباء في تنبيه أبنائهم على ذلك.

4-**إعطاء وقت كاف للأسرة والأهل:** على كل من الزوجين أن يعطيا وقتا كافيا للآخر وللأولاد، وأن لا تضيعا أغلب أوقاتهما على الهاتف ووسائل التواصل الإجتماعي، حفاظا على كيان الأسرة وسدا للخيانة وضياع الأولاد وانهيار بنية الأسرة، لأن من الأسباب الرئيسية في هذا العصر لتفكك الأسرة وانفصال الزوجين ودوافع الخيانة الزوجية هو ادمان الزوجين أو احدهما بوسائل التواصل الإجتماعي، حتى وصل الأمر الى أن يتمنى الأولاد أن يكونوا مكان الهاتف بيد والديهما، وهذا داء عضال للأسرة وللمجتمع وضروري الإفاقة منه والتنبه اليه، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحريم،6/66).

في هذه الآية المباركة يأمر الله تعالى المؤمنين بوقاية أنفسهم أولا ثم أهليهم من مفسدات حياتهم الدنيوية والأخروية، بمعنى أن يربوا ويعودوا أنفسهم على الصلاح ثم أهليهم على ذلك كي يمشوا مشية صحيحة، ويمارسون ما يقربهم من الجنة ويبعدهم عما يفسد دنياهم وأخراهم.

5- **أن تكون الأسرة خير صديق:** يمر كل شخص في هذه الحياة بالعديد من التحديات والمشاكل والصراعات التي تفقده قدراً من الثقة بالنفس، وتصيبه ببعض الاضطرابات مثل القلق والخوف والاكتئاب، وتزداد تلك المشاكل حدة إن لم يجد الأذن التي تصغي له أو القلب الذي يحتويه، أو الصديق الذي يبث له همومه، ومن هنا يبدأ الانحراف أو الإدمان كوسيلة للهروب من تلك المشاكل ومن ذلك الواقع الذي يمر به، أو هو نوع من الانتقام من الآخرين ومن نفسه، ولذا وحتى لا يقع الشباب في هذا الانحراف والادمان فعلى الآباء أن يكونوا خير صديق لأبنائهم.

6-**الثقة والحوار الإيجابي مع الأبناء:** إذا أراد الآباء أن ينفذوا إلى قلوب وعقول أبنائهم فعليهم بناء جدار قوي من الصراحة بينهم وبين أبنائهم، وأن تكون العلاقة معهم مبنية على الثقة، وأن يكون هناك حوار قائم على أساس الصراحة، لأن ذلك الحوار يمكن الأبناء من احترام

أنفسهم، وتحمل مسؤولياتهم تجاه أنفسهم، وأسرهم ومجتمعاتهم، والعكس صحيح فإذا كانت العلاقة مبنية على الشك وتصيد الأخطاء والاتهام المستمر فإن المشكلة ستستمر بل وستزيد يوما بعد آخر.

ومن أبرز الأساليب والفنيات التي تفيد في توجيه الأبناء نحو الوجهة السليمة في التعامل السوي مع وسائل التواصل الاجتماعي احترام الأبناء والاستماع إلى وجهات نظرهم، وتقبل ذواتهم كما هم عليه، وإجراء حوار خالي من التأنيب أو الاستهزاء أو التحقير أو أي شكل من أشكال الإهانة.

فمن خلال هذا الحوار يستطيع الآباء غرس وتنمية الكثير من القيم والمهارات والعادات حول أسلوب التعامل مع وسائل التواصل الاجتماعي مع محاولة إعطاء أمثلة من الواقع المعيش لأناس أو أشخاص تمكنوا من الاستفادة منها بشكل إيجابي في حياتهم الشخصية أو الأسرية أو الدراسية أو الاجتماعية.

7-**ربط الأبناء بالأقارب والأصدقاء:** من ضمن الأنشطة التي يستطيع الآباء مساعدة أبنائهم في التفاعل الإيجابي مع هذه الوسائل، والتخفيف من سيطرتها عليهم إشراكهم في حضور المناسبات الاجتماعية والعلاقات الأسرية المختلفة، فهي من ناحية تساعدهم من الإفلات قليلاً من هذه الوسائل، ومن ناحية أخرى تنشط لديهم مهارات التواصل والعلاقات الاجتماعية والإنسانية، التي ربما تضررت كثيراً بسبب الإفراط في التعامل مع وسائل التواصل الاجتماعي.

8-**شغل الأبناء بالهوايات:** هذا الأسلوب يعد من أفضل الأساليب التي يمكن أن يستخدمها الآباء في التخفيف من وطأة هذه الوسائل على أبنائهم، وبالإمكان العودة- وليس عيباً- إلى بعض الأنشطة التي كانت موجودة قبل ظهور وسائل التواصل الاجتماعي، ولعل من أهم تلك الأنشطة المسابقات العلمية والثقافية والفنية والترويحية، حيث يعمل الآباء على التخطيط والتنظيم لإجراء مثل تلك الأنشطة، فهي من ناحية ترسخ لدى الأبناء الكثير من المعلومات لأنهم سيكونون مضطرين للبحث عن تلك المعلومات ليتمكنوا من الفوز بالمسابقة، ومن ناحية ثانية تمكنهم من العيش خارج دائرة وسائل التواصل الاجتماعي، ليكتشفوا أن هناك العديد من الأنشطة الممتعة غير تلك الوسائل، ومن ناحية ثالثة تمكنهم من توطيد علاقات الأسرية والاجتماعية، وهناك فوائد أخرى لا يتسع المقام لذكرها الآن.

9-**ترشيد ساعات استخدام شبكة الإنترنت:** حيث يعمل أفراد الأسرة على تحدد ساعات وأوقات محددة لاستخدام شبكة الإنترنت هذا فيما يخص الكبار، أما فيما يتعلق بالأفراد الصغار في الأسرة فإن استخدامهم لشبكة الإنترنت يجب أن يكون خاضعاً للرقابة من قبل الكبار في الأسرة لحمياتهم من دخول وزيارة المواقع المخلة بالآداب أو المواقع التي تحمل التطرف الفكري.

10- **ترشيد ساعات استخدام الأفراد الصغار في الأسرة للقنوات الفضائية:** يجب أن يكون هذا الاستخدام أيضاً خاضعاً لرقابة الوالدين والكبار في الأسرة، لحمايتهم ومنعهم من مشاهدة ومتابعة الأفلام الخليعة والأغاني الهابطة واللقطات والمشاهد الساخنة.

11- **التوعية والتوجيه والتثقيف الأسري والمجتمعي:** عن مخاطر الإنترنت والجوالات والتقنيات الحديثة عموماً على صعيد الصحة والجسد والحياة الاجتماعية والنفسية، وأن يبيّن طرق الاستخدام السليمة لها من خلال البرامج التوعوية على وسائل الإعلام المختلفة، ومن خلال الحملات التوعوية في المؤسسات التعليمية والمساجد.

12- أن تحرص الأسرة على عدم منح الأبناء جوالات قبل نهاية المرحلة الثانوية، أي قبل س-ن الثامنة عشرة، لأن الطفل فيما دون هذا السن ليس بحاجة للجوال، ولأنه في هذا السن قد يسيء استخدام التقنيات الحديثة مما يترتب عليه مشكلات للفرد نفسه ولأسرته.

13- العبرة بمن أصبح ضحية من ضحايا سوء استخدام المواقع التواصل الاجتماعي، وعض أنامله ندماً لكن فات الأوان وصار درساً لمن حوله ولمن بعده.[580]

---

[580] الخضر، منال إلياس، *تأثير وسائل التواصل الإجتماعي على الأسرة المسلمة*، ص 258؛ الحاوري، عبدالغني أحمد على، *العلاقات الأسرية في ظل الإدمان على وسائل التواصل الإجتماعي*، ص105؛ كتانة، دعاء عمر محمّد، *وسائل التواصل الإجتماعي وأثرها على الأسرة دراسة فقهية*، ص43؛ بسام أبو عليان، (2019)، *التاثيرات السلبية للتكنولوجيا على الاسرة*، تم استرجاعه في 2023/10/21م، على هذا الرابط.https//www.b، post_57،sociology.com/2019/04/blog

4. الخاتمة

الحمد لله الذي وفقنا في البدء والختام وأعاننا على إتمام هذه الدراسة القرآنية بالتمام، والصلاة ثم السلام على صاحب الحوض والمقام وعلى آله وصحبه الكرام، وفي ختام هذا البحث المتواضع وفي هذه الرحلة العلمية المباركة في دراستي القرآنية التي ارتعيت فيها، أود أن ألخص أهم النتائج التي توصلت إليها:

أن القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة، لا تنقضي عجائبه، ولا تبلى أحكامه، حوى قواعد متينة كفيلة بإنشاء حياة سعيدة ملؤها المودة والرحمة.

واعتنى القرآن الكريم بالأسرة عناية كبيرة، وذكر أحكامها بشكلٍ تفصيلي وليس مجملاً، وذلك من قبل تكوينها وحتى ما بعد مراحل انهيارها، وجعل لها مكانة عظيمة، فوجود الإنسان واستمرارية النسل قائمٌ على وجود أبوين بدءً من أول البشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وتتميز الأسرة في الإسلام بعدة مميزات منها: أنها علاقة مجمعة، إيجابية، طويلة الأمد ومستمرة، إضافة إلى أنها علاقات بناءة.

الأسرة في غير الإسلام مهانة وغير منظمة، بل يعمل ليلاً ونهاراً لانقراض الأسرة ونشر الفساد والفوضى الاجتماعي، ولكن للأسرة في الإسلام عدة وظائف وهذا يدل على أهمية الأسرة ورصانتها منها: الوظيفة التناسلية، والوظيفة الأخلاقية، والوظيفة الاجتماعية.

التفسير المقاصدي الذي هو جلُّ عملنا ولبُّه في دراستنا هذه، عِلمُ لا غِني عنه؛ لأنه نتيجة للتدبر، فيهدي إلى لب المعني وجوهر الدلالة، ويوقف المفسر على معاني التنزيل و مرادات النص القرآني بشموله وإحاطته.

القرآن الكريم لأهميته بمشروع الزواج ومكانة الأسرة وحفظها وضع أمام الرجل والمرأة قواعد تنظيمية لاختيار الزوجة، إن سلكها الإنسان كان الزواج ميسراً وموفقاً، ويرشد الإنسان لاختيار شريك حياته أن يكون على خطى القرآن الكريم، فحسن الاختيار من أهم الركائز التي يبنى عليها حماية الأسرة قبل تكوينها، لأن حسن الاختيار بداية الاستقرار، ويبدو الخلل عند تفضيل صفة على صفة التدين والخلق الحسن، مما يؤدي إلى الاضطراب في العلاقات الأسرية وقد تنهار.

لكل من الزوجين حقوق، كما عليهما واجبات، فهناك حقوق للزوجة على زوجها، وهناك حقوق للزوج على زوجته، إضافة إلى حقوق مشتركة بين الطرفين، الالتزام بتلك الحقوق والواجبات ضمان لبقاء الأسرة على صفتها الأصيلة ودرع لحفظها.

بين لنا القرآن الكريم أهم المقاصد والغايات في مشروع الزواج، وهي حفظ الخلافة على الأرض، وبقاء النسل والمحافظة على النسب، وتكوين الشخصية، والتعارف الاجتماعي، وإشباع الغريزة الجنسية وحفظ المجتمع من الفساد الجنسي والفوضى الأخلاقية، وتحقيق المؤانسة والمودة والمحبة بين الجنسين على الدوام.

فمنهج القرآن الكريم للأسرة منهج وقائي، يحمي الأسرة درءً لحدوث كل ما يعكّر صفو الحياة الزوجية، ومنهج علاجي يتكفّل بعلاج المشكلات التي تقع بها الأسرة، فضروري جداً أنَّ أصحاب الأسر واعون لما يحيط بهم من مخاطر داخلية وخارجية حفظاً على ديمومة الأسرة واستقرارها.

إن المشاكل بين الزوجين تبدأ عند تقصير كل منهما في حق الطرف الآخر، مما ينجم شقاق وجفاء بين الزوجين، ثم يؤدي إلى تفكك الأسرة وانهيارها تماماً، لكن القرآن الكريم يدعو ويرشد كلاً من الزوجين وأهليهما إلى التأني والتفاهم وعلاج المشاكل البسيطة، ولا يتركون مجالا لتتحول المشاكل البسيطة إلى الصعبة ثم تؤدي إلى انهيار الأسرة.

بعض الأمور المتعلقة بالأسرة من الأساس كانت علاجاً لبعض المشاكل الأسرية والمجتمع وشفاء لبعض الداء، لكن للأسف بسبب سوء استخدامها أصبحت فساداً في الأسرة ومشكلة للأسرة والمجتمع وتفكيكا لها، وذلك لسوء ممارستها في غير مكانها مثل: تعدد الزوجات أصبح في مجتمعنا اليوم مشكلة كبيرة وله آثار سلبية، بغض النظر عن أسبابها وذلك لقلة الثقافة الدينية وتأثير العوامل الاجتماعية، مما يؤثر على استقرار الأسرة والحياة الزوجية والأسرية.

الأولاد هم ثمرة الحياة الدنيا وزينتها، فرعايتهم منذ البداية رعاية إسلامية صحيحة يساهم في وجود جيل صالح قادر على حمل المسؤولية، وسبب لاستمرارية الأسرة بطريقة نظيفة وسليمة.

إعانة الشباب لتكوين الأسرة بتخفيض الصداق وتسهيل أمور الزواج أمر ضروري لبقاء الأسرة الشرعية، وتقليل عدد العنوسة وحفظ المجتمع من الفساد والانحرافات.

كشفت البحوث العلمية عن مدى خطورة التكنولوجيا رغم فوائدها في تفكك الأسرة المسلمة، حيث إن من أشد الأمور التي تهدد استقرار الأسرة من خلال وجود التقنيات الحديثة حيث الانحلال الأخلاقي الذي خصصت لإفساد الشباب وانهيار الأسرة في ظل غياب الوازع الديني والأخلاقي.

بيَّن البحث أن ثمة تدابير وقائية للحفاظ على استقرار الأسرة والحياة الزوجية أهمها: تنمية الوازع الديني والالتزام بالتعليمات والإرشادات القرآنية التي وضعا الله تعالى درعا للأسرة وسلامة للفرد والأسرة والمجتمع.

المصادر والمراجع

ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد، ***العيال***، تح: د نجم عبد الرحمن خلف، دار ابن القيم، الدمام، 1990م.

ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ***زاد المسير في علم التفسير***، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1422هـ.

ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ***مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين***، تح: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1973م.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر الجوزية، ***نزهة المشتاقين وروضة المحبين***، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م.

ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي، ***البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير***، تح: مصطفى أبو الغيط وآخرون، دار الهجرة، الرياض، 2004م.

ابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ***التسهيل لعلوم التنزيل***، تح: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1416هـ.

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد البُستي، ***صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان***، تح: علي بن بلبان وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، د: ت.

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد البستي، ***صحيح ابن حبان***، تح: شعيب الأرنؤوط، ط: الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414 هـ.

ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، ***فتح الباري شرح صحيح البخاري***، تح: بن حجر العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، 1379 هـ.

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ***مسند أحمد بن حنبل***، تح: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001م.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ***ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر*(تاريخ ابن خلدون)**، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 1988م.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، ***وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان***، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د: ت.

ابن عاشور، *محمد الطاهر بن محمد*، ***التحرير والتنوير***، دار سحنون تونس، 1997م.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، ***مقاصد الشريعة الإسلامية***، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2004م.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، ***المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز***، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ.

ابن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني، ***معجم مقاييس اللغة***، تح: عبد السلام محمد هارون، ط: الأولى، دار الفكر، بيروت، 1979م.

ابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، ***المغني في فقه أحمد بن حنبل الشيباني***، دار الفكر، بيروت، 1405هـ.

ابن قيم الجوزي، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، ***روضة المحبين ونزهة المشتاقين***، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ***الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي***، دار المعرفة، المغرب، 1997م.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، ***تفسير القرآن العظيم***، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، 1999م.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ***البداية والنهاية***، دار الفكر، دمشق 1986م.

ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ***سنن ابن ماجة***، تح: محمود خليل، مكتبة أبي المعاطي، الرقم 1967م.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، ***لسان العرب***، ط الثالثة، دار صادر بيروت.

أبو إسحاق الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، ***معاني القرآن وإعرابه***، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، 1988م.

أبو الحسن بن محمد الفقيه، ***كيف تمتلك قلب زوجتك***، دار ابن خزيمة، الرياض، د: ت.

أبو الحسين، مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، ***الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم***، دار الجيل بيروت، دار الأفاق الجديدة، بيروت، د: ت.

أبو الخير، عبدالإله جاورا، (2019)، ***كثرة الطلاق في المجتمع أسباب وحلول***، *تم استرجاعه في 2023/7/9، على هذا الرابط* https//www.alukah.net/social.

أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفي العمادي الحنفي، ***إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم***، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط4.

أبو العلاء، احمد بن عبدالله المعري، ***اللزوميات***، تح: أمين عبدالعزيز الخانجي، مكتبة الهلال، بيروت، ومكتبة الخانجي، القاهرة، د: ت.

أبو الف تح: شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي، ***المستطرف في كل فن مستطرف***، عالم الكتب،

بيروت، 1419هـ.

أبو الفيض، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزبيدي، ***تاج العروس من جواهر القاموس***، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، القاهرة، د: ت.

أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ***البحر المحيط***، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر . بيروت، 1420 هـ.

أبو داود، ***المراسيل***، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1408هـ.

أبو زهرة، حمد بن أحمد بن مصطفي، ***زهرة التفاسير***، دار الفكر العربي، د: ت.

أبو زيد، وصفي عاشور أبو زيد، ***نحو تفسير مقاصدي للقرآن الكريم***، مفكرون الدولية والطباعة، 2018م.

أبو زيد، وصفي عاشور، ***التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم***، بحث مقدم في مؤتمر فهم القرآن بين النص والواقع، الجزائر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، كلية أصول الدين، سنة 2013م.

أبو سعيد، عبدالرحمن بن محمد، ***الغنية في أصول الدين***، تح: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، 1987م.

أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري، ***الجامع المسند الصحيح***، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، 1422هـ.

أبو عبدالله الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه، ***المستدرك على الصحيحين***، تح: مصطفي عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.

أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، **تهذيب اللغة**، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م.

أبوعجيلة، المبروك المدنيني، ***وظائف الأســـرة والتدخل المهني للخدمـــة الإجتماعية***، بحث في كلية الآداب جامعة طرابلس، في مجلة كليات التربية، العدد2، يوليو 2021م.

ابي سعود، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، ***إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم***، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د: ت.

إدريس، صالح علي، ***منهج القرآن في تربية الأسرة المسلمة***، رسالة ماجستير، جامعة السودان للعلوم والتكنلوجيا، كلية الدراسات العليا2015م.

الأزدي، مقاتل بن سليمان بن بشير، ***تفسير مقاتل بن سليمان***، تح: احمد فريد، دار الكتب العلمية، / بيروت، ط: الأولى، 2003 م.

الأستانبولي، محمود مهدي، ***تحفة العروس أو الزواج الإسلامي السعيد***، دار القادسية، بيروت، 2002م

الأشقر، عمر سليمان، ***أحكام الزواج في ضوء الكتاب والسنة***، دار النفائس، 1997م.

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، ***حلية الأولياء وطبقات الأصفياء***، دار الكتاب العربي، بيروت، د: ت.

الآلوسي، محمود الآلوسي أبو الفضل، ***روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني***، دار

أمين، مصطفي محمد، ***بحث عن العنوسة وخطرها على المجتمع***، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة صلاح الدين، اربيل، العدد(2/24) 2013م.

الإيجي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الشافعي، ***تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن***، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م.

البخاري، محمد بن اسماعيل، ***صحيح الأدب المفرد***، تح: الألباني، دار الصديق و، 1997م.

البدوي، أحمد أحمد عبد الله البيلي، ***من بلاغة القرآن***، نهضه، القاهرة، 2005م.

البركتي، محمد عميم الإحسان المجددي، ***التعريفات الفقهية***، دار الكتب العلمية، 2003م.

بسام أبوعليان، (2019)، ***التاثيرات السلبية للتكنولوجيا على الاسرة***، تم استرجاعه في 2023/10/21م، على هذا الرابط.https//www.b، sociology.com/2019/04/blog، post_57

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، ***معالم التنزيل***، تح: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1997م.

البقاعي، ابراهيم بن عمر البقاعي، ***مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور***، تح: عبدالسميع محمد أحمد حسين، مكتبة المعارف، الرياض، د: ت.

البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر، ***نظم الدرر في تناسب الآيات والسور***، تح: عبد الرزاق غالب المهد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995 م.

بكار، عبدالكريم، ***التواصل الأسري***، *دار القلم*، ودار المعارج 2010م.

بكار، عبدالكريم، ***الحياة الأسرية***، *مقولات قصيرة في العلاقة بين الزوجين*، دار السلام، 2011.

البنا، محمد عبداللطيف محمود، بحث عن ***العنوسة والغلاء دراسة في الأحكام الشرعية والقيم الأخلاقية***، د، ط، د، ت.

بنعلي، محمد، (2016)، ***دار العجزة بديار الإسلام البدائل والحلول***، تم استرجاعه في 2023/7/15 على هذا الرابط https//www.alukah.net/socia/0/97554l.

بهنسي، محمد البيومي الراوي، ***العنف الأسري، أسبابه آثاره وعلاجه***، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، د، ت، مجلد9، العدد 32.

البهوتي، منصور بن يونس بن صلاح الدين، ***كشاف القناع عن متن الإقناع***، تح: لجنة متخصصة في وزارة العدل، وزارة العدل، 2000م.

بيجوفيتش، علي عزت، ***عوائق النهضة الإسلامية***، جمعية قطر الخيرية 1997م.

البيضاوي، أبو الخير عبدالله بن عمر بن محمدالشافعي، ***أنوار التنزيل وأسرار التأويل***، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ.

البيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي، ***السنن الكبرى***، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، ط: الأولى، 1344هـ.

البيهقي، *أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي*، ***شعب الإيمان***، *تح: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض 2003م.*

البيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي، ***معرفة السنن والآثار***، تح: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي، باكستان) وآخرون، ط: الأولى، 1991م.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، ***الجامع الكبير***، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د: ت.

التجاني، محمد بن أحمد، ***تحفة العروس ومتعة النفوس***، تح: جليل المطية، رياض الريس للكتب والنشر 1992.

الجبرين، علي جبرين، **العنف الأسري خلال مراحل الحياة**، مؤسسة الملك خالد الخيرية، الرياض، 2005م.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي، ***التعريفات***، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ.

الجزائري، أبوبكر جابر بن موسى بن عبد القادر، ***أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير***، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 2003م.

الجزائري، عزالدين بن سعيد الكشنيط الجزائري، ***أمهات مقاصد القرآن***، دار مجدلاوي، عمان 2011م.

جزولي، احزمي سامعون جزولي، ***الحياة في القرآن الكريم***، دراسة موضوعية، دار طويق للنشر والتوزيع 1997م.

الجزيرة مباشر، ***كيف يؤثر الهاتف الذكي على طفلك***(2021) تم استرجاعه في 2023/9/20 على هذا الرابط https//www.aljazeeramubasher.net.

الجصاص، أبوبكر أحمد بن علي، ***أحكام القرآن***، تح: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1405هـ.

الجلالين، جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، **تفسير الجلالين**، دار الحديث، القاهرة، ط: الأولى، د: ت.

جلي زادة، محمد بن عبدالله كويي المعروف ب(مَةلاي كَةوْرَة، الملا الكبير)، ***تفسيري كوردي لة كةلامي خوداوةندي***، مكتبة التفسير، اربيل كوردستان العراق2009م.

جميلة تلوت، **مقصد الأسرة في القرآن من الإنسان إلى العمران**، بحث منشور فيhttps//al furqan.com

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، ***الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية***، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م.

الحاوري، عبدالغني أحمد على، ***العلاقات الأسرية في ظل الإدمان على وسائل التواصل الاجتماعي***، المركز الديمقراط العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسة والاقتصادية، برلين، ألمانيا 2021م.

حجازي، رسمية محمد علي، ***تنظيم الإسلام للعلاقات الإجتماعية في الأسرة***، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية، جامعة أم القرى، 1405هـ.

الحراني، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ***مجموع الفتاوى***، تح: أنورالباز، دار الوفا 2005.

الحربي، عايد بن عبد الله، ***النشوز بين الزوجين***، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة1425هـ.

حسن، أحمد فهيم سليم وآخرون، ***تداعيات مشكله العنوسة بين الشباب وآليات المواجهة***، الإشراف د. ليلى البهنساوي، بحث مقدم لكلية الآداب جامعة القاهرة، د: ت.

حسين، أحمد فراج، ***أحكام الأسرة في الإسلام***، دار الجامعية، 1998م.

الحطاب، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن، *مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل*، تح: زكريا عميرات، دار عالم الكتب2003م.

الحفناوي، محمد ابراهيم، ***الموسوعة الفقهية الميسرة الزواج***، مكتبة الإيمان، المنصورة، د: ت.

حقي، اسماعيل حقي بن مصطفي الأستنبولي الحنفي، ***تفسير روح البيان***، دار الفكر بيروت، د: ت.

الحلواني، ايمان(2021)، ***تدخل الأهل خراب للبيوت***، تم استرجاعه في 2023/8/8 على هذا الرابط https//kulalusra.ae/ar/better، life/love، and، marriage.

الحليبي، خالد بن سعود بن عبد العزيز، ***مهارات التواصل مع الأولاد***، مركز الملك عبد الله للحوار الوطني، 1431هـ.

الحليبي، خالد بن سعود، ***العنف الأسري أسبابه ومظاهره وآثاره وعلاجه***، مركز التنمية الأسرية بالأحساء والدمام، 2009م.

الحمد، محمد بن ابراهيم، ***رسائل في الزواج والحياة الزوجية***، دار ابن خزيمة، الرياض2002م.

الحنبلي، مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي، ***فتح الرحمن في تفسير القرآن***، تح: نور الدين طالب، دار النوادر2009م.

الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، ***تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل***، دار الفكر، 1979م.

الخضر، منال إلياس، ***تأثير وسائل التواصل الاجتماعي على الأسرة المسلمة***، مجلة علوم الاتصال، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، المجلد السادس، العدد الثالث، 2021م.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، ***تاريخ بغداد***، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001م.

خلف، رولا، (2015)، ***احتضان الوالدين لأبنائهما علاج عاطفي فعال***، تم استرجاعه في 2023/7/10م، على هذا الرابط https//alghad.com/Section، 208.

خليل، كمال عبدالمنعم محمد، (2020)، ***دور المسنين ضرورة أم عقوق؟*** تم استرجاعه في 2023/7/15 على هذا الرابط https//www.alukah.net/social/0/142337.

الخن، مصطفي وآخرون، ***الفقه المنهجي على مذهب الشافعي***، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 1992م.

خياط، نواف بن صالح، ***التوجيهات التربوية لأحكام النكاح في الإسلام***، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، ط: الأولى، 2012م.

الدار قطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد، ***سنن الدار قطني***، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994م.

الدسوقي، سوسن محمد، ***الخصائص البيئية والسمات النفسية لمرتكبي جرائم السلوك العنيف***، رسالة ماجستير، جامعة عين الشمس، قسم الدراسات الإنسانية، القاهرة 1416هـ.

الدسوقي، محمد بن أحمد بن عرفة، ***حاشية الدسوقي على الشرح الكبير***، دار الفكر د: ت.

جواد علي، ***المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام***، دار الساقي، الطبعة الرابعة 2001م.

دهمان، عبدالقادر محمد المعتصم، ***الخيانة صورها وأحكامها وآثارها في ضوء الكتاب والسنة***، دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع –مصر، 2020م.

دينا سليمان، (2019)، ***حول مفهوم المساواة أبعاد وإشكاليات***، تم استرجاعه 2023/6/5، على هذا

الرابط https//democraticac.de/?p=61684؛
الذهبي، محمد حسين الذهبي، ***التفسير والمفسرون***، مكتبة وهبة، القاهرة، د: ت.
راجح، أحمد عزت، ***الأمراض النفسية والعقلية، أسبابها وعلاجها، وآثارها الاجتماعية***، دار الشروق، القاهرة 1964م.
الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم، ***تفسير ابن أبى حاتم***، تح: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا، د: ت.
الرازي، زين الدين أبوبكر بن عبدالقادر، ***مختار الصحاح***، تح: يوسف محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، 1999م.
الرجوب، نايف محمود، ***أحكام الخطبة في الإسلام***، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط: الأولى، 2008.
الرحيلي، حمود بن أحمد بن فرج، ***منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام***، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، .2004م.
رشيد رضا، محمد رشيد بن علي رضا، ***تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)***، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1990م.
الرملي، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة، ***نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج***، دار الفكر، بيروت، 1984م.
الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ***دراسات في علوم القرآن الكريم***، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ط: 12، 2003م.
الزحيلي، *تفسير المنير*، ***مركز الدراسات والعلوم القرآنية، موسوعة التفسير المأثور***، دار ابن حزم، بيروت، 2019م.
الزحيلي، وهبة بن مصطفى، ***الفقه الإسلامي وأدلته***، دار الفكر، دمشق، د: ت.
الزحيلي، وهبة بن مصطفي، ***التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج***، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط: الثانية، 1418 هـ.
الزحيلي، وهبة بن مصطفي، ***تفسير الوسيط***، دار الفكر، دمشق1422هـ.
الزحيلي، وهبة بن مصفى، ***الأسرة المسلمة في العالم المعاصر***، دارالفكر، سوريا 2000م.
الزرقاني، محمد عبد العظيم الزرقاني، ***مناهل العرفان في علوم القرآن***، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمدالزركلي، ***الأعلام***، دار العلم للملايين، 2002م.
زريفة، رشا بسام إبراهيم، ***عوامل استقرار الأسرة في الإسلام***، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية

نابلس، فلسطين، سنة 2010.

الزمخشري جار الله، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، ***أساس البلاغة***، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

الزمخشري جار الله، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، ***المفصل في صنعة الإعراب***، تح: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، 1993م.

الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل***، دار الكتاب العربي . بيروت، 1407هـ.

الزهراني، مرزوق بن هياس آل مرزوق، ***حقوق المرأة في ضوء الكتاب والسنة***، دون ناشر 2007 م.

الزهرة، فزفوز، ***معايير الكفاءة في الزواج وأثرها في استقرار الأسرة***، رسالة ماجستير جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة، 2015.

سابق، سيد، ***فقه السنة***، دار الكتاب العربي، بيروت، 1977م.

سالم، أمل، (2017)، ***سبب الفراغ العاطفي وكيف تتغلب عليه***، تم استرجاعه في 2023/7/10م، على هذا الرابط https//www.mosoah.com/health/mental،

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي ابن عبد الكافي، ***الأشباه والنظائر***، دار الكتب العلمية 1991م.

السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث، ***سنن أبي داود***، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، د: ت.

السعد، صالح، ***دور الوازع الديني في وقاية المخدرات***، مجلة الأمن والحياة اصدار وزارة المعارف المملكة العربية 1998م.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، ***تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان***، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، 2000م.

السلمان، فريد مصطفي، ***الخيانة أسبابها أنواعها، آثارها كما يبينها القرآن الكريم***، دار الطويق للنشر والتوزيع، الرياض1998م.

السلمي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي، ***تفسير السلمي وهو حقائق التفسير***، تح: سيد عمران، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم، ***بحر العلوم في التفسير***، تح: د.محمود مطرنجي، دار الفكر، بيروت، د: ت.

السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار، ***تفسير القرآن العظيم***، تح: ياسر بن إبراهيم و

غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، 1997م.
السيوطي، جلال الدين، ***الجامع الكبير***، تح: مختار إبراهيم الهائج وآخرون، الأزهر الشريف، القاهرة، 2005م.
السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، ***الدر المنثور في التفسير بالماثور***، تح: مركز هجر للبحوث، دار هجر، 2003م.
السيوطي، عبدالرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، ***الإتقان في علوم القرآن***، تح: محمد أبو الفضل، الهيئة المصرية العامة.
الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، ***الموافقات***، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان1997م.
الشاعر، السيد منصور، (2021) ***اهم أسباب الطلاق والآثار المترتبة على المطلقين والأطفال***، تم استرجاعه في 2023/7/7 على هذا الرابط https//mashroo3na.com.
الشافعي، محمد بن ادريس الشافعي، ***الرسالة***، تح: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، د: ت.
الشاه ولي الله الدهلوي، أحمد بن عبد الرحيم بن الشهيد وجيه الدين، ***حجة الله البالغة***، تح: السيد سابق، دار الجيل، بيروت، 2005م.
شبير، وليد شلاش، ***ظاهرة غلاء الممهور وعلاجها***، بحث مقدم إلى جامعة الإسلامية، غزة2011م.
الشثري، عبدالرحمن بن سعد 2017، ***العنوسة أسبابها وعلاجها***، تم استرجاعه في 2023/7/18 على هذا الرابط https//www.alukah.net/sharia/0/118770.
الشحود، علي بن نايف، ***الوجيز في حقوق الأولاد في الإسلام***، بهانج، دار المعمور، ماليزيا، 2009م.
الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد، ***السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير***، دار الكتب العلمية . بيروت، د: ت.
الشربيني، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب، ***مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج***، دار الكتب العلمية1994م.
الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ***تفسير الشعراوي***، تح: أحمد عمر هاشم، مؤسسة أخبار اليوم، د: ت.
شكور، جليل وديع، ***العنف والجريمة***، دار العربية للعولم، بيروت، د: ت.
شمس الدين، ***العوانس صرخة في وجه المجتمع والقانون***، مركز الراية والإعلام، القاهرة 2002م.
الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، ***أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن***، دار الفكر، بيروت، 1995م.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ***فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير***، دار ابن كثير، بيروت، ط: الأولى، د: ت.

علوان، نعمة الله بن محمود النخجواني، ***الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية***، دار ركابي، الغورية، 1999م.

شيخي زاده، عبد الرحمن بن محمد بن سليمان، ***مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر***، دار إحياء التراث العربي د: ت.

شيرين زهير أبو عبدو، ***معالم الأسرة المسلمة في القرآن الكريم***، رسالة ماجستير، جامعة الإسلامية، بغزة، كلية أصول الدين، قسم التفسير، سنة 2010.

الصابوني، محمد علي، ***روائع البيان تفسير آيات الأحكام***، مكتبة الغزالي، دمشق، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، 1980م.

الصابوني، محمد علي، ***صفوة التفاسير***، دار الصأبوني، القاهرة، 1997م.

صالح على إدريس، ***منهج القرءان في تربية الأسرة المسلمة***، رسالة ماجستير، جامعة السودان للعلوم والتكنلوجيا سنة، 2015.

صباح عياشي ميموين(2022) ***التكافؤ بين الزوجين يحافظ على الاستقرار الأسري***، تم استرجاعه في 2023/6/11، على هذا الرابط http//www.djazairess.com/searh

الصعيدي، عبدالحكيم عبداللطيف، ***الأسرة المسلمة أسس ومبادئ***، دار المصرية اللبنانية، ط: الأولى، 1993.

الصغير، محفوظ، ***أحكام الزواج في الإجتهاد الفقهي وقانون الأسرة*** *الجزائري*، دار الوعي، الجزائر 2013م.

الصَّلاَّبي، عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، ***السِّيرةُ النَّبوية، عرضُ وقائع وَ تحليل أحدَاث***، دار المعرفة، بيروت، 2008م.

الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام، ***مصنف عبدالرزاق***، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٣ هـ.

الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الأمير، ***سبل السلام***، دار الحديث د: ت.

الصوفي، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي، ***البحر المديد في تفسير القرآن المجيد***، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، حسن عباس زكي، القاهرة1419هـ.

الضمور، ربا راكان احمد، ***المنهج القرآني في حماية الأسرة*** (دراسة موضوعية)، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة 2011م.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الشامي، ***المعجم الأوسط***، تح: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، د: ت.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب، ***المعجم الكبير***، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1994م.

الطبري، محمد بن جرير الطبري، ***جامع البيان في تأويل القرآن***، تح: محمد الشاكر، مؤسسة الرسالة 2000م.

الطريفي، عبدالعزيز بن مرزوق، ***التفسير والبيان لأحكام القرآن***، مكتبة دار المنهاج، الرياض، 1438هـ.

طلبة البحوث والدراسات، ***استراتيجيات في تربية الأسرة المسلمة***، المشرف توفيق الواعي، دار الخلدونية، الجزائر، د: ت.

طنطاوي، محمد سيد طنطاوى، ***التفسير الوسيط للقرآن الكريم***، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، د: ت.

عبد الرحمن بدوي، ***منهاج البحث العلمي***، ط: الثالثة، وكالة المطبوعات، الكويت 1997م.

عبد الله العابد، (2023)، ***مراحل تطور التكنولوجيا***، تم استرجاعه في 2023/9/2 على هذا الرابط https//www.ammonnews.net/article.

عبدالحميد، شوقي بشير، ***تعبد أهل الفرق بالمذاهب الفقهية***، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية2003م.

عبدالحي القاسم عبدالمؤمن عمر وآخرون، بحث بعنوان ***دعائم السلام الإجتماعي في الأسرة المسلمة***، كلية الشريعة والقانون، جامعة المهدي، سودان سنة 2018م.

عبدالدائم القاضي، محمد بن عبدالله، ***دور الأسرة المسلمة في تربية أولادها على حفظ الضروريات من مقاصد الشريعة***، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى كلية التربية، مكة المكرمة 1424هـ.

عبدالسلام، أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الملقب بسلطان العلماء، ***قواعد الأحكام في مصالح الأنام***، تح: محمود بن التلاميد الشنقيطي، دار المعارف بيروت، د: ت.

عبدالكريم حامدي، ***مقاصد القرآن من تشريع الأحكام***، دار ابن حزم، 2008.

العبود، عامر، (2019)، ***أسباب تدخل الأهل بين الزوجين وتأثير الأهل على الحياة الزوجية***، تم استرجاعه في 2023/10/22 على هذا الموقع https//www.hellooha.com/articles.

عتيق الدقيلان، عدنان بن محمد، ***مقاصد الزواج في الإسلام واستشارات زوجية***، دار ابن جوزي، الرياض، ط: الأولى، 1431هـ.

العجلوني الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن محمد، ***كشف الخفاء ومزيل الإلباس***، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، 2000م.

عزالدين بن عبدالعزيز بن عبدالسلام، ***قواعد الأحكام في مصالح الأنام***، تح: محمود بن التلاميد الشنقيطي، دار المعارف، بيروت، د: ت.

العطار، حسن بن محمد بن محمود، ***حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع***، دار الكتب العلمية، بيروت، د: ت.

عطية صقر، ***موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام***، مكتبة وهبة، القاهرة 2006م.

عقلة، محمد، ***نظام الأسرة في الإسلام***، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، د: ت.

المصري، احمد محمد علي، ***التفسير المقاصدي للقرآن الكريم*** *(خلق الإنسان نموذجا)*، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، د: ت.

علي بن عوالي، ***ضمانات حماية الأسرة بين الفقه وقانون الأسرة الجزائري***، دراسة مقارنة، اطروحة دكتورا، سنة 2018، جامعة وهران ، جمهورية الجزائرية.

عوض، عادل موسى، (2015)، ***العنف الأسري وأثره على الفرد والمجتمع***، بحث تم استرجاعة في 2023/8/1 على هذا الرابطhttps//www.researchgate.net/publication/309372796.

غانم، غالب، ***رعاية المسنين في الإسلام*** *مع دراسة ميدانية لدور المسنين في منطقة وسط الضفة الغربية*، جامعة القدس، د: ت.

الغرناطي، محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري، ***التاج والإكليل لمختصر خليل***، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994.

الغروي، محمد بن عمر، ***حقوق المرأة في الزواج***، دار الإعتصام، د: ت.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ***احياء علوم الدين***، دار المعرفة، بيروت، د: ت.

غلوش، أحمد أحمد غلوش، ***السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني***، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2004م.

الغُمَارِي، أبو الفيض أحمد بن محمد بن الصدِّيق بن أحمد، ***المداوي لعلل الجامع الصغير وشرحي المناوي***، دار الكتبي، القاهرة، جمهورية العربية1996م.

غيات، حياة، ***ظاهرة العنوسة وتداعياتها النفسية والإجتماعية***، بحث مقدم لمجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة وهران، الجزائر، العدد 29، (2016).

غيضان، هدى، ***الكفاءة في الزواج في الفقه الإسلامي وقانون الأحوال الشخصية***، بحث منشور في

مجلة جامعة النجاح للأبحاث والعلوم االنسانية، العدد 29، تاريخ ال 2015م.
فخر الدين محمد بن عمر التميمي، ***التفسير الكبير أومفاتيح الغيب***، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، 2000م.
فريد الأنصاري، ***الفطرية بعثة التجديد المقبلة من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام***، دار السلام، 2013م.
الفيرزآبادي، ***تنوير المقباس من تفسير ابن عباس***، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، 1992م.
القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، ***موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين***، تح: مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م.
القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد، ***محاسن التأويل***، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ.
القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، ***الهدي النبوي في تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة***، مطبعة سفير، الرياض، د: ت.
قداري، يمينة، ***الكفاءة بين الزوجين ودورها في استقرار الحياة الأسرية***، *رؤية مقاصدية*، بحث منشور في مجلة مجلة البحوث في العقود وقانون العمال، تاريخ ال 2023/5/28، المجلد80 / العدد 80/ (0802).
القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس، ***الذخيرة***، تح: محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994.
القرشي، باقر شريف، ***نظام الأسرة في الإسلام، دراسة مقارنة***، دار الأضوا، بيروت، 1988م.
القرضاوي، يوسف عبدالله، ***الأسرة كما يريدها الإسلام***، مكتبة وهبة، القاهرة، 2005م.
القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، ***الجامع لأحكام القرآن***، تح: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، 2003م.
القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، ***لطائف الإشارات***، تح: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د: ت.
القصاص، مهدي محمد، ***علم الإجتماع العائلي***، كلية الآداب، جامعة منصورة 2008.
القطان، مناع القطان، ***مباحث في علوم القرآن***، مكتبة المعارف، 2000م.
القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان، ***فتح البيان في مقاصد القرآن***، المَكتبة العصريَّة، بيروت، 1992م.

القيرواني، أبو محمد عبد الله بن (أبي زيد) عبد الرحمن النفزي، ***النَّوادر والزِّيادات على مَا في المدَوَّنة من غيرها من الأُمهاتِ***، تح: عبدالفتّاح محمد الحلو وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999م.

كاميليا حلمي محمد، ***المواثيق الدولية وأثرها في هدم الأسرة***، أطروحة دكتوراه، سنة 2018، جامعة طرابلس، د: ت.

كباشي، عثمان(2023)، ***أرقام في حياتنا***، تم استرجاعه في 2023/9/17 على هذا الرابط https//www.aljazeera.net/blogs

كتانة، دعاء عمر محمد، ***وسائل التواصل الإجتماعي وأثرها على الأسرة دراسة فقهية***، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، كلية الدراسات العليا 2015م.

الكردستاني، مثنى أمين، ***حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر***، *دراسة نقدية اسلامية*، تقديم أ. د. محمد عمارة، دار القلم و، القاهرة 2004م.

الكردي، حسن محمد، ***الكفاءة في الزواج مقارنة بقانون الأحوال الشخصية***، رسالة ماجستير جامعة افسلامية، كلية الشريعة والقانون، غزة، د: ت.

الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، ***الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية***، تح: عدنان درويش، محمد الي، مؤسسة الرسالة، بيروت، د: ت.

الكوراني، شهاب الدين أحمد بن إسماعيل بن عثمان الشافعي ثم الحنفي، ***غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني***، تح: محمد مصطفي كوكصو (رسالة دكتوراه)، جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية، تركيا2007م.

الكيا الهراسي، علي بن محمد، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، ***أحكام القرآن***، تح: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ.

ليلى قيس، (2019)، ***التكنولوجيا وتاثيرها على العلاقات الاسرية***، تم استرجاعه في 2023/10/20م، على هذا الرابط https//bshra.com/education/3607.

الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود، ***تفسير الماتريدي*** *(تأويلات أهل السنة)*، تح: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، ***أعلام النبوة***، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987م.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، ***النكت والعيون***، تح: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، د: ت.

مجموعة من العلماء ، ***التفسير الوسيط للقرآن الكريم***، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، 1993م.

مجهول الكاتب، 2022، ***كيف أتعامل مع الفراغ العاطفي في العلاقة الزوجية***، تم استرجاعه في 2023/10/1 على هذا الرابط https//labayh.net/ar/how، deal، emotional، void، marital، relationship/

مجهول المؤلف (الكاتب)، ***الإدمان على الإنترنيت***، تم استرجاعه في 2023/9/17 على هذا الرابط

محمد أحمد سيد أحمد، محمد إسماعيل السيد أحمد وآخرون، الإشراف صالح بن عبد الله بن حميد المكي، ***نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم***، دار الوسيلة، جدة، د: ت.

محمد السيد ماضي، ***موسوعة هدايات القرآن***، مكتبة التقوى، القاهرة، سنة 2021م.

محمد جوارنة (2022)، ***تعريف التكنولوجيا***، تم استرجاعه في 2023/9/2 على هذا الموقع https//mawdoo3.com.

محمد خير موسى، 2021، ***المساواة بين الرّجل والمرأة في الإسلام***، تم استرجاعه في 2023/6/5 على هذا الرابط https//mubasher.aljazeera.net.

المدرس، عبدالكريم محمد، ***مواهب الرحمن في تفسير القرآن***، دار الحرية، بغداد، 1988م.

المراغي، أحمد مصطفي المراغي، ***تفسير المراغي***، شركة مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده، د: ت.

مرزوق، ابراهيم(2006)، ***الفجوة بين الآباء والأبناء المشكل والحل***، تم استرجاعه في 2023/7/11 على هذا الرابط https//www.alqabas.com/article/43709.

مرسي، أكرم رضا، ***قواعد تكوين البيت المسلم، أسس البناء وسبل التحصين***، دار النشر، القاهرة 2004م.

مرسي، كمال ابراهيم، **العلاقات الزوجية والصحة النفسية في الإسلام وعلم النفس**، دارالقلم، الكويت، 1996م.

مَرْيَمَه عبدالله محمد الحاج، **الإشارات التربوية في سورة لقمان**، دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، جامعة المدينة العالمية، كلية العلوم الإسلامية، قسم القرآن الكريم وعلومه، 2015م.

مصطفي، ابراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**، تح: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار، القاهرة، د.ت.

المطيري، فيحان سالي، ***اتحاف الخلاف بحقوق الزوجين في الإسلام***، دار العاصمة، الرياض، د: ت.

المظهري، محمد ثناء الله، ***التفسير المظهري***، تح: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية، الباكستان،

1412هـ.

مكي، أنيسة الشريف، (2018)، ***فجوة فكرية***، تم استرجاعه في 2023/7/11 على هذا الرابط https//www.alyaum.com/articles/6068979.

المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، ***فيض القدير شرح الجامع الصغير***، المكتبة التجارية الكبرى، د: ت.

المنجد، 2007 ***اذا اتهمت زوجها بالزنا هل لها أن تلاعنه؟***، تم استرجاعه في 2023/6/15 في هذا الموقع الإسلام سؤال وجواب https//islamqa.info/amp/ar/answers/101771

الموسوعة الحرة ويكيبيديا، *الغيرة* .www.wikipedia.org.

الموسوعة الفقهية الكويتية، الصادر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت.

الموسوي، الزهراء، ***اسباب الخيانة الزوجية وما هو التصرف الصحيح للتعامل معها***، تم استرجاعه في 2023/8/1 على هذا الرابط https//www.hakini.net/article.

موقع الحرة، ترجمات واشنطن (2023) تم استرجاعه في 2023/9/20 على هذا الرابط https//www.alhurra.com.

الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة، ***كواشف زيوف***، دار القلم، دمشق، 1991م.

ميرزا علي، بي بي آسية، ***مقصد حفظ الأسرة ووسائله***، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، د: ت.

النابلسي، محمد راتب النابلسي، ***تفسير النابلسي***، مؤسسة الفرسان، عمان، ط: الأولى2017م.

النابلسي، محمد راتب، ***أولادنا الورقة الرابحة الأولى***، مؤسسة الفرسان، عمان، 2017م.

نبيل علي، ***العرب وعصر المعلومات***، عالم المعرفة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أبريل ١٩٩٤م.

النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، ***المجتبى من السنن***(*سنن النسائي*)، تح: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب 1986م.

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، ***مدارك التنزيل وحقائق التأويل***، تح: مروان محمد الشعار، دار النفائس، بيروت، 2005م.

النعماني، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي، ***اللباب في علوم الكتاب***، تح: عادل أحمد و علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

نورالدين زمان وصباح سليمان، ***مجلة العلوم الانسانية والاجتماعي***، العدد10، جامعة محمد خيضر بسكرة، جزائر 2013.

النووي، أبو زكريا محيي الدين بن شرف، ***المجموع شرح المهذب***، دار الفكر، بيروت، د: ت.

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، ***روضة الطالبين وعمدة المفتين***، تح: عادل أحمد عبد الموجود، على محمد معوض، دار الكتب العلمية د: ت.

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى، ***المنهاج شرح صحيح مسلم***، ط الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1392م.

النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، ***التَّفْسِيرُ البَسِيْط***، تح: رسالة دكتوراه بجامعة محمد بن سعود، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، 1430هـ.

النيسابوري، أبو بكر محمد بن إبراهيم، ***الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف***، تح: مجموعة من المحققين، دار الفلاح، 2009م.

الهاشمي، محمد علي، ***شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة***، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 2002م.

الهرري، العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي، **حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، دار طوق النجاة، بيروت، 2001م.

هنداوي، خيرية، ***اضرار الهاتف المحمول على الأطفال***(2022)، تم استرجاعه في 2023/9/20 على هذا الرابط https//www.sayidaty.net.

الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان، ***كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال***، تح: بكري حياني، صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، 1981م.

هيئة التحرير(2023) ***الخيانة الزوجية وتعريفها، وأسبابها، وأنجح الطرق للتعامل معها***، تم استرجاعه في 20234/8/1 على هذا الرابط https//ila.io/j308a.

الوحيشي، أحمد بيري، ***الأسرة والزواج***، منشورات الجامعة المفتوحة، طرابلس الجماهيرية العظمى، 1889م.

اليوسف، مسلم بن محمد جودت، ***كتاب القوامة***، بحث منشور عدد المجلة وتاريخ النشر في abokotaiba@hotmail.com.

اليوسف، عبد الرحمن بن عبد الخالق، ***الزواج في ظل الإسلام***، الدار السلفية، الكويت، 1988م.

جانان، ابراهيم، HZ.PEYGAMBERİN SÜNNETİNDE TERBİTE ***التربية في السنة النبوية***، كتاب باللغة التركية المترجمة الى العربية، الناشر: مكتبة GAYE، أنقرة 1980.

يازير، حمدي، HAK DİNİ KURAN DİLİ تفسير باللغة التركية المترجمة الى العربية، الناشر: بايزيد- اسطنبول، د-ت، ص3811-3812.

VAN YÜZÜNCÜ YIL ÜNİVERSİTESİ
Sosyal Bilimler Enstitüsü

LİSANSÜSTÜ TEZ ORİJİNALLİK RAPORU

19 /02 /2024

Tez Başlığı / Konusu: **AİLE HAYATINDA KUR'ÂN METODU"MAKASIDÎ BİR ARAŞTIRMA"**

Yukarıda başlığı/konusu belirlenen tez çalışmamın Kapak sayfası, Giriş, Ana bölümler ve Sonuç bölümlerinden oluşan toplam **278** sayfalık kısmına ilişkin, **19 /02/2024** tarihinde şahsım/tez danışmanım tarafından **Turnitin** intihal tespit programından aşağıda belirtilen filtreleme uygulanarak alınmış olan orijinallik raporuna göre, tezimin benzerlik oranı **%4** (yüzde sekiz) dır.

Uygulanan Filtreler Aşağıda Verilmiştir:

- Kabul ve onay sayfası hariç,
- Teşekkür hariç,
- İçindekiler hariç,
- Simge ve kısaltmalar hariç,
- Gereç ve yöntemler hariç,
- Kaynakça hariç,
- Alıntılar hariç,
- Tezden çıkan yayınlar hariç,
- 7 kelimeden daha az örtüşme içeren metin kısımları hariç (Limit match size to 7 words

Van Yüzüncü Yıl Üniversitesi Lisansüstü Tez Orijinallik Raporu Alınması ve Kullanılmasına İlişkin Yönergeyi İnceledim ve bu yönergede belirtilen azami benzerlik oranlarına göre tez çalışmamın herhangi bir intihal İçermediğini; aksinin tespit edileceği muhtemel durumda doğabilecek her türlü hukuki sorumluluğu kabul ettiğimi ve yukarıda vermiş olduğum bilgilerin doğru olduğunu beyân ederim.

Gereğini bilgilerinize arz ederim.

19 /02 /2024
Ali Rafeq SAEED

Adı Soyadı : ALI RAFEQ SAEED
Öğrenci No : 18920003081
Anabilim Dalı : TEMEL İSLAM BİLİMLERİ
Programı : Tezli Doktora
Statüsü : Y. Lisans □ Doktora □X

DANIŞMAN
Prof. Dr. SELAHATTIN SÖNMEZSOY
19 /12 /2024

ENSTİTÜ ONAYI
U Y G U N D U R
……../……../2024
Prof. Dr. Bekir KOÇLAR
Enstitü Müdürü

ÖZGEÇMİŞ

Kişisel Bilgiler

Soyadı : Ali Rafeq SAEED

Uyruğu : Irak

Eğitim

Derece	**Eğitim Birimi**	**Mezuniyet Tarihi**
Doktora:	Van Yüzüncü Yıl Üniversitesi, Sosyal Bilimler Enstitüsü Temel İslam Bilimleri Anabilim Dalı	2024
Yüksek lisans:	Lübnan'daki Jinan Üniversitesi– İlahiyat Fakültesi, Lübnan	2016
Lisans:	Selahaddin Üniversitesi- İlahiyat Fakültesi, Erbil	2009

İş Deneyimi

Yıl	**Yer**	**Görev**
2009	Erbil	İmam ve vaiz

Yabancı Dil:

Arapça

Makaleler:

1. **Ali Rafeq SAEED**, Tâ harfinin Sâd süresine delaleti. Edebiyat Dergisi Al-Rafidain (Iraq),YAYININ KADULÜ, 4/2/2023

2. **Ali Rafeq SAEED**, Kur'an-ı Kerim'de Hz.Muhammed (s.a.v.) hakkında yer alan entelektüel rivayetler, Allah onu kutsasın ve ona huzur versin, Başan Amerikan Üniversitesi 2022, Antalya.

3. KUR'ÂN-I KERÎM METODUNA GÖRE AİLE SORUNLARI VE ÇÖZÜMLERİ.....119
3.1. Eşler Arasındaki Sorunlar ve Çözümleri.....120
3.1.1. Duygusal Boşluk.....121
3.1.2. Kadın ve Erkek Arasındaki Eşitlik.....123
3.1.3. Eşlerin Birbirine Denk Olmaması.....129
3.1.4. Eşler Arası Kıskançlık.....136
3.1.5. Kazıf ve Li'ân.....141
3.1.6. Zihâr.....145
3.1.7. Îlâ.....148
3.1.8. Eşler Arasındaki Geçimsizlik ve Kur'ân'ın Çözüm Metodu.....151
3.1.9. Boşanma.....166
3.2. Ebeveynler ve Çocuklar Arasındaki Sorunlar.....176
3.2.1.Duygusal Boşluk 176
3.2.2. Ebeveynler ve Çocuklar Arasındaki Fikirsel Boşluk.....181
3.2.3.Ebeveynlerin Koruyucu Bir Aileye Bırakılması.....184
3.3. Aile İçi Toplumsal Sorunlar ve Çözümleri.....191
3.3.1.Evde Kalmışlık.....191
3.3.2.Çok Eşlilik 200
3.3.3.Sadakatsizlik.....210
3.3.4. Aile İçi Şiddet.....217
3.4.5. Çeyizin Pahalı Olması.....233
3.4.6.Akrabaların Evlilik Hayatına Müdahalesi.....236
3.4.7.Aile ve Teknoloji İkilemi.....244
4. SONUÇ 261
KAYNAKÇA 264
ÖZGEÇMİŞ
TEZ ORİJİNALLİK RAPORU

İÇİNDEKİLER

ÖZET ..... **I**

ABSTRACT ..... **VI**

İÇİNDEKİLER ..... **IV**

KISALTMALAR ..... **VII**

ÖN SÖZ ..... **VII**

GİRİŞ **1**

1. ARAŞTIRMA KAVRAMLARI VE İLGİLİ KONULAR **5**

1.1. Metot Kavramı 5

1.2. Aile Hayatı ve Aile Çeşitleri 7

1.3. Ailenin Tarihi, Ortaya Çıkışı ve Görevleri 11

1.4. Makâsıd Kavramı 16

1.5 .Tefsîr Aşamalarına Genel Bir Bakış ve Makâsıdî Tefsîrin Ortaya Çıkışı 20

2. AİLE HAYATINA DAİR KUR'ÂN-I KERÎM'İN METODU **34**

2.1. İslam'da Ailenin Yeri ve Önemi 34

2.2. Kur'ân Metodunun Aile Hayatındaki Önemi 38

2.3. Aile Hayatına Dair Kur'ân-ı Kerîm'in Metodu 42

2.3.1. Aile Kurulmadan Önce Aile Hayatına Dair Kur'ân-ı Kerîm'in Metodu 43

2.3.2. Aile Kurulurken Aile Hayatına Dair Kur'ân-ı Kerîm'in Metodu 61

2.4. Kur'ân-ı Kerîm'in Aile Hayatına Dair Metodundaki Makâsıd 89

2.4.1.Yeryüzünde ve Yeryüzünün İmarında Halifeliğin Sağlanması 89

2.4.2. Neslin Korunması 90

2.4.3.Nesebin Korunması 93

2.4.4. Kişilik Oluşumu 96

2.4.5.Yüce Allah'a İbadetin Gerçekleştirilmesi ve Dünyevi Aile Hayatının Ahiret Hayatıyla İlişkilendirilmesi 97

2.4.6. Cinsel İçgüdünün Tatmin Edilmesi ve Toplumun Cinsel Bozgunluktan Korunması 98

2.4.7. Sosyal Tanışma 100

2.4.8. Samimiyet, Sevgi ve Şefkatin Gerçekleştirilmesi 102

2.4.9. Evliliğin, Zenginliğe Giden Yolun Olması 108

2.4.10. Merhametin Maksadı ve Ailedeki Tezahürleri 111

2.4.11.`Liderliğin, Erkeklere Verilmesi 115

ÖN SÖZ

Âlemlerin Rabbi olan Allah'a hamdolsun, âlemlere rahmet olarak gönderilen Hz. Resulullah'a (sav), ailesine ve ashabına kıyamet gününe kadar salât ve selâm olsun.İslam'da aile ilişkilerine büyük önem verilmiştir. Çünkü aile, toplumu inşa eden en küçük birimdir ve nesilleri, yarının insanlarını ve geleceğin inşacılarını oluşturma, onlara bakma ve yetiştirme sorumluluğu ailenin omuzlarındadır. İslam şeriatı, aile planlaması alanında öncü olma ve sorunlarına çözüm geliştirme onuruna sahiptir. Aile, eşler arasındaki ilişkilere hâkim olan uyum ve anlayış, usul ve füru ilişkilerine egemen olan sevgi ve şefkat üzerine kuruludur. Bu düşünceler ışığında, ailenin hüküm ve öğretilerinin Kur'ân-ı Kerîm'in hikmetli âyetlerinden aldığı bol payın da gösterdiği gibi İslam, aileye çok önem vermiştir. Müslüman ailenin günümüz realitesinde büyük zorluklarla, karmaşık sorunlarla ve zorlu krizlerle karşı karşıya kaldığı malumdur. Maruz kaldığı çoklu riskler sonucunda uzun yaşam, dış dünyaya açıklık ve bunların olumsuz etkileri aileyi kendi bünyesinde tehdit altında bırakmış ve rolünden uzaklaştırmıştır. Kur'ân-ı Kerîm de ümmetin anayasası, en doğru yaşam metodu olduğundan kapsamlı ve tam kanunlarıyla aile hayatımızda ve başka alanlarda başımıza gelen tüm sorunlara çare olmaktadır.

Son olarak Cenab-ı Hakk'a bana sağladığı başarı ve kolaylıklardan dolayı hamdediyor, bu tezi tamamlayana kadar zorlukları bana kolaylaştırdığı için şükrediyorum. Emekleri ve zamanlarıyla bana yardım eden, yardım elini uzatan herkese teşekkürlerimi, saygılarımı ve şükranlarımı sunuyorum. Ayrıca Van Yüzüncü Yıl Üniversitesi Temel İslam Bilimleri Bölümünün değerli hocalarına, özellikle de bu kadim ve sevilen üniversitedeki bilimsel yolculuğumuzda bize gösterdikleri büyük emeklerden dolayı saygıdeğer hocam ve danışmanım sayın Prof. Dr. Selahattin Sönmezsoy'a en içten teşekkürlerimi sunuyorum. Zira zamanının ve emeğinin büyük bir kısmını bize ayırmış, bizim için çok yardımcı olmuştur. Cenâb-ı Hakk'tan ömrünün bereketli olmasını niyaz ederim. Ayrıca tez yolculuğunu tamamlamak için değerli rehberlik ve yönlendirmelerinden asla cimrilik etmeyen tez savunma jüri üyelerindeki sayın Dr. Öğr. Üyesi Cemil Küçük ve Sayın Doç. Dr. Mahmud Dündar'a da teşekkürlerimi sunuyorum. Cenab-ı Hakk'tan onlara ve bize her iki cihanda başarı ve refah ihsan etmesini niyaz ediyor, bu mütevazi araştırmayı sevaplarımız arasına dâhil etmesini diliyoruz. Allah'ın (cc) salât ve selâmı âlemlere rahmet olarak gönderilen Resûlullah''ın (sav) üzerine olsun.

collision with technology, which has become a necessary need and at the same time a painful affliction, and has caused many Of the health, psychological and moral problems of family members and society as well, but the Holy Qur'an provides adequate and sufficient solutions to all of those problems that we mentioned above, since the Holy Qur'an is the eternal book of this nation, its comprehensive constitution, and its true and faithful guide, and in the middle of this study I mentioned in detail and within the available space the most important. The purposes and objectives of the Holy Qur'an, which were behind the formation of the marriage project, building the family, reconstructing the earth, preserving the human race, preserving society from vices, moral corruption, and social acquaintance, and achieving sociability, affection, and mercy between spouses and family members, and the like, and this is sufficient and a cure for the Islamic nation for what it brought. Positive theories, which claim to aim to protect and form the family, are in fact riddled with many defects and shortcomings, and behind them is a malicious intention to erase the Muslim family, promote corruption, and collapse society.

Key Words: Interpretation, family, Holy Quran, curriculum, marriage, purposes

Quantity of page: 278 + VIII

Supervisor: Prof. Dr. Selahattin SÖNMEZSOY

The study was structured according to a preface in which it explained the definition of the Holy Qur'anic approach, the definition of family life and its purpose, and mentioned the meaning of objectives and the meaning of objective interpretation. The study pointed to the most important interpretations of objectives so that we would be clear in this study. During this study, it was shown : The Holy Qur'an is considered an integrated approach to all matters of life, the most important of which is: family life, on which public life is based and continues. This is due to the complete and comprehensive legislation, directives, and instructions contained in the Qur'an for the family and its formation, from the beginning of this project, which is choosing a life partner. The Holy Qur'an has laid out these The stage is within its religious principles, and it shows how each of the spouses chooses each other within the basic and desirable religious and moral standards mentioned in the Holy Qur'an for this stage, and after that comes the practical stage of the marriage project, which is the daily family life. The Holy Qur'an here mentioned and detailed everything, and explained all the rights and duties resulting from it. The spouses also clarified the rights of the children, what they have and what they owe, so that the caravan of family life moves safely and reassuringly until it reaches its final destination. It is known to us that the life of this world is not an ideal life free of problems, troubles and obstacles. Family life, despite its formation on a legal basis and social guidelines and laws, faces great challenges that are not devoid of worldly problems and obstacles, which are from the nature of life - as God Almighty said: "And We test you with evil." And goodness is a test" (Al-Anbiya', 21/35). The family, with all its members, including spouses and children, may be exposed to obstacles and difficulties in their family life, whether inside the family's sanctuary or outside it in society. These problems must be solved and treated, and the Holy Qur'an, as is known, did not leave anything behind. Unless he mentioned it, or referred to it, God Almighty says: "And every thing, small and great, is hidden" (Al-Qamar, 54/53), and for this reason the Holy Qur'an mentioned those problems and obstacles that the family faces in its family life, whether those problems are internal: such as the emotional emptiness between spouses and children, Domestic violence between spouses and children, publicity, defamation, slander, and disobedience between spouses until it leads to divorce and separation, or they are external to the field of society: such as

Ph.D. Thesis

Ali Rafeg SAEED

VAN YUZUNCU YIL UNIVERSITY

INSTITUTE OF SOCIAL SCIENCES

February, 2024

THR QUR'ANIC APPROACH TO FAMILY LIFE
"APURPOSEFUL STUDY"

ABSTRACT

The Muslim family is considered the first and basic building block in building the Islamic society, and in light of its goodness and cohesion, the good of society is decided and determined, and thus the good of the nation. Therefore, focusing on it as a basic unit of society was necessary, and protecting and preserving it is a must, and it is not surprising that Islam, within its religious teachings, pays attention to the family. From the first moment, through proper establishment and construction, and establishing methods, preventive methods, and therapeutic methods to resolve any tensions that may arise within the family that may lead to destructive disputes, then working to ensure their continuity and not allowing social diseases to enter into them, which contribute directly or indirectly. With its disintegration and the disintegration of its family contract, Islam therefore made its five purposes and universals basic principles for preserving the honor and honor of the Muslim family. This is why our choice in this study of the Qur'anic approach as the main source of Islamic legislation was a must, for devising social legislation, especially what concerns family life. Therefore, it came This modest study aims to extrapolate the Qur'anic texts related to the beginning of family life extending to its end, and here our study focuses on a purposeful study of the Qur'anic verses, which concern an aspect of the family, by dividing this topic into three main stages :The first stage: The approach of the Holy Qur'an before forming a family. From choosing one spouse to the other and mentioning the desirable criteria for selection.

The second stage: The approach of the Holy Qur'an after formation and during the normal life of the family

.

The third stage: The Holy Qur’an’s approach and treatment of the family at the time of its collapse.This is with great emphasis on the most prominent and important purposes and objectives of the Holy Qur’an in forming the family, protecting it and preserving it from collapse.Kur’ân-ı Kerîm, bu ümmetin ebedi kitabı, kapsamlı anayasası, gerçek ve sadık rehberidir. Çalışmamın ortasında evlilik projesinin oluşması, ailenin inşası, yeryüzünün iskân edilmesi, insan neslinin korunması, toplumun kötülüklerden ve ahlaki bozulmalardan korunması, sosyal tanışıklık, eşler ve aile bireyleri arasında sosyalleşme, sevgi ve şefkatin sağlanması ve buna benzer konularda Kur’ân-ı Kerîm'in en önemli amaç ve hedefleri mümkün mertebe geniş bir şekilde ele alınmıştır. Aileyi korumayı ve oluşturmayı hedeflediklerini öne süren pozitivist teoriler tarafından ortaya atılmış, ancak gerçekte birçok kusur ve eksiklikle dolu olan ve arkasında Müslüman aileyi yok etmeye, yolsuzluğu teşvik etmeye ve toplumu çökertmeye çalışan habis bir niyete karşın Kur’ân-ı Kerîm’in açıklamalarında İslam ümmeti için kifayet ve şifa vardır.

Anahtar Kelimeler: Tefsîr, Aile, Kur’ân-ı Kerîm, Metot, Evlilik, Makâsıd.

Sayfa sayısı: 278+VIII

Danışman: Prof. Dr. Selahattin SÖNMEZSOY

iyi anlaşılması adına en önemli makasıdî tefsirlere işaret etmiştir. Çalışmada genel olarak şunlar açıklanmıştır: Kur'ân-ı Kerîm, hayatın tüm meselelerine bütüncül bir metot olarak kabul edilmektedir. Bu meselelerin en önemlileri arasında kamusal yaşamın kendisine dayandığı ve kendisiyle devam ettiği aile hayatı yer almaktadır. Bu da hayat arkadaşı seçimi şeklinde bu projenin başlangıcından itibaren aile ve oluşumuna yönelik Kur'ân'da yer alan eksiksiz ve kapsamlı yönlendirme ve kurallar ile gerçekleşmektedir. Kur'ân-ı Kerîm bu aşamayı dini esasları içerisinde tasvir etmiş ve bu aşama için Kur'ân-ı Kerîm'de belirtilen temel ve arzu edilen dini ve ahlaki standartlar dâhilinde eşlerden her birinin birbirini nasıl seçmesi gerektiğini açıklamıştır. Daha sonra evlilik projesinin pratik aşaması yani günlük aile hayatı gelir. Kur'ân-ı Kerîm bu konuyu detaylandırmış, eşlerin sahip olduğu tüm hak ve görevleri açıklamış, ayrıca aile hayatı kervanının nihai varış noktasına ulaşana kadar güvenli ve huzurlu bir şekilde ilerlemesi için çocukların haklarını, leh ve aleyhlerinde olan şeyleri de zikretmiştir.Dünya hayatının, problemlerden, sıkıntılardan ve engellerden uzak, mükemmel bir hayat olmadığını biliyoruz. Aile hayatı, hukuki bir temele ve toplumsal kural ve yönlendirmelere dayanmasına rağmen, yaşamın doğasının bir parçası olan dünyevi sorun ve engellerden yoksun olmayan büyük tehditlerle karşı karşıyadır. Nitekim Yüce Allah (cc) "Sizi bir imtihan olarak hayır ile de şer ile de deniyoruz (Enbiyâ, 21/35)" şeklinde buyurmaktadır. Aile, eş ve çocuklar da dâhil olmak üzere tüm üyeleriyle birlikte, toplumdaki gerek aile hareminde gerekse aile haremi dışındaki aile yaşamlarında engellere ve zorluklara maruz kalabilmektedir. Bu sorunların mutlaka çözülmesi ve tedavi edilmesi gerekmektedir. Bilindiği üzere Kur'ân-ı Kerîm, zikretmediği veya atıfta bulunmadığı hiçbir şey bırakmamıştır. Nitekim Yüce Allah (cc) "Küçük, büyük her şey satır satır yazılmıştır (Kamer, 54/53)" şeklinde buyurmuştur. Bu nedenle Kur'ân-ı Kerîm, sorunlar, ister eşler ve çocuklar arasındaki duygusal boşluk, aile içi şiddet, zihâr, îlâ', kazıf, li'ân, boşanmaya ve ayrılığa yol açan eşler arasındaki geçimsizlik gibi dâhili olsun, ister şartlar yerine getirilmediği takdirde bazen aile ve toplumda kaos ve karışıklığa yol açan çok eşlilik gibi toplum meydanında harici olsun aile hayatında ailenin karşılaştığı sorunlardan ve engellerden bahsetmiştir.Toplumsal aile sorunlarından biri de evlilikteki sadakatsizliktir ve maalesef her geçen gün acı verici sebeplerden dolayı artmaktadır. Aile sorunları arasında genç erkeklerin bahsettiğimiz nedenlerden ötürü evlenmek istememeleri

DOKTORA TEZİ

Ali Rafeq SAEED

VAN YÜZÜNCÜ YIL ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI
ŞUBAT -2024

AİLE HAYATINDA KUR'ÂN METODU "MAKASIDÎ BİR ARAŞTIRMA"

ÖZET

İslam toplumunun inşasında Müslüman aile ilk ve temel yapı taşı olarak kabul edilir. Ailenin salahı ve kenetlenmesi ışığında toplumun salahı, ardında da ümmetin salahı oluşur ve belirginleşir. Bu nedenle toplumun temel birimi olan aileye odaklanmak, onu korumak ve yaşatmak zorunlu bir durum olmuştur. İslam'ın, dini öğretileri içerisinde ilk andan itibaren sağlam temeli ve inşası, aile içinde yıkıcı tartışmalara yol açacak muhtemel gerginlikleri gidermek için koruyucu ve tedavi edici yöntemler geliştirmesi, sonra da devamlılığını sağlamaya çalışması, aile sözleşmesinin bozulmasına ve ailenin parçalanmasına doğrudan veya dolaylı katkıda bulunan sosyal hastalıkların sirayet etmesine izin vermemesi çerçevesinde aileye önem vermesi şaşırtıcı değildir. Bu nedenle İslam, makâsıd ve beş ilkesinden Müslüman ailenin ırz ve şerefini korumak için temel prensipler oluşturmuştur. Bu çalışmada İslam hukukunun ana kaynağı olan Kur'ân metodunu tercih etmemiz, sosyal mevzuatı, özellikle de aile hayatını ilgilendiren konuları türetmek için gerekli olmuştur. Dolayısıyla bu mütevazı çalışma, aile hayatının başlangıcından sonuna kadar ilgili Kur'ân âyetlerini değerlendirmeyi amaçlamaktadır. Çalışma, ailenin bir yönünü ilgilendiren Kur'ân âyetlerinin makâsidî bir incelemesine odaklanmaktadır ve konu, üç ana aşamaya ayrılmaktadır:Birinci aşama: Aile kurulmadan önce bir eşin diğerine seçilmesi ve seçim için arzu edilen kriterlerin belirtilmesine dair Kur'ân-ı Kerîm'in metodu. İkinci aşama: Ailenin kurulmasından sonra ve normal hayat sırasında Kur'ân-ı Kerîm'in metodu. Üçüncü aşama: Ailenin yıkılması durumunda Kur'ân-ı Kerîm'in metodu ve tedavisi. Ayrıca çalışmada Kur'ân-ı Kerîm'in aileyi kurma, koruma ve yıkılmaktan kurtarmadaki en belirgin ve önemli makâsıd ve hedefleri ele alınmaktadır.

ETİK BEYAN

Van Yüzüncü Yıl Üniversitesi, Sosyal Bilimler Enstitüsü **Tez Yazım Kurallarına uygun olarak hazırladığım bu tez çalışmasında;**

- Tez içinde sunduğum verileri, bilgileri ve dokümanları akademik ve etik kurallar çerçevesinde elde ettiğimi,
- Tüm bilgi, belge, değerlendirme ve sonuçları bilimsel etik ve ahlak kurallarına uygun olarak sunduğumu,
- Tez çalışmasında yararlandığım eserlerin tümüne uygun atıfta bulunarak kaynak gösterdiğimi,
- Kullanılan verilerde herhangi bir değişiklik yapmadığımı,
- Bu tezde sunduğum çalışmanın özgün olduğunu

bildirir, aksi bir durumda aleyhime doğabilecek tüm hak kayıplarını kabullendiğimi beyan ederim. 19. 02.2024

ALI RAFEQ SAEED

KABUL VE ONAY

Ali Raeq SAEED tarafından hazırlanan "**AİLE HAYATINDA KUR'ÂN METODU "MAKASIDÎ BİR ARAŞTIRMA**" adlı tez çalışması aşağıdaki jüri tarafından OY BİRLİĞİ ile Van Yüzüncü Yıl Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü TEMEL İSLAM BİLİMLERİ Anabilim Dalında / İslam Anabilim Dalı Tefsir Bilim Dalı **DOKTORA** TEZİ olarak kabul edilmiştir.	
Jüri Üyeleri	**İmza**
Danışman: Prof. Dr . Selahattin SÖNMEZSOY Van Yüzüncü Yıl Üniversitesi, Temel İslam Bilimleri Bu tezin, kapsam ve kalite olarak Doktora Tezi olduğunu onaylıyorum.	...……
Başkan: Prof. Dr . Selahattin SÖNMEZSOY Van Yüzüncü Yıl Üniversitesi, Temel İslam Bilimleri Bu tezin, kapsam ve kalite olarak Doktora Tezi olduğunu onaylıyorum.	…….
Üye: Prof. Dr. Vecihi SÖNMEZ Batman Üniversitesi, Temel İslam Bilimleri Bu tezin, kapsam ve kalite olarak Doktora Tezi olduğunu onaylıyorum aylıyorum.	……
Üye: Doç. Dr. Mahmut DÜNDAR Van Yüzüncü Yıl Üniversitesi, Temel İslam Bilimleri Bu tezin, kapsam ve kalite olarak Doktora Tezi olduğunu onaylıyorum.	…….
Üye: Dr. Öğr. Üyesi Cemil KÜçÜK Van Yüzüncü Yıl Üniversitesi, İslam Tarihi ve Sanatları Bu tezin, kapsam ve kalite olarak Doktora Tezi olduğunu onaylıyorum.	…….
Üye: Prof. Dr. Mehmet YOLCU Bitlis Eren Üniversitesi, Temel İslam Bilimleri Bu tezin, kapsam ve kalite olarak Doktora Tezi olduğunu onaylıyorum.	…….
Yedek Üye: Dr. Öğr. Ü. Charif Murad Van Yüzüncü Yıl Üniversitesi, Temel İslam Bilimleri Bu tezin, kapsam ve kalite olarak Doktora Tezi olduğunu onaylıyorum.	……
Yedek Üye: Dr. Öğr. M. Selim AYDAY Van Yüzüncü Yıl Üniversitesi, Temel İslam Bilimleri Bu tezin, kapsam ve kalite olarak Doktora Tezi olduğunu onaylıyorum.	……
Tez Savunma Tarihi:	**19 .2 .2024**
Jüri tarafından kabul edilen bu tezin Yüksek Lisans Tezi olması için gerekli şartları yerine getirdiğini ve imzaların sahiplerine ait olduğunu onaylıyorum. …….……. **Prof. Dr. Bekir KOÇLAR** Sosyal Bilimler Enstitüsü Müdürü	

T.C.

VAN YÜZÜNCÜ YIL ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI

AİLE HAYATINDA KUR'ÂN METODU
"MAKASIDÎ BİR ARAŞTIRMA"

DOKTORA TEZİ

HAZIRLAYAN
ALI RAFEQ SAEED

DANIŞMAN
PROF. DR. SELAHATTİN SÖNMEZSOY

VAN - 2024